یہ کتاب

اپنے بچوں کے لیے scan کی بیرونِ ملک مقیم ہیں

مومنین بھی اس سے استفادہ حاصل کرسکتے ہیں.

منجانب.



سبیلِ سکینہ

یونٹ نمبر ۸ لطیف آباد حیدرآباد پاکستان





۷۸۶
۹۲_۱۱۰
یا صاحب الزماں ادرکنیؑ

DvD Version

لبیک یا حسینؑ

خصوصی تعاون: نذر عباس
رضوان رضوی

اسلامی کُتب (اردو) DVD

ڈیجیٹل اسلامی لائبریری ۔

www.ziaraat.com

SABIL-E-SAKINA
Unit#8,
Latifabad Hyderabad
Sindh, Pakistan.
www.sabeelesakina.page.tl
sabeelesakina@gmail.com

أخبار اليوم
قطاع الثقافة

السيرة النبوية

لابن إسحاق

المجلد الثانى

مطبوعات



قطاع الثقافة

NOTE:
THESE BOOKS ARE
SCANNED FOR OUR
CHILDREN KNOWLEDGE.
THANK TO BROTHER
NASIR UDDIN ARIF
TALIB DUA

NKZAA + AHMAD ALI



دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة

جمهورية مصر العربية
٦ ش الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

تقديم

هذه طبعة جديدة للسيرة النبوية الشريفة .. التى كتبها محمد بن إسحاق المطلبى الشهير بابن إسحاق المتوفى سنة ١٥١ هجرية .. وهى أصدق وأصح الطبعات وأكثرها شمولا .. وتجمع لأول مرة سيرة بن إسحاق كاملة من المخطوطات وبطون الكتب الأمهات .

ويقدم قطاع الثقافة فى دار أخبار اليوم هذه الطبعة الجديدة فى مجلدين يصدران تباعا..

والله ولى التوفيق .

الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

المجلد الثانى

السيرة النبوية

لابن إسحاق

حقق أصولها ووثق نصوصها وكتب مقدمتها
وعلق عليها وضبط ألفاظها ووضع فهارسها

طه عبد الرؤوف سعد
من علماء الأزهر الشريف

بدوى طه بدوى
محقق فى التراث الإسلامى

المجلد الثانى

من سيرة ابن إسحاق

من أول غزوة حمراء الأسد إلى

رثاء حسان رسول الله ﷺ

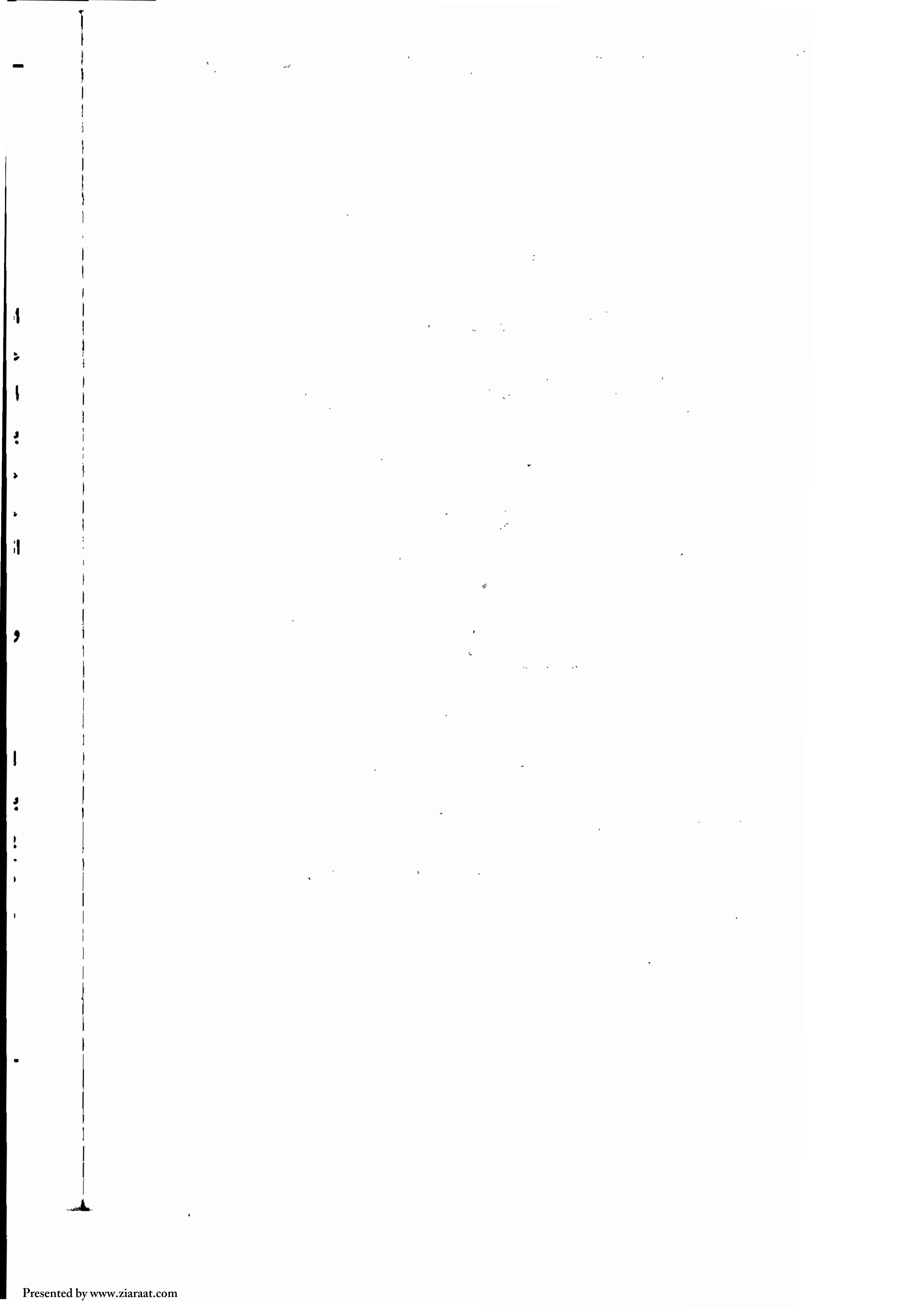
وبه يتم الكتاب بحمد الله

وتتم سيرة النبى العدنان ﷺ

* **ملحوظة مهمة جداً :**

من أول هنا إلى نهاية الكتاب مأخوذ من السيرة النبوية لابن هشام مما رواه عن ابن إسحاق ، اختاره بدوى طه بدوى . وبذلك تكون روايات ابن إسحاق من أول السيرة ***«ذكر نسب النبى ﷺ» قد جُمعت إلى نهايتها «وفاة الرسول ﷺ ورثاء حسان له»*** *لأول مرة - بحمد الله - فى كتاب واحد هو هذا الكتاب الذى بين يديك عزيزى القارئ .*

والحمد لله أولاً وآخراً .



غَزْوَةُ حَمراء الأسد بعد أُحد

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان : أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ ، من بنى عبد الأشهل كان شهد أُحدًا مع رسول الله ﷺ ، قال : شهدت أحدًا مع رسول الله ﷺ ، أنا وأخ لى ، فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج فى طلب العدو ، قلت لأخى أو قال لى : أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ ؟ والله مالنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ ، وكنت أيسر جرحا ، فكان إذا غلب حملته عقبة ، ومشى عقبة ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ٠

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهى من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ٠

قال ابن إسحاق : فأقام بها الإثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة ٠

قال : وقد مر به كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، معبد بن أبى معبد الخزاعى ، وكانت خزاعة ، مسلمهم ومشركهم عيبة نصح (١) لرسول الله ﷺ ، بتهامة ، صفقتهم (٢) معه ، لا يخفون عنه شيئا كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك فقال : يا محمد ، أما والله لقد عز علينا ما أصابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج رسول الله ﷺ بحمراء الأسد ، حتى لقى أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، وقالوا : أصبنا بُحد أصحابه وأشرافهم وقادتهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ، لنكون على بقيتهم ، فلنفرغن منهم ٠ فلما رأى أبو سفيان معبداً ، قال : ماوراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقًا (٣) ، قد اجتمع

(١) عيبة نصح : أى موضع ومكمن سره ٠
(٢) صفقتهم : اتفاقهم ٠
(٣) تحرقًا : أى غيظا شديدًا ٠

معه من كان تخلف عنه في يومكم [١] ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق [٢] عليكم شيء لم أر مثله قط ، قال ويحك ! ما تقول ؟ قالَ : والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى نواصى الخيل قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم ، لنستأصل بقيتهم ، قال فإني أنهاك عن ذلك ، قال والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من شعر ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كَادَت تَهَدُّ مِنَ الأَصَــوات رَاحِلَتِي ... إذْ سَالتْ الأَرضُ بالجرد الأَبابيل [٣]

تَردى بأُســـــد كِرامٍ لا تَنابلة ... عِند اللـــقاءِ ولا ميل مَعازيل [٤]

فَظلـــت عَدواً أظن الأرضَ مَائلة ... لما سَمَوا برئيـــس غَير مَخْذُول

فَقلتُ : وَيلِ ابنْ حَربٍ من لَقائكم ... إذَا تغطمـــطت البطحاءُ بالجيل [٥]

إنِى نَذيرٌ لأَهلِ البَســـلَ ضَاحية ... لِكُل ذِى إربْة منـــهم ومَعقول [٦]

مِنْ جَيش أَحـــمدَ لاَوخش تنابلة ... وليس يوصف ما أنذرت بالقيل [٧]

فثنى [٨] ذلك أبا سفيان ومن معه :

* رِسَالةُ أبي سُفْيان إلى رسول الله ﷺ :

ومر به ركب من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينـة ؟ قال : ولم ؟ قالوا : نريد المِيرة [٩] ، قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمداً رسالة

---

(١) يقصد غزوة أُحد .

(٢) الحنق : الغل والغيظ .

(٣) الجرد : العتاق من الخيل ، والأبابيل : الجماعات .

(٤) تردى : تسرع ، التنابلة : القصار ، الميل : من لا رماح معهم ، المعازيل : العزل من السلاح .

(٥) تغطمطت : اهتزت ، الجيل : الصنف من الناس .

(٦) أهل البسل : قريش ، الضاحية : الظاهرة للشمس ، الإربة : العقل .

(٧) الوخش : رذلة الناس .

(٨) أى صرفه وفتر عزيمته .

(٩) المِيرةُ : هى الطعام الذى يُجمع للسفر ونحوه .

أُرسلكم بها إليه ، وأحمل لكم هذه غداً زبيبا بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا نعم : قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم ، فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان : فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل (١) .

* مَا فَعَلَهُ عَبْدُ الله بن أُبَيٍّ بعد غزوة أُحُد :

قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وكان عبد الله بن أُبى ابن سلول ، كما حدثنى ابن شهاب الزهرى ، له مقام يقومه كل جمعه لا يُنْكر شرفًا له فى نفسه وفى قومه ، وكان فيهم شريفا ، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس « قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم أكرمكم الله وأعزكم به ، فانصروه وعزروه ، واسمعوا له وأطيعوا » ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أُحد ما صنع ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه ، وقالوا : اجلس ، أى عدو الله ، لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ما صنعت ، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بجرا (٢) أن قمت أشدد أمره . فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد ، فقال : مالك؟ ويلك ، قال قمت أشدد أمره ، فوثب علىَّ رجال من أصحابه يجذبوننى ويعنِّفوننى ، ولكأنما قلتُ بجراً أن قمت أشدد أمره ، قال : ويلك ! ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ ، قال : والله ما أبتغى أن يستغفر لى (٣) .

* * *

---

(١) هى خير عدة وحصن يتحصن بها المسلم ويدعو بها إذا خاف شيئًا وبها يُفرج الله الكروب .

(٢) البَجْرُ : الأمرُ العظيم .

(٣) وهذا دليلٌ على تكبر وعناد عبد الله بن أُبى زعيم المنافقين .

ذكر ما أنزل الله فى أُحُدٍ من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن إسحاق : فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى فى يوم أُحد من القرآن ستون آية من آل عمران ، فيها صفة ما كان فى يومهم ذلك ومعاتبة من عاتب منهم ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ :

﴿ وإذ غدوت من أهلك تُبوِّئُ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم ﴾[١] .

قال ابن إسحاق : يقول الله تعالى : ﴿ وَعَلَى الله فَلْيَتَوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [٢] أى من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل علىَّ ، وليستعن بى ، أعنه على أمره ، وأدفع عنه ، حتى أبلغ به وأدفع عنه وأقويه على نيته: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٣] أى فاتقونى ، فإنه شكر نعمتى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أقل عددًا وأضعف قوة : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [٤] أى أن تصبروا لعدوى ، وتطيعوا أمرى، ويأتوكم من وجههم هذا: أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين .

قال ابن إسحاق : ثم قال لمحمد رسول الله ﷺ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [٥] أى ليس لك من الحكم شىء فى عبادى إلا ما أمرتك به فيهم ، أو أتوب عليهم ، برحمتى ، فإن شئت فعلت ، أو أعذبهم بذنوبهم فبحقى ﴿ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ أى قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إياى ﴿ واللهُ غَفُورٌ رحيمٌ ﴾ [٦] أى يغفر الذنب ويرحم العباد ، على ما فيهم .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٢١ . (٢) سورة آل عمران : الآية ١٢٢ .
(٣) سورة آل عمران : الآية ١٢٣ . (٤) سورة آل عمران : الآيات ١٢٤ - ١٢٥ .
(٥) سورة آل عمران : الآية ١٢٨ . (٦) سورة آل عمران : الآية ١٢٩ .

وفى التعليق على قول الله عز وجل : ﴿ **وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرُنَا على القوم الكافرين** ﴾ (١) .

قال ابن إسحاق : أى فقولوا مثل ما قالوا : واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم واستغفروه كما استغفروه ، وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم ، ولا ترتدوا على أعقابكم راجعين واسألوه كما سألوه أن يثبت أقدامكم ، واستنصروه كما استنصره على القوم الكافرين ، فكل هذا من قولهم قد كان ، وقد قتل نبيهم فلم يفعلوا كما فعلتم ﴿ **فَأَتَاهُم اللهُ ثَوابَ الدُّنْيَا** ﴾ (٢) بالظهور على عدوهم ﴿ **وحُسن ثوابِ الآخرة** ﴾ وما وعد الله فيها .

* تَحذير المؤمنين من إطاعة الكفار :

قال ابن إسحاق : ﴿ **حَتى إذَا فَشلْتُم** ﴾ (٣) أى تخاذلتم : ﴿ **وتنازعتم فِى الأمْرِ** ﴾ أى اختلفتم فى أمرى ، أى تركتم أمر نبيكم وما عهد إليكم ، يعنى الرماةَ : ﴿ **من بَعْد مَا أرَاكُم مَا تُحبونَ** ﴾ أى الفتح ، لا شك فيه وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم : ﴿ **منكُم من يُريد الدُّنْيَا** ﴾ أى الذين أرادوا النهب فى الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة : ﴿ **وَمنْكُم من يُريد الآخرةَ** ﴾ (٤) أى الذين جاهدوا فى الله ، ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه ، لعرض من الدنيا ورغبة فيها ، رجاء ما عند الله من حسن ثوابه فى الآخرة ! أى الذين جاهدوا فى الدين ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه لعرض من الدنيا ، ليختبركم ، وذلك ببعض ذنوبكم ، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك ، أن لا يهلككم بما أتيتم من معصية نبيكم ، ولكنى عدت بفضلى عليكم ، وكذلك منَّ الله على المؤمنين أن عاقب ببعض الذنوب فى عاجل

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٤٧ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٤٨ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٥٢ .

(٤) قال ابن عباس : المقصود بهذه الآية عبد الله بن جبير الذى كان أميرًا على الرُّماة ، وكان أمرهم - أى الرسول ﷺ - أن يلزموا مكانهم ، وألا يخالفوا أمر نبيهم ، فثبت معه طائفة فاستشهد ، واستشهدوا ، وهم الذين أرادوا الآخرة ، وأقبلت طائفة على المغنم ، وأخذ السلب فكرَّ عليهم العدو ، وكانت الهزيمة . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد ٤ / ١٩٤ .

الدنيا أدبًا وموعظة ، فإنه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم ، بما أصابوا من معصيته ، رحمة لهم ، وعائدة عليهم ، لما فيهم من الإيمان ·

* جَزاءُ شُهَداء أُحُد :

قال ابن إسحاق : وحدثنى إسماعيل بن أمية ، عن أبى الزبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ ، لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خُضر ، تَرِدُ [١] أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل [٢] من ذهب ، فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم ، وحسن مقيلهم ، قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا ، لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا ينكلوا عند الحرب [٣] ، فقال الله تعالى : فأنا أبلغهم عنكم فأنزل الله على رسوله ﷺ هؤلاء الآيات : ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ ··· ﴾ ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى الحارث بن الفضيل ، عن محمود بن لبيد الأنصارى عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة ، فى قُبَّة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا » [٤] ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن هؤلاء الآيات : ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الذينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا بَل أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ فقال : أما أنَّا قد سألنا عنها فقيل لنا إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ، تَرِدُ أنهار الجنة : وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش ، فيطلع الله عز وجل عليهم اطلاعة فيقول : يا عبادى ، ما تشتهون فأزيدكم ؟ قال فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطلع الله عليهم اطلاعة فيقول : يا عبادى ، ما تشتهون ، فأزيدكم ، فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا قال : ثم يطلع عليهم اطلاعة فيقول : يا عبادى ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون ربنا لا فوق ما

---

(١) تأتي وتطوف ·

(٢) مصابيح ·

(٣) أى لا يرجعون خائفين من العدو هائبين منه ·

(٤) أى صباحًا ومساءً ·

أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا ! إلا أنا نحب أن تردَّ أرواحنا فى أجسادنا ، ثم نُرد إلى الدنيا ، فنقاتل فيك ، حتى نقتل مرة أخرى ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال لى رسول الله ﷺ : ألا أبشرك يا جابر ؟ قال قلت بلى يا نبى الله ، قال : إن أباك حيث أصيب بأُحد أحياه الله عز وجل ، ثم قال له : ما تحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : أى رب أحب أن تردنى إلى الدنيا ، فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده ، ما من مؤمن يفارق الدنيا يحب أن يرجع إليها ساعة من نهار ، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد فإنه يحب أن يرد إلى الدنيا فيقاتل فى سبيل الله ، فيقتل مرة أخرى » ·

* ذِكْر من استُشْهِد بأُحد من المهاجرين :

• مِن بنى هاشم

قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم أُحد مع رسول الله ﷺ – من المهاجرين من قريش ، ثم من بنى هاشم بن عبد مناف حمزة بن عبد المطلب بن هاشم – رضي الله عنه – قتله وحشى [١] غلام جبير بن مطعم [٢] ·

• مِن بَنى أُمَيَّة

ومن بنى أمية بن عبد شمس بن عبد الله بن جحش ، حليف لهم من بنى أسد ابن خزيمة ، ومن بنى عبد الدار بن قصى : مصعب بن عمير ، قتله ابن قمئة الليثى ومن بنى مخزوم ابن يقظة : شماس بن عثمان · أربعة نفر ·

* * *

(١) أسلم وحشى بعد ذلك وتاب وندم على ما فعل وقتل مسيلمة الكذاب يوم اليمامة ·

(٢) أسلم جبير بن مطعم بعد ذلك وحسن إسلامه وروى كثيراً من الأحاديث عن رسول الله ﷺ ·

* **ذكر من استُشْهِدَ بأُحُد من الأنصار (١) :**

من بنى عبد الأشهل : عمرو بن معاذ بن النعـــمان ، والحارث بن أنس بن رافع ، وعمارة بن زياد بن السكن ·

قال ابن إسحاق : وسلمة بن ثابت بن وقش ، وعمرو بن ثابت بن وقش ، رجلان ·

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى عاصم بن عمر بن قتادة أن أباهما ثابتا قتل يومئذ · ورفاعة بن وقش وحسيل بن جابر ، وأبو حذيفة وهو اليمان أصابه المسلمون فى المعركة ولا يدرون ، فتصدق حذيفة بديته على من أصابه وصيفى بن قيظى وحباب بن قيظى وعباد بن سهل والحارث بن أوس بن معاذ اثنا عشر رجلاً ·

ومن أهل راتج : إياس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن زعوراء ابن جشم بن عبد الأشهل ، وعبيد بن التيهان ·

قال ابن إسحاق : ومن بنى النجار ثم من بنى سواد بن مالك بن غنم : عمرو ابن قيس ، وابنه قيس بن عمرو ·

قال ابن إسحاق : وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن مخلد ، أربعة نفر ·

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبيد بن زيد : أنيس بن قتادة ، رجل ·

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن جبير بن النعمان ، وهو أمير الرُّماة ·

قال ابن إسحاق : ومن بنى عدى بن النجار : أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار ·

قال ابن إسحاق : وسعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبجر وعتبة ابن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر ثلاثة نفر ·

---

(١) المعروف أن الأنصار هم أهل المدينة وسكانها من المسلمين الذين هاجر إليهم الرسول ﷺ وقد دخلوا فى الإسلام قبل الهجرة وبعدها ، وسمُّوا الأنصار لأنهم نصروا رسول الله ﷺ - عندما هاجر إليهم وآزروه وتآخوا مع المهاجرين من أهل مكة، وقد أمرنا النبى ﷺ بحبهم - رضى الله عنهم - ·

ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ، ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ، وسقف بن فـــروة بن البدى رجـــلان .

قال ابن إسحاق : فجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار خمسة وستون رجلاً .

*** ذِكر من قُتل من قُريش يوم أُحُد :**

قال ابن إسحاق : وقتل من المشركين يوم أُحد من قريش ، ثم من بنى عبد الدار بن قصى من أصحاب اللواء : طلحة بن أبى طلحة ، واسم أبى طلحة عبد الله ابن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، قتله علـــى بن أبى طالب ، وأبو سعد بن أبى طلحة ، قتله سعد بن أبى وقاص .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن أبى طلحة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، ومسافع بن طلحة ، والجلاس بن طلحة قتلهما عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، وكلاب بن طلحة ، والحارث بن طلحة قتلهما قزمان حليف لبنى ظفر .

قال ابن إسحاق : وأرطأة بن عبد شرحبـيل بن هاشـــم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله حمزة بن عبد المطلب وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله قزمان ، وصؤاب غلام له حبشى قتله قزمان .

قال ابن إسحاق : والقاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله قزمان . أحد عشر رجلاً .

قال ابن إسحاق : فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أُحد من المشركين اثنان وعشرون رجلاً .

* * *

ذِكْرُ ما قيل من شِعر يوم أُحُد

*** شعر هُبَيْرة :**

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم أُحد ، قول هبيرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم .

ما بال هَم عَميد بَاتَ يَطرُقنى ... بالود من هند إذْ تَعْدو عَواديها (١)
بَاتَت تُعَاتبنى هندُ وتَعْذُلنى ... والحربُ قَد شُغلَتْ عَنّى مواليها
مَهلاً فلا تَعْذلينى إنْ مِنْ خلُقى ... مَا قَدْ عَلمتَ ومَا إن لَستُ أُخفيها
مَساعفُ لبنى كَعْب بِمَا كلفوا ... حمال عبْءٍ وأثقال أُعَانيها
وقَدْ حَملتُ سِلاحى فَوق مُشتَرف ... سَاطٍ سَبُوح إذا تجرى يُبَاريها (٢)
كأنه إذ جرى عَير بفَدْفَدَة ... مُكدم لاَحق بالعَون يَحْميها (٣)
منْ آل أعْوجَ يَرتَاح النَّدى لَهُ ... كَجَذْعِ شَعَراء مُسْتَعل مَراقيها (٤)
أعْدَدْته ورقَاق الحدِّ مُنْتَخلاً ... ومَارنا لخطُوب قَد ألاقيها (٥)
هَذا وَبيضاءُ مِثْل النهى مُحكمة ... نيطَتْ عَلَىَّ فَما تَبْدو مساويها (٦)
سقْنا كنانة من أطراف ذى يمن ... عرض البلاد على ما كان يُزجيها (٧)
قَالتْ كِنانَة أنَّى تَذهَبون بنا ؟ ... قُلنا : النَّخيل ، فأمُّوها ومن فيها (٨)

---

(١) العميد : شديد الحزن ، العوادى : الشواغل .

(٢) مستشرف : بفتح الراء اسم مفعول ، أى فرس تنظر الناس إليه لحسنه .

(٣) هنا يشبه حصانه بحمار وحشى هو العير ، الفدفدة : الصحراء ، والمكدم : المعضوض ، والعون : القطيع من حمر الوحوش .

(٤) الأعوج : اسم فرس مشهور فى العرب ومنه الأعوجيات أى الخيل الجيدة ، والندى: المجلس من القوم . والشعراء : نخلة كثيرة الأغصان .

(٥) رقاق الحد : السيوف ، المنتخل : المتخير ، المارن هنا : الريح اللينة .

(٦) البيضاء : الدرع ، النهى : الغدير ، نيطت : علقت .

(٧) عرض البلاد : سعتها ، يزجيها : يسوقها .

(٨) يريد بالنخيل : المدينة المنورة .

نَحْنُ الفَوارِس يَوْمَ الجَرِّ من أُحُد هَابَتْ مَعد فَقُلنا نَحْنُ نأتيها (١)
هَابُوا ضِرابًا وطَعنا صَادفت خَذَمًا مما يَرونَ وَقَدْ ضَمَّتْ قَواصيهَا (٢)
ثُمَّتَ رُحْنَا كَأَنَّا عَارِض بَرِد وَقام هَام بَنِى النَّجَّار يَبْكِيهَا (٣)
كَأَنّ هَامَهُم عِنْد الوَغَى فَلَقٌ مِنْ قَيْضِ ربد نَفَته عن أداحيها (٤)
أَوْ حَنْظَلٍ زَعزعته الرِّيح فى غُصنٍ بَالٍ تَعاوَرَهُ مِنهَا سَوافِيهَا (٥)
قَد نبذل المالَ سَحا لا حِسَاب لَهُ ونَطْعُن الخَيْلَ شَزْرا فى مَآقيها (٦)
وَلَيْلَة يَصْطلى بِالفَرْث جَازرها يَخْتَص بالنَّقرى المثرين داعيها (٧)
وَلَيْلَة من جُمَادى ذَات أَنْدية جَربا جمادية قد بت أسريها (٨)
لاَ ينبَحُ الكَلب فِيها غَيْر وَاحدة من القُريس ولا تسرِى أفَاعِيها (٩)
أَوْقَدت فيها لذى الضَّراء حامية كَالبرق ذَاكية الأَرْكَان أَحْميها (١٠)
أَوْرَثَنى ذَلكم عَمْرو ووَالده من قَبْله كان بالمثنى يغاليها (١١)
كانوا يبارون أَنْواءَ النجوم فما دَنت عن السُّورة العُليا مَساعيها (١٢)

---

(١) الجر : أصل الجبل .
(٢) الخذم : المذل .
(٣) العارض : السحاب ، الهام : جمع هامة وهى ما تزعم العرب أنها طائر يخرج من رأس القتيل يصيح اسقونى حتى يؤخذ بثأر القتيل .
(٤) الفلق : القطع ، القيض : قشر البيض ، الربد : النعام ، الأداحى : أماكن تبيض فيها النعام .
(٥) تعاوره : تداوله ، السوافى : الرياح التى تحمل التراب والرمل .
(٦) نبذل المال سحًّا : لجود كثيراً ، الشزر : الطعن يمينًا وشمالاً .
(٧) النقرى : دعوة قوم دون قوم وضدها الجفلى .
(٨) أندية : جمع ندى وهو المجلس ، جربا : شديدة البرودة ، جمادية : نسبة إلى جماد ، وقد سمى شهر جماد بهذا الاسم ، إذ صادف عند تسميته وقت تجميد المياه فسمى جماداً .
(٩) القريس : البرد مع الصقيع . (١٠) الحامية : الملتهبة .
(١١) المثنى : المرة بعد الأخرى .
(١٢) دنت : قصرت ، السورة : المنزلة .

* **حسان بن ثابت يرد على هبيرة :**

قال ابن إسحاق فأجابه حسان بن ثابت فقال :

سقْتُم كِنَانة جَهْلاً مِنْ سَفَاهَتكم ... إلى الرسُول فَجُنْد الله مُخزِيها
أوردتُموها حِياضَ الموت ضَاحيةً ... فَالنارُ موعدها ، والقتل لاقيها
جَمَعْتُموهم أحَابيشًا بلا حَسَبٍ ... أئمة الكُفر غَرتكم طواغيها
ألا اعتبرتم بَخيل الله إذ قتلت ... أهل القليبِ ومن ألقينه فيها
كَمْ مِنْ أسيرٍ فككناهُ بَلا ثَمن ... وُجز ناصيــة كنا مــواليها

* **كَعْبٌ يَرد على هُبَيرة :**

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يجيب هُبيرة بن أبى وهْب أيضًا :

ألاَ هَل أتى غَسَّانَ عَنَّا وَدونهم ... مِنَ الأرْض خرْق سَيرةَ مُتَنَعْنِع (١)
صَحار وأعَــلامٌ كأن قتَامهَا ... منَ العَبْد نقع هَامد مُتَقَطع (٢)
تَظَلُّ بِهِ البزل العَراميس رَزحًا ... ويَخلو به غَيْث السِّنين فيمرع (٣)
به جيف الحَسْرى يَلوحُ صَليبُهَا ... كَما لاحَ كتَّانُ التُّجار المَوضَّع (٤)
بِهِ العِينُ وَالآرام يَمْشِينَ خلفَةً ... وَبيضُ نَعام قَيْضه يَتقَلع (٥)
مَجالدنا عن دِيْننا كل فَخْمةٍ ... مَدربة فيها القَوانسُ تَلْمَعُ (٦)
وكل صَمُوتٍ فى الصوانِ كأنها ... إذَا لُبِسَتْ نهى من الماء مُتْرَعُ (٧)

(١) الخرق : الفلاة ، المتنعنع : المضطرب .

(٢) الأعلام : الجبال ، القتام : ما اسود من الأشياء ، النقع : الغبار .

(٣) البزل : الإبل القوية ، العراميس : الشديدة ، يمرع : يخصب .

(٤) الصليب هنا : دسم الشحم واللحم ، الموضع : المحلى بالنقوش .

(٥) العين : بقر الوحش ، الآرام : بيض البطون سمر الظهور ، خلفة : جماعة وراء جماعة ، القيض : قشر البيض ، يتقلع ، يتشقق .

(٦) الفخمة : الكتيبة الضخمة . القوانس : رءوس بيض السلاح .

(٧) الصموت : الدرع التى أحكمت صنعا ، الصوان : ما يصان فيه الشىء ، النهى : الغدير .

ولكن ببدر سائلوا من لَقيتم ... منَ الناس وَالأنباءِ بالغيب تَنفعُ
وأنا بأرضِ الخوفِ لَو كان أهلها ... سوانا لَقد أجلوا بليلٍ فأقشَعوا (١)
إذا جاء منَّا راكبٌ كان قوله ... أعدوا لما يزجى ابن حَربٍ ويَجمع(٢)
فَمَهْمَا يَهمُّ الناسَ مما يكيدُنَا ... فَنَحْنُ له من سائر الناس أوسَع
فَلو غَيْرنا كانت جَميعاً تكيدهُ ... البَرية قَدْ أعطوا يَدا وتورعوا (٣)
نُجالد لا تبقى علينا قَبيلة ... منَ الناسِ إلا أن يهابوا ويفظعوا
ولَما ابْتَنوا بالعَرْض قال سراتُنا ... عَلام إذا لم نَمنع العَرض نزرع؟ (٤)
وفينا رَسُولُ اللهِ نَتبع أمْره ... إذَا قَال فينَا القَول لاَ نتطلع (٥)
تَدلَّى عليهِ الروح من عند ربِّه ... يَنْزِل من جَوِّ السماءِ ويَرفع
نُشَاوره فيما نُريد وقَصْرُنا ... إذا ما اشتَهى أنا نُطيع ونَسْمع (٦)
وقَال رَسولُ اللهُ لَما بدوا لنا ... ذروا عنكم هَول المنياتِ واطْمَعُوا
وكُونوا كمن يَشْرى الحياة تَقَرُّبا ... إلى ملك يُحيا لديه ويُرجع
ولَكن خُذوا أسيَافكم وتَوكلوا ... عَلى الله إن الأمر لله أجْمَعُ
فَسرنا إليهم جَهْرة في رِحَالهم ... ضحيا علينا البيض لا نتخشعُ
بملمومَةٍ فيها السنور والقَنَا ... إذا ضَربوا أقْدَامها لا تورعُ (٧)
فَجئْنَا إلى مَوْجٍ من البَحْرِ وَسْطَهُ ... أحَابيش منهم حَاسر وَمقنعُ
ثَلاثة آلاف ونحن نَصية ... ثَلاثُ مِئينٍ إن كَثرنا فَأربعُ (٨)

(١) أقشعوا : فروا .
(٢) يزجى : يسوق .
(٣) توزعوا : تفرقوا .
(٤) ابتنوا : ضربوا أبنيتهم ، العرض : قرى المدينة .
(٥) لا نتطلع : لا نميل .
(٦) قصرنا : غايتنا .
(٧) الملمومة : الكتيبة المجتمعة ، السنور : السلاح .
(٨) النصية : خيار القوم .

نُغَاوِرهم تَجرى المنيَّةُ بيننـــا نُشَارعهم حَوضَ المنَايا ونَشْرَعُ
تهادى قِسى النبع فينا وفيهم ومَا هو إلا اليثربى المقطعُ
وَمنجوفَةٌ حَرمية صَاعِدِيَّةٌ يذَرُّ عليها السُّم سَاعة تَصنَعُ (١)
تَصوبُ بَأبْدانِ الرجالِ وتارة تَمرُّ بأعْراضِ البصار تقَعْقَعُ (٢)
وَخيْلٍ تَراها بالفَضَاء كَأنَّها جَرَاد صَبا فى قَرَّةٍ يتَربعُ (٣)
فلما تَلاقيْنَا وَدَارَتْ بِنَا الرَّحَى وَليس لأمرٍ حمَّه الله مَدفَعُ
ضَرَبْنَاهُمْ حتَّى تَركنا سَرَاتَهُم كأنهم بالقَاعِ خشبٌ مصرعُ
لَدُن غدْوَةٍ حَتى استفَقنا عَشيَّةً كأنْ ذكانا حَرُّ نَار تلفعُ (٤)
وَراحُوا سِراعًا مُوجِعينَ كأنهم جهَامٌ هَراقت مَاءَهُ الرِّيحُ مُقْلَعُ (٥)
ورُحنَا وأخرانا بطـــاء كأننا أسُود على لَحمٍ ببيشة ظلعُ (٦)
فَنلنا ونَال القَومُ منا وربمـــا فَعلنا ولكن مَا لدى الله أوسَعُ
ودَارتْ رَحَانَا واستدارتْ رحَاهم وقد جَعلوا كل من الشر يَشبعُ
وَنحنُ أنَاس لاَ نرى القَتْل سُبَّةً عَلى كل من يَحمى الذِّمَار ويَمنَعُ
جَلادٌ عَلى رَيْبِ الحَوادثِ لا تَرى عَلى هَالكٍ عَيْنًا لنا الدهرَ تَدمَعُ
بنو الحربِ لاَ نَعيَا بشىء نَقُوله ولا نَحْنُ مما جَرت الحرب نَجزَعُ
بنو الحرب إن نظفَر فلسنا بِفحشٍ وَلا نحن من إظفَارِهَا نَتوجَّعُ

(١) المنجوفة : السهام ، الحرمية : نسبة إلى الحرم ، الصاعدية نسبة إلى صاعد وهو رجل مشهور بصنعها .
(٢) البصار : حجارة ، تقعقع : تصوت .
(٣) القرة : البرد ، التربع : المجىء والذهاب .
(٤) ذكانا : التهابنا ، تلفع : يصيب حرها من قرب منها .
(٥) الجهام : سحاب رقيق ليس فيه ماء .
(٦) بيشة : مكان تنسب إليه الأسود . وهى منطقة بأطراف السعودية الآن - ظلع : أى امتلأت بنا الأرض لكثرتنا .

وكنا شِهابًا يَتقى الناس حَرَّه ... ويَفرج عنه من يَليه ويَسفعُ (١)
فَخرت على ابن الزِّبعرى وقد سرى ... لكم طلب من آخِرِ الليل مُتبعُ
فَسل عنك فى عُليا مَعد وغيرها ... من الناس من أخزى مقامًا وأشنعُ
ومَنْ هُو لم تترك له الحرب مفخرًا ... ومن خده يوم الكريهة أضرعُ (٢)
شَددنا بحول الله والنصر شدة ... عليكم وأطراف الأسنة شرعُ
تكر القنا فيكم كأن فروعها ... عزالى مزاد ملؤها يتهزعُ (٣)
عمدنا إلى أهل اللواء ومن يَطر ... بذكر اللواء فهو فى الحمد أسرعُ
فخانوا وقد أعطوا يدًا وتخاذلوا ... أبى الله إلا أمرهْ وهو أصنعُ

* شعر ابن الزبَعْرى

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبَعْرى فى يوم أُحد :

يا غُرابَ البَيْنِ أسمعت فَقُلْ ... إنما تَنْطقُ شيئًا قَد فعلْ
إنَّ للخَيْر وللشرِّ مَدَى ... وكلا ذلك وَجْه وقَبل (٤)
والعَطيَّاتُ خِسَاس بَيْنَهم ... وَسَواءٌ قَبْر مثر ومُقِلْ
كُلُّ عَيْش ونعيم زائلٌ ... وبنَات الدهرِ يَلعبن بِكلْ
أَبْلغا حَسَّان عَنِّى آية ... فَقريضُ الشِّعر يَشْفِى ذَا الغللْ
كَمْ تَرى بالجر مِنْ جُمْجُمَة ... وأكُف قَد أترت ورجِلْ (٥)
وسَرابيل حِسَان سريت ... عَنْ كُمَاة أهلِكُوا فى المنتزلْ (٦)

---

(١) يسفع : يحرق .
(٢) الأضرع : الذليل .
(٣) الفروغ : أى الطعنات الواسعة التى يسيل دمها ، العزالى : فم المزادة ، يتهزع : يسرع فى سيلانه .
(٤) القُبل : ما يستقبل الإنسان من الأيام .
(٥) الجر : أصل الجبل ، أترت : قطعت .
(٦) السرابيل : الدروع ، سريت : جردت ، المنتزل : موضع النزال .

كَمْ قَتَلنا من كَرِيم سَيِّد ... مَاجِد الجَدَّين مِقْدَام بَطَلْ
صادق النجدة قَرم بَارِعٍ ... غيرِ ملتاث لدى وقع الأسلْ (١)
فَسل المهراسَ مَا ساكنه ؟ ... بَين أقحاف وهَام كالحجلْ (٢)
لَيتَ أشيَاخى ببَدر شَهِدوا ... جزَع الخزرج من وقع الأسلْ (٣)
حينَ حكت بقباء بَركها ... وَاستحر القَتل فى عَبْد الأشَلْ (٤)
ثَم خَفُّوا عِنْد ذاكم رُقَّصًا ... رَقَص الحفانِ يَعلو فى الجَبَلْ (٥)
فَقَتلنا الضعف من أشرافهم ... وعدلنا ميل بدر فاعتَدَلْ
لا ألومُ النَّفسَ إلى أننا ... لَو كَرَرنا لفعلنا المفتَعَلْ
بِسيُوف الهند تَعلو هَامهم ... عِللا تَعلُوهم بعد نَهلْ (٦)

● ردّ حسان على ابن الزّبعرى :

فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه . قال :

ذَهبت يا بن الزبعرى وقعة ... كَان منا الفَضْل فيها لو عَدَلْ
وَلَقدْ نلتُم ونلنَا منكُم ... وكَذلك الحرب أحيانًا دُولْ
نَضعُ الأسيَاف فى أكتَافكم ... حَيث نَهوى عللا بعد نَهَلْ
نُخرِج الأصبع من أستَاهكم ... كسَلاح النيب يأكلن العَصَلْ (٧)
إذ تولون على أعقابكم ... هربًا فى الشِّعب أشبَاه الرّسل (٨)

(١) القرم : الفحل ، الملتاث : الضعيف ، وقع الأسل : وقع الرماح .
(٢) الأقحاف : جمع قحف وهو ما انفصل من الجمجمة ، الهام : الرءوس ، الحجل : طائر أحمر المنقار والرجلين .
(٣) الأسل : الرماح .
(٤) البرك : الصدر ، عبد الأشل : يقصد بنى عبد الأشهل حذف الهاء لإقامة الوزن .
(٥) الرقص : ضرب من المشى السريع ، الحفان : النعام الصغير .
(٦) العلل : الشرب الثانى ، النهل : الشرب الأول ، يريد معاودة الضرب .
(٧) النيب : النوق المسنة (إناث الجمال) ، والعصل : نبات تأكله الإبل فيخرج أحمر مع فضلاتها .
(٨) الرّسل : الإبل المرسلة .

إذ شَـــدَدنا شدَّة صَادقة ... فَأجأناكم إلى سَفْحِ الجَبَل (١)
بخَنَاطيل كَأشْدَاف المـــلا ... مَنْ يُلاقُوه مِنَ الناسِ يُهَلْ (٢)
ضَاق عنَّا الشِّعب إذ نجزعه ... ومَلأنا الفَرط منه والرِّجَلْ (٣)
برجال لَسْتُم أمثالـــهم ... أيدوا جبْريل نصْرًا فَنزل (٤)
وَعلونا يوم بـــدر بالتقى ... طاعة الله وتصديق الرسل
وقتلنا كل رأس منهـــم ... وقتلنا كل جحـــجاح رِفل (٥)
وتركنا فى قريش عـــورة ... يَوم بَدْر وأحـــاديث المُثَل
ورسول الله حقًّا شـــاهد ... يَوم بَدْر والتنابيل الهُبُل (٦)
فى قُرَيش من جموع جمعوا ... مثل ما يجمع فى الخصب الهمَل (٧)
نَحنُ لا أمثالكـــم وُلد استها ... نَحضُرُ الناس إذ البَأس نزل

● كعب يرثى حمزة :

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يبكى حمزة بن عبد المطلب وقتلى أُحُد من المسلمين :

نشَجْتَ وَهل لكَ من مَنْشَجِ ... وَكُنْتَ مَتى تَذْكر تَلْجَج (٨)
تذكر قَـــوم أتانى لَهم ... أَحاديث فى الزَّمَن الأَعْوج
فَقَلْبك مـــن ذِكرهم خافق ... من الشَّوْق والحزنِ المنْضِج
وقَتلاهم من جِنان النعيـــم ... كرام المداخل والمخـــرج

---

(١) فأجأناكم : الجأناكم .
(٢) الخناطيل : الجماعات ، الأمذاق : أخلاط الناس ، الملأ : ما اتسع من الأرض ، يهل : يفزع ويرتاع .
(٣) نجزع : نقطع عرضًا ، الفرط : الأرض العالية ، الرِّجل : ما اطمأن من الأرض .
(٤) أيدوا جبريل : أى أيدوا بجبريل حذف حرف الجار وعدَّى الفعل .
(٥) الجحجاح : السيد العظيم ، الرفل : الذى يجرثوبه خيلاء .
(٦) التنابيل : القصار ، الهبل : ضخام الأجسام .
(٧) الهمل : الإبل المهملة المتروكة بلا راع . (٨) تلجج : تمادى .

بما صَبروا تَحت ظِل اللواء لواءِ الرسول بذى الأضوج (١)
غَداةَ أجابَتْ بأسيَافها جميعًا بنو الأوسِ والخَزرَج
وأشياع أحمـــد إذ شَايعُوا عَلى الحق ذِى النورِ والمَنهَج (٢)
فَما بَرحوا يضربُون الكُماة ويَمضُونَ فى القسْطل المرهَج (٣)
كَذلك حتّى دَعَاهم مَليكٌ إلى جَنَّة دَوْحَة المَولج (٤)
فَكلُّهم مَات حَـــرُّ البَلاء عَلى مِلَّة الله لَمْ يَحرج
كَحمزة لما وفـــى صَادقًا بِذى هَبَة صَارمٍ سَلْجَج (٥)
فَلاقاه عَبد بنـــى نَوفَل يُبَربر كَالجمل الأَدْعَج (٦)
فَأوجرهُ حَربَـــة كالشّهاب تُلْهب فى اللّهب الموهَج (٧)
ونُعْمان أوفى بميثاقه وحَنظلَة الخَيْر لَهم يُحنج (٨)
عَنِ الحَقّ حتّى غَدَتْ رُوحه إلى مَنْزل فَاخرِ الزِّبرج (٩)
أولئك لاَ من ثَوى مِنكُم مِنَ النَّار فى الدَّرْكِ المرتَج

● ضرار يرد على كعب :

فأجابه ضرار بن الخطاب الفهرى فقال :

أيَجزَع كَعب لأشيَاعه ويَبكى من الزّمن الأعوج
عَجِيجُ المذكى رأى إلفَهُ تروّح فى صَادِر مَحنَج (١٠)

---

(١) الأضوج : اسم مكان . (٢) المنهج : الواضح .
(٣) القسطل : الغبار ، المرهج : العالى فى الجو .
(٤) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة ، المولج : المدخل .
(٥) بذى هبة : أى بسيف ذى هبة ، والهبة : الوقوع فى العظم ، سلجج : مرهف .
(٦) عبد بنى نوفل : هو وحشى ، يبربر : يصيح ، الأدعج : الأسود .
(٧) أوجره : طعنه فى صدره .
(٨) لم يحنج : لم يمل عن وجهه
(٩) الزبرج : الزينة من الوشى أو الجوهر .
(١٠) العجيج : الصياح ، يريد بالمذكى هنا : المسن من الإبل ، الصادر : الراجع عن الماء ، محنج : مصروف عن وجهه .

فَراح الروايـــــــا وغَادَرنه ... يعجعج قَسرا ولم يَحْدَج (١)
فَقُولا لكعب يثنـــــى البُكا ... وَللنيْ مـــــن لَحْمه يَنضج
لمصرع إخْوانه فـــــى مكرٌ ... من الخَيل ذِى قَسطـــل مرهَج (٢)
فَياليتَ فَهرًا واشيـــــــاعه ... وعُتْبة فى جمعـــنا السورج (٣)
فَيشفُوا النفـــــوسَ بَأوتارهَا ... بقَتلى أُصيبتْ مـــــن الخَزرج
وَقتلَى من الأوسِ فـــى مَعْرك ... أُصيبوا جَميعا بـــــذى الأضْوج
وَمقتل حَمزة تحـــت اللواء ... بُمطْرد ، مَارن ، مخلـــــج (٤)
وَحيثُ انْثنى مصعب ثَـــاويا ... بَضَربة ذِى هبـــــــة سَلجَج
بَأحد واســــــــيافنا فيهم ... تَلْهب كاللهــــــب الموهج
غَداة لقِينَاكم فـــــــى الحديد ... كَأسد البَراح فلم تَعنَج (٥)
بكل مُجَلحَة كَالعقـــــــاب ... وأجرَد ذى ميعة مُسرج (٦)
فَدسناهم ثَم حتـــــــى انثنوا ... سِوى زَاهق النفس أو محرج

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبعرى فى يوم أُحد ، يبكى القتلى :

ألا ذَرفتْ مِنْ مَقلتيك دُموع ... وقَدْ بان من حَبْل الشَّباب قَطوع
وشَط بمن تَهوى المزَار وفَرقت ... نوى الحى دَار بالحبيب فَجوع
وَليس لما وَلى على ذِى حَرارَة ... وَإن طَال تَذرَافُ الدموع رجوع
فَذر ذَا ولكن هل أتى أم مالك ... احاديث قَومى والحديث يُشيع
ومجنبنا جرْدًا إلى أهل يثرب ... عَناجيج منها متلد ونزيع (٧)

(١) لم يحدج : لم يجعل عليه الحدج وهو مركب النساء .
(٢) القسطل : الغبار ، المرهج : المرتفع .
(٣) السورج : المتقد .
(٤) المطرد : الذى يهتز ، والمراد به هنا الرمح ، المارن : اللين .
(٥) تعنج : تكف .
(٦) المجلحة : المتقدمة ، ويريد بها فرسا ، والأجرد: الفرس العتيق ، والميعة: النشاط.
(٧) مجنبنا : سوقنا للخيل . العناجيج : الحسان . المتلد : ما ولد عندك . والنزيع : الغريب .

عَشية سرنا فـــــى لُهام يقودنَا ... ضَرورُ الأعادى لِلصديق نَفُوع
تَشُدُ عَلينـــــا كَل زَعف كأنها ... غَدير بَضوج الواديين نَقيع (١)
فَلما رأونا خَالطتهـــــم مَهابة ... وَعاينهم أمر هنــــــاك فظيعُ
وودوا لو ان الأرض ينشق ظهرها ... بهم وَصبور القوم ثـــم جَزُوع
وَقد عُريت بيـــــض كأن وميضها ... حريق ترقى فى الأباء سريع (٢)
بأيمانِنا نعلو بهـــــا كل هامة ... ومنها سَمام للعـــــدوّ ذَريع (٣)
فَغادرن قَتلى الأوس عَاصِية بهم ... ضِباع وطَيـــــر يَعتفين وقوع
وَجَمْع بنى النجَّار فى كل تِلْعة ... بأبدانهم من وَقعهن نَجيع (٤)
وَلولا عُلو الشِّعب غَادرن أحمدًا ... ولكن عَلا والسَّمهرى شروع (٥)
كما غَادرت فى الكر حمزة ثَاويًا ... وفى صدره ماضِى الشَّباة وقيع (٦)
ونُعْمَان قد غَادَرن تَحت لوائه ... على لَحمه طير يجفن وقوع (٧)
بأُحد وأرمـــــاح الكماة يُردنهم ... كما غال أشطان الدلاء نزوع (٨)

● **رد حَسَّان على ابن الزبعرى :**

فأجابه حسان بن ثابت ، فقال :

أَشاقكَ مـــــن أُمِّ الوَليدِ ربوع ... بَلاقع (٩) مَا مِنْ أَهْلهنَّ جَميعُ
عَفَاهُنَّ صَيْفِى الريــــاح وواكف ... مِنَ الدلو رجاف السحاب هَمُوعُ (١٠)

(١) الزعف : الدروع اللينة . والضوج : جانب الوادى ، والنقيع : المملوء بالماء .
(٢) الأباء : الأجمة المشتبكة الأغصان .
(٣) ذريع : من يقتل سريعًا .
(٤) نجيع : دم .
(٥) الشِّعب : الطريق فى الجبل ، السمهرى : الرِّماح ، شروع : مهيأة للطعن .
(٦) الشباة : الحد ، وقيع : محدد .
(٧) يجفن : يطالبن ما فى جوفه .
(٨) غال : أهلك الأشطان : الحبال ، النزوع : جذب الدلو من البئر .
(٩) بلاقع : جمع بلقع وهو القفر الخالى .
(١٠) الواكف : المطر المنهمر . والدلو : برج فى السماء معروف ، رجاف : مصوت=

فَلم يَبْقَ إلا موقد النار حَوله ... وَواكد أمثال الحمَام كُنُوع (١)
فَدَع ذكر دَار بَددت بَيْنَ أَهْلهَا ... نَوى لمتينات الحبَال قَطُوع
وقُل إن يكُن يَوم بأُحُد يَعُدُّه ... سَفيه فَإن الحقّ سَوفَ يَشيعُ
فَقدصَابرتْ فيه بَنو الأوس كُلهم ... وكَان لهم ذكر هناك رفيعُ
وحَامى بنو النجَّار فيه وَصابروا ... ومَا كان منْهُم في اللقاء جَزوعُ
أمام رَسول الله لا يَخْذلونَه ... لَهم نَاصرٌ منْ ربهم وشَفيعُ
وَفوا إذ كفرتم يا سُخَين بَربكم ... ولا يَستوى عبَد وفَى ومضيعُ (٢)
بَأيديهم بيض إذا حَمش الوَغَى ... فَلابد أن يَرْدَى لَهن صَريعُ
كَما غَادرت فى النَّقع عتْبة ثَاويا ... وَسعدا صريعا والوشيج شروع (٣)
وَقدغادرت تَحت العجَاجة مُسْندا ... أبيا وقد بل القميص نَجيعٌ (٤)
بكفٍّ رَسول الله حَيثُ تَنصَّبتْ ... عَلى القَوم مما قد يُثرنَ نقوع
أَولئك قَوْم سَادة من فُروعكم ... وفى كل قَوم سَادة وفُروعُ
بهنَّ نُعزُّ اللهَ حتى يَعزنَا ... وَإنْ كَان أمرُ يَاسخين فَظيعُ
فَلا تذكروا قَتلى وحَمزة فيهم ... قَتيل ثَوى لله وَهْوُ مُطيعُ
فَإن جنَان الخلد مَنْزلة له ... وَأمر الذى يقضى الأمُور سريعُ
وقتلاكَم فى النَّار أفضل رزقهم ... حَميم معًا فى جوفها وضَريع (٥)

شعر عمرو بن العاص عن أحد (٦) :

وقال ابن إسحاق : وقال عمرو بن العاص فى يوم أحد :

= وهموع : سائل ٠

(١) كنوع : لاصقة بالأرض ٠

(٢) ياســخين : أى ياسخينة وهو لقب قريــش لأكلها إياها وهى طعام يصنع من الدقيق ٠

(٣) الوشيج : الرماح ٠

(٤) العجاجة : الغبرة : النجيع : الدم ٠

(٥) الضريع : ما يطرحه البحر من النبات ٠

(٦) وكان وقتها مشرك ولم يسلم بعد ٠

خرجْنَا من الفَيْفَا عَليهم كأننا | مَع الصبح منْ رَضْوَى الحَبيك المنطق(١)
تَمنت بنو النَّجار جَهْلا لقاءَنا | لدى جَنْب سَلْع والأمانى تَصْدقُ (٢)
فَما رَاعَهم بالشرِّ إلا فُجَاءة | كراديس خيل فى الأزقة تمرقُ
أرادوا لكيما يَستبيحوا قِبَابنا | وذونَ القِبَابِ اليومَ ضَرْبٌ محرقُ
وكانت قبَابا أومنت قَبْل مَا تَرى | إذ رَامها قَومٌ أبيحوا وَٱحنقُوا
كأن رءوس الخَزرجيين غُدْوة | وأيمانهم بالمشرفية بَرْوق (٣)

● شعر ضِرار :

قال ابن إسحاق : وقال ضرار بن الخطاب :

إنى وَجدك لَولا مقْدَمى فَرسى | إذَا جَالت الخيلُ بيَن الجَزعِ والقَاعِ (٤)
مَا زال منكم يَجنب الجَزع من أحد | أصواتُ هَام تُزَاق بِأمرها شَاعى (٥)
وفَارس قَد أصَاب بالسيف مفرقه | أفلاقَ هَامته كَفرْوة الرّاعى
إنى وَجدك لاَ أنفك منتطقا | بِصَارم مثل لَونِ الملح قَطَّاعِ (٦)
عَلى رَحالة ملواح مُثَابِرة | نَحو الصريخ إذا ما ثوب الدَّاعِى (٧)
ومَا انتَميتُ إلى خَوَرٍ ولا كشَف | ولا لئام غَداةَ الباسِ أوراع (٨)
بَل ضَاربِينَ حَبيك البيضِ إذ لحقوا | شُمٌّ العَرَانِينَ عَنْدَ الموتِ لذَّاعِ (٩)

---

(١) رضوى : اسم جبل · الحبيك : ما فيه طرائق · المنطق : المحزم ·

(٢) سلع : اسم جبل خارج المدينة ·

(٣) بروق : نوع من النبات له رؤوس تشبه البصل ·

(٤) الجزع : ما انعطف من الوادى · القاع : ما انخفض من الأرض ·

(٥) الهام : جمع هامة وهى ما يزعم العرب أن طائرا يخرج من رأس القتيل يصيح : اسقونى ، اسقونى حتى يؤخذ بثأره · تزاقى : تصيح · شاعى : أراد شائع ·

(٦) المنتطق : المحتزم ·

(٧) الرحالة : السرج · الملواح : الفرس القوية · ثوب : كرر الدعاء ·

(٨) كشف : من لا أدراع لهم فى الحرب · الأوراع : الجبناء ·

(٩) الحبيك : الطرائق ·

شُم بَهاليلُ مُسْتَرِخ حَمـــائلهم يَسعون للموت سَعْيًا غير دَعدَاعِ (١)

وقال ضرار بن الخطاب أيضًا :

لَما أَتَتْ مـــن بَنى كَعْبٍ مُزَيْنة والخَزرجية فيهـــا البيضُ تَأتلق
وَجردُوا مَشـــرفيّات مُهَنّدة وَراية كَجنـــاح النَّسْرِ تَختفق
فَقلتُ يَومٌ بَأيامٍ ومَعـــركة تُنْبى لما خَلْفَهَا ما هَزْهَزَ الورق (٢)
قَد عَودوا كل يوم أن تكون لَهُم ريحُ القتَال وأسْلاَب الـــذين لَقُوا
خَبَّرتُ نَفْسِى على ما كان من وَجَلٍ منها وأيقنتُ أن المجْـــدَ مُستَبق
أكْرهتُ مهرى حتى خَاض غَمْرتَهم وبَله من نَجيع عَانـــك عَلَق (٣)
فَظَلَّ مَهْرى وسربَالى جَسيدهما نَفَخُ العروقِ رشاش الطعن والوَرَق(٤)
أيقنتُ أنّى مُقيمٌ فى دِيَارِهم حَتى يُفارق ما فـــى جَوفه الحدَق
لاَ تَجزعوا يا بَنى مخزوم إن لكم مثل المغيرة فيكم ما به زَهق (٥)
صَبرًا فدًى لكم أمى وَمَا وَلَدتْ تَعاوروا الضَّربَ حَتى يُدبر الشَّفَق

• كعب يرد على عمرو وضرار :

قال ابن إسحاق : فأجابهما كعب بن مالك فقال :

أَبْلِغ قُرَيشًا وخَير القَولِ أصْدَقهُ والصِّدْقُ عَنْد ذَوى الألْبَاب مَقبُولُ
انْ قَدْ قَتلنا بقَتْلانا سُرَاتكم أهل اللواء فَفيمـــا يكثُر القِيلُ
وَيوم بَدْر لَقيناكُم لنـــا مَدَدٌ فيه مـــع النَّصْر ميكالٌ وجبْريلُ
إنْ تَقتلونا فَدِين الحقّ فِطرَتُنا والقَتلُ فى الحقّ عَنْد الله تَفْضيلُ
وإنْ تَروا أمرنا فى رأيكم سَفهًا فَرأى من خَالف الإسلام تَضْليل

(١) البهاليل : السادة . الدعداع : الضعيف .
(٢) هزهز : حرك .
(٣) غمرتهم : جماعتهم ، النجيع : الدم ، عانك : أحمر ، علق : من أسماء الدم .
(٤) جسيدهما : صبغهما ، نفخ العروق : ما ترمى به من الدم ، الورق ، ما انقطع من الدم .
(٥) الزهق : العيب .

فَلا تَمنوا لِقاح الحرب واقْتَعدوا ... إنَّ أخَا الحربِ أصْدَى اللون مَشْغُولُ
إنَّ لكم عَنْدنَا ضَربًا تُراحُ لَهُ ... عُرج الضبَاع له خَذْم رَعابيل (١)
إنا بَنو الحرب نُمريها ونُنْتجُهَا ... وعنْدنَا لذَوى الأضْغَان تَنْكِيلُ (٢)
إنْ يَنْجُ منها ابن حَرْبٍ بَعْدَما بلَغتْ ... منْهُ التَراقِىَ وأمْرُ الله مَفْعُولُ (٣)
فَقد أفادتْ لَه حلماً ومَوعظةً ... لِمن يكونُ لَه لُبٌّ ومَعقولُ
ولو هَبطتم ببَطنِ السَّيل كافحكُم ... ضَربٌ بِشَاكِلة البَطْحَاء تَرعيلُ (٤)
تَلقَاكُمُ عُصَبٌ حَوْلَ النبىِّ لَهُم ... مما يعـــدون للهيْجَا سَرابيلُ
مِنْ جَذْمِ غَسَّان مُسترخٍ حَمائلهمُ ... لا جبـــناء ولا ميل مَعَازيلُ (٥)
يَمشُونَ تَحت عمَايات القتَال كَما ... تَمشى المصَاعِبة الأُدْمِ المراسيلُ (٦)
أو مثل مَشْى أُسُود الظَّلِّ الثقها ... يَوم رذاذ مـــن الجوزاء مَشْمُولُ
فى كُل سَابِغة كالنَّهْيِ مُحْكَمة ... قيامُهَا فَلَج كالسيف بَهْلولُ (٧)
تَرد حد قِران النبـــل خَاسئة ... ويَرجع السيف عنهـــا وهو مَفْلولُ
ولَو قَذفتم بسلعٍ عـــن ظُهوركُم ... وَللحياة ودفع الموتِ تَأجيلُ (٨)
مَا زَال فى القومِ وتر منكم أبدًا ... تعفو السلام عليه وهو مَطْلُولُ (٩)
عَبدٌ وَحر كريمٌ مَوثق قَنَصًا ... شَطْرَ المدينة مَاسورٌ ومقتولُ (١٠)

(١) تراح : تهتز . خزم : قطع اللحم . الرعابيل : المنقطعة .
(٢) نمريها : نستدرها .
(٣) التراقى : عظام الصدر .
(٤) شاكلة : طرف . الترعيل : الضرب السريع .
(٥) الجذم : الأصل . الميل : الذين لا تروس لهـــم . والمعازيل : الذين لا رماح لهم .
(٦) العمايات : الظلمات ، المصاعبة : فحول الإبل .
(٧) سابغة : درع كاملة : النهى : غدير الماء . البهلول : الأبيض .
(٨) سلع : اسم جبل .
(٩) السلام : الحجارة ، مطلول : غير مأخوذ بثأره .
(١٠) القنص : الصيد .

كُنَا نُؤمل أخـــــراكم فأعجلكُم   منّا فَوارس لاعزل ولا ميلُ
إذا جَنى فيهم الجانى فقد علموا   حَقًّا بأن الذى قد جر محمولُ
مَا نحن لا نحن من إثم مُجاهرة   ولا ملوم ولا فى الغُرم مخذولُ

* **حسان يرثى حمزة :**

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت يبكى حمزة بن عبد المطلب ومن أصيب من أصحاب رسول الله ﷺ يوم أُحد :

يَامى قُومــــــى فاندبن   بســـــحيرة شَجو النَوائحْ
كالحامـــــلات الوِقر بالــ   ـثِّقَل الملحـــات الدوالحْ (١)
المعـــــوَلات الخَامشــــا   ت وجُوه جـــرات صَحائحْ (٢)
وكأن سَـــيلَ دُموعها الــ   أنصابُ تَخْضــــب بالذبائحْ
يَنقضن أشـــــعارًا لَهن   هُنَاك بَادية المســــائحْ (٣)
وكأنهـــــا أذْنابُ خيـــــ   ـلِ بالضحـــى شُمس روَامحْ (٤)
منْ بَين مَشـــزور ومَجـــ   زور يَذعذع بالبـــوارحْ (٥)
يَبكـــين شَجْوا مُسْلبا   ت كدحتهـــــن الكَوادحْ
ولقد أصـــاب قُلـــوبها   مَجـــل له جلب قَوارِحْ (٦)
إذْ أقصـــد الحدثَان منْ   كُنا نُرجـــى إذْ نُشَائحْ (٧)
أصحـــاب أُحُد غَالهم   دَهـــر ألـــم له جَوارحْ
مَنْ كَان فَارســـنَا وَحا   مِينا إذا بَعَثَ المســـالحْ (٨)

---

(١) الملحات : الثابتات · الدوالح : التى تحمل ثقلا ·
(٢) الخامشات : الخادشات ·
(٣) المسائح : ذوائب الشعر ·
(٤) الشمس : النافرة ·
(٥) يذعذع : يغرق · البوارح : الرياح الشديدة ·
(٦) المجل : الجرح · جلب : قشور الجروح ، القوارح : المؤلمة ·
(٧) أقصد : أصاب · نشائح : نحذر ·
(٨) المسالح : من يحملون السلاح ·

يَا حَمْـــزُ ، لاَ واللهِ لا أنساكَ مَاصـــرَ اللقائِحْ (١)
لمنـــاخ أيتـــام وأضيا فٍ وأَرْمَلة تـــلامحْ (٢)
ولما ينوبُ الدَّهْـــرُ في حَرْبٍ لحـــربٍ وهَى لافحْ (٣)
يَا فَارِســـاً يَا مدرها يا حمزُ قَد كُنتَ المصامِحْ (٤)
عَنا شَديـــدات الخطـــوبِ إذا ينـــوبُ لهنّ فادِحْ
ذَكَّرتني أســـد الرســـول ، وذاكَ مدرهَنا المنافِحْ
عَنَّا وكان يُعـــدّ إذْ عد الشـــريفونَ الجَحَاجِحْ (٥)
يَعْلُو القَمـــاقم جَهرة سبط اليديـــن أغَر وَاضِحْ (٦)
لا طائـــش رَعش وَلا ذُو علَّة بَالحمـــلِ آنِحْ (٧)
بَحر فَلَيسَ يَغـــب جَاراً منه سَيـــب أو مُنَادِحْ (٨)
أودى شَبَاب أولـــى الحفـــائظ الثقيـــلونَ المراجِحْ (٩)
المطعـــمونَ إذا المشـــتِي ما يصـــففهن نَاضِحْ (١٠)
لَحـــم الجـــلادِ وَفَوقَهُ مِنْ شَحْمه شُطُبٌ شَرَائِحْ (١١)
ليدافعوا عَنْ جَارهـــم مَا رام ذُو الضـــغنَ المكاشِحْ
لهفى لشبـــانٍ رزئنـــا هم كأنهـــم المصابِحْ

(١) صر : ربط · اللقائح : النوق التى لها لبن · وقوله يا حمز : أى يا حمزة ، حذفت التاء لضرورة الوزن والتفعيلة ·
(٢) المناخ : مكان النزول : تلامح : تنظر سريعا ·
(٣) لاقح : زائد شرها ·
(٤) المدرة : المدافع · المصامح : شديد الدفع ·
(٥) الجحاجح : السادة · (٦) القماقم : السادة ·
(٧) آنح : ثقيل فى مشيه ·
(٨) السيب: العطاء · المنادح : جمع مندحة ، وهى السعة ·
(٩) المراجح : ذوو الحلم ·
(١٠) يصففهن : يحلهن · الناضح : من شرب دون أن يرتوى ·
(١١) الشطب : طرائق السيف ·

شَمّ ، بَطارقـــــة ، غَطـــــا رفة، خَضارمة ، مَســـامح (١)
المشـتَرونَ الحـــمدَ بالـلأ موال إنَّ الحـــمد رَابِحْ

قال ابن إسحاق : وقال أبو زعنة بن عبد الله بن عمرو بن عتبة ، أخو بنى جشم بن الخزرج يوم أُحد :

أَنا أبو زُعْنَة يعدو بى الهـــزم لَمْ تَمـــنع المخْزَاة إلا بالألم
يَحْمى الذمار خَزْرجى من جَشم

• شعر على :

قال ابن إسحاق : وقال على بن أبى طالب - قال ابن هشام : قالها رجل من المسلمين يوم أحد غير على ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر ولم أر أحد منهم يعرفها لعلى :

لاَ هم إن الحـــارث بن الصمَّة كَان وفيًّا وبنَـــــا ذَا ذمَّه
أَقبلَ فـــى مَهَامَة مُهمَّة كَليلة ظَلمــــاءُ مُدْلَهِمَّه (٢)
بَيْنَ سَـــيُوفٍ ورِماح جَمَّه يَبْغى رَســـول الله فَيما ثَمه

قال ابن هشام : قوله : « كليلة » عن غير ابن إسحاق .

• رجز عكرمة :

قال ابن إسحاق : وقال عكرمة بن أبى جهل فى يوم أُحد :

كلهم يزجره أرحـــب هلا ولن يروه اليـــوم إلا مقبلا
يحمل رمحًا ورئيسًا جَحفلا

• صفية تبكى حمزة :

قال ابن إسحاق : وقالت صفـــية بنت عبد المـــطلب تبكى أخاها حمزة بن عبد المطلب :

---

(١) الشم : الأعزاء . والبطارقة فى الأصل الرؤساء الدينيون عند المسيحيين ، ويقصد بها هنا الرؤساء مطلقا ، والغطارفة : السادة . والخضارمة : من يكثرون العطاء .

(٢) المهامه : القفار .

أسَائِلةٌ أصحاب أُحُد مَخافة ... بَنَات أبى من أعجــــم وخبير
فقال الخَبِير إن حَمْزة قَد ثَوى ... وزيرُ رَســـــول الله خَيْر وَزِير
دَعاه إله الحق ذُو العَرش دَعْوَة ... إلى جَنَّة يَحيَا بهـــــا وَسرور
فَذلك ما كُنَّا نُرجِّى ونَرتَجى ... لحمزَة يـــوم الحشْر خَيْر مَصير
فَوالله لا أنساكَ ما هَبَّت الصَّبا ... بُكَاء وحُزْنا محضَرى ومَسيرى
عَلى أسد الله الذى كان مدْرَهَا ... يَذُود عن الإســلام كل كَفُور (١)
فَياليت شَلْوِى عِنْد ذاك وأعظمى ... لَدى أضْبع تَعْتَادنى ونَسُور (٢)
أقول وَقد أعلى النَّعى عَشِيرَتى ... جَزَى اللهُ خيرًا من أخ ونَصير

* نعم ترثي حمزة :

قال ابن إسحاق : وقالت نِعْم · امرأة شَّماس بن عثمان ، تبكى شمَّاسا وقد أُصيب يوم أحد :

يَا عَينَ جُودى بِفَيضٍ غَير إبسَاسِ ... عَلى كَرِيم من الفِتْيَان إبَّاسِ (٣)
صَعْب البديهة مَيمُون نَقيبتُهُ ... حَمَّال ألويـــــة رَكَّاب أفْراسِ
أقولُ لما أتى الناعى لَهُ جَزَعًا ... أودى الجواد وأودى المطعم الكاسى
وقُلْتُ لمَا خَلَتْ منه مَجَالِسهُ ... لاَ يَبْعد الله عَنَّا قَربَ شَماسِ

فأجابها أخوها ، وهو أبو الحكم بن سعيد بن يربوع ، يعزِّيها ، فقال :

أقْنى حَياءك فى سِتْرٍ وفى كَرَم ... فَإنما كَان شَمَّاسٌ منَ الناسِ
لاَ تَقْتُلى النَّفس إذا حانت مَنِيَّته ... فى طاعة الله يوم الرَّوعِ والباسِ (٤)
قَد كان حَمزة لَيث الله فَاصطبِرى ... فَذاق يَومئذ من كَأس شَمَاسِ

---

(١) المدرة : من يدافع عن القوم ·

(٢) الشلو : بقية الفريسة ·

(٣) الإبساس فى الأصل : مسح درع الناقة والقول لها : بس بس لتدر ، فالإبساس فيه تكلف ، وغير الإبساس : أى بغير تكلف ، والإباس : الشديد ·

(٤) الباس : أى البأس وهذا يسمى التسهيل « حذف الهمزة » ·

● شعر هند بعد عودتها من أُحد (١) :

وقالت هند بنت عتبة ، حين انصرف المشركون عن أحد :

رَجعتُ وفى نفسى بَلابِل جَمَّةٌ وَقد فاتنى بعض الذى كان مَطلبى (٢)
مِنْ أَصحاب بَدْرٍ منَ قُريش وغَيرهم بنى هاشم مِنهم ومن أَهل يِثْرِب
ولكننى قد نلتُ شيئًا ولم يكن كما كنت أرجو فى مسيرى ومركبى (٣)

* * *

(١) هند بنت عتبة : وكانت وقتها مشركة لأنها أسلمت يوم فتح مكة فى السنة الثامنة للهجرة وتابت على ما فعلته وما فعلته بجثة حمزة يوم أحد .

(٢) البلابل : الأحزان .

(٣) تقصد بقولها : قد نلت شيئًا أى ما فعلته بحمزة بن عبد المطلب أنها بعدما قتله وحشى غلام مطعم بن جبير أخذته ومثلت بجثته وأخرجت كبده - ﷺ - ، ومضغته لكنها لم تستطع بلعه فلفظته ؛ وذلك لحقدها على المسلمين وعلى حمزة الذى قتل أخاها يوم بدر ففعلت ما فعلت ثأرًا ، ولكن عند فتح مكة أسلمت وتابت وحسن إسلامها ، وهى زوجة أبى سفيان .

ذِكرُ يَوْم الرَّجِيع فى سنة ثلاث

• مَقْتَل خُبَيْبٌ وأصحابه (١) :

عن زياد بن عبد الله البكّائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال :

حدثنا عاصم بن عُمر بن قتادة قال :

قدم على رسول الله ﷺ بعد أُحد رهط من عضل والقارة (٢) .

قال ابن إسحاق : فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلامًا (٣) ، فابعث معنا نفرًا من أصحابك يفقهوننا فى الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلمـونـنا شرائع الإسلام .

فبعث رسول الله ﷺ نفرًا ستة (٤) من أصحابه ، وهم : مرثد بن أبى مرثد الغنوى ، حليف حمزة بن عبد المطلب وخالد بن البكير الليثى ، حليف بنى عدى ابن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، أخو بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وخُبيب بن عَدِى ، أخو بنى جحجبى بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد ابن الدَّثِنة بن معاوية أخو بنى بياضة بن عمر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غصب بن جشم بن الخزرج ، وعبد الله بن طارق حليف بنى ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس .

* خديعة عضَل والقارة :

وأمّر رسول الله ﷺ على القوم مرثد بن أبى مرثد الغنوى فخرج مع القوم . حتى إذا كانوا على الرجيع ، ماء لهذيل بناحية الحجاز ، على صدر الهدأة (٥) غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هُذيلا ، فلم يرع القوم ، وهم فى رحالهم ، إلا الرجال

---

(١) هو خبيب بن عدى أحد قراء المسلمين .

(٢) عضل والقارة : بجوار مكة من بنى خزيمة .

(٣) أى : إننا دخلنا فى الإسلام .

(٤) ذكر البخارى أنهم كانوا عشرة : ستة من المهاجرين وأربعة من الأنصار .

(٥) الهدأة : موضع بين عسفان ومكة .

بأيديهم السيوف ، قد غشوهم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئًا من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقة أن لا نقتلكم ·

• استشهاد مَرْثد وابن البكير وعاصم :

فأما مرثد بن أبى مرثد · وخالدبن البكير ، وعاصم بن ثابت فقالوا : الله لا نقبل من مشرك عهدًا ولا عقدًا أبدًا ، فقال عاصم بن ثابت :

مَا عِلَّتى وأنا جَـلد نَابلْ ... والقَـوْسُ فِيها وتَر عَنابِلْ [١]
تَزِل عن صَفْحَتـها المعَابِلْ ... الموتُ حَقٌّ والحيـاةُ بَاطِلْ [٢]
وَكلُّ مَا حَـمَّ الإِلهُ نَازِلْ ... بالمرءِ والمـرءُ إليـه آئِلْ [٣]
إنْ لَم أقَاتِلكم فَأُمِـى هَابِلْ

وقال عاصم بن ثابت أيضًا :

أَبُو سُلَيمان وَمِثلـى رَامى ... وكَانَ قَومِى مَعْشَرًا كِرامَـا

وكان عاصم بن ثابت يكنى : أبا سليمان ، ثم قاتل القوم حتى قتل ، وقتل صاحباه [٤] ·

* الزنابير تحمى جثة عاصم [٥] :

فلما قُتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ، ليبيعوه من سُلافة بنت سعد بن شهيد ، وكانت قد نذرت حين أصاب [٦] ابنيها يوم أُحد : لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن فى قحفة الخمر [٧] ، فمنعه الدبر [٨]، فلما حالت بينه وبينهم قالوا : دعوه يمسى [٩] فتذهب عنه، فنأخذه فبعث الله الوادى،فاحتمل عاصما ، فذهب به ·

---

(١) النابل : صاحب النبل ، العنابل : الشديد ·
(٢) المعابل : الأنصال العريضة ·   (٣) آئل : صائر ·
(٤) أى مرثد بن أبى مرثد ، وخالد بن البكير رضى الله عنهما ·
(٥) الزنابير : وهى جند من جنود الله حفظه الله بها عنهم ، وحماه منهم ·
(٦) أى أصاب عاصم ابنها ·
(٧) أى تجعل رأسه أوجمجمته كأسًا تشرب فيها الخمر ·
(٨) الدبر : أى الزنابير ·   (٩) يمسى : أى للمساء ·

وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك، ولا يمس مشركا أبداً ، تنجسا ، فكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول : حين بلغه أن الدبر منعته : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشركا ، ولا يمس مشركا أبدا فى حياته ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتنع منه فى حياته (١) .

* استشهاد عبد الله بن طارق :

وأما زيد بن الدثنة وخُبيب بن عدى وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا ورغبوا فى الحياة فأعطوا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خرجوا إلى مكة ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظهران (٢) انتزع عبد الله بن طارق ﷺ يده من القران (٣) ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبره رحمه الله بالظهران .

قال ابن إسحاق : قال عاصم ، ثم خرجوا بخبيب ، حتى إذا جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه ، قال لهم : إن رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع ، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة . قال : فكان خُبيب بن عدى أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين (٤) قال : ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه ، قال : اللهم إنَّا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يُصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً (٥) ، ولا تغادر منهم أحدا ، ثم قتلوه رحمه الله .

فكان معاوية بن أبى سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبى سفيان ، فلقد رأيته يلقينى إلى الأرض فرقا من دعوة خُبيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دعى عليه ، فاضطجع لجنبه زالت عنه .

(١) وصدق الله إذ يقول : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم تقوم الأشهاد** ﴾ فحماه الله واستجاب الله دعاءه .

(٢) الظهران : واد قريب من مكة .

(٣) القران : الحبل الذى يربط به الأسير .

(٤) وقد صار فعل خُبيب سنة أو فعلاً حسنًا يقتدى به والصلاة خير ما يختم بها العبد ، حياته ، والرسول ﷺ يقول : من سنَّ سُنَّةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » .

(٥) بددا : أى متفرقين .

قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد ، عن عقبة بن الحارث ، قال سمعته يقول : ما أنا والله قتلت خبيبا ، لأنى كنت أصغر من ذلك ، ولكن أبا ميسرة أخا بنى عبد الدار ، اخذ الحربة فجعلها فى يدى ثم أخذ بيدى وبالحربة ، ثم طعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا ، قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجمحى على بعض الشام ، فكانت تصيبه غشية ، وهو بين ظهرى القوم ، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب ، وقيل : إن الرجل مصاب ، فسأله عمر فى قدمة قدمها عليه ، فقال : يا سعيد ، ما هذا الذى يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بى من بأسٍ ، ولكنى كنتُ فيمن حضر خُبيب بن عدى حين قتل [١] ، وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبى وأنا فى مجلس قط إلاَّ غُشى على [٢] ، فزادته عند عمر خيراً .

* ما نزل من القرآن فى سَرِيَّة الرجِيع :

قال ابن إسحاق : وكان مما نزل من القرآن فى تلك السرية ، كما حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت ، عن عِكرمة مولى ابن عبـــاس ، أو عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس . قال : قال ابن عباس : لما أصيبت السرية التى كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع ، قال رجل من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفـــتونين الذين هلكوا لاهم قعدوا فى أهليهم ، ولا أدوا رسالة صاحبهم ؟ فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول المنافقين وما أصاب أولئك النفر من الخير الذى أصابهم ، فقال سبحانه [٣] : ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا** ﴾ أى يظهر من الإسلام بلسانه ، ﴿ **ويشهد الله على ما فى قلبه** ﴾ وهو مخالف لما يقول بلسانه ، ﴿ **وهو ألد الخصام** ﴾ .

أى : ذو جدال إذا كلمك وراجعك .

قال ابن إسحاق : قال تعالى : ﴿ **وإذَا تَولى** ﴾ أى خرج من عندك : ﴿ **سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد** ﴾ أى لا يحب عمله ولا يرضاه . ﴿ **وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس**

(١) وكان سعيد وقتها كافراً .

(٢)غُشى على: أى اغمى على وهذا خير دليل على أن الله استجاب دعوة خبيب المظلوم.

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٠٤ .

المهاد ومـــــن الناس من يشـــري نفـــسه ابتغـــاد مرضـات الله ، والله رءوف بالعباد ﴾ (١) .

*** شعر خُبَيب :**

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل فى ذلك من الشعر ، قول خُبيب بن عدى ، حين بلغه أن القوم قد اجتمعوا لصلبه :

لقد جَمع الأحزَاب حَولِى وألَّبُوا ... قَبائلهُم واستَجْمَعُوا كل مَجمعِ (٢)
وكلهم مُبْدِى العَداوةَ جَاهِدٌ ... علىَّ لأنى فى وَثَاقٍ بمضَيعِ
وَقَدَ جَمعوا أبناءهم ونِساءَهم ... وقَربت من جَذْعٍ طَويل ممنع
إلى الله أشكُو غُرْبتى ثم كُرْبتَى ... ومَا أرصدُ الأحزابُ لى عند مَصْرَعى
فَذا العرش، صَبرنى عَلى ما يُراد بى ... فَقَدبضَّعوا لحمى وقَد ياس مَطْمَعى (٣)
وذَلك فى ذَاتِ الإله وإن يشأ ... يُبَارك على أوْصَالِ شَلْوٍ ممزع (٤)
وقَد خيَّرونى الكَفر والموت دُونَهُ ... وَقَدْ هَملت عَيناى من غير مَجزَع
ومَا بى حَذار الموتِ إنى لميتٌ ... وَلَكن حَذارى جَحم نَار ملفع (٥)
فَوالله ما أَرجُو إذا متُّ مُسْلما ... على أى جَنْب كَان فى الله مَصْرَعى
فَلستُ بِمُـــــبد للعَدو تَخشُّعا ... وَلا جَزعا إنى إلى الله مَرْجَعى

*** حسان يبكى خبيبًا :**

وقال حسان بن ثابت يبكى خبيبا :

مَا بَالُ عَيْنُكَ لاَ تَرقَأُ مَدامِعُهَا ... سَحًّا على الصَّدْرِ مَثل اللؤلؤ القَلَقِ (٦)
عَلَى خُبيبٍ فى الفِتيان قَد عَلموا ... لا فَشل حين تَلقَـــاه ولا نَزِقِ

---

(١) سورة البقرة : الآيات ٢٠٥ - ٢٠٧ .

(٢) ألبوا : أى جمعوا .

(٣) ياس : أى يأس وهذا يسمى تسهيل بحذف الهمزة ، بضعوا : أى قطعوا .

(٤) الشلو : بقية الشيء .

(٥) ملفع : مشتمل .

(٦) القلق : المتحرك .

فَاذهب خُبيبٌ جَزاك اللهُ طيبة ... وجَنة الخُلْد عند الحور في الرفق [(١)]
مَاذا تَقولون إن قَالَ النبيُّ لَكم ... حين الملائكــــة الأبَرار في الأُفقِ
فِيمَ قَتلتم شَهيد الله فِى رَجُلٍ ... طَاغٍ قَد اوعث في البُلْدان والرفق ؟! [(٢)]

وقال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا يبكى خُبيبا [(٣)] :

يَا عينُ جودى بَدمعٍ منــــك مُنْسكب ... وَابكى خُبيبًا مع الفتيان لَم يَؤُب
صَقرًا تَوسَّط فى الأنصـــار مَنْصِبهُ ... سَمْح السَّجية مَحْضًا غير مُؤتشب [(٤)]
قَد هَاج عَيْنى عَلى عَلاَّت عَبْرَتها ... إذْ قِيل نُص إلى جَذع من الخَشَب [(٥)]
يَأيها الراكبُ الغَـــــادى لِطَيَّته ... أَبلغ لَديك وعيدًا ليس بالكَذِب [(٦)]
بَنى كهيبةَ إن الحَـــــرب قد لَقِحتْ ... مَحْلوبها الصاب إذ تُمرى لمحتلب [(٧)]
فيها أُسودُ بني النجَّــــار تَقْدُمهم ... شُهْبُ الأسنَّةِ فى مُعْصَوصب لجب [(٨)]

قل ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا :

لَو كان فى الدار قَرم ماجدٌ بَطل ... أَلْوى من القوم صقر خَاله أَنسُ [(٩)]
إذن وَجدتُ خــــبيبًا مَجلسا فَسحا ... ولَم يشــــد عَليك السجنُ والحرسُ

---

(١) الرفق : جمع رفيق .

(٢) أوعث : أفسد ، قد هنا بمعنى « هل » والشاعر يسألهم متعجبًا والاستفهام هنا غرضه الإنكار والتعجب .

(١) قال ابن هشام : هذه القصيدة مثل التى قبلها ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكرهما لحسان .

(٤) المحض : الخالص ، غير مؤتشب : غير مختلط .

(٥) نُص : رفع .

(٦) الطية : ما تنطوى عليه النية .

(٧) جعل كهيبة كأنه اسم علم لأمهم ، كما يقال : بنى الغبراء ، وبنى درزة ، وهذا كله اسم لمن يُسب ، وعبارة عن السفلة من الناس ، كهيبة من الكهبة وهى العبرة ؛ لأنهم إخوة القارة ، والمشاركون لهم فى الغدر بخبيب وأصحابه وهذيل وخزيمة أبناء مدركة بن إلياس ، وعضل والقارة من بنى خزيمة . انظر الروض الأنف .

(٨) المعصوصب : الجيش الكبير كثير العدد ، لجب : كثير الأصوات .

(٩) لوى : شديد الخصومة .

وَلَم تَسقك إلى التنعيم زَعنفة   مَن القبائل منهم من نَفَتْ عَدسُ (١)
دلَّوك غـــدرا وهم فيها أولي خُلف   وأنت ضيم لها في الدار مُحتبسُ (٢) .

● الذين اجتمعوا لقتل خُبيب :

قال ابن إسحاق : وكان الذين أجلبوا على خبيب في قتله حين قتل من قريش: عكرمة بن أبي جهل ، وسعيد بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود ، والأخنس بن شريق الثقفي ، حليف بني زهرة ، وعبيدة بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي ، حليف بني أمية بن عبد شمس وأمية بن أبي عتبة ، وبنو الحضرمي .

* هجاء حسان هزيلا :

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يهجو هزيلاً :

إن سَركَ الغَدْر صرفا لا مزاجَ لَهُ   فَأت الرَّجيع فَسل عن دَارِ لحيانِ
قَوم تَواصوا بِأكل الجار بَينهم   فالكلبُ والقِردُ والإنسانُ مثْلانِ
لو ينطقُ التيسُ يَوما قام يَخطبهم   وكَان ذَا شَرف فيهم وذا شَانِ

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا يهجو هذيلاً :

سَألت هُذَيل رَسول الله فَاحشةً   ضَلَّت هُذَيلٌ بما سالتْ ولَم تُصب (٣)
سَألوا رَسولهمُ مَا ليسَ مُعطيهم   حَتى الممات ، وكَانوا سبَّة العَربِ
ولَن ترى لهُذيلَ دَاعياً أبداً   يَدعو لمَكرُمة عَن منزل الحربِ
لَقد أرادوا خلَال الفُحش ويحهمُ   وأن يُحلوا حَراما كان في الكتبِ

* حسان يبكي خُبيبًا وأصحابه :

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكي خُبيبا وأصحابه :

صَلَّى الإله على الذين تَتَـــابعُوا   يَوم الرَّجيع فأكرمـــوا وأُثيبوا
رَأسِ السرية مَرثد وأميــــرهم   وابن البُكير إمامهـــم وخُبيبُ
وابَنٌ لطَارق وابن دَثْنَةَ منهـــم   وافاه ثم حَمـــامه المكتوبُ
والعَاصِمُ المقتولُ عنـــد رَجيعهم   كَسب المعَالـــي إنه لكَسُوبُ
مَنعَ المقادة أنَ ينـــالوا ظَهْره   حتَّى يُجَالد إنـــه لنَجيبُ

---

(١) الزعنفة : الذين ليسوا خُلصًا في القبائل بل المنتمين إليها ، عدس : اسم قبيلة .
(٢) دلَّوك : غروك .   (٣) سالت : أي سألت تسهيل بحذف الهمزة .

حَدِيثُ بئر مَعُونة (١) في صفر سنة أربع

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بقية شوال وذَا القعدة وذا الحجة - وولى تلك الحجة المشركون والمحرم - ثم بعث رسول الله ﷺ أصحاب بئر معونة فى صفر ، على رأس أربعة أشهر من أحد .

● سبب الإرسال :

وكان من حديثهم ، كما حدثنى أبى إسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيره من أهل العلم . قالوا : قدم أبو براء عامـــر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة (٢) على رسول الله ﷺ المدينة ، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام ، ودعاه إليه ، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام ، وقال : يا محمد ، لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك ، روجت أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله ﷺ : إنى أخشى عليهم أهل نجد ، قال أبو براء : أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك .

● أسماءُ خيار المسلمين الذين أرسلوا إلى بئر معونة :

فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو ، أخا بنى ساعدة المعنق ليموت (٣) فى أربعين رجلاً (٤) من أصحابه ، من خيار المسلمين ، منهم : الحارث بن الصمة ،

---

(١) بئر معونة : تقع بين بنى عامر وحرة بنى سليم وهى إلى الحرة أقرب ، وقيل هى ماء لبنى عامر بن صعصعة .

(٢) سمى بذلك فى يوم سوبان ، وهو يوم كانت فيه وقيعة فى أيام جبلة ، وهى أيام حرب كانت بين قيس وتميم وجبلة اسم لهضبة عالية ، وكان سبب تسميته في يوم سوبان ملاعب الأسنة أن أخاه الذى يقال له : فارس قرزل وهو طفيل بن مالك كان أسلمه فى ذلك اليوم ، وفر فقال عمر :

فررت وأسلمت ابن أمك عامراً يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

(٣) أى المسرع : وهو لقب لُقب به لأنه اسرع إلى الموت .

(٤) الصحيح : أنهم كانوا سبعين كما جاء فى البخارى ومسلم .

وحرام بن ملحان بنى عدى بن النجار ، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمى ، ونافع ابن بديل بن ورقاء الخزاعى ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق ، فى رجال مسلمين من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا ببئر معونة ، وهي بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم ، كلا البلدين منها قريب ، وهى إلى حرة بنى سليم أقرب .

• خيانة بنى عامر إياهم :

فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان [١] بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه ، وقالوا : لن نخفر [٢] أبا براء ، وقد عقد لهم عقداً وجواراً ، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم من عُصية ورعل وذكوان ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم فى رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ، إلا كعب بن زيد ، أخا بنى دينار بن النجار ، فإنهم تركوه وبه رمق ، فارتث [٣] من بين القتلى ، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً ، رحمه الله .

• موقف ابن أمية والمنذر :

وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى ، ورجل من الأنصار ، أحد بنى عمرو بن عوف [٤] .

قال ابن إسحاق : فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأنا ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم فى دمائهم ، وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة فقال الأنصارى لعمرو بن أمية : ما ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله ﷺ ، فنخبره الخبر ، فقال الأنصارى : لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قُتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لتخبرنى عنه الرجال ، ثم قاتل القوم

(١) أمه أم حرام روت بعض أحاديث رسول الله ﷺ .

(٢) أى لن ننقض عهده ، الإخفار : نقض العهد .

(٣) أى رفع من بين القتلى وفيه رمق .

(٤) قال ابن هشام : هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح .

حتى قتل ، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر ، أطلقه عامر ابن الطفيل ، وجز ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه ٠

فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة [1] ، أقبل رجلان من بنى عامر ٠

قال ابن إسحاق : حتى نزلا معه فى ظل هو فيه ، وكان مع العامريين عقد من رسول الله ﷺ وجوار ، لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا ، ممن أنتما ؟ فقالا من بنى عامر ، فأمهلهما ، حتى إذا ناما ، عدا عليهما فقتلهما وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثؤرة من بنى عامر ، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ ، فأخبره الخبر قال رسول الله ﷺ لقد قتلت قتيلين « لأدينهما » ٠

• حُزْن الرسول من فعل أبى بَراء :

ثم قال رسول الله ﷺ : هذا عمل أبى براء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً ٠ فبلغ ذلك أبا براء ، فشق عليه إخفار عامر إياه ، وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ ، بسببه وجواره ، وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة ٠

• ما حدث لابن فهيرة بعد مقتله :

قال ابن إسحاق : فحدثنى هشام بن عروة ، عن أبيه : أن عامر بن الطفيل كان يقول من رجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض ، حتى رأيت السماء من دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فُهَيرة ٠

• إسلام ابن سَلْمَى :

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض بنى جبار بن سلمة بن مالك بن جعفر قال - وكان جبار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم - قال فكان يقول : إن مما دعانى إلى الإسلام أنى طعنت رجلاً منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعته يقول : فزت والله فقلت فى نفسى : ما فاز ٠ ألست قد قتلت الرجل ؟ قال : حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : للشهادة فقلت : فاز لعمرو الله ٠

---

(١) مكان بناحية عدن قريب من المدينة المنورة ٠

• تحريض حسان بني البراء على عامر :

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يحرض بنى براء على عامر بن الطفيل :

بنى أُم البَنين ألم يَرُعكم ... وأنتم من ذَوائبِ أهل نَجْدِ (١)

تهكم عَامر بأبى بَراء ... ليخفره وما خطأ كَعَمْد

الا أَبْلِغْ رَبيعةَ ذَا المسَاعى ... فَما أحدثت فى الحِدْثان بَعْدى

أبُوك أبو الحروبِ أبو بَراءِ ... وَخالُك مَاجد حكم بن سعدِ

* طَعْنُ عَامر :

قال ابن إسحاق : فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فطعنه بالرمح فوقع فى فخذه ، فأشواه ، ووقع عن فرسه ، فقال هذا عمل أبى براء ، إن أمُتْ فدمى لعمى فلا يتبعن به ، وإن أعش فسأرى رأيى فيما أتى إلىَّ .

* * *

(١) أم البنين : هى ليلى بنت عامر التى يذكرها لبيد فى قوله :

نحن بنى أم البنين الأربعة

ولم يكونوا أربعة بل كانوا إخوة خمسة طفيل فارس قرزل ، عامر مُلاعب الأسنة ، ربيعة المقريين وهو والد لبيد ، وعبيد الوضاح ، ومعاوية معوذ الحكماء . وقال لبيد : الأربعة ؛ لأن أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك .

أمر إجلاء بَنى النَّضِير
فى سنة أربع

• سبب خروج النبى ﷺ إلى بنى النَّضِير :

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك [١] القتيلين من بنى عامر ، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمرى ، للجوار الذى كان رسول الله عقدهُ لهما ، كما حدثنى يزيد بن رومان ، وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر عقد وحلف ، فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم فى دية ذينك القتيلين ، قالوا نعم ، يا أبا القاسم [٢] ، نعينك على ما أحببت ، مما استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض ، فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلو على هذا البيت ، فيلقى عليه صخرة ، فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، أحدهما ، فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ، ورسول الله ﷺ فى نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضوان الله عليهم .

• انكشاف غدرهم ومحاربتهم :

فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة . فلما استلبث النبى ﷺ أصحابه ، قاموا فى طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه . فقال : رأيته داخلاً المدينة ، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ﷺ فأخبرهم الخبر ، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم ، والسير إليهم [٣] .

(١) مثنى مذكر للبعيد .

(٢) كنية الرسول ﷺ ولا يتكنى بها غيره لحديثه ﷺ : « تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى » .

(٣) قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : ثم سار بالناس حتى نزل بهم .

• حصار بني النضير :

قال ابن إسحاق : فتحصنوا منه فى الحصون ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه : أن يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد ، وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها [(١)] .

وقد كان رهط من بنى عوف بن الخزرج ، منهم عدو الله عبد الله بن أبى بن سلول ووديعة ومالك بن أبى قوقل ، وسويد وداعس ، قد بعثوا إلى بنى النضير أن أثبتوا وتمنعوا ، فإنا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، وسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة [(٢)] ففعل . فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف [(٣)] بابه ، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به . فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام .

فكان أشرافهم من سار منهم إلى خيبر : سلام بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع ابن أبى الحقيق ، وحيى بن أخطب ، فلما نزلوها دان لهم أهلها .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث : أنهم استقلوا بالنساء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير ، والقيان [(٤)] يعزفن خلفهم ، وإن فيهم لأم عمرو صاحبة عروة بن الورد العبسِى ، التى ابتاعوا منه وكانت إحدى نساء بنى غفار [(٥)] بزهاء وفخر ما رئى مثله من حى من الناس فى زمانهم .

---

(١) قال أهل التأويل : وقع فى نفوس المسلمين من هذا الكلام شيء حتى أنزل الله تعالى : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها ﴾ واللينة الوان التمر ما عدا العجوة والبرنى ففى هذه الآية أن النبى ﷺ لم يحرق من نخلهم إلا ما ليس بقوت للناس وكانوا يقتاتون العجوة . (٢) الحلقة : أى السلاح .

(٣) نجاف الباب : أى عتبة الباب العليا . (٤) القيان : المغنيات .

(٥) لم يذكر اسمها فى رواية البكائى عنه ، وذكره فى غيرها وهى : سلمى قال الأصمعى : هى سلمى بنت شعواء ، قال أبو الفرج : هى سلمى أم وهب امرأة من كنانة وكنانة من غفار .

وخلوا الأموال لرسول الله ﷺ ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة ، يضعها حيث يشاء ، فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقرا ، فأعطاهما رسول الله ﷺ .

ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان : يامين بن عمير ، أبو كعب بن عمرو بن جحاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاها .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض آل يامين : أن رسول الله ﷺ قال : ليامين : ألم تر ما لقيت من ابن عمك ، وما هم به من شأنى ؟ فجعل يامين بن عمير لرجل جُعلا على أن يقتل له عمرو بن جحاش ، فقتله فيما يزعمون .

ما نزل فى بنى النضير من القرآن : ونزل فى بنى النضير سورة الحشر بأسرها ، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته وما سلط عليهم به رسوله ﷺ ، وما عمل به فيهم ، فقال تعالى : ﴿ **هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين** ﴾ [١] ، وذلك لهدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذا احتملوها . ﴿ **فاعتبروا يا أولى الأبصار ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء** ﴾ ، وكان لهم من الله نقمة ، ﴿ **لعذبهم فى الدنيا** ﴾ : أى بالسيف ، ﴿ **ولهم فى الآخرة عذاب النار** ﴾ مع ذلك . ﴿ **ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها** ﴾ . واللينة : ما خالف العجوة من النخل ﴿ **فبإذن الله** ﴾ : أى فبأمر الله قطعت ، لم يكن فساداً ، ولكن كان نقمة من الله ﴿ **وليخزى الفاسقين** ﴾ .

روى موسى بن عقبة أنهم قالوا له إلى أين نخرج يا محمد ؟ قال : إلى الحشر ، يعنى أرض المحشر ، وهى الشام ، وقيل : إنهم كانوا من سبط لم يصبهم جلاء قبلها ، فلذلك قال : لأول الحشر ، والحشر : الجلاء . وقيل إن الحشر الثانى ، هو حشر النار التى تخرج من قعر عدن ، فتحشر الناس إلى الموقف ، تبيت معهم ، حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا ، وتأكل من تخلف ، والآية متضمنة

---

(١) سورة الحشر .

لهذه الأقوال كلها ، ولزائد عليها ، فإن قوله : لأول الحشر يؤذن أن ثم حشراً آخر ، فكان هذا الحشر والجلاء إلى خيبر ، ثم أجلاهم عمر من خيبر إلى تيماء وأريحا ، وذلك حين بلغه التثبيت عن النبى ﷺ أنه قال : « لا يبقين دينان بأرض العرب » .

* ما قيل فى بنى النضَير من الشعر :

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير وقتل كعب بن الأشرف :

لَقَدْ خَزِيتْ بغَدْرَتهـا الحَبورُ ... كَذاك الدهر ذُو صرفٍ يَدُورُ (١)
وَذلك أَنهـم كَفروا بربٍّ ... عَزيز أمره أمر كبيـر
وقد أوتوا معًا فهمـا وعلما ... وجاءهـم مَنَ اللهِ النَّذيرُ
نَذير صَادق أدى كتـابا ... وآيات مُبيـنة تغيرُ
فَقالوا مـا أتيتَ بأمر صدْق ... وأنتَ بمنـكر منا جَدير
فَقال بَلى لَقـد أديتُ حَقًّا ... يَصدقنى به الفهـم الخبيرُ
فَمن يَتبعـه يُهد لكل رشْد ... ومـن يكفر به يُجز الكفورُ
فَلمـا أشْرَبوا غَدْرًا وكُفرًا ... وحَاد بهـم عن الحقِّ النُّفورُ
أَرى اللهُ النَّبى بَرأيٍ صِـدق ... وكَان الله يَحكـم لايَجورُ
فَأَيدَهُ وسَلَّطه عَليهـم ... وكَانَ نَصيرهُ نِعْمَ النَّصيـرُ
فَغودر منهـمُ كَعْبٌ صَرِيعًا ... فَذلت بَعْدَ مَصْرَعه النَّضيرُ
عَلَى الكفَّين ثَم وقـد علته ... بأيدينـا مُشهرة ذُكورُ (٢)
بَأمر مُحمـد إذْ دَس لَيلاً ... إلى كَعْب أخـا كَعْب يَسيرُ
فَماكـره فَأنزله بمكرٍ ... ومحمودٌ أخـو ثقة جَسورُ
فَتلك بنو النضير بِدار سُوءِ ... أبارهم بما اجترموا المبيرُ (٣)

(١) الحبور : جمع حَبْر وهم العلماء ، أى علماء اليهود .
(٢) مشهرة : مسلولة ، ذكور : قوية ، أى سيوف قوية مسلولة .
(٣) أبارهم : أهلكهم .

غَداة أتَاهم فى الزحـــفِ رَهْوا … رسول الله وهو بهم بَصير (١)
وغَسَّانُ الحُمَـــــاةُ موازروه … على الأعْداء وهـــو لهم وزير
فَقال : السَّلْمُ ويَحكم فَصدوا … وَحالف أمرهـــم كِذبٌ وزُورُ
فَذاقوا غب أمرهـــم وبَالاً … لِكل ثلاثة منهـــم بَعيرُ
وأجلوا عَامديـــن لقَيْنُقاع … وغودُر منهـــم نخل ودَورُ

* * *

(١) الرهو : المشيء يبطء فى تؤدة .

غَزْوة ذَاتِ الرِّقَاع [١]
فى سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى ، ثم غزا نجداً يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى:ويقال: عثمان بن عفان ، فيما قال ابن هشام ٠

قال ابن إسحاق : حتى نزل نخلا [٢] ، وهى غزوة ذات الرقاع ٠

قال ابن إسحاق : فلقى بها جمعا عظيما من غطفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً ، حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف ثم انصرف بالناس ٠

وهى أرض فيها بقع سود ، وبقع بيض ، كأنها مرقعة برقاع مختلفة فسميت ذات الرقاع لذلك ، وكانوا قد نزلوا فيها فى تلك الغزاة ، وأصح من هذه الأقوال كلها مارواه البخارى من طريق أبى موسى الأشعرى : قال : خرجنا مع النبىَّ ﷺ فى غزاة ، ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه ، فثقبت أقدامنا ، ونقبت قدماى ، وسقطت أظفارى ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع ، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا ، فحدث أبو موسى بهذا ، ثم كره ذلك فقال : ما كنت أصنع بأن أذكره ٠ كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه ٠

*** أَحَدُ الأعداء يهم بقتل النبى ﷺ :**

قال ابن إسحاق : وحدثنى عَمرو بن عُبيد، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله : أن رجلاً من بنى محارب يقال له : غورث قال لقومه من غطفان ومحارب : الا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به ٠ قال : فأقبل إلى

(١) ذكر ابن هشام أنها قيل لها غزوة ذات الرقاع ؛ لأنهم رقَّعوا فيها راياتهم ، ويقال : ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع يقال لها : ذات الرقاع ، انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣ / ١١٩ تحقيق طه عبد الرءوف سعد ٠

(٢) نخل : اسم موضع بنجد ٠

رسول الله ﷺ وهو جالس وسيف رسول الله ﷺ فى حجره فقال : يا محمد أنظر إلى سيفك هذا [١] ؟ قال : نعم قال : فأخذه فاستله ثم جعل يهزه ، ويهم فيكبته الله ؟ ثم قال : يا محمد أما تخافنى ؟ قال : لا ، وما أخاف منك . قال أما تخافنى وفى يدى السيف ؟ قال : لا ، يمنعني الله منك ثم عمد إلى سيف رسول الله ﷺ فرده عليه قال : فأنزل الله فيه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هَم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المُؤْمِنُونَ** ﴾ [٢] .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رُومان : أنها إنما أنزلت فى عمرو بن جحاش أخى بنى النضير وما همّ به ، فالله أعلم أى ذلك كان .

• قصة جابر وجمله :

قال ابن إسحاق : وحدثنى وهْب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل ، على جمل لى ضعيف فلما قفل رسول الله ﷺ قال : جعلت الرفاق تمضى وجعلت أتخلف ، حتى أدركنى رسول الله ﷺ ، فقال : مالك يا جابر ؟ قال : قلت : يا رسول الله أبطأ بى جملى هذا قال أنخه ، قال فأنختة : وأناخ رسول الله ﷺ ، ثم قال : أعطنى هذه العصا من يدك ، أو اقطع لى عصا من شجرة ، قال : ففعلت : فأخذها رسول الله فنخسه [٣] بها نخسات ، ثم قال : اركب ، فركبت ، فخرج والذى بعثه بالحق يواهق [٤] ناقته مواهقة .

قال : وتحدثت مع رسول الله ، ، فقال لى : أتبيعنى جملك هذا يا جابر ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، بل أهبه لك ، قال : لا ، ولكن بعنيه ، قال : قلت : فسمنيه يا رسول الله قال : قد أخذته بدرهم ، قال : قلت : لا ، إذن ، تغبنى يا رسول الله ! قال : فبدرهمين ، قال : قلت : لا . قال : فلم يزل يرفع لى رسول الله ﷺ فى ثمنه حتى بلغ الأوقية . قال : فقلت : أفقد رضيت يا

---

(١) قال ابن هشام وكان السيف محلى بفضة راجع سيرة ابن هشام .

(٢) سورة المائدة : الآية ١١ .

(٣) نخسه : أى ضغط بالعصا على جسمه .

(٤) يواهق : أى يسابق .

رسـول الله ؟ قال : نعم ، قلت : فهولك ، قال : قد أخذته : قال : ثم قال : يا جابر ، هل تزوجت بعد ؟ قال : قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أثيبا أم بكرا ؟ قال : قلت بل ثيبا قال : أفلا جاريه تلاعبها وتلاعبك ! قال : قلت يا رسول الله ، إن أبى أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعا ، فنكحت امرأة جامعة، تجمع رءوسهن ، وتقوم عليهن ، قال أصبت إن شاء الله أما لو جئنا صرارا [١] أمرنا بجزور فنحرت وأقمنا عليها يومنا ذاك ، وسمعت بنا فنفضت نمارقها [٢] قال : قلت : والله يا رسول الله ما لنا من نمارق . قال إنها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيساً . قال : فلما جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم . فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا ، قال : فحدثت المرأة الحديث وما قال لى رسول الله ﷺ ، قالت : فدونك سمع وطاعة - قال : فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب مسجد رسول الله ﷺ قال : ثم جلست فى المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله ﷺ ، فرأى الجمل ، فقال : ما هذا قالوا : يا رسـول الله هذا جمل جاء به جابر ، قال : فأين جابر ؟ قال : فدعيت له ، قال ، فقال : يا ابن أخى خذ برأس جملك ، فهو لك ، ودعا بلالاً فقال له : اذهب بجابر ، فأعطه أوقية . قال : فذهبت معه فأعطانى أوقية ، وزادنى شيئاً يسيراً . قال : فوالله ما زال ينمى عندى ، ويرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا - يعنى يوم الحرة [٣] .

---

(١) صرار : موضع قريب من المدينة .

(٢) النمارق : كل ما يجلس عليه من الحشايا وغيرها .

(٣) يعنى : وقعة الحرة التى كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يدى مسلم بن عقبة المرى الذى يسميه أهل المدينة مسرف بن عقبة ، وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية ، وأخرجوا مروان بن الحكم وبنى أمية ، وأمروا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الذى غسلت أباه الملائكة يوم أحد ، ولم يوافق على الخلع أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا فيهم روى البخارى أن عبد الله بن عمر لما أرجف أهل المدينة بيزيد دعا بنيه ومواليه ، وقال لهم : إنا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله ، وإنه والله لا يبلغنى عن أحد منكم أنه خلع يداً من طاعته إلا كانت الفيصل بينى وبينه ، ثم لزم بيته ، ولزم أبو سعيد الخدرى بيته ، فدخل عليه فى تلك الأيام التى انتهب المدينة فيها ، فقيل له : من أنت =

قال ابن إسحاق : وحدثني عمي صدقة (١) بن يسار ، عن عُقيل بن جابر عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلا ، أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد ﷺ فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً ، فقال : من رجل يكلؤنا ليلتنا هذه ؟ قال : فانتدب رجل من المهاجرين ، ورجل آخر من الأنصار ، فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بفم الشِّعب ، قال : وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي (٢) ، قال ابن إسحاق : فلما خرج الرجلان إلى فم الشِّعب قال الأنصاري للمهاجرين : أي الليل تحب أن أكفيكه : أوله أم آخره ؟ قال : بلى اكفني أوله . قال فاضطجع المهاجري فنام ، وقام الأنصاري يصلي ، قال : وأتى الرجل ، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة (٣) القوم . قال : فرمى بسهم ، فوضعه فيه ، قال : فنزعه ووضعه ، فثبت قائماً : ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه . قال فنزعه فوضعه ، وثبت قائماً ، ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه ، قال : فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أهبَّ صاحبه فقال : اجلس فقد أثبت (٤) ، قال : فوثب فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به ، فهرب . قال : ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء ، قال : سبحان الله ! أفلا

= أيها الشيخ ؟ فقال : أنا أبو سعيد الخدري صاحب النبي ﷺ فقالوا له : سمعنا خبرك ، ولنعم ما فعلت حين كففت يدك ، ولزمت بيتك ، ولكن هات المال ، فقال قد أخذه الذين دخلوا قبلكم عليَّ وما عندي شيء ، فقالوا كذبت ونتفوا لحيته ، وأخذوا ما وجدوا حتى صوف الفرش ، وحتى أخذوا زوجين من حمام كان صبيانه يلعبون بهما . وأما جابر بن عبد الله الذي كنا بمساق حديثه فخرج في ذلك اليوم يطوف في أزقة المدينة والبيوت تنتهب ، وهو أعمى وهو يعثر في القتلى ، ويقول تعس من أخاف رسول الله ﷺ ، فقال له قائل : ومن أخاف رسول الله ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أخاف المدينة ، فقد أخاف ما بين جنبي ، فحملوا عليه ليقتلوه ، فأجاره منهم مروان ، وأدخله بيته ، وقتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة ، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف جزى الله الظلمة بفعلهم .

(١) صدقة : ليس عمه حقيقيا ، وإنما قال ذلك احتراما له ، ربما يكون شيخه .

(٢) هما عمار بن ياسر ، وعباد بن بشر فيما قال ابن هشام .

(٣) أي يحرسهم .   (٤) أي جرحت جراحة بالغة .

أهببتنى أول ما رماك ؟ قال : كنت فى سـورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها [1] ، فلما تابع على الرمى ركعت فأذنتك ، وايم الله ، لولا أن أضيع ثغرا أمرنى رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفدها .

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة الرقاع ، أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجبا .

* * *

(١) أى أتم قراءتها .

غَزْوة بَدرٍ الآخرة
فى شعبان سنة أربع

قال ابن إسحاق: ثم خرج فى شعبان إلى بدر، لميعاد أبى سفيان، حتى نزله [١] .

قال ابن إسحاق: فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل مجنة، من ناحية الظهران، وبعض الناس يقول: قد بلغ عسفان، ثم بدا له فى الرجوع، فقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جدب، وإنى راجع، فارجعوا، فرجع الناس، فسماهم أهل مكة جيش السويق، يقولون إنما خرجتم تشربون السويق .

وأقام رسول الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده، فأتاه مخشى بن عمرو الضمرى، وهو الذى كان وادعه على بنى ضمرة فى غزوة ودان، فقال: يا محمد، أجئت للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: نعم يا أخا بنى ضمرة وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك قال: لا والله يا محمد مالنا بذلك منك من حاجة .

● شعر مَعْبد فى ناقة رسول الله ﷺ :

فأقام رسول الله ﷺ ينتظر أبا سفيان فمر به معبد بن أبى معبد الخزاعى فقال: وقد رأى مكان رسول الله ﷺ وناقته تهوى به [٢] :

قَدْ نَفَرتْ مِنْ رُفْقَتى مُحَمَّدِ ... وعجْوة مِنْ يَثْرِبِ كالعَنْجَدِ [٣]
تَهْوَى على دِينِ أبيها الأَتْلَدِ ... قَد جَعَلَت مَاءَ قَديد مَوْعدى [٤]
وَماء ضَجْنَانِ [٥] لهَا ضحى الغَدِ

* * *

(١) قال ابن هشام: واستعمل ﷺ على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول الأنصارى .

(٢) تهوى: أى تسرع . (٣) العنجد: الزبيب .

(٤) الدين: أى العاده التى يتعود الإنسان فعلها، الأتلد: القديم الأصيل، ماء قديد: ماء قرب مكة . (٥) ضجنان: جبيل قريب من مكة .

غَزوة دَوْمَة الجندل (١)
فَى شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فأقام من مقدم رسول الله ﷺ بها أشهرا حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهى سنة أربع ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل (٢) .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله ﷺ قبل أن يصل إليها ، ولم يلق كيداً (٣) ، فأقام بالمدينة بقية سنته .

* * *

(١) دومة الجندل بينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة ، وسميت بدومة بن إسماعيل عليه السلام ؛ لأن دومان بن إسماعيل نزل بها ونسبت إليه .

(٢) قال ابن هشام : استعمل ﷺ على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى .

(٣) أى لم يحدث قتال .

غَزْوة الخندق (١)

فى شوال سنة خمس

عن زياد بن عبد الله البكَّائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس .

اليهود تحزب الأحزاب : فحدثنى يزيد بن رُومان مولى آل الزبير بن عُروة بن الزبير ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القُرظى ، والزهرى ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبى بكر ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق . وبعضهم يحدث مالا يحدث به بعض قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود ، منهم : سلام ابن أبى الحقيق النضرى (٢) وحُيى بن أخطب النضرى (٣) ، وكنانة بن أبى الحقيق النضرى ، وهوذة بن قيس الوائلى ، وأبو عمار الوائلى ، فى نفر من بنى النضير ، ونفر من بنى وائل ، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة ، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه - حتى نستأصله (٤) فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟

(١) وحفر الخندق لم يكن من عادة العرب ، ولكنه من مكايد الفرس وحروبها ، ولذلك أشار به سلمان الفارسى ، وأول من خندق الخنادق من ملوك الفرس فيما ذكر الطبرى منو شهر بن أبيرج بن أفريذون وقد قيل فى أفريدون : إنه ابن إسحاق عليه السلام ، وأكثرهم يقول فيه : هو ابن أثفيان ، وهو أول من اتخذ آلة الرمى ، وإلى رأس ستين من ملكة بعث موسى عليه السلام ، والكمائن فى الحروب ، أول من فعلها بختنصر فى قول الطبرى .

(٢) ونسب ابن أبى الحقيق وما بعده لبنى النضير فقال فيهم النضرى ، وقياسه : النضيرى إلا أن يكون من باب قولهم ثقفى وقرشى ، وهو خارج عن القياس ، وإنما يقال : فعلى فى النسب إلى فعيلة .

(٣) تزوج النبى ﷺ ابنته بعد ذلك وكانت من الأسرى فأسلمت وتزوجها ، النبى ﷺ وهى السيدة صفية بنت حُيى من أمهات المؤمنين .

(٤) أى نقضى عليه ونمحو أثره .

قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت** (١) **ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا** ﴾ (٢) .

• تحريض اليهود غطفان :

قال : فلما قالوا ذلك لقريش ، سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا لذلك واتعدوا له · ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان ، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريش قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه ·

• خُروج الأحزاب :

قال ابن إسحاق : فخرجت قريش ، وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان ، وقائدها عيينة بن حصن وحذيفة بن بدر (٣) في بني فزارة والحارث بن عوف ابن أبي حارثة المرى في بنى مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سمحة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع ·

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين فى الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه ، فدأب فيه (٤) ودأبوا · وابطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجال من المنافقين ، وجعلوا يورون بالضعيف من العمل ويتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة ، من الحاجة التى لابد له منها ، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ « ويستأذنه فى اللحوق بحاجته ، فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبة فى الخير واحتساباً له » ·

---

(١) الجبت : الصنم المعبود ، الطاغوت : الساحر ، الكاهن والشيطان ، أو كل ما عبد من دون الله ·

(٢) سورة النساء : الآية ٥١ ·

(٣) وكان عيينة مسلمًا ثم ارتد ·

(٤) أى جد واجتهد ·

ما نزل من القرآن فى حق العاملين فى الخندق :

فأنزل الله تعالى فى أولئك من المؤمنين : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم** ﴾ (١) فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة فى الخير ، والطاعة لله ولرسوله ﷺ .

ثم قال تعالى ، يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير إذن من النبى ﷺ : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً** (٢) **فيلحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ (٣) .

﴿ **ألا إن لله ما فى السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه** ﴾ .

قال ابن إسحاق : من صدق أو كذب .

﴿ **ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شىء عليم** ﴾ (٤) .

المسلمون يرتجزون وهم يعملون :

قال ابن إسحاق : وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، . وارتجزوا فيه برجل من المسلمين ، يقال له جُعيل ، سماه رسول الله ﷺ : عمرًا ، فقالوا :

سَماه مِنْ بَعْدِ جُعَيْلٍ عَمْرَا وكَان للبائس يَومًا ظَهرَا

فإذا مروا بـ « عمرا » قال رسول الله ﷺ : عمرا وإذا مروا بـ « ظهرا » قال رسول الله ﷺ : ظهرا (٥) .

معجزات ظهرت فى حفر الخندق : قال ابن إسحاق : وكان فى حفر الخندق أحاديث بلغتنى ، فيها من الله تعالى عبرة فى تصديق رسول الله ﷺ ، وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون .

---

(١) سورة النور : الآية ٦٢ .

(٢) اللواذ : أى الاستخفاء والاستتار بالشىء عند الهرب .

(٣) سورة النور : الآية ٦٣ . (٤) سورة النور : الآية ٦٤ .

(٥) أى يقول معهم آخر صدر البيت وآخر عجزه فقط مؤازرة لهم ونوعا من المشاركة الوجدانية لرفع روحهم المعنوية ؛ فإنه ﷺ لم ينشىء شعراً أبداً وإنما كان يسمعه ويستجيده ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ **وما علمناه الشعر وما ينبغى له** ﴾ .

(١) معجزة الكدية :

فكان مما بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يحدث : أنه اشتدت عليهم فى بعض الخندق كدية ، فشكوها إلى رسول الله ﷺ ، فدعا بإناء من ماء ، فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية ، فيقول من حضرها : فوالذى بعثه بالحق نبيا ، لانهالت حتى عادت كالكثيب لا ترد فأسا ولا مسحاة .

(٢) معجزة البركة فى التمر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن مينا أنه حدث أن ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بن بشير ، قالت : دعتنى أمى عمرة بنت رواحة ، فأعطتنى حفنة من تمر فى ثوبى ، ثم قالت : أى بنية اذهبى إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما ، قالت : فأخذتها ، فانطلقت بها ، فمررت برسول الله ﷺ ، وأنا ألتمس أبى وخالى ، فقال : تعالى يا بنية ، ما هذا معك ؟ قالت فقلت يا رسول الله هذا تمر بعثتنى به أمى إلى أبى بشير بن سعد ، وخالى عبد الله بن رواحة يتغديان ، قال هاتيه قالت : فصببته فى كفى رسول الله ﷺ ، فما ملأتهما ثم أمر بثوب بسط له ثم دحا بالتمر عليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ فى أهل الخندق أن هلمَّ إلى الغذاء ، فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه ، وإنه يسقط من أطراف الثوب .

(٣) البَرَكَةُ فى طعام جابر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن مينا . عن جابر بن عبد الله ، قال عملنا مع رسول الله ﷺ فى الخندق ، فكانت عندى شويهة [١] ، غير جد سمينة [٢] قال : فقلت : والله لو صنعناها لرسول الله ﷺ ، وقال ، فأمرت امرأتى فطحنت لنا شيئًا من شعير ، فصنعت لنا منه خبزًا ، وذبحت تلك الشاة ، فشويناها لرسول الله ﷺ قال : فلما أمسينا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق - قال وكنا نعمل فيه نهارنا ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا - قال : قلت : يا رسول الله ،

(١) أى شاة صغيرة (تصغير شاة : شويهة) .

(٢) أى غير كاملة الدسم .

إنى قد صنعت لك شويهة كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئًا من خبز هذا الشعير ، فأحب أن تنصرف معى إلى منزلى ، وإنما أريد أن ينصرف معى رسول الله ﷺ وحده ، قال : فلما أن قلت له ذلك ، قال : نعم ، ثم أمر صارخًا فصرخ . أن انصرفوا مع رسول الله إلى بيت جابر بن عبد الله قال: قلت إنا لله وإنا إليه راجعون ! قال : فأقبل رسول الله ﷺ ، وأقبل الناس معه ، قال فجلس وأخرجناها إليه . قال : فبرَّك وسمى الله [١] ، ثم أكل ، وتواردها الناس . كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها [٢] .

٤ – الله يُبشِّر نبيهُ بالفتوح :

قال ابن إسحاق : وحدثت عن سلمان الفارسى ، أنه قال : ضربتُ فى ناحية من الخندق ، فغلظت علىَّ صخرة ، ورسول الله ﷺ قريب منى ، فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان علىَّ نزل فأخذ المعول من يدى ، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول [٣] برقة [٤] . قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلمعت تحته برقة أخرى . قال : ثم ضرب به الثالثة ، فلمعت تحته برقة أخرى . قال : قلت بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، ما هذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أوَقد رأيت ذلك يا سلمان ؟ قال قلت : نعم قال : أما الأولى فإن الله فتح بها اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح بها الشام والمغرب وأما الثالثة فإن الله فتح بها المشرق .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة أنه كان يقول – حين فُتحت هذه الأمصار فى زمان عمر وزمان عثمان وما بعده – افتتحوا ما بدا لكم ، فوالذى نفس أبى هريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك [٥] .

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق ، أقبلت قريش حتى

(١) أى دعا الله أن يبارك فيها وأن يحل عليهم بركته وقال بسم الله .
(٢) أى شبعوا وقاموا وتركوا منها .
(٣) أى الفأس .
(٤) أى ضوء لامع .
(٥) أى بشر الله رسوله بفتحها منذ زمن .

نزلت بمجتمع الأسيال من رومة ، بين الجرف وزغابة [(١)] فى عشـرة آلاف من أحابيشهم ، ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذَنب نقمى ، إلى جانب أُحد ، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع [(٢)] ، فى ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره ، والخندق بينه وبين القوم [(٣)] .

قال ابن إسحاق : وأمر بالذرارى والنساء فجعلوا فى الآطام [(٤)] .

حُيى بن أخطب يحرض كعب بن أسد : قال وخرج عدو اللهَ حيى بن أخطب النضرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى ، صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده ، فلما سمع كعب بحيى بن أخطب أغلق دونه باب حصنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حُيى : ويحك يا كعب افتح لى قال : ويحك يا حيى ، إنك امرؤ مشئوم ، وإنى قد عاهدت محمداً ، فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا . قال : ويحك افتح لى أكلمك . قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت الحصن دونى إلا تخوفت [(٥)] جشيشتك [(٦)] أن آكل معك منها ، فأحفظ [(٧)] الرجل ، ففتح له ،

---

(١) زغابة اسم موضع بالغين المنقوطة والزاى المفتوحة ، وذكره البكرى بهذا اللفظ بعد أن قدم القوم بأنه زغابة بضم الزاى والعين المهملة ، وحكى عن الطبرى أنه قال فى هذا الحديث بين الجرف والغابة ، واختار هذه الرواية وقال : لأن زغابة لا تعرف وقال السهيلى فى الروض الأنف : والأعرف عندى فى هذه الرواية رواية من قال : زغابة بالغين المنقوطة ، لأن فى الحديث المسند عنه عليه السلام ، قال فى ناقة أهداها إليه أعرابى ، فكأفأه بست بكرات ، فلم يرض ، فقال عليه السلام : ألا تعجبون لهذا الأعرابى ! أهدى إلى ناقة أعرفها بعينها ، كما أعرف بعض أهلى ذهبت منى يوم زغابة ، وقد كافأته بست فسخط . الحديث .

(٢) سلع : جبل بالمدينة .

(٣) قال ابن هشام : واستعمله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم ، ويتضح لنا مما سبق أن الرسول ﷺ - استعمله على المدينة أكثر من مرة .

(٤) الآطام : الحصون .

(٥) أى لخوفك .

(٦) الجشيشة : طعام يصنع من القمح المطحون .

(٧) أى غضب وانفعل وأخذته الحمية .

فقال : ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام (١) جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد ، قد عاهـــدونى وعاقدونى على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه · قال : فقال له كعب : جئتنى والله بذل الدهر ، وبجهام (٢) قد هراق ماءه ، فهو يرعد ويبرق ، ليس فيه شيء ، ويحك يا حيى : فدعنى وما أنا عليه فإنى لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاءً · فلم يزل حيى بكعب يفتله فى الذروة والغارب (٣) حتى سمح له ، على أن أعطاه عهداً وميثاقاً : لئن رجعت قريش وغطفان ، ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معــك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك · فنقض كعب بن أســد عهده ، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ ·

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر وإلى المسلمين ، بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان ، وهو يومئذ سيد الأوس · وسعد بن عبادة بن دليم ، أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بنى الحارث بن الخزرج ، وخوات بن جبير ، أخو بنى عمرو بن عوف فقال : انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقًّا فالحنوا لى لحناً أعرفه ، ولا تفتوا فى أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس · قال : فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، فيما نالوا من رسول الله ﷺ ، وقالوا : مَن رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد فشاتمهم سعد ابن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حدة ، فقال له سعد بن عبادة : دع عنك مشاتمتهم ، فما بيننا وبينهم أربَى (٤) من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله فسلموا عليه ثم قالوا : عضل والقارة ، أى كغدر عضل والقارة بأصحاب

(١) أى برجال كثير ·

(٢) الجهام : أى السحاب الذى لا ماء فيه ·

(٣) هذا مثل من أمثال العرب وهو فى البعير الذى يستصعب على سائقه فيأخذ القراد من ذروته وغارب سنامه ويفتل هناك ، فيجد البعير لذة لذلك فيأنس به فضرب هذا مثلا فى المراوضة والمخاتلة ·

(٤) أى أزيد وأكثر ·

الرجيع ، خبيب ، وأصحابه ، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين .

* الخوف الذى أصاب المسلمين ذلك اليوم :

قال ابن إسحاق : وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم [(١)] النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير ، أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط [(٢)] .

قال ابن إسحاق : وحتى قال أوس بن قَيظى ، أحد بنى حارثة بن الحارث يا رسول الله ، إن بيوتنا عورة من العدو ، وذلك على ملإ من رجال قومه ، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا ، فإنها خارج من المدينة ، فأقام رسول الله ﷺ وأقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبًا من شهر ، لم يكن بينهم حرب إلا الرميا بالنبل والحصار .

• محاولة الصلح مع غطفان :

فلما أشتد على الناس البلاء ، بعث رسول الله ﷺ ، كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم ، عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وإلى الحارث بن عوف بن أبى حارثة المرى ، وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهما الصلح ، حتى كتبوا الكتاب [(٣)] ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة فى ذلك . فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، فذكر لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله أمرًا تحبه فنصنعه ، أم شيئًا أمرك الله به ، لابد لنا من العمل به ، أم شيئًا

(١) أى ظهر .

(٢) قال ابن هشام : أخبرنى من أثق به من أهل العلم أن معتب بن قشير لم يكن من المنافقين ، واحتج بأنه كان من أهل بدر .

(٣) أى صيغة الصلح .

تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم [١] من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما ، فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ! والله مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، قال رسول الله ﷺ : فأنت وذاك ، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة ، فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون وعدوهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قتال ، إلا أن فوارس من قريش ، منهم عمرو بن عبد ود بن أبى قيس أخو بنى عامر بن لؤى .

قال ابن إسحاق : وعكرمة بن أبى جهل ، وهُبيرة بن أبى وهْب المخزوميان ، وضرار بن الخطاب الشاعر ابن مرداس ، أخو بنى محارب بن فهر ، تلبسوا للقتال ، ثم خرجوا على خيلهم ، حتى مروا بمنازل بنى كنانة ، فقالوا : تهيئوا يا بنى كنانة للحرب ، فستعلمون من الفرسان اليوم ، ثم أقبلوا تعنق [٢] بهم خيلهم ، حتى وقفوا على الخندق [٣] ، فلما رأوه قالوا والله إن هـــذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها .

عليٌّ يقتل عمرو بن عبد ود : قال ابن إســـحاق : ثم تيممـــوا مكانا ضيقا من الخندق ، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع ، وخرج على بن أبى طالب ﵁ فى نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثغرة التى اقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم ، وكان عمرو بن

---

(١) أى اشتدوا عليكم وغلبوكم .

(٢) تعنق : أى تسرع .

(٣) قال ابن هشام : يقال إن سلمان الفارسى أشار به على رسول الله ﷺ ، وأن المهاجرين يوم الخندق قالوا : سلمان منا ، وقالت الأنصار : سلمان منا ، فقال رسول الله ﷺ : « سلمان منا أهل البيت » .

عبد وُدٍّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته (١) الجراحة ، فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق خرج معلما (٢) ليرى مكانه ، فلما وقف هو وخيله ، قال : من يبارز ؟ فبرز له على بن أبى طالب فقال له : يا عمرو ، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خُلتين (٣) إلا أخذتها منه ، قال له : أجــل ، قال له علىّ : فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ، قال : لا حاجة لى بذلك ، قال فإنى أدعوك إلى النزال ، فقال له : لم يابن أخى ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك ، قال له على : لكنى والله أحب أن أقتلك ، فحمى عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فعقره ، وضرب وجهه ، ثم أقبل على علىٍّ ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله على رضي الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة ، حتى اقتحمت من الخندق هاربة (٤) .

قال ابن إسحاق : وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى ذلك :

نَصَرَ الحجَارة من سَفَاهة رأيه ... ونَصرتُ ربَّ مُحمد بَصــوابى (٥)

فَصَدَدْتُ حين تركتُه مُتَجــدلا ... كَالجذع بــين دكَادك ورَوابى (٦)

وَعَففْتُ عَنْ أثوابه ولَو انَّنى ... كُنْتُ الـمقطَّرَ بَزَّنى أثوابــى (٧)

لاَ تَحْسبنَّ اللهَ خاذلَ دينَــهُ ... ونَبيَّهُ يَا معشــر الأحزاب

هجاء حسان عكرمة : قال ابن إسحاق : وألقى عكرمة بن أبى جهل رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ، فقال حسان بن ثابت فى ذلك :

فرَّ وَألقى لَنا رُمْحَــه ... لَعلك عِكْرَم لم تَفعَــل

وَوَليت تَعْدُو كَعَدْو الظليم ... مَا إن تَجوزُ عــن المعدل (٨)

وَلم تَلْقَ ظَهْرَك مُسْتَأنسـا ... كَأنَّ قَفَاك قَفا فُرعَــل

استشهاد سعد بن معاذ : قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو ليلى عبد الله بن سهل

---

(١) أى أتعبته وأقعدته عن القتال . (٢) أى له علامة يعرفه الناس بها .

(٣) أى صفتين أو خيارين .

(٤) قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق وبنى قريظة : حم لا يُنصرون .

(٥) الحجارة : الأنصاب التى كانت تعبدها قريش .

(٦) الدكادك : أى الرمال اللينة الرخوة .

(٧) المقطر : الذى وقع على قطره ، وهو جنبه ، بزّنى : أى سلبنى وجردنى .

(٨) الظليم : ولد النعام .

ابن عبد الرحمن بن سهل الأنصارى ، أخو بنى حارثة : أن عائشة أم المؤمنين كانت فى حصن بنى حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة ، قال : وكانت أم سعد بن معاذ معها فى الحصن ، فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب : فمر سعد وعليه درع له مقلصة (١) ، وقد خرجت منها ذراعه كلها ، وفى يده حربته يرفل (٢) بها ويقول :

لبث قليلاً يشهد الهيجا جمل   لا بأس بالموت إذا حان الأجل (٣)

قال : فقالت له أمه : الحق ، أى بنى ، فقد والله أخرت ، قالت عائشة فقلت لها : يا أم سعد ، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هى ، قالت وخفت عليه حيث أصاب السهم منه ، فرمى سعد بن معاذ بسهم ، فقطع منه الأكحل (٤) رماه كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة - حبان بن قيس بن العرقة أحد بنى عامر بن لؤى ، فلما أصابه قال : خذها منى وأنا ابن العرقة فقال له سعد : عرق الله وجهك فى النار ، اللّهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقنى لها ، فإنه لا قوم أحب إلىّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللّهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ، ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة (٥) .

• قاتل سعد بن معاذ :

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعدًا يومئذ إلا أبو أسامة الجشمى ، حليف بنى مخزوم .

وقد قال أبو أسامة فى ذلك شعرًا لعكرمة بن أبى جهل :

أَعِكْرِمُ هَلاَّ لُمتِنى إذْ تَقولُ لِى   فَدَاكَ بِآطَامِ المَدِينَة خَالدُ
أَلستَ الذى أَلزمت سعدا مَرشة   لَها بين أَثْنَاءَ المرافق عَانِدُ (٦)
قَضَى نَحبَهُ منها سَعِيد فَأعولتْ   عَلَيه مع الشُّمْطِ العذَارى النواهِدُ

---

(١) مقلصة : أى قصيرة ارتفعت عن حدها . (٢) يرفل : أى يسرع فى سيره .
(٣) جمل : اسم رجل . (٤) الأكحل : عرق وسط الذراع .
(٥) وهذا دليل إخلاصه وصدق إيمانه ﷺ ؛ لأن فى حالة النزع الأخير للمسلم لا يظهر على اللسان إلا الحق ، اللهم ثبتنا على الحق يا رب العالمين .
(٦) مرشة : أى طعنة مرشة تفجر الدم ، العاند : العرق الذى لا ينقطع دمه .

وأنت الذى دافعتَ عَنه وقد دَعا عُبيدة جمعا منهم إذ يُكَابِدُ
عَلى حينِ ما هم جَائر عن طريقه وآخر مرعوب عن القَصْدِ عاهِدُ

• حديثُ حَسَّان وصفية فى وقعة الخندق :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال :كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع ، حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان بن ثابت معنا فيه ، مع النساء والصبيان ، قالت صفية : فمر بنا رجل من يهود ، فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله ﷺ ، والمسلمون فى نحور عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت قالت : فقلت : يا حسان ، إن هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن ، وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا مَن وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه ، فأنزل إليه فاقتله ، قال : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ، قالت : فلما قال لى ذلك ، ولم أر عنده شيئًا احتجزت [1] ثم أخذت عمودًا ، ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته . قالت : فلما فرغت منه ، رجعت إلى الحصن ، فقلت : يا حسان ، انزل إليه فاسلبه ، فإنه لم يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل ، قال : ما لى بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب [2] .

خداع نُعيم المشركين : قال ابن إسحاق : وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه ، فيما وصف الله من الخوف والشدة ، لتظاهر عدوهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

قال : ثم إن نُعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفد بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان ، أتى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إنى قد أسلمت ، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى ، فمرنى بما شئت ، فقال رسول الله ﷺ : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب

(١) احتجزت : أى شدت ،وسطيها وتأهبت .

(٢) محمل هذا الحديث عند الناس على أن حسانا كان جباناً شديد الجبن ، وقد دافع عنه بعض العلماء ، وأنكره ؛ وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ، ولو صح هذا لهُجى به حسان فإنه كان يهاجى الشعراء كضرار وابن الزبعرى ، وغيرهما وكانوا يناقضونه ، ويردون عليه ، فما عيَّره أحد منهم بجبن ولا وسمه به فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فربما كان حسان معتلا فى ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال ، وهذا أولى ما تأول .

خُذْعة ، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة ، وكان لهم نديما [1] فى الجاهلية ، قال : يا بنى قريظة ، قد عرفتم ودِّي إليكم ، وخاصة ما بينى وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم [2] ، فقال لهم إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم والبلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ؛ لا تقدرون على أن تحوَّلوا منه إلى غيره ، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة [3] أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبينَ الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم ، يكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه ، فقالوا : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشا ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودِّى لكم ،وفراقى محمداً ، وإنه قد بلغنى أمر قد رأيت علىَّ حقًا أبلغكموه ، نصحاً لكم فاكتموا عنى ، فقالوا : نفعل . قال : تعلموا أن معشر يهود ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم [4] ، فأرسل إليهم أن نعم ، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنًا عن رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحداً ثم خرجٍ حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان إنكم أصلى وعشيرتى وأحب الناس إلىَّ ولا أراكم تتهمونى، قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم ، قال فاكتموا عنى [5] قالوا نفعل ، فما أمرك ؛ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

● **ما أنزل الله بالمشركين :**

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، كان من صنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان [6] إلى بنى قريظة عكـرمة بن أبى جهل [7] فى نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام قد هلك

(١) أى صديقا يحادثهم . (٢) أى موثوق بك .
(٣) أى فرصة . (٤) أى نقتلهم جميعًا ونبيدهم ونقطع جذورهم .
(٥) أى اكتموا سرى .
(٦) رؤوس غطفان : أى زعماء غطفان وقادتهم .
(٧) عكرمة بن أبى جهل أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه .

الخف والحافر (١) فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدًا ، ونفرغ مما بينـنا وبينه ، فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثًا فأصابه ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهنًا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدًا فإنا نخشى إن ضرستكم (٢) الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا (٣) إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل فى بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : والله إن الذى حدثكم به نُعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا إلى بنى قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحدًا من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة ، حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذى ذكر لكم نُعيم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم ، وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم ، فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله لا نقاتل معكم محمدًا حتى تعطونا رهنًا فأبوا عليهم ، وخذل الله بينهم ، وبعث الله عليهم الريح فى ليال شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم (٤) .

استخبار ما حل بالمشركين : قال فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم ، وما فرق الله من جماعتهم ، دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم ، لينظر ما فعل القوم ليلا .

قال ابن إسحاق : فحدثنـــى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان ، يا أبا عبد الله أرأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه ؟ قال : نعم ، يا بن أخى ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا بجهد قال : فقال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض ولحملناه على أعناقنا . قال : فقال حذيفة : يا بن أخى والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق ، وصلى رسول الله ﷺ هُويًا (٥) من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : من

(١) أى هلكت الإبل والخيل ، وهذه كناية ، عبر بالخف عن الإبل ، وعبر بالحافر عن الخيل .

(٢) ضرستكم : أى اشتدت عليكم .

(٣) تنشمروا : أى ترجعوا سراعًا إلى بلادكم .

(٤) تكفأ قدورهم : أى تلقى وتنشر أوعيـة طعامهم ، تطرح ابنيتهم : أى تهدم بيوتهم ؛ وهذا دليل شدة تلك الريح العاصفة .

(٥) هويًا من الليل : أى جزءاً منه .

رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة - أسال الله تعالى أن يكون رفيقى فى الجنة ؟ فما قام رجل من القوم ، من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد ، دعانى رسول الله ﷺ ، فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى ، فقال يا حذيفة اذهب فادخل مع القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، ولا تُحْدِثَنْ شيئا حتى تأتينا . قال : فذهبت فدخلت فى القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقر لهم قدرًا ولا نارًا ولا بناء فقام أبو سفيان ، فقال : يا معشر قريش : لينظر امرؤ من جليسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبى ، فقلت : من أنت؟ قال : فلان ابن فلان .

أبو سفيان ينادى بالرحيل : ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف [١] ، وأخلفتنا [٢] بنو قُريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإنى مرتحل ، ثم قام إلى جمله وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه ، فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله ﷺ إلى « أن لا تحدث شيئا حتى تأتينى » ، ثم شئت لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلى فى مِرْطٍ [٣] . لبعض نسائه ، مراجل [٤] .

فلما رآنى أدخلنى إلى رجليه ، ويطرح علىَّ طرف المرط ، ثم رجع وسجد وإنى لفيه [٥] ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

● انصراف الرسول عن الخندق :

قال ابن إسحاق : ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعًا إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح [٦] .

* * *

(١) الكراع : الخيل ، الخف : الإبل .

(٢) أى أخلفت ما وعدتنا . (٣) المرط : الكساء (نوع من الثياب) .

(٤) قال ابن هشام : المراجل ضرب (نوع) من وشى اليمن .

(٥) أى مغطى بالكساء . (٦) أى تركوا القتال ، وصرف الله عنهم عدوهم .

غزوة بنى قُريظة فى سنة خَمْسٍ

• أَمْرُ الله رسوله ﷺ بحرب بنى قُريظة :

فلما كانت الظهر ، أتى جبريل رسول الله ﷺ كما حدثنى الزُّهْرى ، معتجرا (١) بعمامة من إستبرق (٢) ، على بغلة عليها رحالة (٣)، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أو قد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال جبريل فما وضعت الملائكة السلاح بعدُ ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قريظة ، فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم .

• إعلام الرسول ﷺ المسلمين بالقتال :

فأمر رسول الله ﷺ مؤذنًا ، فأذن فى الناس ، من كان سامعًا مطيعًا ، فلا يصلين العصر إلا ببنى قريظة (٤) .

على يبلغ الرسول ما سمعه من بنى قريظة : قال ابن إسحاق : وقدَّم رسول الله ﷺ على بن أبى طالب برايته إلى بنى قريظة ، وابتدرها الناس . فسار على بن أبى طالب ، حتى إذا دنا (٥) من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ ، فرجع حتى لقى رسول الله ﷺ بالطريق ، فقال : يا رسول الله ، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث ، قال : لم ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى (٦) ؟ قال : نعم يا رسول الله ، قال : لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا . فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم . قال : يا إخوان القردة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ قالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولا .

(١) معتجراً : أى متعمم بعمامة على رأسه فقط .
(٢) الإستبرق : الديباج الغليظ الحسن .
(٣) رَحالة : أى سرج مثل سرج الفرس .
(٤) قال ابن هشام : واستعمل ﷺ ابن أم مكتوم .
(٥) دنا : أى اقترب .
(٦) وهذا من علامة فراسة وفطنة وذكاء النبى ﷺ .

* جبريلُ فى صورة دحْيَةَ الكَلْبى :

ومرَّ رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه بالصورين (١) قبل أن يصل إلى بنى قريظة ، فقال : هل مرَّ بكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله قد مرَّ بنا دحية بن خليفة الكلبى على بغلة بيضاء عليها رحالة ، عليها قطيفة ديباج . فقال رسول الله ﷺ : ذلك جبريل ، بُعث إلى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ، ويقذف الرعب فى قلوبهم .

ولما أتى رسول الله ﷺ بنى قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم ، يقال لها بئر أنا (٢) .

قال ابن إسحاق : وتلاحق به الناس ، فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة ، ولم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ : لا يصلين أحد العصر إلا ببنى قريظة ، فشغلهم ما لم يكن منه بُد فى حربهم ، وأبوا أن يصلوا لقول رسول الله : « حتى تأتوا بنى قريظة » فصلوا العصر بها ، بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك فى كتابه ، ولا عنَّفهم به (٣) رسول الله ﷺ .

---

(١) الصورين : موقع قريب من المدينة .

(٢) قال ابن هشام : بئر أنى .

(٣) وفى هذا من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر الحديث أو آية ، فقد صلت منهم طائفة قبل أن تغرب الشمس ، وقالوا : لم يرد النبى ﷺ إخراج الصلاة عن وقتها ، وإنما أراد الحث والإعجال ، فما عنف أحداً من الفريقين ، وفى هذا دليل على أن كل مختلفين فى الفروع من المجتهدين مصيب ، وفى حكم داود وسليمان فى الحرث أصل لهذا الأصل أيضًا ، فإنه قال سبحانه : « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلماً » ولا يستحيل أن يكون الشىء صواباً فى حق إنسان وخطأً فى حق غيره ، فيكون من اجتهد فى مسألة فأداه اجتهاده إلى التحليل مصيباً فى استحلاله ، وآخر اجتهد فأداه اجتهاده ونظره إلى تحريمها ، مصيباً فى تحريمها ، وإنما المحال أن يحكم فى النازلة بحكمين متضادين فى حق شخص واحد ، وإنما عسر فهم هذا الأصل على طائفتين : الظاهرية والمعتزلة أما الظاهرية فإنهم علقوا الأحكام بالنصوص ، فاستحال عندهم أن يكون النص يأتى بحظر ، وإباحة معاً إلا على وجه النسخ . وأما المعتزلة فإنهم علقوا الأحكام بتقبيح العقل وتحسينه ، فصار حسن الفعل عندهم أو قبحه صفة عين ، فاستحال عندهم أن يتصف فعل بالحسن فى حق زيد والقبح فى حق عمرو، كما يستحيل ذلك فى الألوان والأكوان وغيرهما من الصفات القائمة بالذوات ، وأما ما عدا =

حدثنى بهذا الحديث أبى إسحاق بن يسار عن مَعبد بن كعب بن مالك الأنصارى ·

* الرسول ﷺ يبدأ الحصار :

قال : وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسًا وعشرين ليلة ، حتى جهدهم (١) الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب ·

وقد كان حُيى بن أخْطب دخل مع بنى قُريظة فى حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ·

* كَعْب بنُ أُسيد ينصح قومه :

فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم (٢) ، قال كعب بن أسد لهم : يا معشر يهود ، قد نزل بكم الأمر ما ترون ، وإنى عارض عليكم خلالاً ثلاث (٣) فخذوا أيها شئتم قالوا : وما هى ؟ قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبى مرسل ، وإنه للذى تجدونه فى كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم ، قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدًا ولا نستبدل به غيره قال : فإذا أبيتم على هذه ، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف ، لم نترك وراءنا ثقلاً ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ، ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه ، وأن نظهر فلعمرى لنجد النساء والأبناء ، قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم ؟ قال :

= هاتين الطائفتين من أرباب الحقائق ، فليس الحظر ، والإباحة عندهم بصفات أعيان ، وإنما هى صفات أحكام ، والحكم من الله تعالى يحكم بالحظر فى النازلة على من أداه نظره واجتهاده إلى الحظر ، وكذلك الإباحة والندب والإيجاب والكراهة ، كلها صفات أحكام · فكل مجتهد وافق اجتهاده ، وجها من التأويل ، وكان عنده من أدوات الاجتهاد ما يترفع به عن حضيض التقليد إلى هضبة النظر ، فهو مصيب فى اجتهاده مصيب فى الحكم الذى تعبد به ، وإن تعبد غيره فى تلك النازلة بعينها بخلاف ما تعبد هو به ، فلا بعد فى ذلك إلا على من لا يعرف الحقائق أو عدل به الهوى عن أوضح الطرائق ، عن السهيلى من كتابه الروض الأنف ·

(١) أى أتعبهم ·

(٢) أى يقاتلهم ·

(٣) خلالاً : أى خيارات ، وحلولا ·

فإن أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت (١) ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة ، قالوا : نفسد سبتنا علينا ، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ قال : ما بات منكم أحد منذ ولدته أمه ليلة واحـــدة من الدهر حازمًا ·

قصة أبي لبابة : قال : ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ : أن ابعث إلينا أبا لبابة (٢) بن عبد المنذر ، أخا بني عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس ، لنستشيره في أمرنا ، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم ، فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه ، فرقّ لهم ، وقالوا له : يا أبا لبابة ! أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه ، إنه الذبح · قال أبو لبابة : فوالله مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ﷺ ، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده ، وقال : لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله على مما صنعت ، وعاهد الله : أن لا أطأ بني قريظة أبدا ، ولا أُرى في بلد خنت الله ورســـوله فيه أبدا ·

قال ابن هشام : وأنزل الله تعالى في أبي لبابة ، فيما قال سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي قتادة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾ ·

قال ابن إسحاق فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره ، وكان استبطأه ، قال : أما

(١) هي ليلة مقدسة عندهم لا يقاتلوا فيها ·

(٢) هو رفاعة بن عبد المنذر بن زبير وقيل : اسمه مبشر ، وتاب وربط نفسه حتى تاب الله عليه ، وذكر فيه أنه أقسم ألا يحله إلا رسول الله ﷺ ، وفيه : أنزل الله تعـــالى : ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا** ﴾ ، غير أن المفسرين اختلفوا في ذنبه ما كان فقال ابن إسحاق ما ذكره في السيرة من إشارته على بني قريظة ، وقاله آخرون : كان من المخلّفين الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فنزلت توبة الله عليه في هذه الآية ·

إنه لو جاءنى لاستغفرت له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ·

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط : أن توبة أبى لبابة نزلت على رسول الله ﷺ من السحر ، وهو فى بيت أم سلمة ، فقالت أم سلمة : فسمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك · قالت : فقلت : مم تضحك يا رسول الله ؟ أضحك الله سنك ؟ قال : تيب على أبى لبابة ، قالت : أفلا أبشره يا رسول الله ؟ قال: بلى ، إن شئت · قال : فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب ، فقالت : يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك قال : فثار الناس إليه ليطلقوه [1] فقال : لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يطلقنى بيده ، فلما مر عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه ·

• إسلام بعض بنى هَدْل :

قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سَعْية ، وأُسَيد بن سَعْية ، وأْسد بن عبيد وهم نفر من بنى هَدْل ، ليسوا من بنى قُريظة ، ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ ·

• قصَّة عَمْرو بن سعدى :

وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سعدى القُرظى ، فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سعدى وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدرهم برسول الله ﷺ وقال : لا أغدر بمحمد أبدًا - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمنى إقالة عثرات الكرام ثم خلى سبيله ، فخرج على وجهه حتى بات فى مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا ، فذكر لرسول الله ﷺ شأنه ، فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه · وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بنى قريظة ، حين نزلوا على حكم

(١) أى يطلقوا أسره ، ويفرجوا عنه ·

رسول الله ﷺ فأصبحت رمته ملقاة ، ولا يدرى أين ذهب فقال رسول الله فيه تلك المقالة والله أعلم أى ذلك كان .

تحكيم سعد فى أمر بنى قُريظة : قال فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت فى موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت – وقد كان رسول الله ﷺ قبل بنى قريظة قد حاصر بنى قينقاع . وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبد الله بن أُبى ابن سلول [١] ، فوهبهم له – فلما كلمته الأوس قال رسول الله ﷺ : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال رسول الله ﷺ : فذاك إلى سعد بن معاذ ، وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد ابن معاذ فى خيمة لامرأة من أسلم . يقال لها رفيدة [٢] ، فى مسجده ، كانت تداوى الجرحى ، وتحتسب [٣] بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب . فلما حكم رسول الله ﷺ فى بنى قريظة ، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من أدم [٤] ، وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن فى مواليك ، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : لقد أبى سعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم ، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بنى قريظة ، قبل أن يصل إليهم سعد ، عن كلمته التى سمع منه . فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، قال رسول الله ﷺ : قوموا إلى سيدكم – فأما المهاجرون من قريش ، فيقولون : إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار ، وأما الأنصار ، فيقولون : قد عم بها رسول الله ﷺ – فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله ﷺ قد ولاَّك أمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهد الله

---

(١) سلول : أم عبد الله بن أبى .
(٢) وقيل إنها أنصارية من أسلم ، وهى أول طبيبة فى الإسلام .
(٣) أي تحتسب عملها هذا بلا أجر ابتغاء مرضاة الله ، وترجو الثواب من الله .
(٤) أدم : أى جلد .

وميثاقه ، أن الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا : نعم : وعلى من هاهنا ؟ فى الناحية التى فيها رسول الله ، ، وهو مُعرض عن رسول الله ﷺ إجلالا له ، فقال رسول الله ﷺ نعم ، قال سعد : فإنى أحكم فيهم أن تُقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذرارى والنساء .

* ثناء الرسول ﷺ على حكم سعد بن معاذ :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ ، عن عَلقمة بن وقَّاص الليثي ، قال : قال رسول الله ﷺ لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة (١) .

* قتل بنى قُريظة :

قال ابن إسحاق : ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة فى دار بنت الحارث (٢) ، امرأة من بنى النجار ، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة التى هى سوقها اليوم ، فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم ، فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق يخرج بهم إليه أرسالاً (٣) ، وفيهم عدو الله حُيَىّ بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة ، والمكثر لهم يقول : كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالا : يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ قال أفى كل موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعى لا ينزع ، وإنه من ذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ .

* مَقْتَل حُيَىِّ بن أَخْطب :

وأتى بحيى بن أخطب عدو الله ، وعليه حُلَّة له فقاحية (٤) .

قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لئلا يسلبها ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال : أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك

---

(١) أى سبع سماوات .

(٢) واسمها : كيسة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس ، وكانت تحت (أى زوجة) مسيلمة الكذاب ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز .

(٣) أرسالاً : أى طائفة أو جماعة وراء أخرى .

(٤) تشبه لون الورد حين يبدو تفتحه .

ولكنه من يخذل الله يُخذل (١) ، ثم أقبل على الناس : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعندى تحدث معى ، وتضحك ظهراً وبطنا ، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها فى السوق ، إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت لها : ويلك ، مالك ؟ قالت : أقتل ، قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ، قالت : فانطلق بها ، فضرب عنقها ، فكانت عائشة تقول فوالله ما أنسى عجابا منها ، طيب نفسها ، وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تقتل (٢) .

قصة الزبير بن باطا : قال ابن إسحاق : وقد كان ثابت بن قيس بن الشماس ، كما ذكر لى ابن شهاب الزهرى ، أتى الزبير (٣) بن باطا القرظى ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن - وكان الزبير قد منَّ على ثابت بن قيس بن شماس فى الجاهلية ذكر لى بعض ولد الزبير أنه كان منَّ عليه يوم بُعاث (٤) ، أخذه فجز ناصيته ، ثم خلى سبيله - فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هلى تعرفنى ؟ قال : وهل يجهل مثلى مثلك ، قال : إنى قد أردت أن أجزيك بيدك عندى ، قال : إن الكريم يجزى الكريم ، ثم جاء ثابت بن قيس رسول الله ﷺ .

فقال يا رسول الله إنه قد كانت للزبير على منَّة . وقد أحببت أن أجزيه بها . فهب لى دمه ، فقال رسول الله ﷺ : هو لك ، فأتاه فقال : إن رسول الله ﷺ قد وهب لى دمك ، فهو لك ، قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما

(١) وهذا اعتراف من الأعداء بأن الله يؤيد نبيه ومن ينصر الله ينصره ، والفضل ما شهدت به الأعداء .

(٢) قال ابن هشام : وهى التى طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته .

(٣) هو الزَّبِير بفتح الزاى وكسر الباء جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور فى الموطأفى كتاب النكاح ، واختلف فى الزبير بن عبد الرحمن ، فقيل الزبير بفتح الزاى وكسر الباء كاسم جده وقيل الزُّبير ، وهو قول البخارى فى التاريخ .

(٤) يوم بُعاث : من أيام العرب الشهيرة وفيه دارت حرب بين قبيلتى الأوس والخزرج فى يثرب .

يصنع بالحياة ؟ قال: فأتى ثابت رسول الله ، فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، هب لى امرأته وولده ، قال : هم لك . قال : فأتاه فقال : قد وهب لى رسول الله ﷺ أهلك وولدك ، فهم لك ، قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، ماله ، قال : هو لك فأتاه ثابت فقال : قد أعطانى رسول الله ﷺ مالك ، فهو لك ، قال يا ثابت ، ما فعل الذى كأن وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عذارى الحى ، كعب بن أسد ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى حُيَى بن أخطب ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل مقدمتنا إذا شددنا ، وحاميتنا إذا فررنا عزال بن سموأل ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة ، قال : ذهبوا قُتلوا قال : فإنى أسألك يا ثابت بيدى عندك إلا ألحقتنى بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير فيما أنا بصابر لله فتلة دلو ناضح (١) حتى ألقى الأحبة فقدمه ثابت ، فضرب عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله : ألقى الأحبة. قال يلقاهم والله فى نار جهنم خالدًا فيها مخلدًا .

* قصة عطية ورفاعة بن سَمْوأل القرظيين :

قال ابن إسحاق : وحدثنى شُعْبة بن الحجاج ، عن عبد الملك بن عُمَير ، عن عطية القُرظى ، قال : كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يُقتل من بنى قُريظة كل من أنبت منهم (٢) وكنت غلامًا . فوجدنى لم أنبت . فخلوا سبيلى (٣) .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صَعْصَعة أخو بنى عدى بن النجار : أن سلمى بنت قيس ، أم المنذر ، أخت سُلَيط بن قيس -

---

(١) الناضح : الحبل . والمعنى مقدار ما يأخذ الرجل الدلو ليصبها فى الحوض .

(٢) أنبت منهم : أى ظهر الشعر على عانته وهو من علامات البلوغ .

(٣) وهذا دليل واضح الدلالة على رحمة الإسلام الذى حرَّم قتل الشيوخ والنساء التى لم تحارب ، والأطفال الذين لم يبلغوا ، ومن لم يكن فى أرض المعركة ، يالها من أخلاق سامية وسماحة عالية !

وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ ، قد صلت معه القبلتين [١] وبايعته بيعة النساء - سألته رفاعة بن سَمْوَآل القُرَظِي ، وكان رجلاً قد بلغ : فلاذ بها وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت يا نبى الله ، بأبى أنت وأمى ، هب لى رفاعة فإنه قد زعم أنه سيصلى ويأكل لحم الجمل ، قال : فوهبه لها ، فاستحيته .

تقسيم الفىء : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين . وأُعلم فى ذلك اليوم سُهمان الخيل [٢] وسهمان الرجال وأخرج منها الخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفرس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل [٣] من ليس له فرس ، سهم . وكانت الخيل يوم بنى قريظة ستة وثلاثين فرسا ، وكان أول فئ وقعت فيه السُّهمان ، وأخرج منها الخمس ، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنة فى المغازى .

ثم بعث رسول الله ﷺ مع سعد بن زيد الأنصارى أخا بنى عبد الأشهل سبايا [٤] من سبايا بنى قريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا .

إسلام رَيْحَانة : قال : وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خُنافة ، إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة ، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفى عنها وهى فى ملكه [٥] ، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها ، ويضرب عليها الحجاب ، فقالت : يا رسول الله ، بل تتركنى فى ملكك ، فهو أخف على وعليك ، فتركها . وقد كانت حين سباها قد تعصت بالإسلام ، وأبت إلا اليهودية ، فعزلها رسول الله ﷺ ، ووجد فى نفسه لذلك من أمرها ، فبينما هو مع أصحابه ، إذ سمع وقع نعلين خلفه ، فقال : إن هذا

---

(١) أى صلت مع رسول الله ، إلى اتجاه بيت المقدس القبلة الأولى ، ثم عاشت حتى أمر الرسول ﷺ بتحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة بمكة المكرمة ، وعبارة صلت معه القبلتين تدل على إسلامها المبكر .

(٢) أى جعل للفرس سهمين من الفىء والغنيمة .

(٣) الراجل : أى الذى يسير مترجلاً أى على رجله (قدمه) .

(٤) السبايا : الأسارى .

(٥) أى جاريته وليست بزوجته .

لثعلبة بن سعية يبشرني بإسلام ريحانة [١] ، فجاءه فقال يا رسول الله ، قد أسلمت ريحانة ، فسره ذلك من أمرها .

ما نزل من القرآن في الخندق وبني قريظة : قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى في أمر الخندق ، وأمر بني قريظة من القرآن ، القصة في الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونعمته عليهم ، وكفايته إياهم حين فرَّج ذلك عنهم ، بعد مقالة من قال من أهل النفاق : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً** ﴾ [٢] . والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة ، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة ، يقول الله تعالى : ﴿ **إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا** ﴾ [٣] . فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة ، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وغطفان يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً** ﴾ لقول : معتب بن قشير إذ يقول ما قال : ﴿ **وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً** ﴾ لقول أوس بن قيظي ومن كان على رأيه من قومه : ﴿ **ولو دخلت عليهم من أقطارها** ﴾ أي المدينة [٤] .

﴿ **ثم سئلُوا الفتنة** ﴾ أي : الرجوع إلى الشرك : ﴿ **لأتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً * ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا** ﴾ فهم بنو حارثة ، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أُحد مع بني سلمة حين همتا بالفشل يوم أُحد ، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبدًا ، فذكر لهم الله الذي أعطوا من

---

(١) وهذا من مبشرات الرسول ومن دلائل نبوته ؛ وصدق الله إذ يقول : ﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ .

(٢) سورة الأحزاب : ٩ .

(٣) سورة الأحزاب : ١٠ .

(٤) قال ابن هشام : الأقطار الجوانب ، وواحدها قطر ، وهي الأقتار وواحدها قتر . انظر سيرة ابن هشام .

أنفسهم ، ثم قال تعالى : ﴿ **قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذًا لا تمتعون إلا قليلاً قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءًا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرًا * قد يعلم الله المعوقين منكم** ﴾ : أى أهل النفاق : ﴿ **والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا** ﴾ : أى إلا دفعاً وتعذيراً (١) : ﴿ **أشحةً عَلَيْكُمْ** ﴾ ، أى للضغن (٢) الذى فى أنفسهم . ﴿ **فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت** ﴾ . أى إعظامًا له وفرقًا منه . ﴿ **فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد** ﴾ (٣) أى فى القول بما لا تحبون ، أنهم لا يرجون آخرة ، ولا تحملهم حَسبة (٤) ، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده .

﴿ **يحسبون الأحزاب لم يذهبوا** ﴾ قريش وغطفان : ﴿ **وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسئلون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا** ﴾ .

ثم أقبل على المؤمنين فقال : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ : أى لئلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكان هو به .

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به ، فقال : ﴿ **ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما** ﴾ : أى صبرا على البلاء وتسليما للقضاء ، وتصديقا للحق ، لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله ﷺ ثم قال : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه** ﴾ : أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم بدر ويوم أُحد .

قال ابن إسحاق : ﴿ **ومنهم من ينتظر** ﴾ أى ما وعد الله به من نصره ، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه . يقول الله : ﴿ **وما بدّلوا تبديلاً** ﴾ أى ما

---

(١) التعذير : هو فعل الشىء بغير نية كى يعذره الناس .

(٢) الضغن : أى الحقد والغل .

(٣) سورة الأحزاب : الآيات ١١ - ١٩ .

(٤) حُسبة : أى عمل الشىء ابتغاء مرضاة الله وادخار الأجر عند الله .

شكوا وما ترددوا فى دينهم ، وما اســتبدلوا به غيره ﴿ **ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذِّب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيمًا * وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم** ﴾ أى قريشًا وغطفان : ﴿ **لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويًا عزيزاً * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب** ﴾ أى بنى قريظة ﴿ **من صياصيهم** ﴾ ، والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها .

قال ابن إســحاق : ﴿ **وقذف فى قلوبـــهم الرعب فريقًا تقتلون وتأسرون فريقًا** ﴾ : أى قتل الرجال ، وســـبى الذرارى والنساء ، ﴿ **وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضًا لم تطئوها** ﴾ : يعنى خيـــبر ، ﴿ **وكان الله على كل شيء قديراً** ﴾ [1] .

إكرام سعد فى موته : قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه ، فمات منه شهيداً .

قال ابن إسحاق : حدثنى معاذ بن رفاعة الزرقى ، قال : حدثنى من شئت من رجال قومى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد ، من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء ، واهتز له العرش [2] ؟ قال : فقام رسول الله ﷺ سريعاً يجر ثوبه إلى سعد ، فوجده قد مات .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عَمرة بنت عبد الرحمن

---

(١) سورة الأحزاب : الآيات ٢٠ - ٢٧ .

(٢) حديث اهتزاز العرش ثابت من وجوه وفى بعض ألفاظه أن جبريل عليه السلام نزل حين مات سعد معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ وفى حديث آخر قال عليه السلام : لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطئوا الأرض قبلها ، ويذكر أن قبره وجد منه رائحة المسك ، وقال عليه الصلاة والسلام : لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا منها سعد .

وقد تكلم الناس فى معناه ، وظنوا أنه مشكل ، وقال بعضهم : الاهتزاز هاهنا بمعنى الاستبشار بقدوم روحه ، وقال بعضهم : يريد حملة العرش ومن عنده من الملائكة ، استبعاداً منهم لأن يهتز العرش على الحقيقة ، ولا بعد فيه ، لأنه مخلوق ، وتجوز عليه الحركة ، والهزة ولا يعدل عن ظاهر اللفظ : ما وجد إليه سبيل ، وحديث اهتزاز العرش لموت سعد صحيح ، قال أبو عمر : هو ثابت من طرق متواترة ، وما روى من قول البراء بن عازب فى معـناه : =

قالت : أقبلت عائشة قافلة [١] من مكة ، ومعها أسيد بن حُضير ، فلقيه موت امرأة له ، فحزن عليها بعض الحزن ، فقالت له عائشة : يغفر الله لك يا أبا يحيى ، أتحزن على امرأة وقد أُصبت بابن عمك ، وقد اهتز له العرش ·

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن الحسن البصرى ، قال : كان سعد رجلاً بادنا [٢] ، فلما حمله الناس وجدوا له خفة ، فقال رجال من المنافقين والله إن كان لبادنا وما حملنا من جنازة أخف منه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : إن له حملة غيركم والذى نفسى بيده ، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى معاذ بن رفاعة ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح · عن جابر بن عبد الله ، قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ سبّح رسول الله ﷺ فسبح الناس معه ، ثم كبَّر فكبر الناس معه ، فقالوا : يا رسول الله ، مِمَّ سبَّحت ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرَّج الله عنه ·

قال ابن إسحاق : ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرش الله من موت هالك ... سمعنا به إلا لسعد أبى عمرو

وقالت أم سعد [٣] ، حين احتمل نعشه وهى تبكيه :

ويلُ أم ســـعدٍ سعدَا ... صَرامة وَجِـدًّا

= أن سرير سعد اهتز لم يلتفت إليه العلماء ، وقالوا : كانت بين هذين الحيين من الأنصار ضغائن ، وفى لفظ الحديث : اهتز عرش الرحمن ، رواه أبو الزبير عن جابر يرفعه ، ورواه البخارى من طريق الأعمش عن أبى صالح وأبى سفيان كلاهما عن جابر ، ورواه من الصحابة جماعة غير جابر منهم ، أبو سعيد الخدرى ، وأُسيد بن حضير ، ورميثة بنت عمرو ، ذكر ذلك الترمذى ، والعجب لما روى عن مالك رحمه الله من إنكاره للحديث ، وكراهيته للتحدث به مع صحة نقله وكثرة الرواة له لم تصح عن مالك ، انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد ٢ / ٢٨٣ ، وما بعدها ·

(١) أى راجعة أو عائدة ·

(٢) أى بديناً أو سمينًا يريد ضخم الجسم ·

(٣) قال ابن هشام : هى كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر ·

وُسوددًا ومجـدًا وفارسـًا مُعدًّا

سُد به مَسـدًّا يَقد هامـا قَدًّا

يقول ﷺ : « كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ » (١) .

* * *

(١) وذلك لأنها كانت صادقة فى شعورها نحوه وصدقها فيما قالت وما قالته نفاقاً ولا مدحًا لأجل مال أو شهرة وإنما جاءت كلماتها من القلب دون تكلف فى رجل يستحق ذلك الرثاء.

الشُّهَدَاء يَوم الخَنْدَق

قال ابن إسحاق : ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر ·

من بنى عبد الأشهل : سعد بن معاذ ، وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل · ثلاثة نفر ·

ومن بنى جشم بن الخزرج ، ثم من بنى سلمة : الطفيل بن النعمان ، وثعلبة ابن غنيمة · رجلان ·

ومن بنى النجار ، ثم من بنى دينار : كعب بن زيد ، أصابه سهم غرب [(١)] ، فقتله ·

* قتلى المشركين :

وقتل من المشركين ثلاثة نفر :

من بنى عبد الدار بن قُصى : مُنَبّة بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار ، أصابه سهم ، فمات منه بمكة ·

قال ابن إسحاق : ومن بنى مخزوم بن يقظة : نوفل بن عبد الله بن المغيرة ، سألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده ، وكان اقتحم الخندق ، فتورط فيه فقتل ، فغلب المسلمون على جسده فقال رسول الله ﷺ : لا حاجة لنا فى جسده ولا بثمنه ، فخلى بينهم وبينه [(٢)] ·

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر بن لُؤى ، ثم من بنى مالك بن حسل : عمرو بن عبد وُدّ قتله على بن أبى طالب رضوان الله عليه ·

* * *

---

(١) قال ابن هشام : سهم غرب أى الذى لا يعرف من أين جاء ولا من أين رمى به ·
(٢) وهذا يبين إلى أى مدى عظمة وسماحة الإسلام وعدم التمثيل بالميت ·

الشهداء يوم بنى قُريظة

قال ابن إسحاق : واستشهد يوم بنى قريظة من المسلمين ثم من بنى الحارث بن الخزرج ، خلاَّد بن سُويد بن ثَعلبة بن عمرو ، طُرحت عليه رحى [(١)] ، فشدخته شدخًا شديدًا ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : إن له لأجر شهيدين ·

ومات أبو سِنان بن مُحْصن بن حرثان ، أخو بنى أسد بن خزيمة ، ورسول الله ﷺ محاصر بنى قريظة ، فدفن فى مقبرة بنى قريظة التى يدفنون فيها اليوم [(٢)] وإليه دفنوا أمواتهم فى الإسلام ·

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق ، قال رسول الله ﷺ فيما بلغنى : لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو الذى يغزوها « حتى فتح الله عليه مكة » [(٣)] .

* * *

(١) الرَّحا : الأداة التى يُطحن بها ، وهى حجران مستديران يوضع أحدهما على الآخر ويدار الأعلى على قطب ، والجمع أرحاء وأرحية · انظر المعجم الوجيز ص ٢٥٩ ·

(٢) أى أيام ابن إسحاق ·

(٣) وهذه من أعلام ودلائل النبوة أى المبشرات التى حدَّث بها الرسول ﷺ أنها ستحدث فى المستقبل وحدثت بالفعل كما أخبر ·

ما قيل من الشعر فى أمر الخندق وبنى قريظة

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

* **شعر كعب بن مالك :**

مَنْ سره ضَربٌ يمعمـــع بَعْضُه ... بَعْضًا كمعمـــعة الأباء المحرَّق (١)
فَلتأت مأســـدة تُسن سيُوفُها ... بَيْنَ المذادِ وبَين جزع الخندق (٢)
دَرَبُوا بضرب المعلمـــين وأسلموا ... مُهجات أنفسهـــم لرب المشرق
فى عُصبـــة نَصَر الإله نبيهُ ... بهمْ وكـــان بعَبْده ذَا مَرفَق
فى كُلِّ سَابغة تَخط فُضولهـــا ... كَالنهى هَبَّتْ رِيحهُ المترقرق (٣)
بَيْضاءَ مُحكَمـــة كأن قَتيرَها ... حَدق الجنادُب ذَات شك موثق (٤)
جَدْلاَء يَحفزُهَا نَجـــادٌ مُهَنَّدٌ ... صَافى الحديدة صَارمٌ ذى رَونَق (٥)
تلكم مع التقوَى تكـــون لباسُنَا ... يَوْمَ الهيَاج وكل سَاعة مَصْـــدق
نَصل السيـــوف إذا قَصرن بخَطونا ... قُدمـــا ونَلحقها إذَا لم نُلْحق
فَترى الجمـــاجم ضَاحيا هَاماتها ... بَلْه الأكُفّ كَأنهـــا لم تَخلَق (٦)
نَلقى العَدُوَّ بِفَخْمة مَلمـــومَة ... تَنفى الجموع كَقَصْدِ رَأس المشْرِق (٧)

---

(١) المعمعة : صوت اتقاد النار . الأباء : الأغصان الملتفة .

(٢) المأسدة : المكان الكثير الأسود ويريد هنا مكان الحرب . المذاد : مكان حفر الخندق .

(٣) السابغة : الدروع الكاملة . تخط نضولها : ينجر على الأرض ما زاد منها . النهى : غدير الماء .

(٤) القتير : مسامير الدروع . الجنادب : جمع جندب ، نوع صغير من الجراد ، والشك : إحكام فى الصنع . موثق : قوية .

(٥) الجدلاء : الدرع القوية النسج . يحفزها : يرفعها . النجاد : حمائل السيف . رونق السيف : طلاوته وصفاؤه وبريقه .

(٦) بله : اسم فعل بمعنى اترك

(٧) الملمومة : المجتمعة . أى كتيبة مجتمعة .

وَنُعِدُّ للأَعْدَاءِ كُلَّ مقلصٍ ... وَرد ومَحْجُول القَوَائِم أبلق (١)
تَردى بِفُرسَانٍ كَأنّ كَماتهم ... عِنْدَ الهياج أسود طَل ملْثَق (٢)
صُدق يُعاطُون الكُماة حتُوفهمْ ... تحت العمَاية بالوشيج المزهق (٣)

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق أيضًا :

لَقَد عَلِمَ الأَحْزَاب حِينَ تَألَّبوا ... عَلينا وَرَاموا دِينَنَا مَا نُوادعُ
أَضَاميم من قيس بن عيلان أصفقت ... وخندق لم يدروا بما هو واقعُ (٤)
يزودُونَنَا عن ديننا وَنَزودُهُمْ ... عَن الكُفْرِ والرّحمن راءٍ وسَامِعُ
إِذَا غَايظُونا فِى مُقَامٍ أَعَانَنَا ... علَى غَيْظِهِم نَصر من الله وَاسعُ
وَذلك حِفْظُ الله فينا وفضلُه ... علينا ومن لم يحفظ الله ضَائِعُ
هدانا لدين الحق واختاره لنا ... والله فوق الصانعين صَنَائِعُ

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق أيضًا :

أَلاَ أَبْلِغْ قُرَيْشًا أن سَلمًا ... وَمَا بين العُرِيضِ إلى الصِّماد (٥)
نَواضِح فى الحروب مُدَرَّبات ... وخوص ثُقِّبتْ مِنْ عَهْد عَاد (٦)
رَوَاكِد يزْخر المرَّار فيها ... فَليست بِالجَمام ولا الثِّماد (٧)
كَأن الغَاب والبَرديَّ فيها ... أجَش إذا تَبَقّع للحَصَاد (٨)
ولَم نَجْعَل تِجارَتَنا اشتراءَ الـ ... حمير لأرض دوس أو مُرادِ
بَلادٍ لَم تُثَر إلا لكيما ... نُجالد إن نشطتم للجلادِ

(١) مقلص : الفرس الخفيف . والورد : الأحمر الضارب إلى الصفرة . ومحجول القوائم : فى قوائمه بياض .
(٢) الطل : المطر الضعيف .
(٣) العماية : ظلمة الغبار . الوشيج : الرماح .
(٤) أضاميم : جماعات ، أصفقت : اجتمعت على أمر .
(٥) سلع : جبل بالمدينة . والعريض : واد بالمدينة .
(٦) نواضح : حدائق تسقى بالنضح . خوص : آبار ضيقة .
(٧) المرار : نهر . الجمام . الآبار كثيرة الماء . الثماد : الماء القليل .
(٨) الأجش : العالى الصوت . تبقع : صار فيه بقع علامة النضج .

أثرنا سكـــة الأنْبَاطِ فِيهَا ... فَلم تَر مِثْلهَا جَلْهات وَادِ (١)
قَصرنا كل ذِى حُضْرٍ وَطول ... عَلى الغَايات مُقْتَدرٍ جَوادِ (٢)
أجيبونا إلـــى ما نجتديكم ... من القول المُبَيَّن والسداد (٣)
وإلا فَاصبـــروا لجلاد يوم ... لَكم منا إلى شَطْـــر المذاد (٤)
نُصبِّحكم بكل أَخـــى حُروب ... وكل مَطهَّـــم سَلس القياد
وكُل طمرَّة خفـــق حَشاهَا ... تَدف دَفيف صفـــراء الجراد (٥)
وكُل مُقلَّـــص الآراب نَهْد ... تَميم الخلق من أُخر وهادى (٦)
خيولٌ لاتُضـــاع إذَا أُضيعَتْ ... خيُولُ الناس فى السنـــة الجماد
يُنَازعْنَ الأَعِنَّـــة مُصْغيات ... إذا نادى إلـــى الفَزعِ المنادى
إذَا قَالتْ لنا النذر استَعدُّوا ... تَوكَّلنا علـــى رَبِّ العبَاد
وَقُلنا لَنْ يَفرج مَا لقِينـــا ... سِوى ضَرْب القَوانس والجهاد (٧)
فلم تَر عُصْبَة فِيمـــن لقَينا ... من الأَقْوامِ مـــن قار وبادى
أشد بسَالة منـــا إذا مَا ... أَرَدْناه وألين فـــى الوداد
إذا ما نَحنُ أَشْرجنـــا عليها ... جياد الجدْل فى الأَرب الشداد (٨)
قذفنا فى السَوابغ كـــل صقْرٍ ... كَريـــم غَيْر مَعْتَلث الزِّناد

(١) السكة : النخيل المصطف . جلهات وادى . ما كشفت عنه السيول فأبرزته .
(٢) الحضر : الجرى . وذو الحضر : يريد الخيل .
(٣) نجتديكم : نسألكم .
(٤) الشطر : الناحية . والمذاد : حيث حفر الخندق بالمدينة .
(٥) الطمرة : الفرس الوثوب القوية . تدف : تقول دف الطائر : إذا حرك جناحيه .
صفراء الجراد : هى التى ألقت بيضها فهى خفيفة فى طيرانها .
(٦) المقلص : الشديد . الآراب : قطع اللحم . النهد : الغليظ ، والهادى : العنق .
أى : كريم من أوله إلى آخره .
(٧) القوانس : أعالى بيض الحديد .
(٨) أشرجنا : ربطنا ، الجدل : الدروع المحكمة النسج ، الأرب : العقد الشديدة .

أشم كأنهُ أســـــدٌ عَبُوسٌ غَداة بدَا بِبطــــن الجَزع غَادى
يَغشّى هَامة البطـــل المذكى صَبى السيــف مسترخى النجاد (١)
لِنُظهر دينـــك اللَّهُمَّ إنا بِكفك فَاهـــدنا سُبل الرشَادِ

* رثاء مُسَافعٌ عمرو بن عبد وُدٌّ :

قال ابن إسحاق : وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حُذَافة بن جمح ، يبكى عمرو بن عبد وُد ، ويذكر قتل على بن أبى طالب إياه :

عَمرو بـــن عَبدٍ كَان أول فَارس جَزْعَ المذاد وكـــان فَارس يَلْيَلِ (٢)
سمح الخــلائق مَاجدٌ ذُو مرَّة يبغى القتَال بِشكـــة لم ينكلِ
ولَقد عَلمتـــم حيَن ولَّوا عَنكم أن ابن عبدٍ فيهـــم لم يَعْجَلِ
حَتى تكنـــفه الكُماة ،وكلهم يَبغى مقَاتله وليـــس بمؤتلى (٣)
ولَقَدْ تكنَّفـــت الأسنَّة فارسًا بِجنوبِ سَلْعٍ غَـــيرِ نكسٍ أمْيَلِ
تَسلِ النِّزَال علـــى فَارس غَالبٍ بَجنوب سَلْع ، ليتـــه لم ينْزلِ
فَاذهب عليٌّ فَمـــا ظَفرتَ بمثله فَخرًا ولا لاقيـــت مثْل المعْضلِ
نَفسى الفِداءُ لِفَارسٍ مِـــنْ غَالبٍ لاقى حِمَامَ الموتِ لَمْ يَتَحلْحَلِ (٤)
أعنى الذى جَزع المذاد بِمهره طلبًا لثأر معـــاشر لم يخذلِ

* هُبيرة يُرثى عمرو بن عبد ودٌّ :

قال ابن إسحاق : وقال هبيرة بن أبى وهب يعتذر عن فراره ، ويبكى عَمرًا ويذكر قتل على إياه :

لَعَمرِى مَا ولَيت ظَهْرى مُحَمدًا وأصْحَابَهُ جُبْنا ولاخِيفـــة القتْلِ
ولَكنَنى قَلبتُ أمـــرى فَلم أجدْ لِسَيْفى غَناء إن ضَـــربت ولا نَبْلِى

---

(١) المذكى : شديد القوة ، صبى السيف : وسطه ، النجاد : حمائل السيف .
(٢) جزع : أى قطع ، المذاد : مكان بالمدينة حيث بُنى الخندق ، يليل : واد فى بدر .
(٣) ليس بمؤتلى : أى ليس بمقصر . (٤) لم يتحلحل : أى لم يتزحزح ولم يهرب .

وَقَفْتُ فَلما أَجِدْ لِى مَقــــدمًا ... صَدرْتُ كَضُرغَامٍ هزبر أَبى شَبْلِ (١)
ثنَى عطْفه عَنْ قَرنهِ حَين لم يَجِدْ ... مكرًا وقدمًا كان ذلك من فعلى
فَلا تَبْعُدن يَا عَمــــرو حيًّا وهالكًا ... وحق لحُسن المدحِ مِثْلُكَ من مثلِى
ولا تَبْعُدَنَّ يَا عَمــــرو حيًّا وهالكًا ... فقد بِنْتَ محمود الثنا ماجد الأصلى (٢)
فَمن لِطرا الخَيْلِ تَقْدَعَ بالقَنـــــــ ... وللفخر يومًا عند قَرْقَرة البزلِ (٣)
هُنَالك لَو كان ابــــن عبدٍ لزارها ... وَفَرجها حقًّا فَتى غَيْر مَا وَغــــلِ (٤)
فَعنكَ عليٌّ لا أرى مثــــل موقف ... وقفتَ على نجد المقـــــدم كالفحلِ (٥)
فما ظفرت كفــــاك فخرًا بمثله ... أمنت به ما عشـــت من زلة النعلِ (٦)

*** فَخْر حسان بن ثابت بقتل عمرو:**

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا فى شأن عمرو بن عبد وُد :

أَمسى الفَتى عَمْرو بنُ عبدٍ يَبْتَغِى ... بَجنوب يَثْربَ ثَارِه لم ينظرِ
فَلقد وَجَـــــدتَ سيُوفَنا مَشْهُورَةً ... ولَقَد وَجَدْت جِيَادنا لـــــــم تُقْصَرَ
وَلقد لَقِيتَ غَـــــداة بدرٍ عُصْبَةً ... ضَرَبُوك ضربًا غيـــر ضَرب الحسرِ (٧)
أَصبحـــــت لا تُدعى لِيَومٍ عَظِيمَةٍ ... يا عَمرو أو لجَسيــــــم أمرٍ مُنْكَرِ

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا :

---

(١) الهزبر : الشديد القوى ، الشبل : ولد الأسد .
(٢) الثنا : السيرة الحسنة والذكرى الطيبة .
(٣) قرقرة البزل : أصوات الإبل الكريمة .
(٤) الوغل : الفاسد .
(٥) عنك : اسم فعل أمر بمعنى ابتعد .
(٦) الحق يقال أن كل ما قيل من شعر تمجيدًا ومدحًا فى عمرو بن عبد ودَ كان بحق شهادة تقدير للإمام على كرم الله وجهه ، ورضى عنه - ودليلا على بطولته وشجاعته ، وأنه كان نصرًا للإسلام ومثله كل صحابة رسول الله ﷺ .
(٧) الحسر : أى الذى لا درع له .

أَلا أَبْلِغْ أبَا هِدْمٍ رَسُــــــولاً مُغَلْغلة تَخِبُ بِـهـــــا المطِىُّ [(١)]
أَكنتُ وليكـــــــم فى كل كُره وَغيرى فى الرخـــــاء هو الولىُّ
ومنكـــــــم شَاهِد ولقد رآنى رُفعت له كـــــما احتمل الصبىُّ

*** حسان يبكى سعد بن معاذ :**

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت فى يوم بنى قُريظة يبكى سعد بن معاذ ويذكر حكمه فيهم :

لَقد سَجـــمَتْ من دَمْعِ عَينى عَبْرةٌ وَحق لَعينـــى أَن تَفيضَ عَلى سَعْدِ
قَتيل ثَوى فـــى مَعرك فُجعت به عُيون ذُوارِى الدمـع دَائِمة الوجدِ [(٢)]
عَلى ملَّة الرحـــمن وَارث جَنَّةٍ مَع الشهـــداء ، وفدها أكرم الوفدِ
فَإن تَكُ قـــد وَدعتنا وَتركتنا وأَمْسَيت فـــى غَبْراءَ مَظلمة اللحدِ
فَأنت الـــذى يا سَعْدُ أَبتَ بمشهدِ كَريم وأثـــواب المكارم والحمدِ
بحكمك فـــى حَيَّى قُريظة بالذى قَضى الله فيهــم ما قَضيتُ على عَمْدِ
فَوافق حُكْمَ الله حكْمُك فِيهـــم ولَم تعف إذ ذُكرت ما كان من عَهْدِ
فَإن كان رَيبُ الدهر أمضـاك فى الأُلى شروْا هـــذه الدنيا بجناتها الخلدِ
فَنعمَ مَصِير الصَّادِقـــين إذا دَعوا إلى الله يوما للوجـــاهة والقصدِ

* * *

(١) المغلغلة : الرسالة الخطية المحمولة من بلد إلى بلد .
(٢) ذوارى : أى ساكبة .

مَقْتَلُ سلاَّم بن أبى الحُقيق (١)

قال ابن إسحاق : ولما انقضى شأن الخندق ، وامر بنى قُريظة ، وكان سلاَّم بن أبى الحقيق ، وهو أبو رافع فيمن حزَّب الأحزاب (٢) على رسول الله ﷺ ، وكانت الأوس قبل أحد قتلت كعب بن الأشرف ، فى عداوته لرسول الله ﷺ وتحريضه عليه ، استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ فى قتل سلام بن أبى الحقيق ، وهو بخيبر فأذن لهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهرى ، عن عبد الله ابن كعب بن مالك قال : وكان مما صنع الله به لرسول الله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار : الأوس والخزرج ، كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين ، لا تصنع الأوس شيئا عن رسول الله ﷺ غناء إلا قالت الخزرج : والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله ﷺ وفى الإسلام . قال : فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف فى عداوته لرسول الله ﷺ ، قالت الخزرج : والله لا تذهبون بها فضلا علينا أبدًا ، قال : فتذكروا : من رجل لرسول الله ﷺ فى العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبى الحقيق ، وهو بخيبر فاستأذنوا رسول الله ﷺ فى قتله ، فأذن لهم .

الذين قتلوا ابن أبى الحقيق :

فخرج إليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عُتيك ، ومسعود بن سنان وعبد الله بن أُنيس ، وأبو قتادة ، الحارث بن ربعى ، وخُزاعى بن أسود ، حليف لهم من أسلم . فخرجوا وأمر عليهم رسول اللهَ ﷺ عبد الله بن عتيك ، ونهاهم عن أن يقتلوا وليدًا أو امرأة ، فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر ، أتوا

---

(١) كان من اليهود المعاندين أشد العناد والمعادين أشد العداوة لرسول الله ﷺ وللمسلمين فأراحهم الله منه .

(٢) حزَّب الأحزاب : أى هو الذى تسبب فى جمعهم ضد الرسول وتأليبهم عليه .

دار ابن أبى الحقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتا فى الدار إلا أغلقوه على أهله ، قال : وكان فى عليَّة له إليها عجلة [١] قال : فأسندوا فيها ، حتى قاموا على بابه فأستأذنوا عليه ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : ناسٌ من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم ، فادخلوا عليه ، قال : فلما دخلنا عليه ، أغلقنا علينا وعليها الحجرة ، تخوفا أن تكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه ، قالت : فصاحت امرأته فنوَّهت [٢] بنا وابتدرناه ، وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله ما يدلنا عليه فى سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية [٣] ملقاة . قال : ولما صاحت بنا امرأته ، جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ، ثم يذكر نهى رسول الله ﷺ فيكف يده [٤] ، ولولا لذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه فى بطنه حتى أنفذه ، وهو يقول : قَطْنِى قَطْنِى : أى حسبى حسبى ، قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيء البصر قال : فوقع من الدرجة فوثئت [٥] يده وثئًا شديدًا [٦] ، وحملناه حتى نأتى به منهـرًا من عيونهم ، فندخل فيه . قال : فأوقدوا النيران ، واشتدوا فى كل وجه يطلبوننا قال : حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه وهو يقضى بينهم . قال فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكـم فانطلق حتى دخل فى الناس ، قال : فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفى يدها المصباح تنظر فى وجهه ، وتحدثهم وتقول أما والله فلقد سمعت صوت ابن عُتيك ، ثم أكذبت نفسى

(١) العجلة : جذع النخلة ينقر فى أماكن منه للصعود عليه .

(٢) نوهت : شهرت .

(٣) القبطية : ثياب بيض كانت تصنع فى مصر .

(٤) وهنا يتضح لنا جليًا كيف كان الصحابة يطبقون تعاليم الإسلام ورسول الإسلام دون تَزَيُّد منهم أو اجتهاد ، ويتضح أيضًا مدى ورعهم وتقواهم فى تنفـيذ ما أمرهم به الرسـول ﷺ .

(٥) وثئت : أى أصابت اللحم فقط ولم تصب العظم .

(٦) قال ابن هشام : وثئت رجله .

وقلت : أنَّى ابن عُتيك بهذه البلاد ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه ثم قالت ، فاظ (١) وإله يهود ، فما سمعت من كلمة كانت ألذ إلى نفسى منها ، ثم جاءنا فأخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده فى قتله ، كلنا يدعـــيه . قال : فقال رســـول الله ﷺ هاتوا أسايفكم ، قال : فجئناه بها ، فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس ، هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعان (٢) .

* شعر حَسان فى قَتْل ابن الأشرف وابن أبى الحُقَيق :

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام بن أبى الحقيق :

لله دَرُّ عِصَـــــابة لاقَيتَهُمْ ... يَا ابن الحُقيق وأَنْتَ يا ابن الأَشـرف
يَسْرونَ بالبِيْـضِ الخِفَاف إليكُمُ ... مَرحًا كأسد فى عَرين مَـــغْرِف (٣)
حَتى أَتَوكُمْ فى محلِّ بَلادكـم ... فَسَقُوكم حَتفــًا بِبِيـــض ذفَّف
مُسْتَبْشِرين لنصــرِ دِينَ نَبِيِّهِمْ ... مُسْتَصْغِرين لكل أمـــر مُجْحِف

* * *

(١) أى مات .

(٢) وهذا يبين مدى ذكاء وفطنة وفراسة النبى ﷺ .

(٣) أى ملتف بالأغصان ومحصن .

إسلامُ عمرو بنِ العاص وخالد بن الوليدِ

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي ، عن حبيب بن أبي أوس الثقفي ، قال حدثني عمرو بن العاص من فيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش ، كانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علوا منكرًا ، وإني قد رأيــت أمرًا ، فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأي . قلت : فاجمعوا لنا ما نهديه له ، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم [1] ، فجمعنا له أدما كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه .

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أُمية الضمري ، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال فقلت لأصحابي هذا عمرو بن أمية الضمري ، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقي [2] ، أهديت إليَّ من بلادك شيئًا ؟ قال : قلت نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدما كثيراً ، قال : ثم قربته إليه ، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له : أيها الملك ، إني قد رأيت رجلا خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال : فغضب ، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقا منه ، ثم

(١) الأدم : الجلد المدبوغ .

(٢) كان عمرو يسافر كثيرا إلى الحبشة ويأخذ معه هدايا للنجاشي فصار معروفًا وكان يكرمه ويحسن ضيافته .

ــــ ابر

المشرك

قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه ، قال : أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله ! قال : قلت : أيها الملك ، إنه كذلك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو أطعنى واتبعه ، فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرن على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قال : قلت : أفتبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته على الإسلام [١] ثم خرجت إلى أصحابى وقد حال رأيى عما كان عليه ، وكتمت أصحابى إسلامى [٢] .

* اتفاق عمرو وخالد على الإسلام :

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قُبيل الفتح [٣] ، وهو مُقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان [٤] . قال : والله لقد استقام المنسم [٥] وإن الرجل لنبى ، أذهبُ والله فأسلم فحتى متى ، قال : قلت والله ما جئت إلا لأسلم قال : فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ فتقدم خالد ابن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت ، فقلت : يا رسول الله ، إنى أبايعك على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى ، ولا أذكر ما تأخر ، قال : فقال رسول الله ﷺ يا عمرو بايع ، فإن الإسلام يَجُب [٦] ما كان قبله ، وأن الهجرة تجُب ما كان قبلها ، فبايعته ، ثم انصرفت .

* إسلام عُثمان بن طَلْحة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم : أن عثمان بن طلحة بن أبى طلحة ، كان معهما ، أسلم حين أسلما .

---

(١) وهذا دليل على أن النجاشى كان مسلمًا وقتها ، ولذلك لما مات صلى الرسول ﷺ عليه صلاة الغائب ، وأمر من معه من المسلمين بالصلاة عليه .

(٢) ليس خوفًا منهم ولكن حتى لا يضغطوا عليه ويجعلوه يرجع عن الإسلام بعدما تبين له أنه الحق مما عرفه من النجاشى .

(٣) أى فتح مكة .

(٤) كنية خالد بن الوليد .

(٥) أى تبين الأمر .

(٦) أى يمحو ، والمراد ليس عليك ذنب مما مضى .

قال ابن إسحاق : فقال ابن الزِّبعرى السهمى :

أنشدُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَــةَ حلْفَنا ... ومُلْقَى نعَال القَــومِ عِنْدَ المُقْبل (١)

وَما عقَدَ الآبـــاء منْ كُلِّ حلْفه ... وَما خَالدٌ منْ مثلها بمحـــــلل

أَمفتَاحُ بَيْتِ غَيْرَ بَيْتــكَ تَبْتَغي ... ومَا يَبْتَغِى منْ مَجـــد بَيت مُؤثل

فَلا تَأمَنَن خَالداً بَعْدَ هَـــذه ... وعثمان جَاء بالدهــيم المعضلِ (٢)

وكان فتح بنى قريظة فى ذى القــعدة وصدر ذى الحجة ، وولّى تلك الحجة المشركون .

* * *

(١) المقبل : موضع الحجر الأسود .

(٢) الدهيم : أى الداهية .

غَزْوة بنى لِحْيَان

* خروج النبى ﷺ إلى بنى لحيان :

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهرى ربيع ، وخرج فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة إلى بنى لحيان يطلب بأصحاب الرجيع (١) : خُبيب بنْ عدى وأصحابه وأظهر أنه يريد الشام ، ليصيب من القوم غرة (٢) .

قال ابن إسحاق : فسلك على غراب ، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على محيص ، ثم على البتراء ، ثم صفق (٣) ذات اليسار ، فخرج على بين ، ثم على صحيرات اليمام ، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة فأغذ (٤) السير سريعًا ، حتى نزل على غران ، وهى منازل بنى لحيان ، وغران واد بين أمج وعسفان ، إلى بلد يقال له : ساية ، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا فى رءوس الجبال ، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأخطأه من غرتهم ما أراد . قال : لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة ، فخرج فى مئتى راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ، ثم كر وراح رسول الله ﷺ قافلا .

فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول حين وجه راجعًا : آيبون تائبون إن شاء الله لربنا حامدون ، أعوذ بالله من وعثاء السـفر (٥) وكآبة (٦) المنقلب ، وسوء المنظر فى الأهل والمال .

---

(١) وهم من خيرة القراء قتلوهم يوم الرجيع .
(٢) قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .
(٣) صفق : عدل . (٤) أغذ : أسرع .
(٥) وعثاء السفر : شدته .
(٦) الكآبة : الحزن .

والحديث فى غزوة بنى لحيان ، عن عاصم بن عمرو بن قتادة ، وعبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، فقال كعب بن مالك فى غزوة بنى لحيان :

لو أن بنى لحيان كانوا تناظروا لقوا عصبا فى دارهم ذات مصدق [1]
لقوا سَرعَانا يملأ السرب روعه أمام طحون كالمجرة فيلق [2]
ولكنهم كانوا وبارًا تتبعت شعاب حجاز غير ذى متنفق [3]

* * *

(١) تناظروا : انتظرونا ، العصب : الجماعات .

(٢) سرعان : من يتقدمون الجيش ، السرب : الطريق ، الطحون : الكتيبة الضخمة ، المجرة : مجموعة من النجوم ، الفيلق : الكتيبة .

(٣) الوبار : جمع وبر وهى دويبة صغيرة تشبه الهرة ، المتنفق : الذى له منفذ ينفذ منه .

غَزْوَةُ ذِى قَرَد

* سبب الغزوة :

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يقم بها إلا ليالى قلائل ، حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، فى خيل من غطفان على لقاح [(١)] لرسول الله ﷺ بالغابة ، وفيها رجل من بنى غِفار وامرأة له ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة فى اللقاح .

* ما حدث لابن الأكوع :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ، كل قد حدث عن غزوة ذى قرد بعض الحديث : أنه كان أول من نذر [(٢)] بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمى ، غدا [(٣)] يريد الغابة متوشحًا قوسه [(٤)] ونبله ، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف فى ناحية سلع [(٥)] ، ثم خرج يشتد فى آثار القوم ، وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم ، فجعل يردهم بالنبل ، ويقول إذا رمى : خذها وأنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع ، فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربًا ، ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرمى رمى ثم قال : خذها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرضع ، قال : فيقول قائلهم : أوَ يكعنا هو أول النهار .

* تسابق الفرسان :

قال وبلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة الفزع فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ .

---

(١) اللقاح : الإبل الحوامل . (٢) نذر : علم .

(٣) غدا : أى ذهب مبكرًا ، الغداة أول النهار .

(٤) متوشحًا قوسه : أى حامله مستعدًا للقتال .

(٥) سلع : اسم جبل قريب من المدينة .

وكان أول من انتهى إلى رسول الله ﷺ من الفرسان المقداد بن عمرو ، وهو الذى يقال له : المقداد بن الأسود ، حليف بنى زُهرة ثم كان أول فارس وقف على رسول الله ﷺ بعد المقداد من الأنصار ، عَبَّاد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء أحد بنى عبد الأشهل وسعد بن زيد أحد بنى كعب بن عبد الأشهل وأُسيد بن ظهير ، أخو بنى حارثة بن الحارث ، يشك فيه ، وعكاشة بن محصن أخو بنى أسد ابن خزيمة ، ومحرز بن نضلة أخو بنى أسد بن خزيمة، وأبو قتادة الحارث بن ربعى ، أخو بنى سلمة ، وأبو عياش ، وهو عبيد بن زيد بن الصامت أخو بنى زريق ، فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمَّر عليهم سعد بن زيد فيما بلغنى ، ثم قال : اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك فى الناس ٠

* نصيحة الرسول لأبى عياش :

وقد قال رسول الله ﷺ فيما بلغنى عن رجال من بنى زريق ، لأبى عياش : يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرسُ منك فلحق بالقوم ؟ قال أبو عياش : فقلت يا رسول الله ، أنا أفرس الناس ثم ضربت الفرس ، فوالله ما جرى بى خمسين ذراعًا حتى طرحنى ، فعجبت أن رسول الله ﷺ يقول : لو أعطيته أفرس منك ، وأنا أقول أنا أفرس الناس ، فزعم رجال من بنى زريق أن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبى عياش معاذ بن ماعص ٠ أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة ، وكان ثامنا ، وبعض الناس يعد سلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية ، ويطرح أسيد بن ظهير ، أخا بنى حارثة والله أعلم أى ذلك كان ٠ ولم يكن سلمة يومئذ فارسا ، وقد كان أول من لحق بالقوم على رجليه٠ فخرج الفرسان فى طلب القوم حتى تلاحقوا ٠

محرز بن نضلة ومقتله : قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمرو بن قتاده : أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة ، أخو بنى أسد بن خزيمة – وكان يقال لمحرز : الأخرم ، ويقال له قمير ، وأن الفزع لمَّا كان ٠ جال فرس لمحمود بن مسلمة فى الحائط ، حين سمع صاهلة الخيل ، وكان فرسا صنيعا جاما ، فقال نساء من نساء بنى عبد الأشهل ، حين رأين الفرس يجول فى الحائط بجذع نخل هو مربوط فيه : ياقمير ، هل لك فى أن تركب هذا الفرس ؟ فإنه كما ترى ، ثم تلحق برسول الله ﷺ وبالمسلمين ؟ قال : نعم ، فأعطينه إياه ٠٠ فخرج عليه ، فلم يلبث أن بذ الخيل بجمامه ، حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال :

قفوا يا معشر بنى اللكيعة [١] حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار. قالَ : وحمل عليه رجل منهم فقتله، وجال الفرس ، فلم يقدر عليه حتى وقف على آرية [٢] من بنى عبد الأشهل فلم يقتل من المسلمين غيره .

* أَفْرَاسُ المسلمين :

قال ابن إسحاق : وكان اسم فرس محمود : ذا اللمة [٣] .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أن محرزًا إنما كان على فرس لعكاشة بن محصن ، يقال له الجناح ، فقتل محرز واستلب الجناح .

* قتلى المشركين :

قال ابن إسحاق : فإذا حُبَيب مُسجًّى ببرد أبى قتادة ، فاسترجع الناس [٤] وقالوا قتل أبو قتادة ، فقال رسول الله ﷺ ليس بأبى قتادة ، ولكنه قتيل أبى قتادة وضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه [٥] .

* ما قيل من شعر يوم ذى قرد :

قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمى ، فى يوم ذى قرد : لعيينة ابن حصن ، وكان عيينة بن حصن يكنى بأبى مالك :

فَهلاَّ كَــرَرْتَ أبَا مَالك ... وَخَيْلُكَ مُــدْبرة تُقْتَل
ذَكرتَ الإيَــاب إلى عَسْجَرٍ ... وهَيهَــات قَد بَعُدَ المقْفَل [٦]

(١) اللكيعة : اللئيمة .
(٢) يقصد بالآرية هنا الموضع الذى يربط به الفرس .
(٣) اللمة : أى الشديدة .
(٤) المقصود بالناس هنا أى المسلمون ، استرجعوا : قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون .
(٥) أى أنه الذى قتله .
(٦) عسجر : موضع قريب من مكة .

وَطمنْتَ نفســــك ذَا ميعَةٍ مَسح الفضاء إذا يُرْسَل (١)
إذا قَبَضتَهُ إليــــك الشماَ ل جَاش كَما اضطرم المِرْجَل
فَلَمَّا عَرفتُم عِبَادَ الإلـــــــ ـــه لمَ يَنْظُر الآخر الأَول
عرَفتم فَوارس قَدْ عَـــودوا طُراد الكُمَاة إذا أسْهَلوا (٢)
إذَا طَردوا الخَيْل تَشقَى بِهم فَضَــــاحًا وإن يَطْردوا ينزلوا
فيْعتصِموا فـــــى سَواء المَقَا م بالبِيض أخْلَصَــــها الصيقل

* * *

(١) ذاميعة : ذو نشاط ، المسح : كثير الجرى ·
(٢) أسهلوا : أى نزلوا السهل ·

غَزْوة بنى المصطَلق
فِى شعبان سنة ست

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجبا ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة [١] ، فى شعبان سنة ست .

سببها : قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، كلٌّ قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق ، وقالوا : بلغ رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبى ضرار أبو جويرية بنت الحارث ، زوج رسول الله ﷺ . فلما سمع رسول الله ﷺ بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماء لهم يقال له : المريسيع [٢] ، من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، ونفل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه .

إصابة ابن صبابة خطأً : وقد أصيب رجل من المسلمين من كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر . يقال له : هشام بن صبابة ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأً .

الفتنة بين المهاجرين والأنصار : فبينا رسول الله ﷺ على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار ، يقال له : جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر [٣] الجهنى ، حليف بنى عوف بن

---

(١) وهم بنو جذيمة بن كعب من خزاعة ، فجذيمة هو المصطلق وهو مفتعل من الصلق وهو رفع الصوت .

(٢) المريسيع ، وهو ماء لخزاعة ، وهو من قولهم : رسعت عين الرجل : إذا دمعت من فساد .

(٣) وقيل إنه : سنان بن تميم ، من جهينة بن سود بن أسلم حليف الأنصار . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد ٣ / ١٥ .

الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهنى : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين [١] : فغضب عبد الله بن أُبى ابن سلول ، وعنده رهط من قومه فيهم : زيد بن أرقم ، غلام حدث ، فقال : أو قد فعلوها ، قد نافرونا وكثرونا فى بلادنا ، والله ما أعدنا وجلابيب قريش [٢] إلا كما قال الأوَل : سمِّن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ . ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مُر به عباد ابن بشر فليقتله ، فقال له رسول الله ﷺ : فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه ! لا ولكن أذن بالرحيل ، وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها ، فارتحل الناس .

نفاق ابن أُبَى : وقد مشى عبد الله بن أُبى ابن سَلول إلى رسول الله ﷺ ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ما قال ، ولا تكلمت به . وكان فى قومه شريفا عظيما ، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ، حدبا على ابن أبى ابن سلول ودفعًا عنه .

---

(١) وفى الصحيح أنه عليه السلام حين سمعها منهما قال : دعوها فإنها منتنة ، يعنى : إنها كلمة خبيثة ، لأنها من دعوى الجاهلية ، وجعل الله المؤمنين إخوة وحزبًا واحداً ، فإنما ينبغى أن تكون الدعوة يا للمسلمين ، فمن دعا فى الإسلام بدعوى الجاهلية فيتوجه للفقهاء فيها ثلاثة أقوال :

أحدها : أن يجلد من استجاب لها بالسلاح خمسين سوطاً اقتداء بأبى موسى الأشعرى فى جلده النابغة الجعدى خمسين سوطاً حين سمع يا لعامر ، فأقبل يشتد بعصبة له .

والقول الثانى : إن فيها الجلد دون العشرة لنهيه عليه السلام أن يجلد أحد فوق العشرة إلا فى حد .

والقول الثالث : اجتهاد الإمام فى ذلك على حسب ما يراه من سد الذريعة وإغلاق باب الشر ، إما بالوعيد ، وإما بالسجن ، وإما بالجلد .

فإن قيل : إن النبى ﷺ لم يعاقب الرجلين حين دعوا بها ؟ قلنا : قد قال دعوها فإنها منتنة ، فقد أكد النهى ، فمن عاد إليها بعد هذا النهى ، وبعد وصف النبى ﷺ لها بالإتيان وجب أن يؤدب .

(٢) لفظ أطلقته قريش على المهاجرين .

* لقاء أُسيد بن حُضير برسول الله ﷺ :

قال ابن إسحاق : فلما استقل رسول الله ﷺ وسار ، لقيه أُسيد بن حُضير فحياه بتحية النبوة وسلَّم عليه ، ثم قال : يا نبى الله ، والله لقد رحت فى ساعة مبكرة ، ما كنت تروح فى مثلها ، فقال له رسول الله ﷺ : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأى صاحب يا رسول الله ؟ قال : عبد الله بن أُبى ، قال : وما قال ؟ قال زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال : فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت ، وهو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال : يا رسول الله أرفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وأن قومه لينظـمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه يرى أنك قد أسلبته ملكاً ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما وإنما فعل رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس ، من حديث عبد الله بن أُبى .

* ما فعله عبد الله بن عبد الله بن أُبَى :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة ، أن عبد الله أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبَى (١) فيما بلغك عنه ، فإن كنت لابد فاعلاً فمُرنى به (٢) فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمتْ الخزرج ما كان لها من رجل أبر ، بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس ، فأقتله ، فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار (٣) ، فقال رسول الله ﷺ : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا (٤) .

مُخَادعةُ مَقيس : قال ابن إسحاق : وقدم مَقِيس بن صَبابة من مكة مسلما ،

---

(١) أى أبيه . (٢) أى مُرنى بقتله .

(٣) وهنا يتضح قوة إيمانه وتمسكه بدينه .

(٤) من أجل الولد الصالح المؤمن عفى الرسول ﷺ عن أبيه الكافر ، ومن هنا نعلم أن الولد الصالح ينفع والديه فى الدنيا وفى الآخرة ، وصدق رسول الله إذ يقول « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالحْ يدعو له » والمقصود بالولد : الذكر والأنثى .

فيما يظهر فقال : يا رسول الله، جئتك مسلما ، وجئتك أطلب دية أخى، قتل خطأ . فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن صبابة ، فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتدًا ، فقال فى شعر يقوله :

شَفَى النَّفْسَ أَنْ مَاتَ بِالقَاعِ مُسْنَدًا ... تَضَرِّج ثَـوبَيْه دِمَاءُ الأَخَادِعِ (١)

وكَانت هُمُوم النفس مِنْ قَبل قَتْله ... تَلم فَتحمينى وطاء المضاجِعِ

حَللت به وترى وأدركت ثُؤرتى ... وكُنت إلى الأوثان أولَ رَاجِعِ

ثَأرت به فِهرًا وحَملتْ عقله ... سُراة بَنى النجَّار أَربابَ فَارِعِ (٢)

وقال مقيس بن صبابة أيضا :

جَلَّلته ضَرْبة بَات لَها وَشَل ... مِنْ نَاقِعِ الجَوف يَعْلُوه ويَنْصَرِم

فَقلتُ وَالموتُ تَغْشَاهُ أُسرته ... لاَ تَأمنن بنى بكر إذا ظُلموا

قتلى بنى المصطلق : قال ابن إسحاق : وأصيب من بنى المصطلق يومئذ ناس ، وقتل على بن أبى طالب منهم رجلين ، مالكا وابنه ، وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلا من فرسانهم ، يقال له : أحمر ، أو أحيمر .

جُويرية بنت الحارث رضى الله عنها : وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم سبيا كثيرًا ، فشا قسمه فى المسلمين ، وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، زوج رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما قسَّم رسول الله ﷺ سبايا بنى المصطلق ، وقعت جويرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على

---

(١) الأخادع : يريد الأخدعان : وهما عرقان بالقفا .

(٢) فارع : حصن لبنى النجار بالمدينة .

نفسها [١] وكانت امرأة حلوة ملاحة ، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابها [٢] ، قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها [٣] وعرفت أنه سيرى منها ﷺ ما رأيت . فدخلت عليه ، فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء ، ما لم يخف عليك ، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسى فجئتك أستعينك على كتابتى ، قال فهل لك فى خير من ذلك ؟ قالت وما هو يا رسول الله قال : أقضى عنك كتابتك [٤] وأتزوجك ، قالت : نعم يا رسول الله ، قال : قد فعلت [٥] .

قالت [٦] : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبى ضرار ، فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ وأرسلوا ما بأيديهم [٧] قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها .

---

(١) كاتبته على نفسها : أى عقدت عقدًا بينها وبينه على أن تدفع له مبلغًا معينًا ثم يعتقها ويطلق سراحها .

(٢) أى تطلب منه المساعدة بالمال .

(٣) أى غارت منها : لخوفها أن يعطف عليها الرسول ﷺ ويتزوجها ويعتقها .

(٤) أى أدفع عنك ما اتفقت على دفعه .

(٥) وكان نظره ﷺ لجويرية حتى عرف من حسنها ما عرف ؛ فإنما ذلك لأنها امرأة مملوكة ، ولو كانت حرة ما ملأ عينه منها ؛ لأنه لا يُكره النظر إلى الإماء ، وجائز أن يكون نظر إليها لأنه نوى نكاحها ، كما نظر إلى المرأة التى قالت له : إنى قد وهبت لك نفسى يا رسول الله ، فصعَّد فيها النظر ثم صوب ثم أنكحها غيره ، وقد ثبت عنه ﷺ الرخصة فى النظر للمرأة عند إرادة نكاحها ، وقال للمغيرة حين شاوره فى نكاح امرأة : « اذهب فانظر إليها فإنه أحرى أن يُؤدم بينكما » .

(٦) أى عائشة : وهى التى تروى هذا الحديث .

(٧) أرسلوا ما بأيديهم : أى أطلقوا سراح من أسروهم من بنى المصطلق لأجل السيدة جويرية رضي الله عنها .

* وجوب التأكد من الأخبار :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رُومان : أن رسول الله ﷺ بعث إليهم [١] بعد إسلامهم : الوليد بن عقبة بن أبى مُعيط فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم [٢] فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره أن القوم قد هموا بقتله[٣] ، ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم فأكثر المسلمون فى ذكر غزوهم حتى همّ رسول الله ﷺ بأن يغزوهم فبيناهم على ذلك قدم وفدهم على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله : سمعنا برسولك حين بعثته إلينا : فخرجنا إليه لنكرمه ، ونؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة ، فانشمر [٤] راجعاً ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله ﷺ أنا خرجنا إليه لنقتله ، والله ما جئنا لذلك [٥] ، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين * واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم** ... ﴾ [٦] إلى آخر الآية .

وقد أقبل رسول الله ﷺ من سفره ذلك ، كما حدثنى من لا أتهم عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ، حتى إذا كان قريبًا من المدينة ، وكانت معه عائشة فى سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

* * *

(١) أى إلى بنى المصطلق .

(٢) أى خافهم .

(٣) وهذا ظن منه واعتقاد لم يتثبت منه .

(٤) أى أسرع راجعا .

(٥) ومن هنا وجب التأكد من الأخبار حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه بسبب الفهم الخطأ .

(٦) سورة الحجرات : الآيات ٦ - ٧ .

خَبَرُ الإفكِ (١) فى غزوة بنى المصْطَلق

* إقراع النبى ﷺ بيَن نسائه عند السفر :

قال ابن إسحاق : حدثنا الزهرى عن علقمة بن وقاص ، وعن سعيد بن جُبير عن عروة بن الزبير ، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : كلٌّ قد حدثنى بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى (٢) له من بعض ، وقد جمعت لك الذى حدثنى القوم .

قال محمد بن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة وعبد الله بن أبى بكر ، عن عمـــرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكل قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعا يحدث بعضهم مالم يحدث صاحبه ، وكل كان عنها ثقة ، فكُلهم حدث عنها ما سمع ، قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كانـــت غزوة بنى المصلطق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمى عليهن معه ، فخرج بى رسول الله ﷺ .

قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق (٣) لم يهجهن اللحم فيثقلن ، وكنت إذا رحل لى بعيرى جلست فى هودجى (٤) ، ثم يأتى القوم الذين يرحلون لى ويحملوننى ، فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه ، فيضعونه عى ظهر البعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفـــره ذلك ، وجه قافلا (٥) ، حتى إذا كان قريبا من المدينة فنزل

---

(١) الإفك : أى الكذب والخداع ، واختلاق الأحاديث الكاذبة .

(٢) أوعى : أى أحفظ من غيره وأوثق منه .

(٣) العلق : جمع علقة ، وهو ما يتعلل به قبل وجبة الطعام الأساسية .

(٤) الهودج : عبارة عن صندوق ، كان مخصصا للنساء يجلسن فيه وهو مغلق من جميع النواحى ما عدا ناحية الدخـــول وإذا أغلقت لم ير منها شىء ويوضع فوق الناقة أو الجمل .

(٥) قافلا : راجعاً .

منزلا ، فبات به بعض الليل ، ثم أذن فى الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتى (١) ، وفى عنقى عقد لى ، فيه جزع ظفار (٢) ، فلما فرغت انسل من عنقى ولا أدرى ، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنقى ، فلم أجده ، وقد أخذ الناس فى الرحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافى الذين كانوا يرحّلون لى البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أنى فيه (٣) ، ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب . قد انطلق الناس .

* صَفْوان يَحْمِل عائشة على بعيره :

قالت : فتلففت بجلبابى ، ثم اضطجعت فى مكانى ، وعرفت أن لو قد افتُقدت لرُجع إلىَّ قالت : فوالله إنى لمضطجعة إذ مر بى صفوان بن المعطل السلمى ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته (٤) ، فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادى (٥) ، فأقبل حتى وقف على ، وقد كان يرانى . قيل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رآنى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ظعينة رسول الله ﷺ !

(١) أى لقضاء حاجتها .

(٢) الجزع : الخرز ، ظفار : مدينة ينسب إليها هذا الخرز .

(٣) وذلك لأنها - رضي الله عنها - وكانت خفيفة المحمل ، لدرجة أنهم حملوا الهودج ولم تكن فيه فلم يعرفوا ولم يدركوا أنها ليست بداخله .

(٤) وهو صفوان بن ربيضة بن خزاعى بن محارب بن مرة بن ذكوان بن ثعلبة بن بهسة ابن سليم السلمى . الذكوانى ، يكنى أبا عمرو ، وكان يكون على ساقة العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين ، حتى يأتيهم به ، ولذلك تخلف فى هذا الحديث الذى قال فيه أهل الإفك ما قالوا ، وقد روى فى تخلفه سبب آخر ، وهو أنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس ويشهد لصحة هذا حديث أبى داود أن امرأة صفوان اشتكت به إلى النبى ﷺ وذكرت أشياء منها أنه لا يصلى الصبح ، فقال صفوان : يا رسول الله إنى امرؤ ثقيل الرأس لا أستيقظ حتى تطلع الشمس ، فقال له النبى ﷺ : فإذا استيقظت فصلِّ ، وقد ضعَّف البزار حديث أبى داود هذا فى مسنده ، وقتل صفوان بن المعطل شهيداً فى خلافة معاوية ، واندقت رجله يوم قتل فطاعن بها وهى منكسرة حتى مات ، وذلك بالجزيرة بموضع يقال له شمطاط .

(٥) أى شخصى .

وأنا متلففة فى ثيابى : قال : ما خلفك يرحمك الله ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قرَّب البعير ، فقال : اركبى ، واستأخر عنى . قالت : فركبت ، وأخذ برأس البعير . فأنطلق سريعا ، يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت [١] حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بى ، فقال أهل الإفك [٢] ما قالوا ، فارتعج [٣] العسكر ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك [٤] .

* الرسول يهجر عائشة :

ثم قدمنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة [٥] ، ولا يبلغنى من ذلك شيء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ ، وإلى أبوى لا يذكرون لى منه قليلا ولا كثيرا ، إلا أنى قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بى ، كنت إذا اشتكيت رحمنى ، ولطف بى ، فلم يفعل ذلك بى فى شكواى تلك : فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل علىَّ وعندى أمى تمرضنى [٦] قال : كيف تيكم [٧] ، لا يزيد على ذلك .

* عائشة تغادر بيت الرسول ﷺ إلى بيت أبيها :

قال ابن إسحاق : قالت : حتى وجدت فى نفسى ، فقلت : يا رسول الله ، حين رأيت ما رأيت من جفائه لى : لو أذنت لى ، فانتقلت إلى أمى ، فمرضتنى ؟ قال : لا عليك . قالت : فانتقلت إلى أمى ، ولا علم لى بشيء مما كان [٨] ، حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوما عربا لا نتخذ فى بيوتنا هذه

---

(١) أى لم يشعر أحد بعدم وجودى فى الهودج وتخلفى عنهم .
(٢) وهم الكذابون الذين رموها بالفحش وهى أطهر نساء العالمين ﵂ .
(٣) ارتعج : اضطرب .
(٤) أى لم تعلم بما اتهموها به وأنهم رموها بالفحش ، ولم تعلم شيئًا
(٥) أى مرضت مرضا شديداً .
(٦) أى تقوم على الرعاية والاهتمام بها ومداواتها ، وهى أم رومان .
(٧) أى كيف حال من عندكم ، أو كيف حال تلك - يقصد عائشة .
(٨) أى حتى تلك اللحظة لم تعرف ولم تسمع شيئا عما حدث .

الكنف [١] التى تتخذها الأعاجم ، نعافها ونكرهها ، إنما كنا نذهب فى فسح المدينة ، إنما كانت النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن ، فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أم مسطح بنت أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صخر بن عامر ابن كعب بن تيم ، خالة أبى بكر الصديق رضي الله عنه : قالت : فوالله إنها لتمشى معى إذا عثرت فى مرطها [٢] ، فقالت : تعس مسطح ! ومسطح لقب واسمه عوف ، قالت : قلت : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا ، قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر ؟ قالت : قلت وما الخبر ؟.

فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الإفك ، قالت : قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت نعم والله فقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى [٣] ، ورجعت فوالله مازلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدى : قالت : وقلت لأمى : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ، ولا تذكرين لى من ذلك شيئًا ! قالت : أى بنية ، خفضى عليك الشأن ، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء ، عند رجل يحبها ، لها ضرائر ، إلا كثرن وكثر الناس عليها .

* خُطْبَةُ الرسول فى الناس :

قالت : وقد قام رسول الله ﷺ فى الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ، ولا يقولون عليهم غير الحق ، والله . ما علمت منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما يدخل بيتًا من بيوتى إلا وهو معى [٤] .

---

(١) الكنف : جمع كنيف وهو دورة المياه ، وعادة العرب حقًا حتى الآن ممن يسكنون الصحراء لا يبنون كنيفًا فى بيوتهم ، ويقضون حاجتهم خارج المنزل .

(٢) فى مرطها : كسائها .

(٣) لشدة حزنها وصدمتها - رضي الله عنها - وذهولها من هول ما سمعت والصدمة الشديدة التى هزتها لتهمتها التى هى منها براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، ولذلك قيل : إن تهمة البرىء أثقل من السماوات والأرض .

(٤)وهو مسطح بن أثاثة وكان ابن خالة سيدنا أبى بكر ويعتبر عم السيدة عائشة رضي الله عنها .

* مَنْ تزعَّم نشر حديث الإفك :

قالت [١] : وكان كبر ذلك [٢] عند عبد الله بن أُبَى ابن سلول فى رجال من الخزرج مع الذى قال مسْطَح وحمنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ، ولم تكن من نسائه امرأة تناصبنى [٣] فى المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيراً وأما حمنة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضادنى لأختها ، فشقيت بذلك .

* أثر الخطبة :

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة ، قال أُسيد بن حضير : يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمرنا بأمرك فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم ، قالت : فقال سعد بن عبادة ، وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً فقال : كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ، فقال أسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين، قالت: وتثاور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر . ونزل رسول الله ﷺ ، فدخل علىَّ .

* الرسول عليه الصلاة والسلام يستشير الصحابة :

قالت فدعا على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأسامة بن زيد ، فاستشارهما ، فأما أسامة فأثنى علىَّ خيراً ، ثم قال يا رسول الله ، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيراً ، وهذا الكذب والباطل ، وأما على فإنه قال : يا رسول الله إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تستخلف وسل الجارية ، فإنها ستصدقك ، فدعا رسول الله ﷺ بريرة ليسألها ، قالت : فقام إليها على بن أبى طالب ، فضربها ضربًا شديدًا ، ويقول : اصدقى رسول الله ﷺ فتقول والله ما أعلم إلا خيراً ، وما

---

(١) أى السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٢) أى إثمه ، فهو الذى تولى وتزعم هذا .

(٣) فى الأصول : تناصينى ولكن السهيلى قال : إن الحديث فى تناصينى من المناصاة أى المساواة ، انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد ٤ / ٢١ .

كنت أعيب على عائشة شيئًا ، إلا أنى كنت أعجن عجينى ، فآمرها أن تحفظه ، فتنام عنه ، فتأتى الشاة فتأكله (١) .

* بَراءَةُ عائشة من فوق سبع سماوات :

قالت : ثم دخل رسول الله ﷺ ، وعندى أبواى ، وعندى امرأة من الأنصار ، وأنا أبكى ، وهى تبكى معى ، فجلس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : يا عائشة إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس ، فاتقى الله ، وإن كنت قد قارفت سوءًا مما يقول الناس فتوبى إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ، فوالله ما هو إلا أن قال لى ذلك ، فقلص دمعى حتى ما أحس منه شيئًا ، وانتظرت أبواى أن يجيبا عنى رسول الله ﷺ ، فلم يتكلما ، قالت : وايم الله؟ (٢) لأنا كنت أحقر فى نفسى ، وأصغر شأنا من أن ينزل الله فىَّ قرآنا يقرأ به فى المساجد · ويصلَّى به ، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى نومه شيئا يكذب به الله عنى ، لما يعلم من براءتى ، أو يخبر خبراً ، فأما قرآن ينزل فىَّ ، فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك · قالت : فلما لم أر أبواى يتكلمان ، قالت : قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله ﷺ ؟ قالت : فقالا : والله ما ندرى بماذا نجيبه ، قالت : والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام ، قالت : فلما أن استعجما علىَّ استعبرتُ فبكيت (٣) ، ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدا · والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس ، والله يعلم أنى منه بريئة ، لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوننى · قالت : ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره ، فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف :

---

(١) الحق يقال أن شهادة الإمام على - كرم الله وجهه - لا تمثل اتهامًا للسيدة عائشة ، ولكنه يحكم فيها دون مجاملة لأى أحد من الطرفين وطلب سماع شهادة الجارية عن السيدة عائشة ، وهذا لاغبار عليه ، فقد جاءت الشهادة من الجارية فى حق السيدة عائشة أنها لا تعلم عنها إلا خيرًا ، ولذلك لم يقل الإمام على أية كلمة اتهامًا للسيدة عائشة ·

(٢) نوع من أنواع القسم ·

(٣) بكت بكاءً شديداً لعدم دفاع أبويها عنها ·

﴿ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ . قالت : فوالله ما برح [(١)] رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه [(٢)] ، فسجِّى بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فزعت ولا باليت فقد عرفت أنى بريئة ، وأن الله عز وجل غير ظالمى ، وأما أبواى ، فوالذى نفس عائشة بيده ،ما سرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما ، فرقا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس ، قالت : ثم سرى [(٣)] عن رسول الله ﷺ ، فجلس ، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان [(٤)] فى يوم شات ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : أبشرى يا عائشة ، فقد أنزل الله براءتك ، قالت قلت : بحمد الله [(٥)] ، ثم خرج إلى الناس ، فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة ، فضربوا حدهم .

* قصة أبى أيوب مع زوجته :

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار عن بعض رجال بنى النجار : أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة ؟ قال : بلى وذلك الكذب ، أكنت يا أم أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ما كنت لأفعله ، قال : فعائشة والله خير منك [(٦)] .

* ما نزل من القرآن فى حديث الإفك :

قالت [(٧)] : فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل

---

(١) أى ما ترك .

(٢) أى نزل عليه الوحى .

(٣) أى ذهب عنه .

(٤) الجمان : اللؤلؤ .

(٥) وهذا دليل إيمانها الشديد أول كلمة نطقتها حمدت من برأها وأنزل فى حقها القرآن يتلى إلى يوم القيامة .

(٦) وهذا يبين إلى أى مدى عدم تصديقهم لما قيل لأنه محال عليها فهى زوج نبى .

(٧) أى عائشة فهى الراوية .

الإفك فقال تعالى : ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم** ﴾ [١] ، وذلك حسان بن ثابت . وأصحابه الذين قالوا ما قالوا [٢] .

ثم قال تعالى : ﴿ **لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً** ﴾ [٣] أى فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته [٤] ، ثم قال : ﴿ **إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم** ﴾ [٥] .

* موقف أبى بكر من مسْطَح :

فلما نزل هذا فى عائشة ، وفيمن قال لها ما قال ، قال : أبو بكر ، وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته [٦] . والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا ، ولا أنفعه بنفع أبدًا بعد الذى قال لعائشة ، وأدخل علينا ، فأنزل الله فى ذلك : ﴿ **ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم** ﴾ [٧] .

قال ابن إسحاق : قالت : فقال أبو بكر : بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لى ، فرجع إلى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبدا .

قال ابن إسحاق : ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف ، حين بلغه ما كان يقول فيه ، وقد كان حسان قال شعراً مع ذلك يعرض بابن المعطل فيه ، وبمن أسلم من العرب من مضر ، فقال :

---

(١) سورة النور : الآية ١١ .

(٢) قال ابن هشام : والذى تولى كبره عبد الله بن أبى وقد ذكر ذلك ابن إسحاق فى هذا الحديث قبل هذا .

(٣) سورة النور : الآية ١٢ .

(٤) أى قالوا خيراً فى حق عائشة .

(٥) سورة النور : الآية ١٥ .

(٦) وكان ذا رحم له ، ابن خالته .

(٧) سورة النور : الآية ٢٢ .

أمسى الجَلاَبيبُ قَدْ عَزوا وقَد كَثروا ... وابن الفَريعَة أمَسى بَيـضـة البلد [١]

قَد ثَكلَتْ أُمه مَنْ كُنت صَاحِبـه ... أَو كان منتشبا فى بَرثَن الأسـد [٢]

مَا لقتيلى الذى أغدو فآخـذه ... من دية فيه يعطاهـا ولا قَود

مَا البحر حين تَهب الريح شَاميـة ... فَيغطئل ويَرمى العبـر بالزبد [٣]

يَومًا بأغلب منى حين تبـصرنى ... ملغيظ أفرى كفرى العـارض البرد [٤]

أَمَّا قُرَيش فَإنِّى لَنْ أسـالمهم ... حَتَّى يَنيبـوا منْ الغَيات للـرشَد

وَيتركوا اللاَّت والعُزَّى بِمعـزلة ... ويسجدوا كُلهُم لِلَواحـد الصَّمَد

وَيَشْهَدوا أَنْ مَا قَال الرسـول لَهمُ ... حَقٌّ ويوفـوا بَعَهْد اللهِ وَالوكَد

فاعترضه صفوان بن المعطل ، فضربه بالسيف ، ثم قال : كما حدثنى يعقوب ابن عتبة :

تَلق ذُبَاب السَّيْفِ عَنِّـى فَإِنَّنى ... غُلاَمٌ إِذا هُوجيـت لَست بِشَاعِرِ

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى : أن ثابت بن قيس بن الشماس وثب على صفوان بن المعطل ، حين ضرب حسان ، فجمع يديه إلى عنقه بحبل ، ثم انطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رواحة ، فقال ، ما هذا ؟ قال : أما أعجبك ضرب حسان بالسيف ! والله ما أراه إلا قد قتله ، قال له عبد الله بن رواحة : هل علم رسول الله ﷺ بشىء مما صنعت ؟ قال : لا والله ، قال : لقد اجترأت [٥] ، أطلق الرجل ، فأطلقه [٦] ، ثم أتوا

---

(١) الجلابيب : لفظ تطلقه قريش على من أسلم منهم · بيضة البلد : أى منفرد ·

(٢) البرثن : يد الأسد مع أصابعه ·

(٣) يغطئل : يتحرك · العبر : جانب البحر ·

(٤) أفرى : أقطع ، العارض البرد : السحاب الحامل للبرد ·

(٥) اجترأت : أى تعديت حدودك ؛ لأن الرسول ﷺ لم يأمرك بذلك ·

(٦) وهنا يتبين إلى أى حد كان الصحابة رضى الله عنهم - يحترمون آراء بعضهم ، والمخطىء منهم يرجع عن خطئه إذ ذكَّره صاحبه ولا يتشبث برأيه ، وكانت أخلاقهم عالية لأنهم تربوا فى مدرسة رسول الله ﷺ ·

رسول الله ﷺ ، فذكروا ذلك له ، فدعا حسان (١) ، وصفوان بن المعطل ، فقال ابن المعطل : يا رسول الله : آذاني وهجاني ، فاحتملني الغضب ، فضربته ، فقال رسول الله ﷺ لحسان : أحسن يا حسان ، أتشوهت (٢) على قومي أن هداهم الله للإسـلام ، ثم قال : أحسن يا حسان في الذي أصابك ، قال : هي لك يا رسول الله .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن إبراهيم ، أن رسول الله ﷺ أعطاه عوضًا منها بيرحاء ، وهي قصر بني حديلة اليوم بالمدينة (٣) ، وكانت مالاً لأبي طلحة ابن سهل تصدق بها على آل رسول الله ﷺ ، فأعطاها رسول الله ﷺ حسان في ضربته وأعطاه سيرين ، أمة قبطية ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان ، وكانت عائشة تقول : لقد سئل عن ابن المعطل ، فوجدوه رجلاً حصورًا ، ما يأتي النساء ، ثم قتل بعد ذلك شهيدًا .

* اعتذار حسان عن اشتراكه في حديث الإفك :

قال حسان بن ثابت يعتذر من الذي كان قاله في شأن عائشة رضي الله عنها :

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل(٤)
عَقيلَة حَيٍّ مِنْ لُؤيٍّ بن غَالب ... كِرَامِ المساعِي مَجْدهم غَيْر زَائِل
مُهَذَّبة قَدْ طَيَّبَ اللهُ خَيْمَهَا ... وَطهرها من كل سوءٍ وباطلِ (٥)
فَإن كُنْتُ قَدْ قلتُ الذي قَدْ زَعمتمُ ... فَلا رفعتْ سوطي إليَّ أناملي

---

(١) ولم يحدث شيء من ضربة السيف .

(٢) أتشوهت على قومي : أي أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله ورسوله ، هكذا قال السهيلي في الروض الأنف ٤ / ٢٢ .

(٣) وذلك رغم أنه كان ممن أشاعوا الإفك وممن تولوا كبره - إثمه - فيالها من أخلاق سامية عالية هي أخلاق النبوة التي علمها له الله حيث قال ﷺ : « أدبني ربي فأحسـن تأديبي » ومدحه ربه فقال : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ يعفو عمن ظلمه ووقع في عرض زوجه ، فياليتنا نتأسى بهذه الأخلاق الحميدة وبسيرة صاحب السيرة العطرة ﷺ .

(٤) حَصان : فعال بفتح الحاء ، يكثر في أوصـاف المؤنث ، وفي الأعلام منها ، كأنهم قصدوا بتوالي الفتحات مشاكلة خفة اللفظ لخفة المعنى ، أي المسمى بهذه الصفات خفيف على النفس ، وحصان من الحصن والتحصن ، وهو الامتناع على الرجال من نظرهم إليها .

(٥) الخيم : الطبع ، وهنا يعترف حسان أن عائشة أطهر نساء العالمين وأن الله طهرها .

وَكيف ووِدِّى ما حييتُ ونصرتى ... لآل رَسول الله زَيْنِ المحافلِ
لَه رُتب عَالٍ عَلى النــاس كلهم ... تَقَاصرُ عَنْهُ سَــورة المتطاول
فَإِنَ الذى قَدْ قِــيل لَيس بِلائطِ ... ولَكنه قَوْل امــرئ بى مَاحِلِ (١)

وقالت جارية من العرب لأمها :

يَا أُمَّتَا أَبْصَرَنى رَاكِــبٌ ... يَسيرُ فى مُسْحَــنفرٍ لاَحبِ
جَعَلتُ أَحثِى التُّرابَ فى وَجهِهِ ... حِصنًا وَأحمى حَوْزَةَ الغَائبِ

فقالت لها أمها :

الحصن أدنَى لَو تآبيتــه ... مِنْ حثيك التُّربَ على الرَاكِبِ

ذكر هذه الأبيات أحمد بن أبى سعيد فى شرح أبيات الإيضاح . والرزان والثقال بمعنى واحد ، وهى القليلة الحركة .

وقوله : وتصبح غرثى من لحوم الغــوافل ، أى خميصة البطن من لحوم الناس ، أى اغتيابهم وضرب الغرث مثلا ، وهو عدم الطعم وخلو الجوف وفى التنزيل : ﴿ **أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا** ﴾ ضرب المثل لأخذه فى العرض بأكل اللحم . لأن اللحم ستر على العظم ، والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه من ستره .

وقال : ميتا ، لأن الميت لا يحس ، وكذا الغائب لا يســمع ما يقول فيه المغتاب ، ثم هو فى التحريم كأكل لحم الميت .

وقوله : من لحوم الغوافل ، يريد : العفائف الغافلة قلوبهن عن الشر ، كما قال سبحانه : ﴿ **إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات** ﴾ جعلهن غافلات ، لأن الذى رمين به من الشر لم يهممن به قط ولا خطر على قلوبهن ، فهن فى غفلة عنه ، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بالعفاف .

---

(١) لائط : لاصق . ماحل : ماشى بالنميمة ، وكانت هذه الأبيات من حسان خير اعتذار عما بدر منه وتأسفًا منه عما حدث ، وتجديد العهد منه بأنه المدافع عن الرسول وآل بيته .

أَمرُ الحُدَيبية (١) فى آخر سنة ستٍّ وذكر بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوالاً ، وخرج فى ذى القعدة معتمراً ، لا يريد حربًا (٢) .

* الرسول يستنفر الناس للخروج :

قال ابن إسحاق : واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش الذى صنعوا ، أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت (٣) ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب . وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى ، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربة ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظما له .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عروة بن الزبير عن مسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قالا : خرج رسول الله ﷺ عام الحديبـــية يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالا ، وساق معه الهدى سبعين بدنة ، وكان الناس سبعمائة رجل ، فكانت كل بدنة عن عشرة نفر (٤) .

---

(١) يقال فيها : الحديبية بالتخفيف ، وهو الأعرف عند أهل العربية ، قال الخطابى : أهل الحديث يقولون : الحديبية بالتشديد ، والجعرانة كذلك ، وأهل العربية يقولونهما بالتخفيف ، وقال البكرى : أهل العراق يشددون الياء والراء فى الحديبية والجعرانة ، وأهل الحجاز يخففون ، وقال أبو جعفر النحاس : سألت كل من لقيته ممن أثق بعلمه عن الحديبية فلم يختلفوا على أنها بالتخفيف . وقال الخطابى : سميت الحديبية لشجرة حدباء كانت فى ذلك الموضع ، وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينه تسع مراحل . انظر سيرة ابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ٣ / ١٩٧ .

(٢) قال ابن هشام : واستعمل ﷺ على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى .

(٣) وذلك لأنه ﷺ كان ذاهبًا لأداء العمرة .

(٤) فيجوز الاشتراك فى الهدى .

وكان جابر بن عبد الله ، فيما بلغنى ، يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مئة .

* ما فعلته قريش :

وخرج رسول الله حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبى فقال : يا رسول الله هذه قريش ، قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل (١) ، قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذى طوى (٢) يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدًا ، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم (٣) قال . فقال رسول الله ﷺ : يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ، فإن هم أصابونى كان الذى أرادوا ، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة (٤) ، ثم قال : مَن رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها ؟ .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رجلاً من أسلم قال : أنا يا رسول الله ، قال : فسلك بهم طريقًا وعرًا أجرل (٥) ، بين شعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شق ذلك على المسلمين وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى ، قال رسول الله ﷺ للناس : قولوا نستغفر الله ونتوب إليه ، فقالوا ذلك ، فقال : والله إنها اللحطة التى عرضت على بنى إسرائيل . فلم يقولوها (٦) .

فأمر رسول الله ﷺ الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض ، فى طريق تخرجهم على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة ، قال فسلك الجيش

---

(١) استعار العوذ المطافيل للنساء مع أولادهن . والعوذ هى الإبل حديثة النتاج والمطافيل التى معها أولادها .

(٢) ذو طوى : موضع قرب مكة .

(٣) كراع الغميم : موضع بين مكة والمدينة .

(٤) السالفة : صفحة العنق .

(٥) الأجرل : كثير الحجارة .

(٦) وهو قوله تعالى : ﴿ وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ﴾ ومعناها الاستغفار من الذنوب بقولهم اللهم حط عنا ذنوبنا .

ذلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش قترة [١] الجيش قد خالفوا عن طريقهم ، رجعوا راكضين إلى قريش ، وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا سلك فى ثنية المرار بركت ناقته ، فقالت الناس : خلأت [٢] الناقة ، قال : ما خلأت وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة [٣] . لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة يسألوننى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ، ثم قال للناس : انزلوا ، قيل له : يا رسول الله ، ما بالوادى ماء ننزل عليه ، فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل به فى قليب من تلك القلب : فغرزه فى جوفه ، فجاش بالرواء [٤] حتى ضرب الناس عنه بعطن [٥] .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أهل العلم عن رجال من أسلم : أن الذى نزل فى القليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم ابن عمر بن وائلة بن سهم بن مازن بن أسلم بن أفصى بن أبى حارثة ، وهو سائق بُدن رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى بعض أهل العلم : أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذى نزلت بسهم رسول الله ﷺ ، فالله أعلم أى ذلك كان .

وقد أنشدت أسلم أبياتا من شعر قالها ناجية ، قد ظننا أنه هو الذى نزل بالسهم ، فزعمت أسلم أن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها ، وناجية فى القليب يميح على الناس [٦] ، فقالت :

يَا أَيها المائح دَلْوِى دُونَكا ... إِنِى رَأَيتُ النَاس يَحْمدُونكا

يُثْنُونَ خَيرًا ويَمجدونكا

---

(١) القترة : الغبار

(٢) خلأت : أى بركت ومنعت من المشى .

(٣) وذلك لحكمة إلهية اقتضت ذلك .

(٤) وهذا من معجزات النبى ﷺ .

(٥) العطن : مبرك الإبل حول الماء .

(٦) يميح على الناس : أى يملأ لهم دلاءهم .

قال ابن إسحاق : فقال ناجية ، وهو فى القليب يميح على الناس :

قد علمـــت جارية يمانية ... أنى أنا المائح واسمى ناجية
وطعنة ذات رشاش واهية[(١)] ... طعنتها عند صـدور العادية

فقال الزهرى فى حديثه : فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بُديل بن ورقاء الخزاعى ، فى رجال من خزاعة ، فكلموه وسألوه : ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا ، وإنما جاء زائراً للبيت ، ومعظما لحرمته ، وقد كان قد قال ذلك لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش ، إنكم تعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائرًا هذا البيـــت ، فاتهموهم وجبهوهم [(٢)] وقالوا : وإن كان جـــاء ولا يريد قتالا ، فوالله لا يدخلـها علينـا عنوة [(٣)] ، ولا تحدث بذلك عنا العرب .

قال الزهرى : وكان خزاعة عيبة نصح [(٤)] رسول الله ﷺ ، مسلمها ومشركها ، لا يخفون عنه شيئًا كان بمكة .

* رسل قريش إلى رسول الله ﷺ :

قال : ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف ، أخا بنى عامر بن لؤى ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلا قال : هذا رجل غادر ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلمه ، قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبديل وأصحابه ، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ .

ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة أو ابن زبان ، وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : إن هذا من قوم يتألهون ، فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى [(٦)] فى قلائده [(٦)] ، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ، ثم رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظامًا لما رأى ، فقال لهم ذلك ، قال فقالوا له : اجلس ، فإنما أنت أعرابى لا علم لك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : بأن الحليس غضب عند ذلك

---

(١) الواهية : المسترخية من اتساعها .
(٢) جبهوهم : واجهوهم بما يكرهون .
(٣) عنوة : أى بالقوة .
(٤) عيبة نصح : أى موضع سره .
(٥) عرض الوادى : جانبه .
(٦) القلائد : هى ما يعلق فى أعناق الإبل علامة على أنها هدى .

وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم . أيُصدُّ عن بيت الله من جاء معظِّمًا له ! والذى نفس الحليس بيده ، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد [١] . قال فقالوا له : مه [٢] كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الزهرى فى حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفى ، فقال : يا معشر قريش ، إنى قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وإنى ولد - وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس - وقد سمعت بالذى نابكم ، فجمعت من أطاعنى من قومى ، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى ، قالوا صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ ، فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد ، أجمعت أوشاب [٣] الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها [٤] بهم إنهم قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل . قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدًا . وايم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدًا . قال : وأبو بكر الصديق خلف رسول الله ﷺ قاعد ، فقال : امصص بظر اللات ، أنحن ننكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبى قحافة ، قال : أما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها ، ولكن هذه بها ، قال : ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه . قال : والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ فى الحديد [٥] قال : فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله ﷺ ، ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك قال فيقول عروة : ويحك ! ما أفظعك وأغلظك ! قال : فتبسم رسول الله ﷺ [٦] ، فقال له عروة من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة ، قال : أى غدر وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس .

---

(١) أى لأقلبن عليكم الأحابيش يقاتلونكم ، وكان هذا نصر من الله وسببًا فى صلح الحديبية .

(٢) مهْ : أى اكفف عن الكلام مطلقًا . (٣) الأوشاب : الأخلاط .

(٤) بيضتك : أى عشيرتك ، تفضها : تهلكها .

(٥) فى الحديد : أى لابسًا درعه .

(٦) وهنا يتبين مدى حلم الرسول ﷺ حتى مع عدوه .

قال ابن إسحاق : قال الزهرى ، فكلمه رسول الله ﷺ بنحو مما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حربا ·

فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شىء إلا أخذوه ، فرجع إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إنى قد جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه · والنجاشى فى ملكه ، وإنى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشئ أبدا ، فروا رأيكم ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم : أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعى، فبعثه إلى قريش بمكة،وحمله على بعير له يقال له الثعلب ، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ ، وأرادوا قتله ، فمنعته الأحابيش ، فخلوا سبيله ، حتى أتى رسول الله ﷺ ·

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس : أن قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا ، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ ، ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأخذوا أخذاً فأتى بهم رسول الله ﷺ ، فعفا عنهم ، وخلى سبيلهم ، وقد كانوا رموا فى عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل ·

ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة ، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إنى أخاف قريشا على نفسى ، وليس بمكة من عدى بن كعب أحد يمنعنى ، وقد عرفت قريش عداوتى إياها ، وغلظتى عليها ، ولكنى أدلك على رجل أعز بها منى ، عثمان بن عفان فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ، فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ، ومعظما لحرمته ·

قال ابن إسحاق : فخرج عثمان إلى مكة ، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم إن شئت أن تطوف بالبيت فطف ، فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قُتل ·

* * *

بَيْعَةُ الرِّضوان

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لا نبرح حتى نناجز القوم ، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة . فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفر (١) .

*** تَخَلّف الجد بن قَيْس عَن المبايعة :**

فبايع رسول الله ﷺ النّاس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجد بن قيس ، أخو بنى سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأنى أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته . قد ضبأ (٢) إليها يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذى ذكر من أمر عثمان باطل .

*** الهُدْنَة :**

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : ثم بعثت قريش سُهَيل بن عمرو ، أخا بنى عامر بن لُؤى ، إلى رسول الله ﷺ ، وقالوا له : ائت محمدًا فصالحه ، ولا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبدًا (٣) ، فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً ، قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل ، فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح .

---

(١) قال ابن هشام : وكان أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدى .

(٢) ضبأ إليها : أى لصق واحتمى بها ، والله أعلم علة ذلك .

(٣) وهذا دليل تكبرهم .

* موقف عمر من الهُدْنة :

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب ، فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى قال : فعلام نعطى الدنية [١] فى ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر ؛ الزم غرزه [٢] ، فإنى أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ألست برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال فعلام نُعطى الدنية فى ديننا ؟ قال : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره [٣] ، ولن يضيعنى ! قال : فكان عمر يقول : ما زلت أتصدق وأصوم وأصلى وأعتق ، من الذى صنعت يومئذ ، مخافة كلامى الذى تكلمت به ، حتى رجوت أن يكون خيراً ·

شُروط الصلح : قال : ثم دعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال ، اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال رسول الله ﷺ : اكتب باسمك اللهم ، فكتبها ، ثم قال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، قال ، فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال : رسول الله ﷺ : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد ابن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وإن بيننا عيبة مكفوفة [٤] ، وإنه لا إسلال ولا إغلال [٥] ، وإنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه ·

---

(١) الدنية : الذل ·

(٢) الزم غرزه : الزم أمره ·

(٣) أى أن هذا كان أمراً من الله ، ولذلك كان هذا الصلح خيراً وفتحًا للمسلمين علموا ذلك بعد فتح مكة ، وندم من عارض الصلح على معارضته ·

(٤) عيبة مكفوفة : أى صدور منطوية على ما فيها ·

(٥) الإسلال : السرقة خفية الإغلال : الخيانة ·

فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن فى عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم ، وأنك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وإنه إذا كان عام قابل ، خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثا ، معك سلاح الراكب السيوف فى القرب ، لا تدخلها بغيرها .

* قصة أبى جَنْدَل بن سُهيل :

فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل ابن سهيل بن عمرو يرسف فى الحديد [١] قد انفلت إلى رسول الله ﷺ وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمل عليه رسول الله ﷺ فى نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم ، حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سـهيل أبا جندل قام إليه فضـرب وجهه ، وأخذ بتلبيبه ، ثم قال : يا محمد قد لجت [٢] القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال صـدقت ، فجعل ينتره [٣] بتلبيبه ، ويجره ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم [٤] ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا جندل ، اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا ، وأعطيناهم على ذلك ، وأعطونا عهد الله ، وإنا لا نغدر بهم [٥] ، قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه . ويقول : اصبر يا أبا جندل ! فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب ، قال : ويدنى قائم السسيف منه قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه [٦] ، قال : فضن [٧] الرجل بأبيه ونفذت القضية .

---

(١) أى مقيداً بالحديد ، وذلك أن أباه عذبه ليرتد عن الإسلام .

(٢) أى قد تمت . (٣) يجذبه بشدة وهو ابنه لكنه مسلم وهو مشرك .

(٤) أى على ما بهم من حزن عظيم .

(٥) وهذا الموقف العملى يبين كيف أن النبى إذا عاهد بر ، وأمر بذلك المسلمين أن يوفوا العهد ،ولا ينقضوه فرده الرسول ﷺ للمشركين وهو مسلم وذلك طبقًا للعقد الذى بينهم ، ولعل الله بذلك يجعل له مخرجًا وفرجًا .

(٦) أى سهيل بن عمرو . (٧) أى رفض أبو جندل أن يفعل ذلك .

مَنْ شَهِدوا على الصلح

فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجلاً من المشركين . أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبى وقاص ، ومحمود بن مسلمة ومكرز بن حفص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلى بن أبى طالب وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

* الإِحْلاَل :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ مضطربًا فى الحل وكان يصلى فى الحرم فلما فرغ من الصلح قام إلى هديه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، وكان الذى حلقه فيما بلغنى فى ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعى ، فلما رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : حلق رجال يوم الحديبية ، وقصَّر آخرون . فقال رسول الله ﷺ : يرحم الله المحلِّقين ، قالوا والمقصِّرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلقين . قالوا والمقصرين يا رسول الله قال يرحم الله المحلقين . قالوا والمقصرين يا رسول الله قال : والمقصرين ، فقالوا : يا رسول الله : فلم ظاهرت [1] الترحيم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال : لم يشكُّوا .

وقال عبد بن أبى نجيح : حدثنى مجاهد ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ أهدى عام الحديبية فى هداياه جملا لأبى جهل ، فى رأسه برة [2] من فضة ، يغيظ بذلك المشركين .

نزول سورة الفتح : قال الزهرى فى حديثه : ثم انصرف رسول الله ﷺ من وجهه ذلك قافلا ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح : **﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبينًا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ﴾** [3] .

---

(١) ظاهرتْ : قوَّيت وأكدت .

(٢) البرة : حلقة تجعل فى أنف البعير ليُذل بها وكانت فى العادة من خشب أو شعر .

(٣) سورة الفتح : الآية ١ ، ٢ .

ثم كانت فيه وفى أصحابه ، حتى انتهى من ذكر البيعة ، فقال جل ثناؤه : **﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيمًا ﴾** (١) .

ثم ذكر من تخلف عنه من الأعراب ، ثم قال : حين استفزهم للخروج معه فتباطأوا عليه : **﴿ سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا ﴾** (٢) ثم القصة عن خبرهم ، حتى انتهى إلى قوله : **﴿ سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل ﴾** (٣) . ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس ، قال : فارس . قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن الزهرى أنه قال : أولو البأس الشديد : حنيفة مع الكذاب .

ثم قال تعالى : **﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذا يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبًا * ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما * وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجّل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما * وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا ﴾** (٤) .

ثم ذكر محبسه وكفه إياه عن القتال ، بعد الظفر منه بهم ، يعنى النفر الذين أصاب منهم وكفهم عنه ، ثم قال تعالى : **﴿ وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا ﴾** ، ثم قال تعالى : **﴿ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفًا أن يبلغ محله ﴾** (٥) .

---

(١) سورة الفتح : الآية ١٠ .
(٢) سورة الفتح : الآية ١١ .
(٣) سورة الفتح : الآية ١٥ .
(٤) سورة الفتح : الآيات ١٨ - ٢١ .
(٥) سورة الفتح : الآيات ٢٤ - ٢٥ .

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : ﴿ **ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم** ﴾ (١) والمعرة : الغرم أى : أن تصيبوا منهم معرة بغير علم فتخرجوا ديته ، فأما إثم فلم يخشه عليهم .

قال ابن إسحاق : ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ **إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية** ﴾ يعنى سهيل بن عمرو حين حمى أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، وأن محمداً رسول الله ، ثم قال تعالى : ﴿ **فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها** ﴾ (٢) . أى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

ثم قال تعالى : ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتَدْخُلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا** ﴾ . أى لرؤيا رسول الله ﷺ التى رأى ، أنه سيدخل مكة آمناً لا يخاف ، ويقول : ﴿ **محلّقين رءوسكم ومقصرين** ﴾ معه : ﴿ **لا تخافون فعلم** ﴾ من ذلك ﴿ **ما لم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا** ﴾ (٣) صلح الحديبية .

يقول الزهرى : فما فتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب ، وأمن الناس بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئًا إلا دخل فيه ولقد دخل تلك السنتين مثل من كان والإسلام قبل ذلك . أو أكثر (٤) .

* * *

(١) سورة الفتح : الآية ٢٥ .

(٢) سورة الفتح : الآية ٢٦ .

(٣) سورة الفتح : الاية ٢٧ .

(٤) قال ابن هشام : والدليل على قول الزهرى أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية فى ألف وأربعمائة ، فى قول جابر بن عبد الله ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف .

أمر المستضعفين بمكة بعد الصلح

قصة أبي بصير : قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أتاه أبو بصير عُتبة (١) بن أسيد بن جارية ، وكان ممن حُبس بمكة ، فلما قدم رسول الله ﷺ كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ، والأخنس بن شريق ابن عمرو بن وهب الثقفى إلى رسول الله ﷺ ، وبعثا رجلا من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم ، فقدما على رسول الله ﷺ بكتاب الأزهر والأخنس ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، فانطلق إلى قومك ، قال : يا رسول الله ، أتردنى إلى المشركين يفتنوننى فى دينى ؟ قال : يا أبا بصير ، انطلق فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا .

فانطلق معهما ، حتى إذا كان بذى الحُليفة (٢) ، جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بصير : أصارم سيفك هذا يا أخا بنى عامر ؟ فقال : نعم ، قال : أنظر إليه ؟ قال انظر ، إن شئت . قال : فاستله أبو بصير ، ثم علاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله ﷺ وهو جالس فى المسجد ، فلما رآه رسول الله ﷺ طالعا ، قال : إن هذا الرجل قد رأى فزعاً (٣) ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، قال ويحك ! مالك ؟ قال : قتل صاحبكم صاحبى . فوالله : ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، وفت ذمتك ، وأدى الله عنك ، أسلمتنى بيد القوم وقدامتنعت بدينى أن أفتن فيه ، أو يعبث بى . قال : فقال رسول الله ﷺ : ويل امِّه محش حرب (٤) لو كان معه رجال ! .

---

(١) وقيل : عبيد .
(٢) ميقات أهل المدينة ، بينها وبين المدينة ستة أميال .
(٣) لما رأى عليه من الوجوم .
(٤) وفى الصحيح : ويل أمه مسعر حرب ، ويقال : حششت النار ، وأورثتها ، وأذكيتها ، وأثقلتها وسعرتها بمعنى واحد .

ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص ، من ناحيــة ذى المروة ، على ساحل البحر ، بطريق قريش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبى بصير : ويل امه محش حرب لو كان معه رجال ، فخرجوا إلى أبى بصير بالعيص ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً وكانوا قد ضيقوا على قريش . لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم عير إلا اقتطعوها حتى كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ تسأل بأرحامهم إلا آواهم فلا حاجة لهم بهم ، فآواهم رسول الله ﷺ ، فقدموا عليه بالمدينة .

قال ابن إسحاق : فلما بلغ سُهيل بن عمرو قتل أبى بصير صاحبهم العامرى ، أسند ظهره إلى الكعبة ، ثم قال : والله لا أؤخر ظهرى عن الكعبة حتى يودى (١) هذا الرجل فقال أبو سفيان بن حرب : والله إن هذا لهو السفه والله لا يودى .

* * *

(١) اى تُدفع ديته .

أَمْرُ المهاجرات بعد الهُدْنة

* هجرة أم كُلثوم بنت عُقبة :

قال ابن إسحاق : وهاجرت إلى رسول الله ﷺ أم كلثوم بنت عُقْبة بن أبى مُعيط فى تلك المدة ، فخرج أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة ، حتى قدما على رسول الله ﷺ يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذى بينه وبين قريش فى الحديبية فلم يفعل ، أبى الله ذلك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى الزهرى ، عن عُروة بن الزبير ، قال : دخلت عليه وهو يكتب كتابا إلى ابن أبى هنيدة ، صاحب الوليد بن عبد الملك ، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر** ﴾ (١) . ﴿ **واسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم** ﴾ (٢) .

قال : فكتب إليه عُروة بن الزبير : أن رسول الله ﷺ كان صالح قريشًا يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه ، فلما هاجر النساء إلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام ، أبى الله أن يرددن إلى المشركين إذا هن امتحن بمحنة الإسلام فعرفوا أنهن إنما جئن رغبة فى الإسلام ، وأمر برد صدقاتهن (٣) إليهم إن احتبس عنهم إن هم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نسائهم ، ﴿ **ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم** ﴾ . فأمسك رسول الله ﷺ النساء ورد الرجال ، وسأل الذى أمره به أن يسأل من صدقات نساء من حبسوا منهن ، وأن يردوا عليهم ، مثل الذى يردون عليهم ، إن هم فعلوا ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله ﷺ النساء كما رد الرجال ، ولولا الهدنة والعهد الذى بينه وبين قريش

---

(١) المتحنة : الآية ١٠ .

(٢) سورة المتحنة : الآية ١٠ .

(٣) أى مهورهن .

يوم الحديبية لأمسك النساء ، ولم يردد لهن صداقا ، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد ·

قال ابن إسحاق : وسألت الزهرى عن هذه الآية ، وقول الله عز وجل فيها : **﴿ وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون ﴾** (١) فقال يقول إن فات أحدًا منكم أهله إلى الكفار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذى يأخذون منكم ، فعوضوهم من فيء إن أصبتموه ، فلما نزلت هذه الآية : **﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ﴾** إلى قول الله عز وجل : **﴿ ولا تمسكوا بعصم الكوافر ﴾** (٢) ، كان ممن طلّق عمر بن الخطاب ، طلق امرأته قريبة بنت أبى أميةَ بن المغيرة ، فتزوجها بعده معاوية بن أبى سفيان ، وهما على شركهما بمكة ، وأم كلثوم بنت جرول أم عبيد الله ابن عمر الخزاعية ، فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم · رجل من قومه وهما على شركهما ·

* * *

(١) سورة الممتحنة : الآية ١١ ·

(٢) سورة الممتحنة : الآية ١٠ ·

ذكر المَسير إلى خَيْبَر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ، وولى تلك الحجة المشركون ، ثم خرج فى بقية المحرم إلى خيبر (١) .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبى الهيثم ابن نصر بن دُهر الأسلمى أن أباه حدثه : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول فى مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع ، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ، وكان اسم الأكوع سنان : انزل يا بن الأكوع ، فخذ لنا من هناتك (٢) ، قال : فنزل يرتجز برسول الله ﷺ ، فقال :

وَاللهِ لَوْلاَ اللهُ مَا اهتَدينا ... ولاَ تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَا
إنَّا إذَا قَوْمٌ بغَوا عَلَينا ... وَإن أَرادُوا فتْنَةً أَبينَا
فَأَنْزِلَنْ سكينةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقينا

فقال رسول الله ﷺ : يرحمك الله ، فقال عمر بن الخطاب : وجبت والله يا رسول الله ، لو أمتعتنا به ! فقتل يوم خيبر شهيداً ، وكان قتله فيما بلغنى ، أن سيفه رجع عليه وهو يقاتل ، فكلمه كلما شديداً ، فمات منه ، فكان المسلمون قد

---

(١) قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى ، ودفع الراية إلى على بن أبى طالب رضي الله عنه ، وكانت بيضاء .

(٢) هناتك : جمع الهنة : كناية عن كل شىء لا تعرف اسمه ، أو تعرفه ، فتكنى عنه ، وأصل الهنة : هنة وهنوة . قال الشاعر :

* على هنوات شأنها متتابع *

وفى البخارى : أن رجلا قال لابن الأكوع : ألا تنزل فتسمعنا من هنيهاتك ، صغره بالهاء ، ولو صغره على لغة من قال هنوات لقال هنياتك . وإنما أراد ﷺ أن يحدو بهم ، والإبل تستحث بالحداء ، ولا يكون الحداء إلا بشعر أو رجز .

شكوا فيه ، وقالوا : إنما قتله سلاحه ، حتى سأل ابن أخيه سلمة بن عمرو الأكوع رسول الله ﷺ عن ذلك وأخبره بقول الناس ، فقال رسول الله ﷺ : إنه شهيد وصلى عليه فصلى عليه المسلمون .

* دعاء الرسول عند دخول خيبر :

قال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم عن عطاء بن أبى مروان الأسلمى عن أبيه ، عن أبى معتب بن عمرو . أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه ، وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال : اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعـــوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها أقدموا بسم الله ، قال : وكان يقـــولها عليه الصلاة والسلام لكل قرية دخلها (١) .

* فرار أهل خيبر :

قال ابن إسحاق : وحدَّثنى من لا أتهم عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا غزا قومًا لم يغر عليهم حتى يصبح (٢) ، فإن سمع أذانًا أمسك ، وإن لم يسمع أذانًا أغار ، فنزلنا خيبر ليلاً ، فبات رسول الله ﷺ ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذانًا ، فركب وركبنا معه ، فركبت خلف أبى طلحة ، وإن قدمى لتمس قدم رسول الله ﷺ ، واستقبلنا عمال خيبر غادين (٣) ، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم (٤) . فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش ، قالوا : محمد والخميس (٥) معه فأدبروا هرابًا فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

قال ابن إسحاق : حدثنا هارون عن حميد ، عن أنس بمثله .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك

---

(١) وصار هذا الدعاء من هدى الرسول ﷺ عند دخول أى بلد يستحب للمسلم أن يقوله فى أول البلد .

(٢) أى أنه لم يأخذهم على غرة ليلاً .

(٣) غادين : خارجين لأعمالهم صباحاً مبكرين .

(٤) المساحى : جمع مسحاة ، وهى الفأس من الحديد ، المكاتل جمع مكتل وهو زنبيل يعمل من الخوص .

(٥) الخميس : الجيش .

على عصَر (١) ، فبنى فيها مسجدا ، ثم على الصهباء (٢) ، ثم أقبل رسول الله ﷺ بجيشه ، حتى نزل بواد يقال له الرجيع ، فنزل بينهم وبين غطفان ، ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ .

* **غطفان تحاول مساعدة خيبر :**

فبلغنى أن غطفان لما سمعت بمنزل رسول الله ﷺ من خيبز جمعوا له ، ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلة (٣) سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهليهم حِسا ، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا فى أهليهم وأموالهم وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر (٤) .

وتدنى (٥) رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالا مالا ، ويفتحها حصنا حصنا ، فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه منه رحا فقتلته ، ثم القموص ، حصن بنى أبى الحقيق ، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا ، منهن صفية بنت حُيى بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وبنتى عم لها ، فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه (٦) .

وكان دحية بن خليفة الكلبى (٧) قد سأل رسول الله ﷺ صفية فلما أصفاها لنفسه أعطاه ابنتى عمها ، وفشت السبايا من خيبر فى المسلمين .

أشياء نهى عنها الرسول يوم خيبر : وأكل المسلمون لحوم الحمر الأهلية من حمرها فقام رسول الله ﷺ ، فنهى الناس عن أمور سماها لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن عمرو بن ضمرة الفزارى عن عبد الله ابن أبى سليط عن أبيه ، قال : أتانا نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الحمر الإنسية ، والقدور تفور بها ، فكفأناها على وجوهها .

---

(١) عصر : اسم جبل بين المدينة ووادى الفرع .
(٢) موضع قريب من خيبر .
(٣) منقلة : أى مرحلة .
(٤) وهذه حكمة إلهية حتى يتمكن الرسول ﷺ من دخول خيبر وفتحها .
(٥) تدنى : أى أخذ الأدنى فالأدنى .
(٦) وتزوجها ﷺ وكانت من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن .
(٧) وهو الذى كان سيدنا جبريل عليه السلام يأتى فى صورته .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مكحول : أن رسول الله ﷺ نهاهم يومئذ عن إتيان (١) الحبالى من السبايا ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع (٢) ، وعن بيع المغانم حتى تقسم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سلام بن كركرة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر ابن عبد الله الأنصارى ، ولم يشهد جابر خيبر : أن رسول الله ﷺ حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر ، أذن لهم فى أكل لحوم الخيل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى مرزوق مولى تجيب عن حنش الصنعانى ، قال : غزونا مع رويفع بن ثابت الأنصارى المغرب فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة ، فقام فينا خطيبًا ، فقال : يا أيها الناس ، إنى لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقوله فينا يوم خيبر قام فينا رسول الله فقال : لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماؤه زرع غيره ، يعنى إتيان الحبالى من السبايا ، حتى يستبرئها (٣) ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنماً حتى يقسم ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فىء المسلمين حتى إذا أعجفها (٤) ردها فيه ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوبًا من فىء المسلمين حتى إذا أخلقه (٥) رده فيه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط ، أنه حدث عن عبادة ابن الصامت قال : نهانا رسول الله ﷺ يوم خيبر عن أن نبيع أو نبتاع تبر(٦) الذهب بالذهب العين ، وتبر الفضة بالورق العين ، وقال : ابتاعوا تبر الذهب بالورق العين ، وتبر الفضة بالذهب العين .

---

(١) إتيان : أى جماع .
(٢) مثل الأسود ، والنمور ، والوحوش المفترسة .
(٣) استبراء الحامل : أن تضع حملها فذلك استبراء رحمها .
(٤) أى أتعبها واضعفها .
(٥) أى أبلاه .
(٦) التبر : فتات الذهب والفضة قبل أن يصاغا .

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنى الحصون والأموال .

* **حال بنى سهم :**

فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدثه بعض أسلم : أن بنى سهم من أسلم أتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : والله يا رسول الله ﷺ لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئًا يعطيهم إياه ، فقال : اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة ، وأن ليس بيدى شيء أعطيهم أياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء ، وأكثرها طعاماً وودكاً ، فغدا الناس ، ففتح الله عز وجل عليهم حصن الصعب بن معاذ ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه .

* **مقتل مرحب اليهودى :**

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز ، انتهوا إلى حصنيهم : الوطيح ، والسلالم ، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحًا ، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل ، أخو بنى حارثة عن جابر بن عبد الله قال : خرج مرحب اليهودى من حصنهم قد جمع سلاحه يرتجز وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرَّب
أطعن أحيانًا وحينا أضـرب إذا الليوث أقبـلت تحرَّب
إن حماى للحمى لا يقرب

وهو يقول : من يبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك فقال :

قد علمت خيبر أنى كعـب مفرج الغمَّى جـرئ صلب
إذ شبت الحرب تلتها الحرب معى حسام كالعقيـق عضب
تطؤكم حتى يذل الصـعب نعطى الجزاء أو يفىء النهب
بكف ماض ليس فيه عتـب

قال ابن إسحاق : فحدثـى عبد الله بن سهل ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى .

قال : فقال رسول الله ﷺ : من لهذا ؟ قال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله ، أنا والله ، الموتور الثائر ، قُتل أخى بالأمس [١] ، فقال : فقم إليه ، اللهم أعنه عليه قال فلما دنا أحدهما من صاحبه ، دخلت بينهما شجرة عمرية [٢] من شجر العشر ، فجعل أحدهما يلوذ بها [٣] من صاحبه ، كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها [٤] ، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرجل القائم ، ما فيها فنن [٥] ، ثم حمل [٦] مرحب على محمد بن مسلمة ، فضربه ، فاتقاه بالدرقة ، فوقع سيفه ، فعضت به فأمسكته ، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله .

* مَقْتَل ياسر أخى مرحب :

قال ابن إسحاق : ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر ، وهو يقول ، من يبارز ؟ فزعم هشام بن عروة أن الزبير بن العوام خرج إلى ياسر فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب : يقتل ابنى يا رسول ؟ ! قال : بل ابنك يقتله إن شاء الله . فخرج الزبير فالتقيا ، فقتله الزبير [٧] .

قال ابن إسحاق : فحدثنى هشام بن عروة : أن الزبير كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارمًا عضبًا ، قال : والله ما كان صارمًا ، ولكنى أكرهته .

* علىٌّ يفتح خيبر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمى ، عن أبيه سفيان عن سلمة بن عمرو بن الأكوع ، قال : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر

---

(١) المعنى : قُتل أخى ولذلك يريد الانتقام له والأخذ بثأره من هذا اليهودى .
(٢) عمرية : أى معمرة منذ كذا أعوام .
(٣) أى يحتمى بها .
(٤) يقطع كلا منهما ما يحول بينه وبين صاحبه من فروع الشجرة .
(٥) الفنن : الغصن .
(٦) أى هجم .
(٧) وتحققت بشرى رسول الله ﷺ .

الصدِّيق رضى الله عنه برايته (١) ، إلى بعض حصون خيبر · فقاتل ، فرجع ولم يك فتح ، وقد جهد ، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب خيبر · فقاتل ، فرجع ولم يك فتح ، وقد جهد ، فقال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ليس بفرَّار · قال : يقول سلمة ، فدعا رسول الله ﷺ عليا رضوان الله عليه ، وهو أرمد ، فتفل فى عينه ، ثم قال خذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك ·

قال : يقول سلمة : فخرج والله بها يأنح (٢) يهرول هرولة ، وإنا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته فى رضم (٣) من حجارة تحت الحصن ، فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبى طالب · قال : يقول اليهودى علوتم ، وما أنزل على موسى أو كما قال · قال : فما رجع حتى فتح الله على يديه وقد ضربه رجل من يهود فطاح ترسه من يده ، فتناول على رضي الله عنه بابًا كان عند الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتنى فى نفر سبعة معى أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه ·

* حديث أبى اليسر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى بريدة بن سفيان الأسلمى عن بعض رجال بنى سلمة عن أبى اليسر كعب بن عمرو قال : والله إنا لمع رسول الله ﷺ بخيبر ذات عشية إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم ، فقال رسول الله ﷺ :

من رجل يطعمنا من هذا الغنم ؟ قال أبو اليسر : فقلت أنا يا رسول الله ، قال: فافعل، قال : فخرجت أشتد مثل الظليم (٤) ، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ

---

(١) قال ابن هشام : وكانت بيضاء ·

(٢) يأنح : يعلو صوته ·

(٣) رضم من حجارة : أى حجارة مجتمعة أو كوم من حجارة ·

(٤) الظليم : ولد النعام ·

موليا وقال : اللهم أمتعنا به ، وقال : فأدركت الغنم وقد دخلت أولاها الحصن ، فأخذت شاتين من أخراها ، فاحتضنتهما تحت يدى ، ثم أقبلت بهما أشتد ، كأنه ليس معى شيء ، حتى ألقيتهما عند رسول الله ﷺ ، فذبحوهما فأكلوهما ، فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ هلاكا [١] ، فكان إذا حدث هذا الحديث بكى ، ثم قال : أمتعوا بى ، لعمرى ، حتى كنت من آخرهم هلكا .

قصة صفية رضي الله عنها : قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله ﷺ القموص ، حصن بنى أبى الحقيق ، أتى رسول الله ﷺ بصفية بنت حُيى بن أخطب ، وبأخرى معها ، فمر بهما على قتلى من قتلى يهود ، فلما رأتهم التى مع صفية صاحت ، وصكت وجهها [٢] وحثت التراب على رأسها ، فلما رآها رسول الله ﷺ قال : أعزبوا [٣] عنى هذه الشيطانة ، وأمر بصفية فحيزت خلفه ، وألقى عليها رداءه ، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه : فقال رسول الله ، لبلال ، فيما بلغنى ، حين رأى بتلك اليهودية ما رأى : أنزعت منك الرحمة يا بلال ، حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ؟ وكانت صفية قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، أن قمراً وقع فى حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها ، فقال : ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً ، فلطم وجهها لطمة خضر عينها منها . فأتى بها رسول الله ﷺ وبها أثر منه ، فسألها ما هو ؟ فأخبرته هذا الخبر .

* جَزاءُ كِنَانَة بن الربيع :

وأتى رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كنز بنى النضير ، فسأله عنه ، فجحد أن يكون يعرف مكانه ، فأتى رسول الله ﷺ رجل من يهود . فقال لرسول الله ﷺ : إنى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة ، فقال رسول الله ﷺ لكنانة : أرأيت إن وجدناه عندك ، أأقتلك ؟ قال: نعم، فأمر رسول الله ﷺ

---

(١) أى موتًا .

(٢) صكت وجهها : أى ضربت ولطمت وجهها .

(٣) أعزبوا : أبعدوا .

بالخربة فحفرت ، فأخرج منها بعض كنزهم ، ثم سأله عما بقى ، فأبى أن يؤديه ، فأمر به رسول الله ﷺ الزبير بن العوام ، فقال : عذبه حتى تستأصل ما عنده ، فكان الزبير يقدح بزند فى صدره ، حى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة (١) .

صُلحُ خَيبر : وحاصر رسول الله ﷺ ، أهل خيبر فى حصنيهم الوطيح والسلالم ، حتى إذا أيقنوا بالهلكة ، سألوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم ، ففعل · وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها : الشق ونطاة والكتيبة وجميع حصونهم إلا ما كان من ذينك الحصن ، فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا ، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم ، وأن يحقن دماءهم ، ويخلوا له الأموال ففعل · وكان ممن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم فى ذلك محيصة بن مسعود أخو بنى حارثة فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم فى الأموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم · وأعمر لها ، فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف ، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب (٢) .

*** قصة الشاة المسمومة :**

فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث ، امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية (٣) ، وقد سألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها : الذراع ، فأكثرت فيها من السم ، ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدى رسول الله ﷺ ، تناول الذراع ، فلاك منها مضغة فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ ، فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله ﷺ فلفظها ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم (٤) ، ثم دعا بها فاعترفت فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : أبلغت

---

(١) أى اقتصاصًا لقتل أخيه ·

(٢) أى بدون قتال ولا إراقه دماء ·

(٣) أى شاة مشوية ·

(٤) وهذا من معجزات الله لنبيه ﷺ ·

من قومى ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكاً استرحت منه ، وإن كان نبيا فسيُخبر [١] ، قال : فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ، ومات بشر من أكلته التى أكل ·

وقال ابن إسحاق : وحدثنى مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن المعلى ، قال : كان رسول الله ﷺ قد قال فى مرضه الذى توفى فيه · ودخلت أم بشر بنت البراء ابن معرور تعوده : يا أم بشر ، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهرى [٢] من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخيبر · قال : فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً ، مع ما أكرمه الله به من النبوة ·

جزاء الغال [٣] من الغنيمة : قال ابن إسحاق : فحدثنى ثور بن زيد ، عن سالم ، مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبى هريرة ، قال : فلما انصرفنا مع رسول الله ﷺ عن خيبر إلى وادى القرى نزلن بها أصيلا [٤] مع مغرب الشمس · ومع رسول الله ﷺ غلام له ، أهداه له رفاعة بن زيد الجذامى ، ثم الضبيبنىّ ·

قال : فوالله إنه ليضع رحل رسول الله ﷺ إذ أتاه سهم غرب [٥] فأصابه فقتله ، فقلنا : هنيئا له الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : كلا ، والذى نفس محمد بيده ، إن شملته الآن لتحترق عليه فى النار ، كان غلهاً من فىء المسلمين يوم خيبر · قال : فسمعها رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، فأتاه فقال : يا رسول الله ، أصبت شراكين لنعلين لى ، قال : فقال : يقد لك مثلهما فى النار [٦] ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مغفل المزنى ، قال : اصبت من فىء خيبر جراب شحم ، فاحتملته على عاتقى إلى رحلى وأصحابى · قال : فلقينى صاحب المغانم الذى جعل عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هلم هذا نقسمه

(١) أى سيخبره الله بذلك ·

(٢) الأبهر : عرق من عرقين يخرجان من القلب ومنهما تتشعب الشرايين كلها ·

(٣) الغال : أى الآخذ من الغنيمة قبل القسمة ·

(٤) أصيلاً : أى وقت الأصيل وهو قبيل الغروب ·

(٥) سهم غرب : أى مجهول الرامى ، لا يعرف من أين أتى ·

(٦) وهو أيضا دليل على عظم ذنب السارق من المال العام ، لأن الغنيمة مال عام كل له سهمه ·

بين المسلمين ، قال : قلت : لا والله لا أعطيكه ، قال : فجعل يجابذنى الجراب : قال : فرآنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك . قال : فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكا ، ثم قال لصاحب المغانم : لا أبا لك ، خل بينه قال : فأرسله ، فانطلقت به إلى رحلى وأصحابى ، فأكلناه .

* زواج الرسول بالسيدة صفية وحراسة أبى أيوب له :

قال ابن إسحاق : ولما أعرس [١] رسول الله ﷺ بصفية ، بخيبر أو ببعض الطريق ، وكانت التى جملتها [٢] لرسول الله ﷺ ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان ، وأم أنس بن مالك . فبات بها رسول الله ﷺ فى قبة له [٣] ، وبات أبو أيوب خالد بن زيد ، أخو بنى النجار متوشحا سيفه ، يحرس رسول الله ﷺ ، ويُطيف بالقبة ، حتى أصبح رسول الله ﷺ ، فلما رأى مكانه قال : مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يا رسول الله ، خفت عليك من هذه المرأة . وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر ، فخفتها عليك . فزعموا أن رسول الله ﷺ ، قال : اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى .

* بلال يَغْلِبه النوم وهو يرقب الفجر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، قال : لما انصرف رسول الله من خيبر ، فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل : من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام [٤] ؟ قال بلال : أنا يا رسول الله أحفظه عليك . فنزل رسول الله ﷺ ، ونزل الناس فناموا ، وقام بلال يصلى ، فصلى ما شاء الله عز وجل أن يصلى . ثم استند إلى بعيره ، واستقبل الفجر يرمقه ، فغلبته عينه ، فنام فلم يوقظه إلا مس الشمس ، وكان رسول الله ﷺ أول أصحابه هب [٥] ، فقال : ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ قال : يا رســـول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، قال : صدقت ثم اقتاد رسول الله ﷺ بعيره غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ ، وتوضأ الناس ثم

(١) أعرس : أى دخل على عروسه .

(٢) أى التى زينتها .

(٣) أى خيمة له .

(٤) يحفظ علينا الفجر : أى يظل مستيقظًا حتى يوقظنا لصلاة الفجر .

(٥) أى قام .

أمر بلالاً فأقام الصلاة فصلى رسول الله بالناس ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : إذ نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها ، فإن الله تبارك وتعالى يقول ﴿ **وأقم الصلاة لذكرى** ﴾ (١) .

* شعر ابن لقيم فى فتح خيبر :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ ، فيما بلغنى قد أعطى ابن لقيم العبسى ، حين افتتح خيبر ، ما بها من دجاجة أو داجن (٢) وكان فتح خيبر فى صفر فقال ابن لقيم العبسى فى خَيبر :

رَميت نَطَاة مِنَ الرسول بفَيْلَقٍ ... شَهْبَاء ذَات مَنَاكب وَفقَارِ (٣)
وَاستَيْقَنت بالذُّل لَمَّا شَيَّعت ... ورجالَ أَسْلَم وَسْطَها وغفَارِ
صَبَّحْتَ بَنِى عَمْرو بن زُرْعَة غُدْوة ... والشَق أَظلم أَهْله بنهارِ (٤)
جَرت بِأَبْطَحها الذُيُول فَلم تَدعْ ... إلا الدَّجَاج تَصيحُ فِى الأَسْحَارِ
وَلِكل حِصْنٍ شَاغِل مِنْ خَيْلِهِم ... مِنْ عَبْد أَشهل أو بَنى النجارِ
ومُهَاجرين وَقَد أَعلموا سِيماهم ... فَوق المَغَافر لم ينوا لفرارِ
وَلَقَد عَلمت لَيَغْلبن مُحمدٌ ... وَليثوين بَها إلى أصفارِ (٥)
فَرَّتْ يَهودٌ يوم ذَلك فى الوَغَى ... تَحْتَ العَجَاجِ غَمَائم الأَبصَارِ (٦)

* حديث المرأة الغفارية :

قال ابن إسحاق : وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء من المسلمين فرضخ لهن (٧) رسول الله ﷺ من الفيء ، ولم يضرب لهن بسهم .

---

(١) سورة طه : الآية ١٤ .
(٢) الداجن : هو كل ما يربيه الناس مما يألفونه فى بيوتهم كالشاة وغير ذلك .
(٣) نطاة : حصن بخيبر ، الشهباء : كثيرة الاستعداد .
(٤) الشق : حصن بخيبر أيضًا .
(٥) يثوين : يقمن ، الثواء : الإقامة .
(٦) العجاج : غبار الحرب .
(٧) أرضخ لهن : أى أعطاهن أقل من سهم المقاتل .

قال ابن إسحاق : حدثنى سليمان بن سحيم ، عن أُمية بنت أبى الصلت ، عن امرأة من بنى غفار ، قد سماها لى ، قالت : أتيت رسول الله ﷺ فى نسوة من بنى غفار ، فقلنا يا رسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ، وهو يسير إلى خيبر فنداوى الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا فقال على بركة الله . قالت : فخرجنا معه ، وكنت جارية حدثة [١] ، فأردفنى رسول الله على حقيبة رحله ، قالت : فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح وأناخ ، ونزلت عن حقيبة رحله وإذا بها دم منى ، وكانت أول حيضة حضتها ، قالت : فتقبضت إلى الناقة واستحييت ، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بى ورأى الدم ، قال : مالك ؟ لعلك نفست ، قالت : قلت : نعم ، قال : فأصلحى من نفسك ، ثم خذى إناء من ماء ، فاطرحى فيه ملحاً ، ثم اغسلى به ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودى لمركبك .

قالت [٢] : فلما فتح رسول الله ﷺ خيبر ، رضخ لنا من الفىء ، وأخذ هذه القلادة التى ترين فى عنقى فأعطانيها ، وعلقها بيده فى عنقى ، فوالله لا تفارقنى أبدًا .

قالت : فكانت فى عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها قالت : وكانت لا تطهر من حيضة إلا جعلت فى طهورها ملحًا ، وأوصت به أن يجعل فى غسلها حين ماتت .

شُهَداء خيبر : قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد بخيبر من المسلمين ، من قريش . ثم من بنى أمية بن عبد شمس ، ثم من حلفائهم : ربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن بكير بن عامر بن غُنم بن دودان بن أسد . وثقيف بن عمرو ، ورفاعة بن مسروح .

*** من بنى أسد :**

ومن بني أسد بن عبد العزى : عبد الله الهبيب ، بن أهيب بن سحيم بن غيرة ، من بنى سعد بن ليث ، حليف لبنى أسد ، وابن أختهم .

(١) أى صغيرة السن .
(٢) أى الجارية .

* من بنى سلمة :

ومن الأنصار ثم من بنى سلمة : بشر بن البراء بن معرور ، مات من الشاة التى سُم فيها رسول الله ﷺ . وفضيل بن النعمان . رجلان .

* من بنى زريق والأوس :

ومن بنى زريق : مسعود بن سعد بن قيس بن خلدة بن عامر بن زريق .

ومن الأوس ثم من بنى عبد الأشهل : محمود بن مسلمة بن خالد بن عدى ابن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بنى حارثة .

* من بنى عمرو بن عوف :

ومن بنى عمرو بن عوف : أبو ضـــياح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن مرة بن سراقة ، وأوس بن القائد ، وأنيف بن حبيب ، وثابت بن أثلة ، وطلحة بن يحيى ابن مليل بن ضمرة .

* من بنى غفار وأسلم :

ومن بنى غفار : عمارة بن عقبة ، رمى بسهم .

ومن أسلم : عامر بن الأكوع ، والأسود الراعى ، وكان اسمه أسلم .

وممن استشهد بخيبر فيما ذكر ابن شهاب الزهرى ، من بنى زهرة : مسعود بن ربيعة ، حليف لهم من القارة .

ومن الأنصار بنى عمرو بن عوف : أوس بن قتادة .

* قصة الأسود الراعى وإسلامه ثم استشهاده :

قال ابن إسحاق : وكان من حديث الأسود الراعى فيما بلغنى : أنه أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر ، ومعه غنم له ، كان فيها أجيراً لرجل من يهود فقال : يا رسول الله ، أعرض على الإســلام ، فعرضه عليه ، فأسلم ، وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحداً أن يدعوه إلى الإسلام ، ويعرضه عليه ، فلما أسلم قال : يا رسول الله ، إنى كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم ، وهى أمانة عندى ،

فكيف أصنع بها ؟ قال : اضرب فى وجوهها ، فإنها ستـرجع إلى ربها [(١)] - أو كما قال - فقال الأسود : فأخذ حفنة من الحصى فرمى بها فى وجوهها ، وقال : ارجعى إلى صاحبك فوالله لا أصحبك أبدًا ، فخرجت مجتمعة كأن سائقًا يسوقها حتى دخلت الحصن ، ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله وما صلى لله صلاة قط فأتى به رسول الله ﷺ فوضعه خلفه وسجى بشملة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه فقالوا : يا رسول الله لم أعرضت عنه ؟ قال : إن معه الآن زوجتيه من الحور العين [(٢)] .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عبد الله بن أبى نجيح أنه ذكر له : أن الشهيد إذا ما أصيب تدلت له زوجتاه من الحور العين : عليه تنفضان التراب عن وجـــهه وتقولان : ترب الله وجه من تربك وقتل من قتلك .

حديث الحجاج بن علاط السُّلمى : قال ابن إسحاق : ولما فُتحت خيبر ، كلَّم رسول الله ﷺ ، الحجاج بن علاط السلمى ثم البهزى ، فقال يا رسول الله ، إن لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة بنت أبى طلحة - وكانت عنده ، له منها معرض ابن الحجاج ، ومال متفرق فى مجاز أهل مكة ، فأذن لى يا رسول الله ، فأذن له ، قال : إنه لابد لى يا رسول الله من أن أقول قال : قل . قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يتسمعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ، ريفا ومنعة ورجالا ، فهم يتحسسون الأخبار ، ويسألون الركبان ، فلما رأونى قالوا : الحجاج بن علاط قال : ولم يكونوا علموا بإسلامى - عنده والله الخبر ، أخبرنا يا أبا محمد ، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهى بلد يهود وريف الحجاز ، قال قلت : قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسركم . قال :

---

(١) أى صاحبها .

(٢) يا لها من منزلة عظيمة ، ألا وهى الشهادة فى سبيل الله ، فقد كشف الله الحجاب لنبيه ﷺ وهذه من المعجزات ليرى الحور العين مع هذا الرجل الذى استشهد فى المعركة وكان قد أسلم وأخلص النية لله ودخل المعركة .

فالتبطوا بجنبى ناقتى [(١)] يقولون : إيه يا حجاج ، قال ، قلت : هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط ، وأسر محمد أسرًا ، وقالوا : لانقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم ، فيقتل بين أظهركم . قال : قلت : أعينونى على جمع مالى بمكة وعلى غرمائى ، فإنى أريد أن أقدم خيبر ، فأصيب من فل [(٢)] محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ما هنالك .

قال ابن إسحاق : قال : فقاموا فجمعوا لى مالى كأحث [(٣)] جمع سمعت به قال : وجئت صاحبتى فقلت : مالى ، وقد كان لى عندها مال موضوع ، لعلى ألحق بخيبر ، فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقنى التجار ، قال فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر ، وجاءه عنى ، أقبل حتى وقف إلى جنبى وأنا فى خيمة من خيام التجار ، فقال : يا حجاج ، ما هذا الخبر الذى جئت به ؟ قال : فقلت : وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال : نعم . قال : قلت فاستأخر عنى حتى ألقاك على خلاء ، فإنى فى جمع كما ترى ، فانصرف عنى حتى أفرغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كل شىء كان لى بمكة ، وأجمعت الخروج ، لقيت العباس ، فقلت : احفظ علىّ حديثى يا أبا الفضل . فإنى أخشى الطلب ثلاثاً ، ثم قل ما شئت ، قال: أفعل قلت فإنى والله لقد تركت ابن أخيك عروسًا على بنت ملكهم . يعنى صفية بنت حُيى ولقد افتتح خيبر وانتثل [(٤)] ما فيها وصارت له ولأصحابه فقال : ما تقول يا حجاج ؟ قال : قلت : أى والله فاكتم عنى ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالى فرقًا من أن أغلب عليه فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك فهو والله على ما تحب قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخلق [(٥)] وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله

---

(١) التبطوا : ساروا ملازمين لها .

(٢) الفل : المنهزمون .

(٣) كأحث : كأسرع .

(٤) انتثل : استخرج .

(٥) تخلق : تطيب بطيب .

التجلد لحر المصيبة ، قال : كلا ، والله الذى حلفتم به ، لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسًا على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه ، قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلمًا ، فأخذ ماله ، فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه ، فيكون معه ، قالوا : يا لعباد الله ، انفلت عدو الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ، قال : ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك ·

* شعر حسان فى فتح خيبر :

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم خيبر قول حسان بن ثابت :

بئسما قاتلت خيابر [١] عمـــا   جمعوا من مزارع ونخيـل

كرهوا الموت فاستبيح حماهم   وأقروا فعل اللئيم الذليـل

أمن الموت تهربوا فإن المـــو   ت موت الهزال غير جميل

قال ابن إسحاق : وقال ناجية بن جنوب الأسلمى :

يا لعباد الله فيم يُرغب   ما هو إلا مأكل ومشرب

وجنة فيها نعيم معجب

* تَقْسِيمُ أموال خيبر :

قال ابن إسحاق : وكانت المقاسم على أموال خيبر ، على الشق ونطاة والكتيبة فكانت الشق ونطاة فى سهمان المسلمين ، وكانت الكتيبه خمس الله ، وسهم النبى ﷺ ، وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين ، وطعم أزواج النبى ﷺ وطعم رجال مشوا بين رسول الله ﷺ وبين أهل فدك بالصلح ، ومنهم محيصة بن مسعود ، أعطاه رسول الله ﷺ ثلاثين وسقا [٢] ، من شعير ، وثلاثين وسقا من تمر ، وقسمت خيبر على أهل الحديبية ، من شهد خيبر ، ومن غاب عنها ، ولم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقسم له رسول الله ﷺ كسهم من حضرها ، وكان وادياها وادى السريرة ، ووادى خاص [١] ، وهما اللذان قسمت

(١) أهل خيبر ·

(٢) الوسق : يريد به هنا إما حمل البعير أو ستين صاعا ، ومن معانيه أيضا حمل النخلة وليس مرادًا هنا ·

(١) قال السهيلى فى الروض الأنف : إنه وادى خلص ·

عليهما خيبر ، وكانت نطاة والشق ثمانية عشر سهمًا ، نطاة من ذلك خمسة أسهم ، والشق ثلاثة عشر سهمًا ، وقسمت الشق ونطاة على ألف سهم ، وثمانمائة سهم .

وكانت عدة الذين قسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله ﷺ ألف سهم وثمانمائة سهم ، برجالهم وخيلهم . الرجال أربع عشرة مئة ، والخيل مئتا فرس فكان لكل فرس سهمان ، ولفارسه سهم (١) ، وكان لكل راجل (٢) سهم ، فكان لكل سهم رأس جمع إليه مئة رجل ، فكانت ثمانية عشر سهماً جمع .

قال ابن إسحاق : فكان على بن أبى طالب رأسًا ، والزبير بن العوام ، وطلحة ابن عبيد الله وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدى أخو بنى العجلان ، وأسيد بن حضير ، وسهم الحارث بن الخزرج ، وسهم ناعم ، وسهم بنى بياضة ، وسهم بنى عبيدة ، وسهم بنى حرام من بنى سلمة ، وعبيد السهام .

قال ابن إسحاق وسهم ساعدة ، وسهم غفار وأسلم ، وسهم النجار وسهم حارثة ، وسهم أوس . فكان أول سهم خرج من خيبر بنطاة سهم الزبير بن العوام ، وهو الخزع (٣) ، وتابعه السرير ، ثم كان الثانى سهم بياضة ، ثم كان الثالث سهم أسيد ثم كان الرابع سهم بنى الحارث بن الخزرج ثم كان الخامس سهم ناعم لبنى عوف بن الخزرج ومزينة وشركائهم ، وفيه قتل محمود بن مسلمة فهذه نطاة .

ثم هبطوا إلى الشق (٤) ، فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عدى ، أخى بنى العجلان ، ومعه كان سهم رسول الله ﷺ ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف ، ثم سهم ساعدة ثم سهم النجار ، ثم سهم على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، ثم سهم طلحة بن عبيد الله ، ثم سهم غفار وأسلم ، ثم سهم عمر بن الخطاب ، ثم سهم سلمة بن عبيد وبنى حرام ، ثم سهم حارثة ، ثم سهم عبيد السهام ، ثم سهم أوس ، وهو سهم اللفيف ، جمعت إليه جهينة ومن حضر خيبر من سائر العرب ، وكان حذوه سهم رسول الله ﷺ ، الذى كان أصابه فى سهم عاصم بن عدى (٥) .

(١) قال ابن هشام : وفى يوم خيبر عرَّب رسول الله ﷺ العربى من الخيل ، وهجَّن الهجين .

(٢) أى الذى يحارب سيراً على قدميه بدون فرس .

(٣) مكان قريب من خيبر .

(٤) حصن بخيبر .

(٥) ويتضح فى كل ما سبق مدى عدالته ﷺ فى التوزيع والقسمة وعندما قسم بعد ذلك الكتيبة قسم - كما قال ابن هشام - على قدر حاجتهم وكانت الحاجة فى بنى المطلب أكثر ، ولهذا أعطاهم أكثر .

ثم قسَّم رسول الله ﷺ الكتيبة ، وهى وادى خاص (١) ، بين قرابته وبين نسائه وبين رجال من المسلمين ونساء أعطاهم منها ، فقسم رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته مئتى وسق ، ولعلى بن أبى طالب مئة وسق ، ولأسامة بن زيد مئتى وسق وخمسين وسقًا من نوى ، ولعائشة أم المؤمنين مئتى وسق ، ولأبى بكر بن أبى قحافة مئة وسق ، ولعقيل بن أبى طالب مئة وسق وأربعين وسقا ، ولبنى جعفر خمسين وسقا ، ولربيعة بن الحارث مئة وسق وللصلت بن مخرمة وابنيه مئة وسق للصلت منها أربعون وسقا ، ولأبى نبقة (٢) خمسين وسقا ولركانة بن عبد يزيد خمسين وسقا ، ولقيس بن مخرمة ثلاثين وسقا ، ولأبى القاسم بن مخرمة أربعين وسقا ، ولبنات عبيدة بن الحارث وابنة الحصين بن الحارث مئة وسق ولبنى عبيد بن عبد يزيد ستين وسقا ولابن أوس بن مخرمة ثلاثين وسقاء ولمسطح بن أثاثة وابن إلياس خمسين وسقا ، ولأم رميثة أربعين وسقا ، ولنعيم بن هند ثلاثين وسقا ، ولبحينة بنت الحارث ثلاثين وسقا ، ولعجير بن عبد يزيد ثلاثين وسقا ، ولأم الحكم بنت الزبير بن عبد المطلب (٣) ثلاثين وسقا ، ولجماعة بنت أبى طالب ثلاثين وسقا ، ولابن الأرقم خمسين وسقا ، ولعبد الرحمن بن أبى بكر أربعين وسقا ، ولحمنة بنت جحش ثلاثين وسقا ، ولأم الزبير أربعين وسقا ولضباعة بنت الزبير أربعين وسقا ولابن أبى خنيس ثلاثين وسقا ولأم طالب أربعين وسقا ، ولأبى بصرة عشرين وسقا ، ولنميلة الكلبى خمسين وسقا ، ولعبد الله بن وهب وابنيه تسعين وسقا لابنيه منها أربعين وسقا ، ولأم حبيب بنت جحش ثلاثين وسقا ، ولملكوم بن عبدة ثلاثين وسقا ، ولنسائه ﷺ سبع مئة وسق .

* * *

---

(١) قال السهيلى فى الروض : وادى خلص .

(٢) هو علقمة بن المطلب ، ويقال : عبد الله بن علقمة ، وقال أبو عمر : هو مجهول وقال ابن الفرضى : أبو نبقة بن المطلب بن عبد مناف ، واسم أبى نبقة : عبد الله ، ومن ولده محمد بن العلاء بن الحسين بن عبد الله بن أبى نبقة ، ومن ولده : أبو الحسين المطلبى إمام مسجد رسول الله ﷺ وهو يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين بن العلاء بن المغيرة بن أبى نبقة بن المطلب بن عبد مناف .

(٣) الصحيح أنها أم حكيم وهى بنت الزبير بن عبد المطلب أخت ضباغة ، وكانت تحت ربيعة بن الحارث ، أما أم الحكم فهى بنت أبى سفيان وهى من مسلمة الفتح ، وهى لم تشهد خيبر ولم تكن مسلمة وقتها .

ذِكْرُ مَا أَعْطَى مُحَمَّدٌ رسول الله ﷺ نِسَاءهُ من قَمْحِ خَيْبَر

* **نَصِيبُ أُمَّهَات المؤمنين وفاطمة :**

قسم لهن مئة وسق وثمانين وسقا ، ولفاطمة بنت رسول الله ﷺ خمسة وثمانين وسقا ، ولأسامة بن زيد أربعين وسقا ، وللمقداد بن الأسود خمسة عشر وسقا ولأم رميثة خمسة أوسق · شهد عثمان بن عفان ، وعباس وكتب ·

وصية الرسول عند موته : قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : لم يوص رسول الله ﷺ عند موته إلا بثلاث ، أوصى للرهاويين بجاد مئة وسق من خيبر ، والداريين بجاد مئة وسق ، من خيبر ، وللسبائيين ، وللأشعريين بجاد مئة وسق من خيبر ، وأوصى بتنفيذ بعث أسـامة بن زيد بن حارثة ، وألا يترك بجزيرة العرب دينان ·

خبر فدك : قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله الرعب فى قلوب أهل فدك ، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر ، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك ، فقدمت عليه رسلهم بخيبر ، أو بالطائف أو بعد ما قدم المدينة ، فقبل ذلك منهم ، فكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب (١) ·

* * *

(١) ولكن بصلح لاقتال فيه ·

تَسْمِيَة النَّفَر الداريين

الذين أوصى لهم رسول الله ﷺ من خيبر

وهم بنو الدار بن حبيب بن نمارة بن لخم ، الذين ساروا إلى رسول الله ﷺ من الشام : تميم بن أوس ونعيم بن أوس أخوه ، ويزيد بن قيس ، وعرفة بن مالك ، سماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن .

قال ابن إسحاق : وفاكه بن نعمان ، وجبلة بن مالك ، وأبو هند بن بر ، وأخوه الطيب بن بر ، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله .

فكان رسول الله ﷺ ، كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، يبعث إلى أهل خيبر عبد الله بن رواحة خارصا [١] بين المسلمين ويهود ، فيخرص عليهم ، فإذا قالوا : تعديت علينا ، قال : إن شئتم فلنا ، فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .

وإنما خرص عليهم عبد الله بن رواحة عاما واحدًا ، ثم أصيب بمؤتة يرحمه الله ، فكان جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بنى سلمة ، هو الذى يخرص عليهم بعد عبد الله بن رواحة .

فأقامت يهود على ذلك ، لا يرى بهم المسلمون بأساً فى معاملتهم ، حتى عدوا فى عهد رسول الله ﷺ على عبد الله بن سهل ، أخى بنى حارثة ، فقتلوه ، فاتهمهم رسول الله ﷺ والمسلمون عليه .

قال ابن إسحاق : حدثنى الزهرى عن سهل بن أبى حَثْمة ، وحدثنى أيضا بشير بن يسار مولى بنى حارثة ، عن سهل بن أبى حثمة ، قال : أصيب عبد الله بن سهل بخيبر ، وكان خرج إليها فى أصحاب له يمتار منها تمراً ، فوجد فى عين قد كسرت عنقه ، ثم طرح فيها ، قال فأخذوه فغيبوه ، ثم قدموا على رسول الله ﷺ ، فذكروا له شأنه ، فتقدم إليه أخوه عبد الرحمن بن سهل ، ومعه ابنا عمه حُوَيِّصَةُ ومُحَيِّصَة ابنا مسعود ، وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنًّا [٢] . وكان

---

(١) الخارص : الذى يقدر الشىء نظراً بلا وزن ولا كيل ، من الخرص : وهو الظن .

(٢) أى أصغرهم سنًّا .

صاحب الدم . وكان ذا قدم فى القوم . فلما تكلم قبل ابنى عمه قال رسول الله ﷺ : الكبر الكبر [١] .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى ، عن عبد الرحمن بن بجيد بن قَيظى : أخى بنى حـــارثة ، قال محمد بن إبراهيـم . وايم الله [٢] ، ما كان سهل بأكثر علماً منه . ولكنه كان أسن منه . إنه قال له : والله ما هكذا كان الشأن ! ولكن سهلا أوهم ، ما قال رسول الله ﷺ : احلفوا على ما لا علم لكم به . ولكنه كتب إلى يهود خيبر حين كلمته الأنصار أنه قد وجد قتيل بين أبياتكم فدوه [٣] ، فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه . ولا يعلمون له قاتلاً فوداه [٤] رسول الله ﷺ من عنده .

* إجلاء اليهود عن خيبر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمرو بن شُعَيب مثل حديث عبد الرحمن بن بجيد إلا أنه قال فى حديثه : ودوه أو ائذنوا بحرب ، فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً ، فوداه رسول الله ﷺ من عنده .

قال ابن إسحاق : وسألت ابن شهاب الزهرى : كيف كان إعطاء رسول الله ﷺ يهود خيبر نخلهم ، حين أعطاهم النخل على خرجها ، أبتّ ذلك لهم حين قبض أم أعطاهم إياها للضرورة من غير ذلك ؟ .

فأخبرنى ابن شهاب : أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عز وجل على رســول الله ﷺ ، خَمَّسها رسول الله ﷺ ، وقسّمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله ﷺ ، فقال : إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ، وتكون ثمارها بيننا وبينكم ، وأقركم ما أقركم الله ، فقبلوا ، فكانوا يعملونها ، وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة ، فيقسم ثمرها ، ويعدل عليهم فى الخرص ، فلما توفــى الله نبيه ﷺ ، أقرها أبو بكر رضي الله عنه ، بعد

(١) أى قدموا الأكبر .

(٢) أى أقسم بالله .

(٣) فعل أمر معناه ادفعوا ديته .

(٤) أى دفع ديته .

رســول الله ﷺ بأيديهم ، على المعاملة التى عاملهــم عليها رسول الله ﷺ ، حتى توفى ، ثم أقرها عمر ﵁ صدرا من إمارته · ثم بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال فى وجعه الذى قبضه الله فيه : لا يجتــمعن بجزيرة العرب دينان ، ففحص عمر ذلك ، حتى بلغه الثبت ، فأرسل إلى يهود ، فقال إن الله عز وجل قد أذن فى جلائكم ، قد بلغنى أن رسول الله ، قال : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود به ، أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود ، فليتجهز للجلاء ، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ منهم ·

* عمر يجلى اليهود من خيبر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر قال : خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قدمنا تفرقنا فى أموالنا ، قال : فعدى علىَّ تحت الليل ، وأنا نائم على فراشى ، ففدعت [1] يداى من مرفقى ، فلما أصبحت استصرخ علىَّ صاحباى ، فأتيانى فسألانى : من صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدرى ، قال : فأصلحا من يدى ، ثم قدما بى على عمر ﵁ ، فقال : هذا عمل يهود ، ثم قام فى الناس خطيبا فقال : أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه ، كما قد بلغكم ، مع عَدْوِهم على الأنصارى قبله ، لا نشك أنهم أصحابه ، ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به ، فإنى مخرج يهود فأخرجهم ·

عمر يقسِّم وادى القرى : قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الله بن مكنف ، أخى بنى حارثة ، قال : لما أخرج عمر يهود من خيبر ركب فى المهاجرين والأنصار ، وخرج معه جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بنى مسلمة ، وكان خارص أهل المدينة وحاسبهم – ويزيد بن ثابت ، وهما قسما خيبر بين أهلها ، على أصل جماعة السهمان ، التى كانت عليها ·

(١) الفدع : اعوجاج فى المفاصل ، كأنها أزيلت عن أماكنها ·

وكان ما قسم عمر بن الخطاب من وادى القرى [١] ، لعثمان بن عفان خطر [٢] . ولعبد الرحمن بن عوف خطر ، ولعمر بن أبى سلمة خطر ، ولعامر بن أبى ربيعة خطر ، ولعمر بن سراقة خطر .

قال ابن إسحاق : ولجبر بن عتيك نصف خطر ، ولابن الحارث بن قيس نصف خطر ، ولابن حزمة والضحاك خطر ، فهذا ما بلغنا من أمر خيبر ووادى القرى ومقاسمهما .

* * *

(١) وادى القرى : واد بين الشام والمدينة وبالتحديد بين تيماء وخيبر ، وفيه قرى كثيرة وسمى بذلك لكثرة القرى المنظومة به ، وقيل إن هذا الوادى كان فيه منازل عاد وثمود التى أهلكها الله عليهم ، ثم سكنها اليهود فهم ملعونون مثلهم .

(٢) قال ابن هشام : الخطر : النصيب .

قُدوم جعفر بن أبى طالب من الحبشة وحديث المهاجرين معه

قال ابن إسحاق : وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ حتى بعث فيهم رسول الله ﷺ إلى النجاشى عمرو بن أمية الضمرى فحملهم فى سفينتين ، فقدم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحديبية ·

من بنى هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب [1] ، معه امرأته أسماء بنت عُميس الخثعمية ، وابنه عبد الله بن جعفر ، وكانت ولدته بأرض الحبشة · قتل جعفر بمؤته من أرض الشام أميرًا لرسول الله ﷺ ، رجل ·

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سعيد بن العاص بن أُمية بن عبد شمس ، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد ، وابناه سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، ولدتهما بأرض الحبشة قتل خالد بمرج الصفر [2] فى خلافة أبى بكر الصديق بأرض الشام ، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث الكنانى ، هلكت بأرض الحبشة · قتل عمرو بأجنادين من أرض الشام فى خلافة أبى بكر رضي الله عنه ·

ولعمرو بن سعيد يقول أبوه سعيد بن العاص بن أمية أبو أُحيحة :

أَلا لَيْتَ شِعْرِى عَنْكَ يَا عَمْرو سَائِلاً ... إِذَا شَبَّ وَاشْتَدَتْ يَدَاهُ وُسلحَا
أَنترك أَمرَ القَوْمِ فِيه بَلابِلٌ ... تَكشف غَيْظًا كَان فى الصَّدْرِ مُوجِحَا [3]

ولعمر وخالد يقول أخوهما أبان بن سعيد بن العاص ، حين أسلما ، وكان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالظريبة ، من ناحية الطائف ، هلك فى مال له بها :

---

(١) ذكر الشعبى أن جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه قدم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر ، فقبَّل رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه - أى عانقه - وقال : ما أدرى بأيهما أنا أسرُّ : بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟! ولا يظن أن هذا الموضوع ذكر قبل ذلك فإن هؤلاء العائدون لا المسافرون وأثبتناه كما وجدناه ·

(٢) موضع بدمشق ·

(٣) البلابل : الاضطراب ، موجحا : مستوراً ·

أَلاَ لَيْتَ ميتًا بالظَّريبة شَـــاهِدٌ ... لَما يفترى في الدين عَمْرو وَخَالد

أَطَاعَا بِنَا أَمْرَ النِّسَاءِ فَأصبَـــحا ... يُعينَان مِنْ أَعْـــدَائنَا من نُكَابِد

فأجابه خالد بن سعيد ، فقال :

أَخِي مَا أَخِي لاَ شَاتِم أَنا عرْضَهُ ... وَلا هُو من سُـــوءِ المَقَالَة مقصر

يَقول إذَا اشْتَدتْ عَليه أُمـــورهُ ... أَلا لَيْتَ مَيْتًا بالظَّريبـــــة يُنْشَرُ

فَدع عَنْك مَيْتًا قَدْ مَشى لِسَبِـيلِه ... وَأقبل عَلى الأَدْنَى الـــذى هُو أَفْقَرُ

ومعيقيب بن أبى فاطمة ، خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المسلمين وكان إلى آل سعيد بن العاص ، وأبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس ، حليف آل عُتْبة ابن ربيعة بن عبد شمس ، أربعة نفر .

ومن بنى أسد بن عبد العزَّى بن قُصى : الأســـود بن نوفل بن خُوَيلد . رجل .

ومن بنى عبد الدار بن قُصى : جهم بن قيس بن عبد شُرحبيل ، معه ابناه عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم وكانت معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود هلكت بأرض الحبشة ، وابناه لها ، رجل .

ومن بنى زهرة بن كلاب : عامر بن أبى وقاص ، وعتبة بن مسعود ، حليف لهم من هذيل . رجلان .

ومن بني تيم بن مرة بن كعب : الحارث بن خالد بن صخر ، وقد كانت معه امرأته ريطة بنت الحارث بن جبيلة ، هلكت بأرض الحبشة رجل .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هُصيص بن كعب : عثمان بن ربيعة بن أهبان . رجل .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب . محمية بن الجزء ، حليف لهم من زبيد ، كان رسول الله ﷺ ، جعله على خُمس المسلمين (١) . رجل .

---

(١) أى حارسًا على الخمس من الغنيمة .

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى : معمر بن عبد الله بن نضلة رجل ·

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب : أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس ، معه امرأته عمرة بنت السعدى بن وقدان ابن عبد شمس · رجلان ·

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : الحارث بن عبد قيس بن لقيط · رجل ·

وقد كان حمل النجاشى معهم فى السفينتين نساء من نساء من هلك هنالك من المسلمين ·

فهؤلاء الذين حمل النجاشى مع عمرو بن أمية الضمرى فى السفينتين ، فجميع من قدم فى السفينتين إلى رسول الله ﷺ ستة عشر رجلا ·

وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يقدم إلا بعد بدر ، ولم يحمل النجاشى فى السفينتين إلى رسول الله ﷺ ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن هلك بأرض الحبشة ، من مُهاجرة الحبشة [(١)] :

من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عبيد الله بن جحش بن رئاب الأسدى أسد خزيمة ، حليف بنى أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وابنته حبيبة بنت عبيد الله ، وبها كانت تكنى أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وكان اسمها رملة خرج مع المسلمين مهاجرا ، فلما قدم أرض الحبشة تنصَّر [(٢)] بها وفارق الإسلام ، ومات هنالك نصرانيا ، فخلفِ [(٣)] رسول الله ﷺ على امرأته من بعده أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ·

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، قال : خرج عبيد الله بن جحش مع المسلمين مسلما ، فلما قدم أرض الحبشة تنصر ، قال : فكان إذا مرَّ بالمسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ قال : فتحنا وصأصأتم ، أى قد

---

(١) أى الذين هاجروا إلى الحبشة ·

(٢) تنصَّر : أى دخل فى النصرانية واعتنق مبادئها وارتد عن الإسلام ·

(٣) أى تزوجها النبى ﷺ بعده ، وأصبحت من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، وروت كثيراً من أحاديث الرسول ﷺ ·

أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ، ولم تبصروا بعد . وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صاصأ قبل ذلك فضرب ذلك له ولهم مثلا : أى أنَّا قد فتحنا أعيننا فأبصرنا ، ولم تفتحوا أعينكم فتبصروا وأنتم تلتمسون ذلك .

قال ابن إسحاق: وقيس بن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خزيمة ، وهو أبو أمية بنت قيس التى كانت مع أم حبيبة ، وامرأته بركة بنت يسار ، مولاة أبى سفيان ابن حرب ، كانتا ظئرى [1] عبيد الله بن جحش ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، فخرجا بهما معهما حين هاجروا إلى أرض الحبشة . رجلان .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قُصى : يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب ابن أسد ، قتل يوم حُنين مع رسول الله ﷺ شهيداً ، وعمر بن أمية بن الحارث بن أسد هلك بأرض الحبشة . رجلان .

ومن بنى عبد الدار بن قُصى : أبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار . رجلان .

ومن بنى زُهرة بن كلاب بن مرة : المطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، معه امرأته رملة بنت أبى عوف بن ضُبيرة بن سعيد بن سعد [2] ابن سهم هلك بأرض الحبشة ، ولدت له هـــنالك عبد الله بن عبد المطلب ، فكان يقال : إن كان لأول رجل ورث أباه فى الإسلام . رجل .

ومن بنى تيم بن مرة بن كعب بن لؤى : عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم ، قتل بالقادسية [3] مع سعد بن أبى وقاص رجل .

من بنى مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب : هبار بن سفيان بن عبد الأسد ،

---

(١) الظئر : هى التى ترضع غير ولدها .

(٢) ذكر فى بعض النسخ « سعد » ، وفيما يأتى « سعيد » وهو تحريف ، قال السهيلى فى الروض الأنف : وحيثما تكرر نسب بنى عدى بن سعد بن سهم يقول فيه ابن إســحاق : « سعيد » ، والناس على خلافه ، إنما هو سعد ، وإنما سعيد بن سهم أخو سعد ، وهو جد آل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم .

(٣) معركة القادسية كانت فى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب وكانت بين المسلمين والفرس ، وقائدها سعد بن أبى وقاص وانتصر المسلمون فيها .

قتل بأجنادين من أرض الشام فى خلافة أبى بكر رضي الله عنه ، وأخوه عبد الله بن سفيان قتل عام اليرموك بالشام فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشك فيه أقتل أم لا : وهشام [١] بن أبى حُذيفة بن المغيرة ، ثلاثة نفر ·

ومن بنى جمح بن عمرو بن هُصيص بن كعب : حاطب بن الحارث بن مَعْمر ابن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جمح ، وابناه محمد والحارث ، معه امرأته فاطمة بنت المحلل · هلك [٢] حاطب هناك مسلما · فقدمت امرأته وابناه وهى أمهما فى إحدى السفينتين وأخوه حطَّاب بن الحارث معه امرأته فكيهة بنت يسار هلك هناك مسلما فقدمت امرأته فكيهة فى إحدى السفينتين وسفيان بن معمر بن حبيب وابناه جنادة وجابر وأمهما حَسَنَة وأخوهما لأمهما شرحبيل ابن حَسَنة [٣] وهلك سفيان وهلك ابناه جنادة وجابر فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه · ستة نفر ·

ومن بنى سهم بن هُصَيْص بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى ابن سعد بن سهم الشاعر هلك بأرض الحبشة وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم قتل يوم اليمامة [٤] فى خلافة أبى بكر الصديق رضي الله عنه وعبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم وهو (رسول) [٥] رسول الله ﷺ إلى كسرى ، والحارث بن الحارث بن قيس بن عدى ومعمر بن الحارث بن قيس بن عدى وبشر بن الحارث بن قيس بن عدى وأخ له من أمه من بنى تميم يقال له سعيد بن عمرو وقتل بأجنادين فى

---

(١) هشام بن أبى حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ، واسم أبى حذيفة مهشم ، وذكر الواقدى هشامًا هذا فيمن قدم من الحبشة غير أنه قيل فيه : هاشم ولم يذكره موسى بن عقبة ، ولا أبو معشر فى القادمين من الحبشة ·

(٢) هلك : مات ·

(٣) حسنة أمه ولذلك وجب أن نضع الألف فى ابن فنقول : شرحبيل ابن حسنة ؛ لأن القاعدة تقول تحذف ألف ابن إذا كانت بين علمين الثانى منهما أبو الأول ، وهنا أمه فوجب إثباتها ·

(٤) أى معركة اليمامة وهى التى قُتل فيها مسيلمة الكذاب قتله وحشى - الذى قتل حمزة ابن عبد المطلب - وكان مسلمًا يوم اليمامة ويقاتل فى صفوف المسلمين ·

(٥) أى سفير أو مبعوث الرسول ﷺ ·

خلافة أبى بكر رضي الله عنه وسعيد بن الحارث بن قيس قتل عام اليرموك فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والسائب بن الحارث بن قيس ، جرح بالطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتل يوم فحل [1] فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ويقال : قُتل يوم خيبر ، يشك فيه ، وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم بن سعيد بن سهم ، قُتل بعين التمر مع خالد بن الوليد منصرفه من اليمامة ، فى خلافة أبى بكر رضي الله عنه . أحد عشر رجلاً .

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى : عروة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب . هلك بأرض الحبشة ، وعدى بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان ، هلك بأرض الحبشة رجلان .

وكان مع عدى ابنه النُّعمان بن عدى ، فقدم النعمان مع من قدم من المسلمين من أرض الحبشة ، فبقى حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب ، فاستعمله على ميسان ، من أرض البصرة فقال أبياتا من شعر ، وهى :

أَلا هَلْ أَتى الحَسْنَاء أَنْ حَلِيلَها ... بِميسان يُسْقَى فى زُجَاج وَحنْتَم [2]

إذا شئتُ غَنتنى دَهَاقِين قَرية ... وَرَقَّاصَة تجثو عَلى كل مَنْسَم [3]

فَإن كُنْتَ نَدْمَانى فَبالأكبر اسقنى ... وَلا تسقنى بالأصغَر المتثلم

لَعَل أمير المُؤمنينَ يَسوؤه ... تَنادمنا فى الجَوسق المُتَهدم [4]

فلما بلغت أبياته عمر ، قال : نعم والله ، إن ذلك ليسوءنى ، فمن لقيه فليخبره أنى قد عزلته ، وعزله فلما قدم عليه اعتذر إليه وقال : والله يا أمير المؤمنين ، ما صنعت شيئا مما بلغك أنى قلته قط ، ولكنى كنت امرءًا شاعرًا ، وجدت فضلا من قول ، فقلت فيما تقول الشعراء ، فقال له عمر : وايم الله ، لا تعمل لى على عمل ما بقيتُ ، وقد قلت ما قلت .

---

(١) فحل : موضع بالشام كانت فيه معركة بين المسلمين والروم .

(٢) الحنتم : جرار مصبوغة بخضرة .

(٣) الدهاقين : رؤساء الأقاليم ، تجثو : تبرك على ركبتيهما . والمنسم : فى الأصل طرف خف البعير ، فاستعاره هنا لطرف قدمها .

(٤) الجوسق : الحصن .

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب بن فهر : سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر . وكان رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى هوذة بن على الحنفى باليمامة . رجل .

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : عثمان بن غنم بن زهير بن أبى شداد ، وسعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الحارث بن فهر ، وعياض بن زهير ابن أبى شداد ثلاثة نفر .

فجميع من تخلف عن بدر ، ولم يقدم على رسول الله ﷺ مكة ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن لم يحمل النجاشى فى السفينتين ، أربعة وثلاثون رجلا .

● الهالكون منهم :

وهذه تسمية من هلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة :

من بنى عبد شمس بن عبد مَناف : عبيد الله بن جحش بن رئاب حليف بنى أمية ، مات بها نصرانيا .

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصى : عمرو بن أمية بن الحارث بن أسد .

ومن بنى جمح : حَاطب بن الحارث ، وأخوه حطَّاب بن الحارث .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قيس .

ومن بنى عَدى بن كعب بن لُؤى : عُروة بن عبد العُزَّى بن حرثان بن عوف ، وعَدى بن نضلة سبعة نفر .

ومن أبنائهم من بنى تَيْم بن مُرة : موسى بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر رجل .

* * *

مُهَاجِراتِ الحَبَشة

وجَميع من هَاجر إلى أرض الحبشة من النساء ، من قدم منهم ومن هلك هُنَالك ست عشرة امرأة ، سوى بناتهن اللاتى ولدن هنالك ، من قدم منهن ومن هلك هنالك ومن خرج به معهن حين خرجن :

من قريش ، من بنى هَاشم رُقية بنت رسول الله ﷺ (١) .

ومن بنى أُمية : أم حبيبة بنت أبى سفيان ، مع ابنتها حبيبة ، خرجت بها من مكة ورجعت بها معها .

ومن بنى مَخزوم : أُم سَلمة بنت أُمية ، قدمت معها بزينب ابنتها من أبى سلمة ولدتها هنالك .

ومن بنى تَيم بن مُرة : ريطة بنت الحارث بن جَبِيلة هلكت بالطريق وبنتان لها كانت ولدتهما هنالك عائشة بنت الحارث وزينب بنت الحارث هلكن جميعًا وأخوهن موسى بن الحارث من ماء شربوه فى الطريق وقدمت بنت لها ولدتها هنالك فلم يبق من ولدها غيرها يقال لها فاطمة .

ومن بنى سهم بن عمرو ، رَملة بنت أبى عوف بن ضبيرة .

ومن بَنى عَدى بن كعب : ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لُؤى : سودة بنت زمعة بن قيس ، وسَهلة بنت سُهَيل بن عمرو ، وابنة المجلل ، وعمرة بنت السعدى بن وقدان ، وأم كلثوم بنت سهيل بن عمرو .

ومن غرائب العرب : أسماء بنت عميس بن النعمان الخثعمية ، وفاطمة بنت

---

(١) وكانت زوجة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنهما . وكانا من أوائل المهاجرين إلى الحبشة .

صَفْوان بن أُمية بن محرث الكنانية ، وفكيهة بنت يسار ، وبركة بنت يسار ، وحَسَنَة ، أم شرحبيل ابن حَسنة .

من وُلد من أبنائهم بالحبشة : وهذه تسمية من وُلد من أبنائهم بأرض الحبشة :

من بنى عبد شمس : محمد بن أبى حُذيفة ، وسعيد بن خالد بن سعيد ، وأخته أمة بنت خالد .

ومن بنى مخزوم : زينب بنت أبى سلمة بن الأسد .

ومن بنى زهرة : عبد الله بن المطلب بن أزهر .

ومن بَنى تيم : موسى بن الحارث بن خالد ، وأخواته عائشة بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث .

الرجال منهم خمسة : عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن أبى حُذيفة ، وسعيد ابن خالد ، وعبد الله بن عبد المطلب ، وموسى بن الحارث .

ومن النساء خمس : أمة بنت خالد ، وزينب بنت أبى سلمة ، وعائشة وزينب وفاطمة ، بنات الحارث بن خالد بن صخر .

* * *

شه
من
المش

في
ذي

الح
ور
البي
حل
وه
الو
شو
قر
عم
ثنت
الو
سن
ول

بسم الله الرحمن الرحيم
عُمْرَةُ القَضاء
فى ذى القِعْدة سَنة سبع

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر أقام بها شهرى ربيع وجُمادِيين [١] ورجبا وشعبان وشهر رمضان وشوال ، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه ﷺ . ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صده فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء ، مكان عمرته التى صدوه عنها .

● سَبَبُ التسمية :

ويقال لها عُمرة القصاص [٢] ؛ لأنهم صدوا رسول الله ﷺ فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ست . فاقتص رسول الله ﷺ ، منهم ، فدخل مكة فى ذى القعدة فى الشهر الحرام الذى صدوه فيه ، من سنة سبع .

---

(١) أى جُمادى الأولى وجمادى الآخرة ولا تقول الثانية .

(٢) عمرة القصاص : «وهذا الاسم ، أولى بها لقوله تعالى : ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ﴾ (البقرة : ١٩٤)،وهذه الآية فيها نزلت ؛ فهذا الاسم أولى بها ، وسميت عمرة القضاء لأن النبى ﷺ قاضى قريشا عليها ، لا لأنه قضى العمرة التى صد عن البيت فيها فإنها لم تك فسدت بصدهم عن البيت بل كانت عمرة تامة متقبلة حتى إنهم حين حلقوا رءوسهم بالحل احتملها الريح فألقتها فى الحرم ، فهى معدودة فى عمر النبى ﷺ - وهى أربع : عمرة الحديبية ، عمرة القضاء ، عمرة الجعرانة ، والعمرة التى قرنها مع حجة الوداع ، وفى أصح القولين أنه كان قارنا فى تلك الحجة وكانت إحدى عمره عليه السلام - فى شوال كذلك . روى عروة عن عائشة وأكثر الروايات أنهن كن كلهن فى ذى القعدة إلا التى قرن مع حجة كذلك روى الزهرى ، وانفرد معمر عن الزهرى بأنه عليه السلام كان قارنا ، وأن عمره كن أربعًا بعمرة القران وأما حجاته عليه السلام فقد روى الترمذى أنه حج ثلاث حجات ثنتين بمكة ، وواحدة بالمدينة وهى حجة الوداع . ولا ينبغى أن يضاف إليه فى الحقيقة إلا حجة الوداع ، وإن كان حج مع الناس إذ كان بمكة كما روى الترمذى ، فلم يكن ذلك الحج على سنة الحج ، وكماله ، لأنه كان مغلوبًا على أمره وكان الحج منقولا عن وقته ، كما تقدم فى أول الكتاب ، فقد ذكر أنهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشمسية ، ويؤخرونه =

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله فى ذلك : ﴿والحرماتُ قصاص﴾ ٠

قال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه فى عمرته تلك ، هى سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكةخرجوا عنه ، وتحدثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه فى عسرة وجهد وشدة ٠

قال ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم ، عن ابن عباس ، قال : صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ؛ فلما دخل رســـول الله ﷺ المسجد اضطبع (١) بردائه وأخرج عضده اليمنى ، ثم قال : رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة ، ثم استلم الركن ، وخرج يهرول (٢) ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا واراه البيت منهم ، واستلم الركن اليمانى ، مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ، ومشى سائرها ٠ فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم ٠ وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحى من قريش للذى بلغه عنهم ، حتى إذا حج حجة الوداع فلزمها ، فمضت السنة بها ٠

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة فى تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام (٣) ناقته يقول :

= فى كل سنة أحد عشر يوماً هذا هو الذى منع النبى - ﷺ - أن يحج من المدينة ، حتى كانت مكة دار إسلام ، وقد كان أراد أن يحج مقفله من تبوك ، وذلك بإثر فتح مكة بيسير ، ثم ذكر أن بقايا المشركين يحجون ، ويطوفون عراة فأخر الحج ، حتى نبذ إلى كل ذى عهد عهده ، وذلك فى السنة التاسعة ، ثم حج فى السنة العاشرة بعد إنحاء رسوم الشرك ، وانحسام سير الجاهلية ، ولذلك قال فى حجة الوادع : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ٠

والعمرة واجبة فى قول أكثر العلماء ، وهو قول ابن عمر وابن عباس ، وقال الشعبى : ليست بواجبة ، وذكر عنه أنه كان يقرؤها : « وأتموا الحج والعمرة لله » بالرفع - أى رفع لفظ العمرة على جعل « والعمرة لله » كلاما مستأنفا لا يعطفها على الحج ، وقال عطاء : هى واجبة إلا على أهل مكة ، ويكره مالك أن يعتمر الرجل فى العام مراراً ، وهو قول الحسن وابن سيرين ، وجمهور العلماء على الإباحة فى ذلك ، وهو قول على وابن عباس وعائشة والقاسم ابن محمد ٠ قالوا : يعتمر الرجل فى العام ما شاء ٠

(١) اضطبع : أدخل الرداء تحت إبطه الأيمن وغطى به الأيسر ٠

(٢) يهرول : من الهرولة وهى فوق المشى ودون الجرى ٠

(٣) خطام ناقته : الحبل الذى تقاد به ٠

خلوا بنى الكفار عـن سبيله خلوا فكـل الخير فى رسوله
يا رب إنـى مؤمن بـقيله أعرف حق الله فى قبوله [١]
نحن قتلناكم علـى تأويلـه كما قتلناكم على تنزيـله [٢]
ضربا يزيل الهام عن مقيـله ويذهل الخليل عـن خليله

• زواج الرسول ﷺ بميمونة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبان بن صالح وعبد الله بن أبى نجيح عن عطاء بن أبى رباح ومجاهد أبى الحجاج ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث [٣] فى سفره وهو حرام [٤] ، وكان الذى زوجـه إياها [٥] العباس بن عبد المطلب ٠

فجعلت أم الفضل أمرها إلى العباس ، فزوجها رسول الله ﷺ بمكة ، وأصدقها عن رسول الله ﷺ أربعمائة درهم ٠

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثا ، فأتاه حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ، فى نفر من قريش ، فى اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة ؛ فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك ، فاخرج عنا ؛ فقال النبى ﷺ : وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه قالوا : لا حاجة لنا فى طعامك ، فاخرج عنا ٠ فخرج رسول الله ﷺ ، وخلف [٦] أبا رافع ، مولاه

(١) قيله : قوله ٠

(٢) ويروى : اليوم نضربكم علي تأويله بسكون الباء ، وهو جائز فى الضرورة ، نحو قول امرئ القيس : فاليوم أشرب غير مستحقب ٠

(٣) أمها : هند بنت عوف الكنانية ٠

(٤) اى وهو محرم ٠

(٥) زوجه إياها : اى كان وليها فى عقد الزواج ٠

(٦) أى تركه وراءه ٠

على ميمونة ، حتى أتاه بها بسرف [١] ، فبنى بها رسول الله ﷺ هنالك ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فى ذى الحجة .

* * *

(١) مكان قرب التنعيم وبسرف كانت وفاتها رضي الله عنها حين ماتت ، وذلك سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة ست وستين ، وصلى عليها ابن عباس ، ويزيد بن الأصم : وكلاهما ابن أخت لها ، ويقال : فيها نزلت ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى ﴾ فى أحد الأقوال ، وذلك أن الخاطب جاءها ، وهى على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لرسول الله ﷺ . واختلف الناس فى تزويجه إياها أكان محرمًا أم حلالا فروى ابن عباس أنه تزوجها محرمًا ، واحتج به أهل العراق فى تجويز نكاح المحرم ، وخالفهم أهل الحجاز ، واحتجوا بنهيه عليه السلام عن أن ينكح المحرم أو ينكح ، وزاد بعضهم فيه : أو يخطب من رواية مالك ، وعارضوا حديث ابن عباس بحديث يزيد بن الأصم أن النبى ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال ، وخرج الدارقطنى والترمذى أيضا من طريق أبى رافع أن النبى ﷺ تزوج ميمونة ، وهو حلال . وروى الدارقطنى من طريق ضعيف عن أبى هريرة أنه تزوجها وهو محرم كرواية ابن عباس وفى مسند البزار من حديث مسروق وعائشة رضي الله عنها ، قالت : تزوج رسول الله (ﷺ) وهو محرم ، واحتجم وهو محرم ، وإن لم تذكر فى هذا الحديث ميمونة ، فنكاحها أرادت ، وهو حديث غريب ، وخرج البخارى حديث ابن عباس ، ولم يعلله هو ، ولا غيره ، وروى عن سعيد بن المسيب أنه قال : غلط ابن عباس أو قال وهم ، ما تزوجها النبى ﷺ إلا وهو حلال ، ولما أجمعوا عن ابن عباس أن النبى ﷺ - تزوجها محرمًا ، ولم ينقل عنه أحد من المحدثين غير ذلك استغربت استغرابًا شديدًا ما رواه الدارقطنى فى السنن من طريق أبى الأسود يتيم عروة ، ومن طريق مطر الوراق عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى ﷺ تزوج ميمونة ، وهو حلال ، فهذه الرواية عنه موافقة لرواية غيره ، فقف عليها ، فإنها غريبة عن ابن عباس ، وهناك من يتأول قول ابن عباس : تزوجها محرمًا ، أى : فى الشهر الحرام ، وفى البلد الحرام ، وذلك أن ابن عباس رجل عربى فصيح ، فتكلم بكلام العرب ، ولم يرد الإحرام بالحج ، وقد قال الشاعر :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرمًا ودعا فلم أر مثله مخذولا .

وذلك أن قتله كان فى أيام التشريق ، والله أعلم أراد ذلك ابن عباس ، أو لا . . عن الروض الأنف .

قال ابن هشام : فأنزل الله عز وجل فى عمرة القضاء ، فيما حدثنى أبو عبيدة ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا ﴾ يعنى خيبر .

ذِكْرُ غَزْوةِ مُؤْتة (١)

فى جُمادى الأولى سنة ثمان ، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رَوَاحة

قال ابن إسحاق : فأقام بها بقية ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون ، والمحرم وصفرا وشهرى ربيع ، وبعث فى جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، قال : بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس .

● بُكاءُ عبد الله بن رَوَاحَة وشعره للرسول :

فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم فلما ودع عبد الله بن رَوَاحة مع من ودع من أمراء رسول الله ﷺ بكى ، فقالوا : ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال : ما والله ما بى حب الدنيا ولا صَبابة (٢) بكم ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها النار ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيًّا ﴾ (٣) ، فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود ، فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين . فقال عبد الله بن رَوَاحة :

---

(١) وهى مهموزة الواو ، وهى قرية من أرض البلقاء . من الشام ، وأما الموتة بلا همزة ، فضرب من الجنون « وفى الحديث إن النبى ﷺ كان يقول فى صلاته : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه » وفسره راوى الحديث ، فقال : نفثه : الشعر ، ونفخه : الكبر ، وهمزه الموتة .

(٢) الصبابة : الوله والعشق .

(٣) سورة مريم : الآية ٧١ .

لكنّنى أسأل الرَّحمــــــنَ مَغفِرَةً وَضَربة ذَات فَرْغٍ تَقذفُ الزَّبَدَا [1]
أَو طَعْنة بِيَدى حَرَّان مَجهــــزَة بِحَربة تُنفذ الأحْشـــاءَ والكَبِدا [2]
حَتى يُقال إذَا مَروا على جدثـى أَرشده اللهُ من غَازٍ وقد رشَدا [3]

قال ابن إسحاق : ثم إن القوم تهيئوا للخروج ، فأتى عبد الله بن رَوَاحة رسول الله ﷺ فودَّعه ، ثم قال :

فَثَبَّتَ اللهُ مَا آتاكَ مِن حَسَـــنٍ تَثبيت مَوسى ونَصرًا كالذى نصرُوا
إنِّى تَفرَّسْتُ فِيكِ الخَيْر نَافِـلة اللهُ يَعْلَمُ أنّى ثَابِـــتُ البَـــصَرَ
أَنتَ الرَّسول فَمن يحرِم نَوافله والوَجه منه فقـــد أزرى به القَدَرُ

قال ابن إسحاق : ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خَلَفَ السَّلام على امرئ وَدعتُه فى النَّخلِ خَيْر مشيع وخَليل

ثم مضوا حتى نزلوا معان ، من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب ، من أرض البلقاء ، فى مائة ألف من الروم ، وانضم إليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلى مئة ألف منهم ، عليهم رجل من بلى ثم أحد إراشة يقال له : مالك بن زافلة . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون فى أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ ، فنخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ، فنمضى له .

قال : فشجع الناسَ عبدُ الله بن رواحة ، وقال : يا قوم ، والله إن التى تكرهون ، للتى خرجتم تطلبون الشـهادة ، وما نـقاتل الناس بعـــدد ولا قوة ، ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين إما ظهور [4] وإما شـــهادة . قال : فـــقال الناس : قد والله صـــدق ابن رواحة . فمضى الناس ؛ فقال عبد الله بن رواحة فى محبسهم ذلك :

---

(١) الفرغ : السعة ، والزبد فى الأصل الرغوة ، ويراد هنا شدة تدفق الدم .

(٢) المجهزة : التى تجهز عليه ، أى تسرع فى قتله .

(٣) الجدث : القبر . (٤) ظهور : أى نصر .

جَلَبْنَا الخَيْلَ من أَجــــإ وفَرع … تُغر من الحَشيــش لها العكوم [(١)]
حَذَونَاها من الصَّوّان سبتــــا … أزل كأن صفحــــته أديم [(٢)]
أَقَامَتْ لَيلتين عَلى مَعــــان … فاعقب بعْدَ فَتْرتَهــا جموم [(٣)]
فَرحنَا والجِيَادُ مَسمومــــات … تَنَفَّس فَى منــاخرها السَّمومُ [(٤)]
فَلا وأَبى مَآب لَنَأتينــــها … وإن كانتْ بهــــا عَرب ورومُ
فَعبأْنَا أَعنتها فَجــــاءت … عَوابسُ والغُبَار لَها بريــمُ [(٥)]
بِذى لَجب كأن البيضَ فيــه … إذا بَرزت قَوانسها النجــومُ [(٦)]
فَراضية المعِيشَة طلقتــــها … أَسنَّتها فَتنكح أو تَئيــمُ [(٧)]

(١) أجأ : أحد جبلى طيىء والجبل الآخر سلمى · وفرع : مكان بأجأ · تغر : تطعم مرة بعد أخرى · والعكوم : جمع عكم وهو الجنب ·

(٢) أى حذوناها نعالا من حديد جعله سبتًا لها ، مجازاً · وصوان من الصون ، أى يصون حوافرها ، أو أخفافها ، إن أراد الإبل ، فهو فعال من الصون ، فقد كانوا يحذونها السريح وهو جلد يصون أخفافها ، وأظهر من هذا أن يكون أراد بالصوان يبس الأرض أى لا سبت له إلا ذلك ، ووزنه فعلان من قولهم : نخلة خاوية أى يابسة ، وعين الفعل فى صوان ولامه واو ، وأدخل صاحب العين - أى الخليل بن أحمد الفراهيدى - فى الصاد والواو والياء هذا اللفظ فقال : صوى يصوى : إذا يبس ، ونخلة صاوية ، ولو كان لامه ياء لقيل فى صوان : صيان ، كما قيل طيان وريان ، ولكن لما انقلبت الواو ياءً من أجل الكسرة ظن الحرف من ذوات الياء ·

(٣) معان بفتح الميم ، وهو اسم موضع ، وذكره البكرى بضم الميم ، وقال : هو اسم جبل ، والمعان أيضًا حيث تحبس الخيل والركاب ، ويجتمع الناس ، ويجوز أن يكون من أمعنت النظر ، أو من الماء المعين ، فيكون وزنه فعالا ، ويجوز أن يكون من العون ، فيكون وزنه مفعلاً ، الفترة : السكون ، الجموم : اجتماع القوة ·

(٤) السموم : الريح الحار ·

(٥) البريم : أصل معناه : الخيط المفتول الذى فيه لونان مختلطان ، وهنا يريد أن لون الخيل اختلط بلون التراب ·

(٦) بذى لجب : أى بجيش ذى لجب أى مختلط الأصوات ، البيض : ما يوضع على الرأس من الحديد ليحميه ، القوانس : أعالى البيض ·

(٧) تئيم : تبقى دون زوج ·

قال ابن إسحاق : ثم مضى الناس . فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم ، قال : كنت يتيمًا لعبد الله بن رواحة فى حجره ، فخرج بى فى سفره ذلك مردفى على حقيبة رحله فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه :

إذا أدَّيتنى وحـملت رَحْلى مَسـيرة أربع بَعْدَ الحسَاء [١]
فَشأنك نَعْم وخَـلاك ذَم ولا أرجع إلى أهلى ورائى
وجاء المسْـلمونَ وغادرُونى بأرضِ الشام مُشْتهى الثَّواء
وردَّكَ كُل ذِى نَسَـبٍ قريبٍ إلى الرحمن مُنْقَطِع الإخَـاء
هُنَالِكَ لا أُبَالى طَلْـعَ بَعْلٍ ولا نَخْلٍ أسَافلها رَوَاءُ [٢]

فلما سمعتهن منه بكيت قال : فخفقنى بالدرة . وقال : ما عليك يا لكع [٣] أن يرزقنى الله شهادة وترجع بين شعبتى الرحل !

قال : ثم قال عبد الله بن رواحة فى بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يَا زَيْدُ زَيْد اليَعْملات الذبل تَطاول الليل هُدِيتَ فانزلِ [٤]

• لقاء الروم وحُلَفائهم :

قال ابن إسحاق : فمضى الناس ، حتى إذا كانوا بتخوم [٥] البلقاء لقيتهم جموع هرقل [٦] ، من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، ثم دنا [٧] العدو ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناس عندها ، فتعبأ

---

(١) الحساء : جمع حِسْىَ وهو ماء يختفى فى الرمل حتى يجد مكانا صلبًا فيستقر .

(٢) البعل : من يشرب بعروقه من الزرع دون رى ، وبعل أيضًا معناه : زوج ، ومنه قوله : ﴿ وهذا بعلى شيخًا ﴾ أى زوجى شيخًا كبيراً .

(٣) اللكع : اللئيم أو الأحمق .

(٤) اليعملات : النوق السريعة ، والذبل : التى أهزلها السير .

(٥) التخوم : الحدود الفاصلة بين البلاد .

(٦) هرقل : ملك الروم - وكان نصرانيًا .

(٧) دنا : اقترب .

لهم المسلمون (١) فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بنى عذرة ، يقال له : قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عباية بن مالك .

• استشهاد زيد بن حارثة :

قال ابن إسحاق ثم التقى الناس واقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط (٢) فى رماح القوم .

• استشهاد جَعْفر :

ثم أخذها جعفر (٣) فقاتل بها ، حتى إذا ألحمه (٤) القتال اقتحم (٥) عن فرس له شقراء فعقرها (٦) ، ثم قاتل القوم حتى قتل . فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر فى الإسلام (٧) .

وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : حدثنى أبى الذى أرضعنى وكان أحد بنى مرة بن عوف ، وكان فى تلك الغزوة غزوة مؤتة

---

(١) أى تجهزوا واستعدوا لهم . (٢) شاط : أى تورع .

(٣) أى أخذ الراية . (٤) ألحمه : وقع فيه فلم يجد له مخرجا .

(٥) اقتحم عن فرسه : رمى نفسه من عليها .

(٦) عقرها : ضرب قوائمها بسيفه . ولم يعب ذلك عليه . فدل على جوازه مخافة أن يأخذها العدو ، فيقاتل عليها المسلمين ، فلم يدخل هذا فى باب النهى عن تعذيب البهائم ، وقتلها عبثًا غير أن أبا داود خرج هذا الحديث فقال : حدثنا النفيلى قال : حدثنا محمد بن مسلمة عن محمد بن إسحاق عن ابن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال حدثنى : أبى الذى أرضعنى ، وهو أحد بنى مرة بن عوف ، وكان فى تلك الغزاة غزاة مؤتة ، قال : والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قُتل .

قال : أبو داود : وليس هذا الحديث بالقوى ، وقد جاء فيه نهى كثير عن أصحاب النبى ﷺ .

(٧) قال ابن هشام : حدثنى من أثق به من أهل العلم أن جعفر بن أبى طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل ﵁ - وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء .

قال : والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ، ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول :

يَا حَبَّذَا الجَنة وَاقْترابهــا ... طَيِّبَةٌ وبَارِدًا شَرَابُهــا
وَالرومُ رُوْمٌ قَد دَنَا عَذَابها ... كَافرةٌ بَعيدة أَنْسـابُها
عَلَىَّ إذَ لاقَيتُها ضَرابهــا

● استشَهاد عبد الله بن رواحة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : حدثنى أبى الذى أرضعنى [1] ، وكان أحد بنى مرة بن عوف ، قال : فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدم بها ، وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردد بعض التردد ، ثم قال :

أقسمــت يَا نَفْسِ لَتَنْزلَنَّهُ ... لَتَنْزلنَّ أَو لَتكْــرِهنَّه
إنْ أَجلَبَ الناس وَشدوا الرنه ... مَالى أَراك تكْرَهــينَ الجنَّه [2]
قَد طَال مَا قَد كُنْتِ مُطمــئنه ... هَل أَنْت إلا نُطفة فى شَنَّه [3]

وقال أيضًا :

يَا نَفْس إلا تُقْتَلى تَمــوتِى ... هَذا حمامُ الموت قَد صَليت
وَمَا تَمنيت فَقَد أعطــيت ... إنْ تفعلى فَعلهمــا هُديت

يريد صاحبيه : زيدًا وجعفرًا : ثم نزل . فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق [4] من لحم فقال : شد بهذا صلبك ، فإنك قد لقيت فى أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده ثم انتهس [5] منه نهسة ، ثم سمع الحطمة [6] فى ناحية الناس ، فقال وأنت فى الدنيا ؟! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم ، فقاتل حتى قتل .

إمارة خالد : ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بنى العجلان ، فقال : يا معشر

---

(١) أبى الذى أرضعنى : يقصد أن يقول : أبى من الرضاعة .

(٢) الرنة : صوت يشبه البكاء .

(٣) النطفة : الماء القليل الصافى . الشنة : السـقاء البالى ، ضرب بذلك مثلا بقصر العمر .

(٤) العرق : عظم عليه بعض اللحم .

(٥) انتهس : أخذ اللحم بمقدم أسنانه ونتشه .

(٦) الحطمة : كسر الناس لبعضهم .

المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل . فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما أخذ الراية دافع القوم ، وخاشى [1] بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس .

الرسول يتنبأ بما حدث [2] قال ابن إسحاق : ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ ، فيما بلغنى : أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً ؛ قال : ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان فى عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ؛ ثم قال : لقد رفعوا إلىَّ [3] فى الجنة ، فيما يرى النائم ، على سرر من ذهب ، فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً [4] عن سريرى صاحبيه ، فقلت : عم هذا ؟ فقيل لى : مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ، ثم مضى :

حُزن الرسول على جعفر : قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن أم عيسى الخُزَاعية ، عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبى طالب ، عن جدتها أسماء بنت عميس ، قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل على رسول الله ﷺ وقد طحنت أربعين منا وعجنت عجينى ، وغسلت بَنِىَّ ودهنتهم ونظفتهم [5] . قالت : فقال لى رسول الله ﷺ : ائتينى ببنى جعفر ؛ قالت : فأتيته بهم ، فتشممهم وذرفت عيناه ، فقلت يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ، ما يبكيك ؟ أبلغك

---

(١) والمخاشاة : المحاجزة ، وهى مفاعلة من الخشية ، لأنه خشى على المسلمين لقلة عددهم فقد قيل : كان العدو مائتى ألف من الروم ، وخمسين ألفًا من العرب ، ومعهم من الخيول والسلاح ما ليس مع المسلمين ، وفى قول ابن إسحاق : وكان العدو مائة ألف وخمسين ألفًا : وقد قيل : إن المسلمين لم يبلغ عددهم فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف ، ومن رواه حاشى بالحاء المهملة ، فهو من الحشى ، وهى الناحية ، وفى رواية قاسم بن أصبغ عن ابن قتيبة فى المعارف أنه سئل عن قوله : حاشى بهم ، فقال : معناه : انحاز بهم .

(٢) وهذه من المعجزات الخاصة بالنبى ﷺ - أخبره الله بها وكشف عنه الحجاب ، وقد قال ذلك . قبل أن يأتيه الخبر ولم يكن النبى معهم فجاء الخبر كما قال لهم ﷺ وصدق الله إذ يقول : ﴿ **إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ .

(٣) رفعوا إلىَّ : أى كشف الله الحجاب عنه حتى رآهم يتنعمون فى الجنة .

(٤) الازورار : الميل .

(٥) بَنِىَّ : أى أبنائى ، دهنتهم أى مشطتهم وأحسن هيئتهم وهندامهم .

عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : نعم ، أصيبوا هذا اليوم . قالت : فقمت أصيح ، واجتمعت إليّ النساء ، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله ، فقال: لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعامًا ، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم (١) .

وحدثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد عن أبيه ، عن عائشة زوج النبي ﷺ ، قالت : لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن . قالت : فدخل عليه رجل فقال : يا رسول الله ، إن النساء عنيننا وفتننا ، قال فارجع إليهن فأسكتهن قالت : فذهب ثم رجع ، فقال له مثل ذلك = قال : تقول وربما ضر التكلف أهله قالت : قال فاذهب فسكتهن ، فإن أبين فاحث في أفواههن التراب ، قالت : وقلت في نفسي : أبعدك الله ! فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله ﷺ قالت وعرفت أنه لا يقدر على أن يحثي في أفواههن التراب .

قال ابن إسحاق : وقد كان قطبة بن قتادة العذري ، الذي كان على ميمنة المسلمين قد حمل على مالك بن زافلة فقتله ، فقال قطبة بن قتادة :

طَعَنْتُ ابْنَ زَافِلَةَ بنَ الأرا ... شِ برُمْحٍ مَضَى فِيه ثم انْحَطَمْ (٢)

ضَرَبْتُ عَلَى جِيدِهِ ضَرْبَةً ... فَمالَ كَمَا مَالَ غُصْنُ السَّلَمْ (٣)

وسُقْنَا نِساءَ بَنِي عَمِّهِ ... غَداةَ رَقُوقَيْنِ سَوْقَ النَّعَمْ (٤)

• كَاهِنة حَدَس ومقَالتها :

قال ابن إسحاق : وقد كانت كاهنة من حَدَس (٥) حين سمعت بجيش رسول الله ﷺ مقبلاً ، قد قالت لقومها من حدس ، وقومها بطن يقال لهم بنو غنم = أنذركم قوماً خزرا (٦) ، ينظرون شزرا (٧) ويقودون الخيل تترى ، ويهرقون

---

(١) وهذا أصل في طعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة ، كما تسمى طعام العرس الوليمة ، وطعام القادم من السفر ، النقيعة ، وطعام الدخول في الزواج الوكيرة ، وكان الطعام الذي صنع لآل جعفر فيما ذكر الزبير ، في حديث طويل عن عبد الله بن جعفر قال : فعمدت سلمى مولاة النبي ﷺ إلى شعير ، فطحنته ، ثم آدمته بزيت وجعلت عليه فلفلا ، قال عبد الله ، فأكلت منه ، وحبسني النبي ﷺ مع إخوتي في بيته ثلاثة أيام .

(٢) انحطم : انكسر . (٣) السلم : شجر العضاه ، نوع من الأشجار تؤخذ منه الصبغة .

(٤) رقوتين : اسم موضع . (٥) حدس : قبيلة من لخم باليمن .

(٦) الخزر : من يضيقون عيونهم وينظرون ، وهو الذي ينظر بمؤخرة عينه .

(٧) الشزر : نظر العداوة .

دمًا عكرًا . فأخذوا بقولها ، واعتزلوا من بين لخم ، فلم تزل بعد أثرى حدس . وكان الذين صلوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ، بطن من حدس ، فلم يزالوا قليلاً بعد . فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلاً .

• عودة الجيش والتقاء النبى بهم :

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، قال : فلما دنوا من حول المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون . قال : ولقيهم الصبيان يشتدون ، ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة . فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطونى ابن جعفر ، فأتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ، ويقولون يا فرار ، فررتم فى سبيل الله ! قال : فيقول رسول الله ﷺ ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى (١) .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض آل الحارث بن هشام : وهم أخواله عن أم سلمة زوج النبى ﷺ ، قال : قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة : ما لى لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين ؟ قالت : والله ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس يا فرّار ، فررتم فى سبيل الله ، حتى قعد فى بيته فما يخرج .

* * *

(١) ورواية غير ابن إسحاق أنهم قالوا للنبى ﷺ : نحن الفرارون يا رسول الله ؟ فقال : بل أنتم الكرارون ، وقال لهم : أنا فئتكم ، يريد . أن من فر متحيزًا إلى فئة المسلمين فلا حرج عليه ، وإنما جاء الوعيد فيمن فر عن الإمام ، ولم يتحيز إليه ، أى لم يلجأ إلى حوزته ، فيكون معه فالمتحيز متفيعل من الحوز ، ولو كان وزنه متفعلاً كما يظن بعض الناس لقيل فيه : متحوز ، وروى أن عمر ؓ حين بلغه قتل أبى عبيد بن مسعود وأصحابه فى بعض أيام القادسية ، قال : هلا تحيزوا إلينا ، فإنا فئة لكل مسلم .

ما قيل من الشعر فى غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق : وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم ، قيس بن المسحَّر اليعمرى ، يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس :

فَوالله لاَ تَنْفَكَ نَفْسِى تَلومُنى ... عَلى مَوْقِفى والخَيل قَابعة قُبْلُ (١)
وَقَفْتُ بِهَا لاَ مُسْتَجيراً فَنافذاً ... وَلا مَانعاً مَنْ كَان حُم لَه القَتْلُ
عَلى أَنْنى آسَيْتُ نَفْسى بَخالد ... أَلا خَالد فى القَومِ لَيس له مِثْل
وَجَاشَتْ إِلىَّ النفْس من نَحوِ جَعْفرِ ... بَمؤتَة إذ لا يَنفْع النابِلُ النبْلُ
وَضَمَّ إلينا حجْزَتيهم كليهما ... مُهَاجِر لاَ مُشْرِكُونَ وَلا عزلُ (٢)

فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك فى شعره ، أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت ، وحقق انحياز خالد بمن معه .

قال ابن إسحاق وكان مما بكى به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله ﷺ قول حسان بن ثابت :

شعر حسان فى غزوة موتة :

تَأَوبَنى لَيلٌ بيَثْرب أَعْسَرَ ... وَهَمٌّ إذا مَا نوم النَّاس مسهرُ
لذكْرَى حَبيبٍ هَيَّجتْ لِى عَبْرةً ... سَفوحًا وأَسبَابُ البُكَاء التَّذكرُ
بَلَى إنَّ فَقْدَانَ الحَبيبِ بَلية ... وَكم من كَريمٍ يبتلى ثم يصبرُ
رَأيتُ خِيارَ المؤمنينَ تَواردُوا ... شعوب وخلفا بَعدهم يَتأخرُ
فَلا يَبْعُدنَّ اللهَ قَتْلى تَتابعوا ... بمُؤْتَة منهم ذُو الجنَاحين جعفرُ
وَزَيْد وعَبْد اللهِ حينَ تَتابَعُوا ... جَميعًا وأَسْبَابِ المنيَّة تَخْطُرُ
غَداة مَضَوا بالمؤمنين يَقُودهم ... إلى الموتِ مَيْمون النَّقيبَة أَزْهَرُ

(١) القُبل : إقبال نظر كل من العينين على الآخر .

(٢) حجزتيهم : ناحيتهم .

أغرُّ كَضوءِ البدرِ مِنْ آلِ هَاشمٍ … أبـــى إذا سِيمَ الظُّلامَةَ مَجسرُ
فَطَاعَنَ حتـــى مَال غَيرَ مُوسد … بمعتَرَكٍ فيـــه قَنًا مُتكَسَّرُ
فَصـــار مع المستَشْهَدِين ثَوابهُ … جِنَان ومُلْتَف الحَدَائِق أخْضَـــرُ
وكُنَّا نَرى فى جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ … وفَاءً وأمرًا حَازمًا حَـــين يأمُرُ
ومَا زَال فى الإِسْلامِ من آلِ هَاشمٍ … دَعائـــم عزًا لم يَزلْنَ ومَفْخَرُ
هُم جَبَل الإِســلامِ والنَّاس حَوْلَهم … رِضَام إلى طَوْدٍ يَروق ويَبْهَرُ (١)
بهاليل منهـــم جَعفر وابن أمه … عَلى ومَنهم أحمد المتخَيرُ (٢)
وحـــمزة والعَبَّاس مِنهُم ومنْهُم … عقيل ومَاء العَودِ مِنْ حَيْث يعْصرُ
بِهم تفـــرج اللأواء فى كُل مَأزق … عَماس إذا ما ضَاق بالناس مَصْدَرُ (٣)
هُم أوليـــاءُ الله أنْزَلَ حكْمَهُ … عَليهم ، وفيهم ذَا الكتاب المطَهَّرُ

● شعر حَسَّان فى رثاء جَعْفَر :

وقال حسان بن ثابت يبكى جعفر بن أبى طالب ﷺ :

ولَقَد بكيتُ وعزَّ مَهْلك جَعْفر … حُبِّ النَّبى عَلـــى البَرية كُلِّهَا
ولَقد جَزَعْتُ وقُلتُ حين نُعيتَ لى … مَنْ للجلادِ لَدى العقَاب وظلهَا (٤)
أو البِيض حَين تُســـل من أغمَادها … ضَربًا وانهال الرِّمَاح وعلِّهَا (٥)
بَعْدَ ابن فَاطمَة المبَارَك جَعفَرٌ (٦) … خَيْرُ البَرية كُلِّهـــــا وأجَلِّهَا
رزءًا وأكرَمها جَميعـــا محتَدًا … وأعزِّها متَظَلِّمًا وأذلهـــــا
للحق حَين يَنوبُ غَيـــر تَنحل … كَذبا ، وأنـــداها يدًا ، وأقلها

(١) الرضام : الحجارة المرضومة ، وهى المجموعة فوق بعضها . الطود : الجبل .

(٢) البهاليل : السادة .

(٣) العماس : المظلم .

(٤) العقاب : اسم راية من رايات الرسول ﷺ .

(٥) الإنهال : الشرب الأول وعلها : شربها الثانى .

(٦) فاطمة هى بنت أسد بن هاشم أم سيدنا على بن أبى طالب وأم جعفر .

فحشا ، وأكثرها إذا ما يَجتـــدى   فَضْلا ، وأبذَلها نَـدى ، وأبلها [١]

بِالعرف غَير محَـــــمد لاَ مثله   حَىٌّ من احْيــــاء البَرية كلها

• أَسْمَاء شُهَداء مُؤْتَة :

من قريش ثم من بنى هاشم :

جَعفر بن أبى طالب ﷺ - وزيد بن حارثة -- ﷺ - .

• من بنى عَدى :

ومن بنَى عدَى بن كَعب : مسعود بن الأسود بن حَارثة بن نَضْلة .

• من بنَى مالك :

ومن بنى مالك بن حسل وهب بن سعد بن أبى سرح .

• من الأنصار :

ومن الأنصار ثم من بنى الحارث بن الخزرج : عـــبد الله بن رَوَاحة وعبادة ابن قيس .

• من بنَى غَنْم بن مالك بن النجار :

الحارث بن النعمان بن إساف بن نضلة بن عبد بن عوف بن غنم .

• ومن بنى مَازن بن النجار :

سراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء .

قال ابن هشام وممن استشهد يوم مؤتة فيما ذكر ابن شهاب .

• من بَنى مازن بن النجار :

أبو كليب وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول وهما لأب وأم .

• من بنى مالك بن أفْصَى :

عمرو وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى .

* * *

(١) الاجتداء : طلب المعروف .

ذِكرُ الأَسباب الموجبة للسير إلى مكة ، وذكر فَتْح مكة فِى شهر رمضان سنة ثمان

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بعثه إلى مؤتة جمادى الآخرة ورجبا .

ما وقع بين بنى بكر وخُزاعة : ثم إن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوتير ، وكان الذى هاج ما بين بنى بكر وخزاعة أن رجلا من بنى الحضرمى ، واسمه مالك بن عباد - وحلف الحضرمى يومئذ إلى الأسود بن رزن [١] - خرج تاجرًا ، فلما توسط أرض خزاعة ، عدوا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بنى الأسود بن رزَن الديلى - وهم مفخر بنى كنانة وأشرافهم - سلمى وكلثوم وذؤيب - فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم [٢] .

قال ابن إسحاق . وحدثنى رجل من بنى الديل ، قال : كان بنو الأسود بن رزن يودون فى الجاهلية ديتين ديتين ، ونودى دية دية ، لفضلهم فينا .

قال ابن إسحاق : فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به . فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش ، كان فيما شرطوا لرسول الله ﷺ وشرط لهم ، كما حدثنى الزهرى ، عن عروة بن الزبير : عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، وغيرهم من علمائنا : أنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل

(١) ذكر الشيخ الحافظ أبو بحر أن أبا الوليد أصلحه : رزنا بكسر الراء ، قال : والرزن: نقرة فى حجر يمسك الماء ، وفى كتاب العين : الرزن أكمة تمسك الماء ، والمعنى متقارب ، وذكر أن بنى رزن من بنى بكر ، وقد قيل فيه : الدئل .

(٢) أنصاب الحرم هنا : حجارة توضع بين الحل والحرم للفصل بينهما .

فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه ، فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله ﷺ وعهده .

قال ابن إسحاق : فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الديل من بنى بكر من خزاعة ، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأرًا بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى الأسود ابن رزن ، فخرج نوفل بن معاوية الديلى فى بنى الديل ، وهو يومئذ قائدهم ، وليس كل بنى بكر تَابعه حتى بيّت خزاعة وهم على الوتير ، ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلا ، وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدت بنى بكر قريش بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا ، حتى حاروا [1] خزاعة إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه ، قالت بنو بكر : يا نوفل ، إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك ، فقال : كلمة عظيمة ، لا إله له اليوم ، يا بنى بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمرى إنكم لتسرقون فى الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟! وقد أصابوا منهم ليلة بيتوهم بالوتير رجلاً يقال له منبه وكان منبه رجلا مفئودا [2] خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد ، وقال له منبه : يا تميم ، انج بنفسك فأما أنا فوالله إنى لميت ، قتلونى أو تركونى ، لقد انبت [3] فؤادى ، وانطلق تميم فأفلت ، وأدركوا منبها فقتلوه ، فلما دخلت خزاعة مكة ، لجئوا إلى دار بديل بن ورقاء . ودار مولى لهم يقال له رافع ، فقال تميم بن أسد يعتذر من فراره عن منبه :

لَما رَأيتُ بنى نُفَاثَة اقبلُوا ... يغشون كل وتَيرة وَحجَاب [4]
صَخرًا وَرزنًا لا عَريبَ سِواهُم ... يزْجون كل مُقَلَّصٍ خَنَّاب [5]
وَذكرتُ ذَحلا عِندَنا مُتقَادمًا ... فيما مَضى من سالف الأحْقَاب [6]
وَنَشِيتُ رِيحَ الموتِ من تِلْقَائِهم ... وَرهبتُ وَقْع مُهَنّدٍ قَضَّاب [7]

---

(١) حاروا : ساقوا . (٢) مفئودًا : ضعيف الفؤاد .
(٣) انبت : انقطع .
(٤) الوتيرة : الأرض الممتدة . الحجاب : ما اطمأن من الأرض .
(٥) لا عريب : لا أحد . المقلص : الفرس طويل القوائم ، منضم البطن . الخناب : واسع المنخرين .
(٦) الذحل : طلب الثار . (٧) نشيت : شممت .

وَعَرفت أنْ مَنْ يثْقفوه يَتركوا ... لَحما لمجــرية وشلو غُرَاب [١]
قومت رجلا لاَ أخــافُ عثارهَا ... وَطَرَحْتُ بالمتن الــعراء ثِيابى [٢]
ونَجوتُ لا ينــجو نَجائى أحقب ... علج أقب مشمر الأقراب [٣]
تَلحَى ولَو شَهِدَت لَكان نكيرهَا ... بَوْلاَ يَبُــلُّ مُشَافِرَ القبْقَابِ
القَــوم أعلَم مَا تَركتُ مُنَبهــا ... عَنْ طِيبِ نَفْسٍ فَاسألى أصْحَابِى

قال ابن إسحاق : وقال الأخْزر بن لَعْط الديلى ، فيما كان بين كنانة وذكرت ذحلاً عندنا متقادمًا عن أبى عبيدة ، وقوله « خنَّاب » و « عِلج أقب مشمر الأقراب » عنه أيضًا .

• شعْر الأخزر :

قال ابن إسحاق : وقال الأخزر بن لعط الديلى ، فيما كان بين كنانة وخزاعة فى تلك الحرب :

ألاَ هَلْ أتى قصوى الأحَابيش أنَّنَا ... رَددنَا بنى كَعْبٍ بأفوق نَاصِلِ [٤]
حَبَسْنَاهــم فى دارة العَبْد رَافع ... وَعند بُدَيل مَحْبســا غير طَائل
بِدارِ الدليل الآخذ الضيْم بَعدما ... شَفَينا النفوسَ منهــم بالمناصِلِ
حَبسنَاهم حَتَّى إذا طَال يومهــم ... نَفَحنَا لهَم من كل شِعب بِوَابلِ [٥]
نَذبحُهُمْ ذَبحَ التُّيوسِ كأنَّنــا ... أُسُودٌ تُبَارى فيهــم بالقوَاصِلِ

---

(١) المجرية : اللبؤة التى لها أجْراء أى أبناء . الشلو : بقية الجسد .

(٢) المتن : ظهر الأرض .

(٣) نجوت : أسرعت . والأحقب : حمار الوحش أبيض العجز . علج : غليظ . أقب : ضامر البطن . مشمر الأقراب : منقبض الخواصر .

(٤) الأحابيش : من تعاهدوا مع قريش وليسوا منهم . الأفوق : السهم الذى انكسر طرفه الذى يلى الوتر ، والناصل : الذى زال نصله .

(٥) نفحنا : وسعنا ، والشعب : ما استوى بين الجبلين . الوابل : فى الأصل المطر الشديد وأراد به هنا الدفعة من الخيل .

هُم ظَلمونَا وَاعتدوا فَى مسيرهم وَكانوا لَدى الأَنْصابِ أَوَّلَ قَاتِلِ
كَأَنَّهـــــم بالجَزْعِ إذْ يَطْردُونهم بِفَائور حَفان النعَام الجَوافِلِ (١)

خُزَاعة تستنجد بالرسول : قال ابن إسحاق : فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة ، وكانوا فى عقده وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعى ثم أحد بنى كعب ، حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، وكان ذلك مما هاج فتح مكة ، فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى الناس ، فقال :

يَا رَبِّ إِنى نَاشِدٌ محمــــدا حلف أَبينا وأَبيه الأَتْلَدا
قَد كُنتم وُلداً وكُنَّا وَالدا ثُمَّت أَسلمنَا فلم نَنْزِع يَدا (٢)
فَانصر هَدَاك الله نَصرا اعتدا وَادْعُ عِبَاد الله يَأتوا مَدَدَا
فِيهم رَسُول الله قَد تجردا إن سيم خَسفًا وَجْهه تَربدَا
فِى فَيْلَقٍ كالبحر يَجْرِى مُزبدا إنَّ قُرَيشا أخلفوكَ الموعَدا
وَنَقَضُوا ميثاقك المـــــؤكدا وَجعلوا لى فى كُداء رَصَدا
وزَعموا أَن لَسْتُ أَدعو أحدا وَهُم أذل وأقـــــل عَدَدا
هُم بيتَونا بالوتير هَجــــدا وقَتلونا رُكَّـــــعا وسُجَّدَا
يقول : قُتلنا وقد أسـلمنا (٣)

---

(١) الجزع : ما انعطف من الوادى . بفائور : اسم جبل بمكة .

(٢) يريد أن بنى عبد مناف أمهم من خزاعة ، وكذلك : قُصى أمه : فاطمة بنت سعد الخزاعية . والوَلد بمعنى الوُلد : وقوله : ثمت أسلمنا . هو من السلم لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد ، غير أنه قال : ركعًا وسجداً ، فدل على أنه كان فيهم من صـلى لله ، فقتل ، والله أعلم .

(٣) قال ابن هشام : ويروى أيضًا :

فانصر هداك الله نصراً أيدا

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله ﷺ : نُصرت يا عمرو بن سالم . ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان [1] من السماء ، فقال : إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب .

ثم خرج بُديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة ، فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة ، وقد قال رسول الله ﷺ للناس : كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد العقد ، ويزيد في المدة . ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان ابن حرب بعسفان ، قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ ، ليشد العقد ، ويزيد في المدة ، وقد رهبوا الذي صنعوا ، فلما لقي أبو سفيان بديل بن ورقاء ، قال : من أين أقبلت يا بديل ؟ وظن أنه قد أتى رسول الله ﷺ ، قال : تسيرت في خزاعة في هذا الساحل ، وفي بطن هذا الوادي ، قال : أو ما جئت محمداً ؟ قال : لا ، فلما راح بديل إلى مكة ، قال أبو سفيان : لئن جاء بديل المدينة لقد علف بها النوى ، فأتى مبرك راحلته ، فأخذ من بعرها ففته ، فرأى فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً .

أبو سفيان يطلب الصلح : ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه ، فقال : يا بنية ، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ ، قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر . ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه ، فلم يرد عليه شيئا . ثم ذهب إلى أبي بكر ، فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ ، فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه ، فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ؟! فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على عليٍّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها . وعندها حسن بن علي ، غلام يدب بين يديها ، فقال : يا علي ، إنك أمسُّ القوم بي رَحِما ، وإني قد جئت في حاجة ، فلا أرجعن كما جئت خائبا ، فاشفع لي إلى

---

(١) عنان : سحاب .

رسول الله ، فقال : ويحك يا أبا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة فقال : يا ابنة محمد ، هل لك أن تأمرى بُنيك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما بلغ بُنى ذلك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله ﷺ قال : يا أبا الحسن ، إنى أرى الأمور قد اشتدت على ، فانصحنى قال : والله ما أعلم لك شيئًا ، ولكنك سيد بنى كنانة ، فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك قال : أو ترى ذلك مغنيًا عنى شيئًا ؟ قال : لا والله ما أظنه ، ولكنى لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان إلى المسجد ، فقال : أيها الناس ، إنى أجرت بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق ، فلما قدم على قريش ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته ، فوالله ما رد على شيئًا ، ثم جئت ابن أبى قحافة ، فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو (١) .

قال ابن إسحاق : ثم جئت عليًا فوجدته ألين القوم ، وقد أشار علىَّ بشىء صنعته ، فوالله ما أدرى هل يغنى ذلك شيئًا أم لا ؟ قالوا : وبِمَ أمرك ؟ قال : أمرنى أن أجير بين الناس ، ففعلت ، قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا . قالوا : ويلك ! والله إن زاد الرجل على أن لعب بك فما يغنى عنك ما قلت . قال : لا والله ما وجدت غير ذلك .

• الاستعداد لفتح مكة :

وأمر رسول الله ﷺ بالجهاد ، وأمر أهله أن يجهزوه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها ، وهى تحرك بعض جهازى ﷺ ، فقال : أى بُنية : أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهز . قال : فأين ترينه يريد ؟ قالت : لا والله ما أدرى . ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها . فتجهز الناس .

فقال حسان بن ثابت يحرض الناس ، ويذكر مصاب رجال خزاعة :

---

(١) قال ابن هشام : أعدى العدو .

عَنانى وَلم أَشْهَد بِبَطْحَاء مكةَ رجَال بنــــى كَعْب تَحز رِقابهَا
بأيدى رِجال لم يَسلُّوا سُيُوفَهم وَقَتْلى كَثير لَـــم تجن ثيابهَا (١)
ألا لَيْتَ شِعْرى هل تنالن نصْرتى سُهَيل بن عَمرو وخزَها وعِقابُها
وصَفْوان عَوْد حز من شفر استه فَهذا أوان الحَـــربِ شَدَ عِصَابها
فَلا تَأمننا يا ابــــن أم مُجَالدٍ إذا احتلبت صرفا وأعصل نابها (٢)
وَلا تَجْزَعوا منـــا فإن سُيوفنا لَها وقْعة بالمـــوت يَفتح بَابهَا

حَاطب يُحذِّر أهل مكة : قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عُروة بن الزبير وغيره من علمائنا ، قالوا : لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة ، كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر فى السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة ، زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة ، وزعم لى غيره أنها سارة ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب ، وجعل لها جُعلا على أن تبلغه قريشا ، فجعلته فى رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها ، ثم خرجت به . وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث على ابن أبى طالب والزبير بن العوام رضى الله عنهما ، فقال : أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبى بلتعة بكتاب إلى قريش ، يحذرهم ما قد أجمعنا له فى أمرهم ، فخرجا حتى أدركاها بالخليقة ، خليقة بنى أبى أحمد ، فاستنزلاها ، فالتمساه فى رحلها ، فلم يجدا شيئا ، فقال لها على بن أبى طالب : إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كُذبنا ، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك (٣) فلما رأت الجد منه ، قالت : أعرض ، فأعرض ، فحلت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه ، فأتى به رســول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ حاطبًا ، فقال : يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيَّرت ولا بدَّلت ، ولكنى كنت امرءًا ليس لى فى القومِ من أصل

(١) تجن : تستر ، يريد أنهم قتلوا ولم يستروا بالدفن .
(٢) أعصل : أعوج .
(٣) أى نكشف ما عليك من ملابس ونفتشك .

ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليهم ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعنى فلأضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق ، فقال رسول الله ﷺ : وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم فأنزل الله تعالى فى حاطب : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة** ﴾ ، إلى قوله : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾ إلى آخر القصة (١) .

• خُروج الرسول إلى مكة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره ، واستخلف على المدينة أبا رهم ، كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى ، وخرج لعشر مضين من رمضان ، فصام رسول الله ﷺ ، وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكديد ، بين عسفان وأمج أفطر .

قال ابن إسحاق : ثم مضى حتى نزل مَرّ الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين فسبعت (٢) سليم وبعضهم يقول ألفت (٣) سليم ، وألفت مزينة ، وفى كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسول الله ﷺ مرّ الظهران وقد عَميت الأخبار عن قريش فلم يأتهم خبر عن رسول الله ﷺ ، ولا يدرون ما هو فاعل ، وخرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، يتحسسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به ، وقد كان العباس بن عبد المطلب لقى رسول الله ﷺ ببعض الطريق .

إسلام أبى سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبى أمية : قال ابن إسحاق : وقد كان

---

(١) سورة الممتحنة : الآية ١ : ٤ .

(٢) صارت سبعمائة .

(٣) ألفت : صارت ألفًا .

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ أيضاً بنيق العقاب ، فيما بين مكة والمدينة ، فالتمسا الدخول عليه ، فكلمته أم سلمة فيهما ، فقالت : يا رسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصهرك ، قال : لا حاجة لى بهما ، أما ابن عمى ، فهتك عرضى ، وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال . قال : فلما خرج الخبر إليهما بذلك ، ومع أبى سفيان بُنى له . فقال : والله ليأذن لى أو لآخذن بيدى بنى هذا ، ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا وجوعا ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما ، ثم أذن لهما ، فدخلا عليه ، فأسلما .

وأنشد أبو سفيان بن الحارث قوله فى إسلامه ، واعتذر إليه مما كان مضى منه ، فقال :

لَعَمرُك إنى يَوم أَحْمِل رَاية ... لَتَغلب خَيْلُ اللّات خَيلَ مُحمد
لكالمدلج الحَيران أظلم لَيْلهُ ... فَهذا أوانى حين أُهْدى وأهتدى
هَدانى هَادٍ غَير نفسى ونالنى ... مَع الله من طردت كُل مُطْرَد
أَصُدُّ وأنأى جاهدًا عن محمد ... وأدعى وإنْ لم أنْتَسب من مُحمد
همُ ما هُم من لمَ يَقلْ بِهواهم ... وإن كانَ ذَا رأى يَلم وَيفْنَد (١)
أَريد لأَرضيهم وَلَسْت بلائط ... مَع القوم مَا لم أَهْدِ فى كل مَقْعَد(٢)
فَقُل لِثقيف لاَ أريد قتالهَا ... وَقل لِثقيف تلك : غَيرى أَوْعدى
فَما كنتُ فى الجيش الذى نَال عَامرًا ... وَما كان جَرا لِسانى ولا يدى (٣)
قَبائل جَاءتْ من بلادٍ بَعيدة ... نَزائع جَاءت من سهام وسَردد

● **قصّة إسلام أبى سفيان :**

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين أنشد (٤) رسول الله ﷺ قوله :

---

(١) يفند : يكذب .

(٢) لاط : لصق .

(٣) جرا : جراء .

(٤) أى أنشد أبو سفيان لرسول الله ﷺ .

« ونالني مع الله من طردت كل مطرد » ضرب رسول الله ﷺ في صدره ، وقال : أنت طردتني كل مطرد ·

فلما نزل رسول الله ﷺ من الظهران ، قال العباس بن عبد المطلب · فقلت : واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوا فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر · قال : فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء · فخرجت عليها · قال : حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلي أجد بعض الحطّابة [1] أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة ، قال : فوالله إني لأسير عليها ، والتمس ما خرجت له ، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء : وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيرانًا قط ولا عسكرًا ، قال· يقول بديل : هذه والله خزاعة حمشتها [2] الحرب · قال : يقول أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ، قال : فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة ، فعرف صوتي فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم ، قال : ما لك ؟ فداك أبي وأمي ، قال : قلت : ويحك يا أبا سفيان ، هذا رسول الله ﷺ في الناس ، واصباح قريش والله · قال : فما الحيلة ؟ فداك أبي وأمي ، قال قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك ، قال : فركب خلفي ورجع صاحباه ، قال : فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها ، قالوا : عم رسول الله ﷺ على بغلته ، حتى مررت بنار عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : من هذا ؟ وقام إليَّ ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة ، قال: أبو سفيان عدو الله ، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ · وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء ، قال : فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدعني فلأضرب عنقه ، قال : قلت : يا رسول الله ، إني قد أجرته ،

(١) الذين يجمعون الحطب ·

(٢) أحرقتها ·

ثم جلست إلى رسول الله ﷺ ، فأخذت برأسه ، فقلت : والله لا يناجيه الليلة دونى رجل ، فلما أكثر عمر فى شأنه ، قال : قلت : مهلاً يا عمر ، فوالله أن لو كان من بنى عدى بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف ، فقال : مهلا يا عباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلىَّ من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم ، فقال رسول الله ﷺ : اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتنى به . قال : فذهبت به إلى رحلى فبات عندى فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله قد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعدُ ، قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئا . فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل إن تُضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق ، فأسلم ، قال العباس : قلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر (١) ، فاجعل له شيئا . قال : نعم (٢) ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ : يا عباس ، احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل (٣) ، حتى تمر به جنود الله (٤) فيراها . قال : فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادى ، حيث أمرنى رسول الله ﷺ أن أحبسه .

عَرْض الجيش على أبى سفيان : قال : ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس ، من هذه ؟ فأقول : سليم ، فيقول : ما لى ولسليم ، ثم تمر القبيلة فيقول يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة ، فيقول : ما لى ولمزينة ، حتى

---

(١) أى الاعتزاز وارتفاع مكانته .

(٢) وهذا دليل على أن الرسول ﷺ كان ينزل الناس منازلهم ويعرف لهم حقهم وقدرهم وكل ذلك لأجل تأليف القلوب ، وهى أخلاق وجب على المسلم التحلى بها .

(٣) الخطم : الأنف وهى شىء يخرج من الجبل يضيق به الطريق .

(٤) أى جيش المسلمين وأبطال الموحدين والذين نصروا الدين وآزروا رسول رب العالمين .

نفدت القبائل ، ما تمر به قبيلة إلا يسألنى عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : ما لى ولبنى فلان ، حتى مر رسول الله ﷺ وسلم فى كتيبته الخضراء .

قال ابن إسحاق : فيها المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت هذا رسول الله ﷺ فى المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء قِبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيمًا ، قال : قلت يا أبا سفيان ، إنها النبوة قال : فنعم إذن [١] .

• تَحْذير أبى سفيان أهل مكة :

قال : قلت : النجاء إلى قومك ، حتى إذا جاءهـــم صـــرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم [٢] به فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت : اقتلوا الحميت الدسم الأحمس [٣] قبِّح من طليعة قوم قال : ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ، وما تغنى عنا دارك ، قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد [٤] .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذى طُوى وقف على راحلته معتجراً بشقة بُرد حبرة حمراء وأن رسول الله

---

(١) وهذه شهادة منه لقوة الإسلام وقوة الرسول ﷺ والمسلمين وتأييد الله لهم .

(٢) أى لا طاقة لكم به .

(٣) الحميت : الزق ، نسبة إلى الضخم والسمن ، والأحمس الذى لا خير عنده ، من قولهم عام أحمس إذا لم يكن فيه مطر ، وزاد عبد بن حميد فى حديثه أنها قالت : يا آل غالب اقتلوا الأحمق ، فقال لها أبو سفيان . والله لتسلمن أو لأضربن عنقك ، وفى إسلام أبى سفيان قبل هند وإسلامها قبل انقضاء عدتها ، ثم استقرا على نكاحهما ، وكذلك حكيم ابن حزام مع امرأته حجة للشافعى ، فإنه لم يفرق بين أن تسلم قبله أو يسلم قبلها ، ما دامت فى العدة وفرق مالك بين المسألتين على ما فى الموطأ وغيره .

(٤) ويدل هذا على أنهم خضعوا وسلموا واستسلموا .

ﷺ ليضع رأسه تواضعًا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى أن عثنونه ليكاد يمس واسطة الرّحل ·

• إسْلامُ أبى قُحافة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبى بكر ، قالت : لما وقف رسول الله ﷺ بذى طوى قال أبو قُحافة لابنة [١] له من أصغر ولده : أى بنية اظهرى بى على أبى قبيس [٢] قالت : وقد كف بصره ·

قالت : فأشرفت به عليه ، فقال : أى بُنية ، ماذا ترين ؟ قالت : أرى سوادًا مجتمعاً ، قال : تلك الخيل ، قالت : وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك مُقبلا ومدبراً ، قال : أى بُنية ، ذلك الوازع يعنى الذى يأمر الخيل ، ويتقدم إليها ، ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، قالت : فقال : قد والله إذن دفعت الخيل ، فأسرعى بى إلى بيتى ، فانحطت به ، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته ، قالت : وفى عنق الجارية طوق من ورق [٣] ، فتلقاها رجل فيقتطعه من عنقها ، قالت : فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ، ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه ، يقوده فلما رآه رسول الله ﷺ قال : هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ قال أبو بكر : يا رسول الله، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه أنت · قال : قالت : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال له : أسلم ، فأسلم ، قالت : فدخل به أبو بكر ، وكأن رأسه ثغامة [٤] ، فقال رسول الله ﷺ : غيروا هذا من شعره [٥] ،

---

(١) واسمها : أم فروة زوجة تميم الدارى ومن بعده الأشعث بن قيس · أو هى قريبة تزوجها قيس بن سعد بن عبادة ·

(٢) أبو قبيس : جبل بمكة ·

(٣) الطوق : القلادة تطوق العنق · الورِق : الفضة ·

(٤) الثغامة : واحدة الثغام ، نبات أبيض الشجر والزهر ، يشتد بياضه إذا يبس ·

(٥) هو على الندب ، لا على الوجوب ، لما دل على ذلك من الأحاديث عنه عليه السلام أنه لم يغير شيبه ، وقد روى من طريق أبى هريرة أنه خضب · وقال من جمع بين الحديثين : إنما كانت شيبات يسيرة يغيرها بالطيب · وقال أنس : لم يبلغ النبى ﷺ حد الخضاب وفى البخارى عن عثمان بن موهب : قال : أرتنى أم سلمة شعرًا من شعر رسول الله ﷺ – وفيه أيضًا عن ابن موهب قال : بعثنى أهلى بقدح إلى أم سلمة ، وذكر الحديث ، وفيه اطلعت فى=

ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته ، وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختى ، فلم يجبه أحد ، قالت : فقال : أى أُخية [١] احتسبى طوقك ، فوالله إن الأمانة فى الناس اليوم لقليل ·

• دخول مكة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح أن رسول الله ﷺ حين فرق جيشه من ذى طوى ، أمر الزبير بن العـــوام أن يدخل فى بعض الناس من كُدًى ، وكان الزبير على المجنبة اليسرى ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس من كَدَاء [٢] ·

• تخوف المهاجرين على قُريش من سَعْد :

قال ابن إسحاق : فزعم بعض أهل العلم أنَّ سعداً حين وجه داخلاً ، قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، فسمعها رجل من المهاجرين [٣] ·

= الجلجل فرأيت شعرات حمراً ، وهذا كلام مشكل وشرحه فى مسند وكيع بن الجراح قال : كان جلجلا من فضة صنع صيوناً لشعرات كانت عندهم من شعر رسول الله ﷺ ·

فإن قيل فهذا يدل على أنه كان مخضوب الشيب ، وقد صح من حديث أنس وغيره أنه عليه السلام لم يكن بلغ أن يخضب إنما كانت شعيرات تُعد ·

فالجواب : أنه لما توفى خضب من عنده شىء من شعره : تلك الشعرات ليكون أبقى لها كذلك · قال الدارقطنى فى أسماء رجال الموطأ له ، وكان أو بكر يخضب بالحناء والكتم ، وكان عمر يخضب بالصفرة ، وكذلك عثمان وعبد الله بن عمر ·

(١) تصغير أخت ·

(٢) هى ثنية كداء ، بفتح الكاف والمد ، وهى بأعلى مكة ، وكدًى من ناحية عرفة ، وبمكة موضع ثالث يقال له : كُدا ، بضم الكاف والقصر وأنشدوا فى كَداء ، وكدى :

أقفرت بعد عبد شمس كداء   فكدى فالركن والبطحاء

وبكداء وقف إبراهيم - عليه السلام - حين دعا لذريته بالحرم ، كذلك روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ، فقال : ﴿ فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ﴾ فاستجيبت دعوته ، وقيل له : ﴿ وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً ﴾ الا تراه يقول : يأتوك ، ولم يقل : يأتونى، لأنها استجابة لدعوته فمن ثم - والله أعلم - استحب النبى ﷺ إذا أتى لمكة أن يدخلها من كداء لأنه الموضع الذى دعا فيه إبراهيم بأن يجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ·

(٣) قال ابن هشام : هو عمر بن الخطاب ·

فقال : يا رسول الله : اسمع ما قال سعد بن عبادة ، ما نأمن أن يكون له فى قريش صولة ، فقال رسول الله ﷺ لعلى بن أبى طالب : أدركه ، فخذ الراية منه فكن أنت الذى تدخل بها (١) .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى عبد الله بن أبى نَجيح فى حـــديثه . أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد ، فدخل من الليط ، أسفل مكة ، فى بعض الناس . وكان خالد على المجنبة اليمنى ، وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب . وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدى رسول الله ﷺ ، ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر ، حتى نزل بأعلى مكة ، وضربت له هنالك قبته .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح وعبد الله بن أبى بكر : أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا ، وقد كان حماس بن قيس بن خالد أخو بنى بكر ، يعد سلاحا قبل دخول رسول الله ﷺ ، ويصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ، قالت : والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شىء ، قال : والله أنى لأرجو أن أخدمك بعضهم ، ثم قال :

إن يُقْبِلوا اليَوم فَما لى عِلَّهْ — هَذا سِلاَحٌ كَامِل وإِلَّهْ (٢)
وذُو غِرارين سَريع السَّلَّه (٣)

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل وعكرمة فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئًا من قتال ، فقتـــل كرز بن جابر ، أحد بنى محارب ابن فهر ، وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم ، حليف بنى منقذ ، وكانا فى خيل خالد بن الوليد فشذا عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعاً ، قتل خنيس بن خالد قبل كرز بن جابر ، فجعله كرز بن جابر بين رجليه ، ثم قاتل عنه حتى قتل ، وهو يرتجز ويقول :

(١) وهذا خير دليل على سماحة ورحمة الرسول وأنه لا يريد إراقة دماء .
(٢) الإلة : الحربة ذت السنان الطويلة .
(٣) غرارين : حدين .

قَدْ عَلِمَتْ صَفْرَاءُ مِنْ بَنى فهِرْ   نَقيةُ الوَجْه نقيةَ الصّدْر(١)
لأبن اليَوْمِ عَنْ أبى صَخِرْ

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح وعبد الله بن أبى بكر ، قالا : وأصيب من جهينة سلنة بن الميلاء ، من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب من المشركين ناس قريب من اثنى عشر رجلاً ، أو ثلاثة عشر رجلاً ، ثم انهزموا ، فخرج حماس منهزمًا حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : اغلقى علىَّ بابى قالت : فأين كنت تقول ؟ فقال :

إنَّك لو شَهِدت يومَ الخَنْدَمَهْ   إذ فَرَّ صفوان وفرَّ عِكرمه
وأبو يَزِيدَ قَائمٌ كَالمؤتَمه   واستَقبلتْهُم بالسُّيوف المسلمه
يَقْطَعْنَ كل ساعد وجُمجُمه   ضَربًا فلا يسمع إلا غَمْغَمَه(٢)
لَهُم نهيت خَلفنا وهَمهمه   لم تَنطِقى فى اللوم أدنى كَلِمهْ(٣)

● **شعار المسلمين يوم فتح مكة :**

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وحنين والطائف ، شعار المهاجرين : يا بنى عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يا بنى عبد الله ، وشعار الأوس : يا بنى عبيد الله .

● **الذين أمر النبى ﷺ بقتلهم :**

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عهد فى نفر سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد أخو بنى عامر بن لؤى .

---

(١) قوله : من بنى فهر بكسر الهاء وأبو صخر : هذا على مذهب العرب فى الوقف على ما أوسطه ساكن ، فإن منهم من ينقل حركة لام الفعل إلى عين الفعل فى الوقف ، وذلك إذا كان الاسم مرفوعا أو مخفوضًا ولا يفعلون ذلك فى النصب وعلله مستقصاة فى كتب النحو فانظرها .

(٢) الغمغمة : أصوات غير مفهومة .

(٣) النهيت : صوت الصدر ، والهمهمة : صوت فى الصدر أيضًا .

• السبب الذى دعا الرسول إلى الأمر بقتل عبد الله بن سعد :

وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحى ، فارتد مشركًا راجعًا إلى قريش ، ففر إلى عثمان بن عفان ، وكان أخاه للرضاعة ، فغيبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن اطمأن الناس وأهل مكة ، فاستأمن له ، فزعموا أن رسول الله ﷺ صمت طويلاً ، ثم قال : نعم ، فلما انصرف عنه عثمان ، قال رسول الله ﷺ لمن حوله من أصحابه : لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار : فهلا أومأت إلىَّ يا رسول الله ؟ قال : إن النبى لا يقتل بالإشارة (١) .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن خطل رجل من بنى تميم بن غالب ، إنما أمر بقتله إنه كان مسلمًا ، فبعثه رسول الله ﷺ مصدقًا ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلمًا ، فنزل منزلاً ، وأمر المولى أن يذبح له تيسًا (٢) ، فيصنع له طعامًا ، فنام ، فاستيقظ ولم يصنع شيئًا ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتد مشركًا .

• أسماءُ من أمر النبى ﷺ بقَتلهم :

وكانت له قينتان : فرتنى وصاحبتها ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ ، فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه .

والحويرثِ بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصى ، وكان ممن يؤذيه بمكة (٣) .

قال ابن إسحاق ومقيس بن صبابة : وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله ، لقتل الأنصارى الذى كان قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قريش مشركًا ، وسارة ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب ، وعِكرمة بن أبى جهل ، وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة ، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت

---

(١) قال ابن هشام : ثم أسلم بعد ذلك فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر .

(٢) التيس: الذكر من المعز والظباء إذا أتى عليه عام. انظر المعجم الوجيز ص ٨٠ .

(٣) قال ابن هشام: وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأم كلثوم ابنتى رسول الله ﷺ من مكة يريد بهما المدينة فنخس بهما الحويرث بن نقيذ فرمى بهما إلى الأرض .

له من رسول الله ﷺ فأمنه ، فخرجت فى طلبه إلى اليمن ، حتى أتت به رسول الله ﷺ ، فأسلم ، وأما عبد الله بن خطل ، فقتله سعيد بن حريث المخزومى وأبو برزة الأسلمى ، اشتركا فى دمه ، وأما مقيس بن صبابة فقتله نميلة ابن عبد الله ، رجل من قومه ، فقالت أخت مقيس فى قتله :

لَعَمْرى لَقَدْ أَخْزَى نُمَيلة رَهْطه   وَفَجع أَضْيَاف الشتَاء بمقيس

فلله عينًا من رأى مثل مقيس   إذا النفساء أصبحت لم تخرّس [١]

● **ما قاله عليه السلام على باب الكعبة** : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة ودم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة ، مائة من الإبل أربعون منها فى بطونها أولادها . يا معشر قريش : إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [٢] الآية كلها . ثم قال : يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل فيكم ، قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » [٣] .

ثم جلس رسول الله ﷺ فى المسجد ، فقام إليه على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده ، فقال : يا رسول الله : اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ، فقال رسول الله ﷺ : أين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له ، فقال : هاك مفتاحك يا عثمان : اليوم يوم بر ووفاء [٤] .

---

(١) التخريس : نوع من الطعام يصنع للمرأة بعد ولادتها .

(٢) الحجرات : الآية ١٣ .

(٣) وهذا قمة العفو عند المقدرة والصفح الجميل مع القدرة على قطع رقابهم وكان بإمكان النبى ﷺ إشارة لأصحابه أن يقتلوهم جميعًا .

(٤) قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم : أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح : فرأى فيه صورة الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مصورًا فى يده الأزلام يستقسم بها ، فقال : قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ، ما شأن إبراهيم والأزلام ﴿ **ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفا مسلمًا وما كان من المشركين** ﴾ . ثم=

• قصة خِراش مع قَاتل أحمر :

قال ابن إسحاق : حدثنى سعيد بن أبى سَنْدر الأسْلَمى ، عن رجل من قومه قال : كان معنا رجل يقال له أحمر بأسا . وكان رجلاً شجاعًا ، وكان إذا نام غط غطيطاً [١] منكراً لا يخفى مكانه ، فكان إذا باتَ فى حيه بات معتزا [٢] ، فإذا بيت الحى [٣] صرخوا يا أحمر ، فيثور مثل الأسد لا يقوم لسبيله شيء ، فأقبل غزى من هذيل يريدون حاضره [٤] حتى إذا دنوا من الحاضر قال ابن الأثوع الهذلى : لا تعجلوا حتى أنظر ، فإن كان فى الحاضر أحمر فلا سبيل إليهم ، فإن له غطيطاً لا يخفى ، قال فاستمع ، فلما سمع غطيطه مشى إليه حتى وضع السيف فى صدره ، ثم تحامل عليه حتى قتله ، ثم أغاروا على الحاضر، فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم ، فلما كان عام الفتح ، وكان الغد من يوم الفتح ، أتى ابن الأثوع الهذلى حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس ، وهو على شركه ، فرأته خزاعة ، فعرفوه ، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جدر مكة ، يقولون : أأنت قاتل أحمر ، قال : نعم ، أنا قاتل أحمر فمه ؟ قال : إذا أقبل خراش بن أمية مشتملاً على السيف ، فقال : هكذا عن الرجل [٥] والله ما نظن إلا أنه يريد أن يفرج الناس عنه ، فلما انفرجنا عنه حمل عليه فطعنه بالسيف فى بطنه ، فوالله لكأنى أنظر إليه وحشوته [٦] تسيل من بطنه ، وإن عينيه لترنقان [٧] فى رأسه ، وهو يقول : أقد فعلتموها يا معشر خزاعة ؟ حتى انجعف [٨] فوقع . فقال رسول الله ﷺ : يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتال ، فقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلاً لأدينه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن حرملة الأسلمى ، عن سعيد بن المسيب .

= أمر بتلك الصور كلها فطمست ، وذكر ابن هشام أيضًا أن رسول الله ﷺ صلى بالكعبة ومعه بلال .

(١) الغطيط : ما يسمع من صوت الإنسان إذا نام .
(٢) معتزا : منفرداً . (٣) بيت : غزى ليلاً .
(٤) الحاضر : النازلون على الماء . (٥) أى تنحوا عنه .
(٦) حشوته : ما اشتمل عليه جوفه من الأحشاء .
(٧) ترنقان : قربتا على الانغلاق . (٨) انجعف : سقط بكل ثقله .

قال : لما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خراش بن أمية قال : إن خراشًا لقتَّال ، يعيبه لذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى سعيد المقبُرى ، عن أبى شُريح الخُزَاعى ، قال : لما قدم عمرو بن الزبير [1] مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير ، جئته ، فقلت له : يا هذا ، إنا كنا مع رسول الله ﷺ ، حين افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله ﷺ فينا خطيبا ، فقال : يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهى حرام من حرام إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ، أن يسفك فيها دما ، ولا يعضد [2] فيها شجراً لم تحلل لأحد كان قبلى ، ولا تحل لأحد يكون بعدى ، ولم تحلل لى إلا هذه الساعة ، غضبا على أهلها ألا ، ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم : إن رسول الله ﷺ قاتل فيها ، فقولوا : إن الله قد أحلها لرسوله ، ولم يحللها لكم ، يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل ، فلقد كثر القتل إن نفع . لقد قتلتم قتيلا لأدينه ، فمن قتل بعد مقامى هذا فأهله بخير النظرين . إن شاءوا فدم قاتله ، وإن شاءوا فعقله [3] ، ثم ودى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذى قتلته خزاعة ، فقال عمرو لأبى شريح : انصرف أيها الشيخ ، فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لا تمنع سافك دم ، ولا خالع طاعة ، ولا مانع جزية ، فقال أبو شريح : إنى كنتُ شاهدا وكنتَ غائبا ، ولقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلغ شاهدنا غائبنا ، وقد أبلغتك ، فأنت وشأنك [4] .

---

(١) هذا وهم من ابن هشام . وصوابه : عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، وهو الأشدق . . . وإنما دخل الوهم على ابن هشام أو على البكائى فى روايته ، من أجل أن عمرو ابن الزبير كان معاديا لأخيه عبد الله ومعينا لبنى أمية ، هذا ما ذهب إليه السهيلى فى الروض الأنف . (٢) يعضد : يقطع . (٣) عقله : أى أخذ ديته ، العقل : أخذ الدية .

(٤) قال ابن هشام : وبلغنى عن يحيى بن سعيد : أن النبى ﷺ حين فتح مكة ودخلها ، قام على الصفا يدعو الله ، وقد أحدقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله ﷺ ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لا شىء يا رسول الله ، فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبى ﷺ : معاذ الله ! المحيا محياكم ، والممات مماتكم .

وأما قينتا ابن خطل فقُتلت إحداهما ، وهربت الأخرى ، حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ بعد ، فأمنها ، وأما سارة فاستؤمن لها فأمنها ، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسًا فى زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها . وأما الحويرث بن نقيذ فقتله على بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى هند ، عن أبى مرة ، مولى عقيل بن أبى طالب ، أن أم هانىء بنت أبى طالب قالت : لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة ، فرَّ إلىَّ رجلان من أحمائى ، من بنى مخزوم ، وكانت عند هبيرة بن أبى وهب المخزومى ، قالت : فدخل علىَّ علىٌّ بن أبى طالب أخى ، فقال : والله لأقتلهما ، فأغلقت عليهما باب بيتى ، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة ، فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف إلىَّ ، فقال : مرحبا وأهلا يا أم هانئ ، ما جاء بك ؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر على ، فقال : قد أجرنا من أجرت ، وأمنا من أمنت ، فلا يقتلهما .

الرسول يدخل الحرم : قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبد الله بن عبد الله بن أبى ثور ، عن صفية بنت شيبة، أن رسول الله ﷺ لما نزل مكة ، واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت ، فطاف به سبعا على راحلته ، يستلم الركن بمحجن (١) فى يده ، فلما قضى طوافه ، دعا عثمان بن طلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان ، فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس (٢) فى المسجد .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة ، فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة (٣) أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين إلا سدانة (٤) البيت .

(١) المحجن : عصا معقفة الرأس .

(٢) استكف : اجتمع .

(٣) المأثرة : ما يتحدث به من المكارم .

(٤) السدانة : الخدمة .

• الرسول ﷺ يُعطى الأمان لصَفْوان :

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزبير قال : خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن فقال عمير بن وهب يا نبى الله إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هاربًا منك ، ليقذف نفسه فى البحر فأمنه صلى الله عليك ، قال : هو آمن ، قال : يا رســول الله فأعطنى آية يعرف بها أمانك ، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التى دخل بها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه ، وهو يريد أن يركب فى البحر ، فقال : يا صفوان فداك أبى وأمى الله الله فى نفسك أن تهلكها ، فهذا أمان من رسول الله ﷺ قد جئــتك به ، قال : ويحك ! أغرب عنى فلا تكلمنى ، قال : أى صفوان ، فداك أبى وأمـى أفضل الناس ،وأبرُّ الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ، ابن عمك ، عزه عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه ملكك ، قال : إنى أخافه على نفسى ، قال : هو أحلم من ذاك وأكرم ٠ فرجع معه ، حتى وقف به على رسول الله ﷺ فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمنتنى قال : صدق ، قال : فاجعلنى فيه بالخيار شهرين ، قال : أنت بالخيار فيه أربعة أشهر (١) ٠

إسْلام رُءوس أَهل مكة : قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى : أن أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وفاختة بنت الوليد - وكانت فاختة عند صفوان بن أمية ، وأم حكيم عند عكرمة بن أبى جهل - أسلمتا ، فأما أم حكيم فأستأمنت رسول الله ﷺ لعكرمة ، فأمنه فلحقت به باليمن ، فجاءت به ، فلما أسلم عِكرمة وصفوان أقرهما رسول الله ﷺ عندهما على النكاح الأول ٠

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : قال : رمى حسان : ابن الزبعرى وهو بنجران ببيت واحد ما زاده عليه :

لاَ تَعْدمَنَّ رَجُلاً أحلك بُغْضُه   نَجْران فى عَيش أَحذ لَئِيم (٢)

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم ، فقال حين أسلم :

---

(١) وهذا خير دليل على كرم الرسول ﷺ وعفوه وسماحته ٠
(٢) الأحذ : القليل ٠

يَا رَسـولَ المليكِ إنَّ لسَانى رَاتق مَا فتقت إذ أنَا بُورُ (١)
إذْ أُبَارِى الشَّيْطان فِى سَنَن الغَىِّ وَمَنْ مَال مَيْله مَـثْبورُ (٢)
آمَن اللحم وَالعظـام لربى ثُمَّ قَلبى الشَّهيد أَنْتَ النَّذِيرُ
إنَّنى عَنْك زَاجِـرٌ ثَمَّ حَيًّا مَنْ لُؤى وَكلُّهم مَغْـرُورُ

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبعرى أيضًا حين أسلم :

مَنَعَ الرُّقَاد بَلابِل وَهُمـوم وَالليل مُعْتَلج الرواق بَهيم (٣)
مِمَّا أتانى أَنْ أَحْمَدَ لاَمنـى فِيه فَبِتُّ كَأننى مَحْمـوم
يا خَيْرَ مَن حملتْ على أوصَالها عيرانة سَرح اليدين غَشومُ (٤)
إنى لمعتذرٌ إليك من الـذى أَسديتُ إذا أنا فى الضلال أَهيمُ
أيامَ تأمُرنى بأغوى خطـة سهم وتأمرنى بهـا مَخزومُ
وأمد أسبـاب الرَّدى ويقودنى أمر الغُواة وأمـرهم مَشئومُ
فَاليَوم آمنُ بالنبـى مُحَمد قلبى ومخطئ هـذه مَحرومُ
مَضت العداوةُ وانقضتْ أسبابُهَا ودعتْ أواصر بيننـا وحلومُ
فاغفر – فدى لك والداى كلاهما زللى ، فإنك رَاحـم مَرحومُ
وعليك مِنْ عِلْمِ المليك علامة نورٌ أغر وخَاتم مَختـومُ
أَعطاكَ بعدَ محبـةٍ بُرهانَهُ شرفًا وبرهان الإلهِ عظيـمُ
ولقد شهدتُ بأَن دينكَ صادقٌ حَقٌّ وإنكَ فـى العبادِ جَسيمُ
والله يشهدُ أنَ أحمدَ مُصطفَى مستقبلٌ فى الصـالحين كَريمُ
قَرم عَلا بنيانُهُ من هاشـم فَرع تمكَّن فى الذرا وَأروم (٥)

(١) الراتق : الساد . بور : هالك .
(٢) أبارى : أجارى . مثبور : هالك .
(٣) البلابل : وساوس الأحزان . معتلج : مضطرب ، والبهيم : شديد الإظلام .
(٤) العيرانة : الناقة الشديد تشبه العير . سرح اليدين : شديدتهما . غشوم : لا ترد عن وجهها .
(٥) القرم : السيد . الأروم : مفردها أرم وهو الأصل .

● **بقاء هُبيرة على كُفره :**

قال ابن إسحاق: وأما هُبيرة بن أبى وهب المخزومى فأقام بها حتى مات كافراً ، وكانت عنده أم هانىء بنت أبى طالب ، واسمها هند ، وقد قال حين بلغه إسلام أم هانىء :

أَشَاقتك هند أم أتاكَ سُؤَالها ... كَذاك النَّوَى أَسبَابها وانفتَالُها (١)
وَقدْ أَرقتْ فى رَأسِ حصنٍ مُمنَّعٍ ... بنَجْران يَسرى بَعْدَ لَيْلٍ خيَالها
وَعاذلةٌ هَبَّتْ بلَيْلٍ تَلُومُنى ... وَتعذلُنى بالليل ضَل ضَلالها
وَتزعم أَنى إن أَطعْتُ عَشيرَتى ... سأَرْدَى وهل يرْدَين إلا زيَالها (٢)
فَإنى لَمنِ قَوم إذا جَدَّ جَدُّهُم ... علَى أىِّ حَالٍ أصبح اليوم حَالُها
وإنى لَحامٍ من وراء عشيرتى ... إذا كان من تحت العوالى مَجالها(٣)
وصارتْ بأيديها السيوف كأنها ... مخاريق ولدان ومنها ظلالُها (٤)
وإنى لأقلى الحاسدين وفعلهم ... على الله رزقى نفسها وعيالُها
وإن كلام المرء فى غير كُنْهه ... لكالنبل تهوى ليس فيها نصالُها
فإن كنت قد تابعت دينَ محمدٍ ... وعطفتِ الأرحام منك حبالُها
فكونى علَى أعلَى سَحِيق بهضبة ... ملَملمة غَبراء يَبس بلالُها (٥)

قال ابن إسحاق : ويروى : « وقطعت الأرحام منك حبالها » .

عُدة من فتح مكة : قال ابن إسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف . من بنى سليم سبعمائة . ويقول بعضهم : ألف ، ومن بنى غفار أربعمائة ، ومن أسلم أربعمائة ، ومن مزينة ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم ، وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد .

(١) انفتالها : تقلبها من حال إلى حال .
(٢) يردين : أى يهلكن ، زيالها : ذهابها .
(٣) العوالى : الرماح .
(٤) المخاريق : ما يلعب به الأطفال من الخرق المفتولة .
(٥) ململمة : مستديرة .

ما قيل من الشعر فى فتح مكة : وكان مما قيل من الشعر فى يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصارى :

عفتْ ذاتُ الأصابع فالجواءِ ... إلى عَذراء منزلها خَلاء [١]
دِيارٌ من بنى الحسحاسِ قفر ... تعفيها الروامس والسماء [٢]
وكانت لا يَزالُ بها أنيسٌ ... خِلال مُروجها نعم وشاءُ
فَدَع هذا ، ولكن من لطيف ... يؤرقنى إذا ذهب العشاءُ
لشَعثاءَ التى قد تَيمته ... فليس لقلبه منها شِفَاءُ [٣]
كأن خبيئهُ من بيت رأس ... يكون مزاجها عسل وماء [٤]
إذا ما الأشربات ذكرن يومًا ... فهن لطيب الراح الفداء
نُولِّيها المَلامــة إن المُنَا ... إذا ما كان مغث أو لحاء
ونشربها فتتركــنا ملوكًا ... وأسدًا ما ينهنهنا اللقاء [٥]
عَدمْنَا خَيلنَا إنْ لم تَروهَا ... تُثير النَّقْعَ موعدها كَداءُ [٦]
يَنُازعنَ الأَعنَّةَ مُصْغياتٌ ... عَلى أكتافهَا الأسل الظمَاءُ [٧]
تَظلُّ جيادُنَا مُتَمطـرات ... يَلطمهن بالخمر النساء [٨]

(١) عفت : تغيرت . ذات الأصابع ، والجواء : موضعان بالشام . وبالجواء . كان منزل الحارث بن أبى شمر الغسانى . وكان حسان كثيرا ما يرد على ملوك غسان يمدحهم . وعذراء : قرية على بريد من دمشق قتل بها حجر بن عدى وأصحابه .

(٢) بنو الحسحاس : حى من بنى أسد . وقوله : الروامس والسماء ، يعنى : الرياح والمطر والسماء لفظ مشترك يقع على المطر وعلى السماء المعروفة .

(٣) شعثاء : اسم امرأة وهى زوجته ، وبنت كاهن الأسلمية . وقيل : امرأة من خزاعة .

(٤) الخبيئة : الخمر المضنون بها ، وبيت رأس : موضـع بالأردن مشهـور بالخمر الجيد .

(٥) ينهنهنا : يزجرنا .

(٦) كَداء : موضع بمكة ، ثنية فى أعلى مكة دخل منها الرسول ﷺ يوم الفتح .

(٧) المصغيات : المنحرفة للطعن . الأسل : الرماح .

(٨) متمطرات : متسيبات . يلطمهن : يضربهن ، يقول السهـيلى فى الروض : قال ابن دريد فى الجمهرة : كان الخليل يروى « يطلمهن » وينكر « يلطمهن » ويجعله بمعنى ينفض النساء بخمرهن ما على الخيل من الغبار (انظر الروض ٤ / ١١٨) .

فَإمَّا تُعرضوا عنَّا اعتمرنَا وكان الفتحُ وانكشفَ الغطَاءُ
وإلا فاصبروا لجلادِ يوم يَعِينُ اللهُ فيـــه من يَشاءُ
وجبريل رَسولُ اللهِ فينا ورُوحُ القُدس ليس له كفاء (١)
وقَال اللهُ قد أرسلتُ عبدًا يَقولُ الحقَّ إنْ نَفَع البلاءُ (٢)
شَهدتُ به فَقُوموا صَدِّقُوهُ فَقلتم لاَ نقومُ ولا نَشاءُ
وقَال اللهُ قَد سَيَّرتُ جُندًا هَمُ الأنصارُ عَرضتها اللقاءُ (٣)
لَنا فِى كُلِّ يَومٍ مَن مَعد سبابٌ أو قِتالٌ أو هجاءُ
فَنحكُم بالقوافِى مَن هَجانا ونضربُ حين تختلطُ الدماءُ (٤)
ألاَ أبلغ أبا سُفْيانَ عَنِّى مغلغلة فقد بَرِح الخَفاءُ (٥)
بأن سُيوفَنا تركتك عَبْداً وعبدُ الدار سَادتها الإماءُ
هَجوتَ محمداً وأجبتُ عَنه وعندَ اللهِ فى ذاكَ الجزاءُ
أتهجُوهُ ولستَ له بكفء فشرُكما لخيركُما الفداءُ (٦)
هَجوتَ مُباركًا بَرًّا حَنيفًا أَمينُ اللهِ شيمَتُهُ الوَفاءُ
أمَنْ يَهجو رسولَ اللهِ منكُم ويَمدَحهُ ويَنصرُهُ سَواءُ ؟!
فَإن أبى ووالده وعِرضى لِعرضِ مَحمد منكم وقَاءُ
لِسَانى صَارِمٌ لا عَيبَ فِيه وبَحرى لا تُكَدِّره الدلاءُ

(١) كفاء : مثل .
(٢) البلاءُ : الاختبار .
(٣) عرضتها : عادتها .
(٤) نحكم : نمنع .
(٥) المغلغلة : الرسالة المكتوبة .
(٦) فشركما لخيركما الفداء : فى ظاهر اللفظ بشاعة ، لأن المعروف أن لا يقال هو شرهما إلا وفى كليهما شر ، وكذلك : شر منك ، ولكن سيبويه قال فى كتابه : تقول مررت برجل شر منك : إذا نقص عن أن يكون مثله ، وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الأول ، ونحو منه قوله عليه السلام : « شر صفوف الرجال آخرها » يريد : نقصان حظهم عن حظ الأول ، كما قال سيبويه ، ولا يجوز أن يريد التفضيل فى الشر . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أنس بن زُنيم الديلى يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما كان فيهم عمرو بن سالم الخزاعى :

أَنتَ الذى تَهْدى مَعد بأمره ... بَل الله يَهْديهم وقَال لَكَ اشْهَد
ومَا حَمَلت من نَاقَة فَوق رَحْلِها ... أبَرَّ وأوفَى ذمَّة مِنْ مُحَمد
أَحَثَّ علـى خَيْرٍ وأسبغ نَائِلا ... إذَا رَاح كالسيف الصَّقيل المهَنَّد
وأكسى لُبردِ الخَال قبل ابتذَاله ... وأعطى لِرأس السَّابق المتجرد (١)
تَعَلَّم رَسول الله أَنَّك مُدْركى ... وأَن وَعيدًا منك كَالأخذ باليد
تعلم رَسُول الله أَنَّـك قَادرٌ ... عَلَى كُلِّ صرم مُتهمين ومَنْجد (٢)
تعلـم بأن الرَّكْبَ رَكْبَ عُوَيْمرٍ ... هُم الكَاذبونَ المخلفو كُلَّ مَوْعد
ونَبوا رَسُول الله أنـى هَجَوتُه ... فَلا حَملت سَوطى إلىَّ إذن يَدى
سِوى أَنَّنى قَدْ قُلت وَيلُ اُمِّ فِتيَةِ ... أُصيبوا بنَحسٍ لا بطلقِ وأَسْعد (٣)
أَصابهم مَنْ لَم يكن لِدمائهم ... كِفاء فَعزتْ عِبْرَتى وتَبَلدى (٤)
فَإنك قد أخفرت إن كَنت سَاعيا ... بِعَبد بن عبـد الله وابنة مَهود
ذُوَيب وكُلثوم وسَلْمى تَتَابعوا ... جَميعا فإلا تَدمع العينَ أَكْمد
وسَلْمى، وسَلْمى لَيس حَىٌّ كَمثله ... وإِخوته وهَل مُلوك كَأعبُد ؟!
فَإِنى لاَ دِينا فَتقت وَلا دَما ... هَرَقت تَبين عَالم الحق وَاقصد

---

(١) الخال : نوع من البُرود اليمنية وهو من رفيع الثياب وسمى بالخال الذى بمعنى الخيلاء . والسابق : الفرس السابق ، والمتجرد : الذى يتجرد من الخيل فسبقها .

(٢) الصرم : البيوت المجتمعة . متهمين : ساكنين فى التهام ، وهى المنخفض من الأرض . منجد : من سكن فى نجد .

(٣) الطلق : الأيام السعيدة .

(٤) تبلدى : تحيرى .

فأجابه بُديل بن عبد مَناف بن أم أصْرَم ، فقال :

بكى أنس رَزنًا فأعوله البكـــا فالاَّ عَديا إذْ تطُل وتبْعُد (١)
بكيتُ أبَا عَبــــس لقُرب دِمَائها فتُعذرُ إذْ لاَ يُوقدُ الحَربَ مُوقد
أصَابهم يَومَ الخَنـــادم فتيَةٌ كِرامٌ فَسَلْ ، منْهم نُفَيل ومَعْبد (٢)
هُنَالِكُ إنْ تَسْفَحْ دُموعَك لا تُلم عَليهم وإنْ لم تَدْمع العَينُ فاكمَدُوا

قال ابن إسحاق : وقال بُجير بن زهير بن أبى سلمى فى يوم الفتح ·

نَفَى أهل الحَبلق كـــل فَجٍّ مُزينة غُدوة وبنو خُفاف (٣)
ضَربنَاهُمْ بَمكة يومَ فتـــح النبـــى الخَير بالبيضِ الخفافِ
صَبحناهَم بسبـــع من سُليم وألف مـــن بَنى عُثمان وافِ
نطَا أكتافهم ضربًا وطعنًا ورشقًا - بالمريشـــة اللطاف
تَرى بين الصفوف لَها حفيفًا كما انصاع الفواق من الرصاف
فَرحنا والجيادُ تجول فِيهم بأرمــــاحٍ مُقَوَّمة الثُّقَاف
فَأبنا غانمين بما اشتهـــينا وآبوا نادمين علـــى الخلاف
وأعطينا رســـولَ الله منًّا مَواثقنا على حُسن التصـــافى
وقَد سمـــعوا مَقالتَنا فهموا غَداة الرَّوع مـــنا بانصراف

* * *

(١) تطل : يبطل دمها ويصير هدراً ·
(٢) الخنادم : أرادِ يوم الخندمة ، والخندمة : جبل بمكة ·
(٣) الحبلق : أرض يسكنها قبائل من مُزينة ، وقيس ، والحبلق : الغنم الصغار ، ولعله أراد بقوله : أهل الحبلقِ أصحاب الغنم ، وبنو عثمان هم مزينة وهم بنو عثمان بن لاطم بن أد ابن طابخة ، ومزينة أمهم بنت كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة ، وأختها : الحوأب التى عرف بها ماء الحوأب المذكور فى حديث عائشة حين قال رسول الله ﷺ لنسائه ما معناه : من منكن تنبحها كلاب الحوأب · فنبحت الكلاب عائشة رضي الله عنها فى قصة وقعة الجمل ،وأصل الحوأب فى اللغة القدح الضخم الواسع وبنو خفاف بطن من سليم ·

مَسِيرُ خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بنى جُذِيمة من كِنانة(١) ومَسير علىٍّ لتلافِى خَطأ خالد

قال ابن إسحاق : وقد بعث رسول الله ﷺ فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعيا (٢) ، ولم يبعثه مقاتلا ، فوطىء بنى جذيمة ، فأصاب منهم ٠

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبى جعفر محمد بن على ، قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا ، ولم يبعثه مقاتلا ، ومعه قبائل من العرب : سليم بن منصور ، ومُدلج ابن مرة ، فوطئوا بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا ٠

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جذيمة ، قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم : ويلكم يا بنى جذيمة ! إنه خالد والله ! ما بعد وضع السلاح إلا الإسار (٣) ، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبدًا ٠ قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جحدم ، أتريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس أسلموا ووضعوا السلاح ، ووضعت الحرب ، وأمن الناس ٠ فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد ٠

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد بن على ، قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فكتفوا ، ثم عرضهم على السيف ، فقتل من قتل منهم فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ ، رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد (٤) .

---

(١) تسمى أيضًا غزوة الغميط ، وهو ماء لبنى جذيمة ، كما ذكر السهيلى فى الروض الأنف ٤ / ١٢٠ ٠

(٢) أى داعيا إلى الإسلام ٠ (٣) أى الأسر ٠

(٤) وذلك لأن رسول الله ﷺ لم يأمره بالقتال وإنما أمره بالدعوة ونشر الإسلام ٠

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد بن على قال: ثم دعا رسول الله ﷺ ، على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال : يا على ، اخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر فى أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك ، فخرج علىٌّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال ، حتى إنه ليدى لهم ميلغة الكلب [1] ، حتى إذا لم يبق شىء من دم ولا مال إلا وداه ، بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم على رضوان الله عليه حين فرغ منهم : هل بقى لكم بقية من دم أو مال لم يود لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإنى أعطيكم هذه البقية من هذا المال ، احتياطا لرسول الله ﷺ ، مما يعلم ولا تعلمون ، ففعل . ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر . فقال : أصبت وأحسنت! قال ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائما شاهراً يديه ، حتى ليرى مما تحت منكبيه، يقول: اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد، ثلاث مرات .

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يعذر خالداً إنه قال : ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبد الله بن حذافة السهمى ، وقال : إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .

قال ابن إسحاق : وقد كان جحدم قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى ما يصنع خالد ببنى جذيمة : يا بنى جذيمة ، ضاع الضرب ، قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه . قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ، فيما بلغنى ، كلام فى ذلك ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : عملت بأمر الجاهلية فى الإسلام . فقال : إنما ثأرت بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت ، قد قتلت قاتل أبى ، ولكنك ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة ، حتى كان بينهما شر [2] . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : مهلا يا خالد ، دع عنك أصحابى ، فوالله لو كان لك أحد ذهبا ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابى ولا روحته [3] .

● ما كان بين قُريش وبنى جُذيمة فى الجاهلية :

وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعوف بن عبد عوف ابن عبد الحارث بن زُهرة ، وعفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس قد خرجوا

(١) ميلغة وميلغ: مسقاة تصنع من خشب ليلغ فيها الكلب ، والجمع : ميالغ ، ومَوالغ .

(٢) أى كاد الخلاف أن يؤدى إلى الشجار بينهما .

(٣) دليلا على منزلة السابقين إلى الإسلام – رضى الله عنهم – .

تجاراً إلى اليمن . ومع عفان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بنى جذيمة بن عامر ، كان هلك باليمن ، إلى ورثته (١) ، فادّعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولقيهم بأرض بنى جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه ، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه ، وقاتلوه ، فقُتل عوف والفاكه بن المغيرة ونجا عفان بن أبى العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال الفاكه ابن المغيرة ، ومال عوف بن عبد عوف ، فانطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه، فهمت قريش بغزو بنى جذيمة ، فقالت بنو جذيمة : ما كان مصاب أصحابكم عن ملإ منا، إنما عدا عليهم قوم بجهالة، فأصابوهم ولم نعلم، فنحن نعقل لكم ما كان لكم قبلنا من دم أو مال فقبلت قريش ذلك ، ووضعوا الحرب .

وقد قال قائل من بنى جذيمة ، وبعضهم يقول : امرأة يقال لها سَلْمى :

وَلَولا مَقال القَوم للقوم أسلموا ... لَلاقَتْ سُلَيم يَومْ ذَلك نَاطحَا
لَماصَعَهم بُسر وأصحاب جَحدم ... ومرة حتى يتركوا البَرك ضَابحَا (٢)
فَكائنْ تَرى يَوم الغُمَيصاء مَن فتًى ... أُصيبَ ولَم يَجرح وقَد كان جارحَا (٣)
ألظتْ بخطاب الأيَامَى وطُلِّقَتْ ... غَداتئذ منهن من كان نَاكحَا (٤)

قال ابن إسحاق : فأجابه عباس بن مرداس ، و يقال بل الجحاف بن حكيم السلمى :

دَعى عنك تقْوال الضَلال كَفى بنا ... لكَبش الوغَى فى اليوم والأمس نَاطحَا
فَخالد أولَى بالتَّعذر منْكُمُ ... غَداة عَلا نهجا من الأمرَ واضحَا
معانا بأمر الله يُزجى إليكُمُ ... سَوانح لا تكبو له وبَوارحَا
نَعوا مَالكا بالسَّهْل لما هَبطَنه ... عَوابس فى كابى الغُبَار كوالحَا (٥)
فإن نَكُ أثكلناكِ سلمى فما لكِ ... تركتم عليه نائحات ونائحا

(١) وهذا من أخلاق الجاهلية الحميدة التى أقرها الإسلام وهى خلق الأمانة فإذا كان أولئك المشركون حملوا مال من مات معهم غريبًا عن بلده إلى أهله وورثته وقاتلوا من أراد أخذ هذا المال حتى يحول بينهم وبين ورثة الرجل ، فأولى بالمسلمين اليوم أن يتحلوا بهذه الأخلاق التى أقرها الإسلام ومدحها فقال ﷺ : « لا دين لمن لا أمانة له » .

(٢) المماصعة : المضاربة بالسيوف : البرك : الإبل الباركة .

(٣) الغميصاء : هو ما يخرج من العين ، والمراد هنا موضع فى بادية العرب قرب مكة كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر .

(٤) ألظت : لزمت . والأيامى : من لا زوج لها .

(٥) كابى : مرتفع ، الكوالح : العوابس .

خبر ابن أبي حدرد مع بني جذيمة : قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة ابن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهري ، عن ابن أبي حدرد الأسلمي ، قال : كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد ، فقال لي فتى من بني جذيمة ، وهو في سني ، وقد جمعت يداه إلى عنقه برمة [1] ، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى ، فقلت : ما تشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرمة ، فقائدي إلى هؤلاء النسوة حتى أقضي إليهن حاجة ، ثم تردني بعد ، فتصنعوا بي ما بدا لكم ؟ قال : قلت : والله ليسير ما طلبت · فأخذت برمته فقدته بها ، حتى وقف عليهن ، فقال : اسلمي حبيش ، على نفد من العيش [2] :

أَريتُك إذ طَالبتكم فَوجَدْتُكُم ... بحيلة أو ٱلقَيْتُكم بالخَوانق [3]
أَلم يَكُ أَهلا ان ينوَّل عَاشقٌ ... تكلَّف إدلاج السُّرى والودائق [4]
فَلا ذَنبَ لي قَد قُلتُ إذْ أَهلنا معًا ... أثيبي بود قَبل إحدى الصَفائق [5]
أَثيبي بِود قَبل ان تُشحط النَّوَى ... وَينأى الأميرُ بَالحبيب المُفَارق
فَإني لا ضَيَّعتُ سرَّ أَمانة ... وَلا رَاق عَينى عَنْك بَعْدك رَائق
سوى أَنْ مَا نَال العَشِيرةِ شَاغلٌ ... عَنِ الوُدِّ إلا أنْ يكون النَوامِق [6]

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهري عن ابن أبي حدرد الأسلمي قال : قالت : وأنتَ فحييت سبعا وعشرا ، وترا وثمانيا تترى قال : ثم انصرفت به · فضربت عنقه ·

قال ابن إسحاق : فحدثني أبو فراس بن أبي سنبلة الأسلمي ، عن أشياخ منهم ، عمن كان حضرها منهم ، قالوا : فقامت إليه حين ضربت عنقه ، فأكبت عليه ، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده ·

● شعر أحد بني جذيمة :

قال ابن إسحاق : وقال رجل من بني جُذيمة :

جَزى اللهُ عنا مُدلجا حيث أصبحت ... جَزاءة بُؤسٍ حَيث سَارتْ وحلت
أَقاموا على أقْضَاضنا يقسمونَها ... وقد نَهلَتْ فِينا الرِّمَاحُ وعَلت

(١) الرمة : الحبل البالي ·(٢) نفد العيش : فناؤه· (٣) الحلية والخوانق : موضعان ·
(٤) الإدلاج : السير ليلا ، الدوائق : جمع وديقة وهي شدة الحر ·
(٥) الصفائق : النوائب · (٦) التوامق : شدة الحب ·

فَواللهِ لَولا دِين آلِ محمَدٍ ... لقد هَربتْ منهم خُيول فشلَت

ومَا ضَرهم أن لا يَعينُوا كِتيبةً ... كَرجل جراد أُرْسلَت فاشمعلَت (١)

فإما يُنيبُوا أو يثوبوا لأمرهمْ ... فَلا نَحن نجزيهم بما قد أَضلَّت

● رد ابن وهب عليه :

فأجابه ابن وهب رجل من بنى ليث فقال :

دَعونا إلى الإسلام والحق عامرا ... فَما ذنبنا فى عامر إذ تَولت

ومَا ذنبنا فى عامر لا أبا لهم ... لأن سفهتْ أحلامهم ثم ضَلت

وقال رجل من بنى جذيمة :

لَيهنئ بنى كعب مقدم خَالد ... وأصحابه إذ صبحتنَا الكَتائبُ

فَلاَ ترة تَسعى بها ابن خُويَلد ... وَقَدْ كُنْتُ مكفيا لو انك غائبُ (٢)

فَلا قَومنا يَنْهون عنَّا غُواتهم ... ولا الداء من يوم الغمَيصاء ذاهبُ

خالد يهدم العزى : ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العزى وكانت بنخلة ، وكانت بيتا يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ومضر كلها ، وكانت سدنتها وحجابها بنى شيبان من بنى سليم حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع صاحبها السلمى بمسير خالد إليها ، علق عليها سيفه ، وأسند فى الجبل (٣) الذى هى فيه وهو يقول :

أيا عزُّ شدِّى شدة لا شَوى لها ... على خَالد ألقى القِنَاع وشمِّرى (٤)

يَا عزُّ إنْ لم تقتُلى المرءَ خَالدًا ... فَبوئى بإثم عَاجـــلٍ أو تنصرى

فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود قال : أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة :

قال ابن إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان :

* * *

---

(١) اشمعلت : تفرقت . (٢) الترة : طلب الثأر . (٣) أسند فى الجبل : ارتفع فيه .
(٤) لا شوى لها : أى لا تذر شيئا

غَزْوَةُ حُنين فى سنة ثمان – بعد الفتح

قال ابن إسحاق : ولما سمعت هوازن برسولِ الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النصرى ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها ، واجتمعت نصر وجشم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بنى هلال ، وهم قليل ، ولم يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدها منهم أحد له اسم ، وفى بنى جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ، ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخا مجربا ، وفى ثقيف سيدان لهم ، فى الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب ، وفى بنى مالك ذو الخمار سُبيع بن الحارث بن مالك ، وأخوه أحمر بن الحارث ، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصرى . فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس (١) اجتمع إليه الناس ، وفيهم دُريد ابن الصمَّة فى شجار (٢) له يقاد به ، فلما نزل قال : بأى واد أنتم؟ قالوا : بأوطاس قال : نعم مجال الخيل ! لا حزن ضرس (٣) ، ولا سهل دهس (٤) ، مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ، ودعى له ، فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ، ما لى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، قال : ولم ذاك ؟ قال :

---

(١) ويقال لها أيضا غزوة أوطاس سميت بالموضع الذى كانت فيه الوقعة وهو من وطست الشيء وطسًا إذا كدرته ، وأثرت فيه . والوطيس : نقرة فى حجر توقد حوله النار ، فيطبخ به اللحم ، والوطيس التنور ، وفى غـــزوة أوطاس قال النبى ﷺ : الآن حمِى الوطيس ، وذلك حين استعرت الحرب ، وهى من الكلم التى لم يسبق إليها ﷺ . راجع الروض الأنف ، وراجع أيضًا المجازات النبوية للشريف الرضى . تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط مصطفى الحلبى .

(٢) الشجار : مركب أصغر من الهودج مكشوف أعلاه .

(٣) الحزن : المرتفع : ضرس : ما فيه حجارة مدببة .

(٤) دهس : لين التراب .

أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهـــله وماله ، ليقاتل عنهم ، قال : فانقض به [١] . ثم قال : راعى ضأن ، والله ! وهل يرد المنهزم شىء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضحت فى أهلك ومالك ، ثم قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدها منهم أحد ، قال : غاب الحد والجد ، ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ، فمن شهدها منكـم ؟ قالوا : عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر . قال : ذانك الجذعان [٢] من عامر ، لا ينفعان ، ولا يضـــران ، يا مالك ، إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة [٣] هوازن إلى نحور الخيل شيئا ، ارفعهم إلى متمنع بلادهم وعليا قومهم ، ثم ألق الصباء [٤] على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك قد أحرزت أهلك ومالك . قال : والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كبرت وكبر عقلك . والله لتطيـعننى يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى . وكره أن يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر أو رأى فقالوا : أطعناك ، فقال دريد بن الصمة : هذا يوم لم أشهده ، ولم يفتنى :

يا ليتنى فِيها جَذَعْ ... أَخُبُّ فيهـا وأَضَعْ [٥]
أَقودُ وَطفاءَ الزَّمعْ ... كأنها شاةٌ صَـــدعْ [٦]

• قصة الملائكة وعُيون مَالك بن عَوف :

قال ابن إسحاق : ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جفون [٧] سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد . قال : وحدثنى أمية بن عبد الله بن عثمان أنه حدث : أن مالك بن عوف بعث عيونًا [٨] من رجاله ، فأتوه وقد تفرقت أوصالهم ،

(١) انقض به : زجره .

(٢) الجذعان : مثنى جذع : الشاب الحدث ، ويريد بهما هنا أنهما ضعيفان خاليان عن التجربة .

(٣) البيضة : الجماعة . (٤) الصباء : يقصد بهم المسلمين .

(٥) الجذع : الشاب الحدث ، ويريد به هنا قوة الشباب .

(٦) الوطفاء : طويلة الشعر . والشاة : الوعل . صـــدع : متوسط بين العظيم والحقير .

(٧) أى غطاء سيوفكم وهو الغمد . (٨) أى جواسيس يلتمسون الأخبار .

فقال : ويلكم ! ما شأنكم ؟ فقالوا : رأينا رجالاً بيضًا على خيل بلــق (١) ، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى ، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم نبى الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى ، وأمره أن يدخل فى الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن أبى حدرد ، فدخلَ فيهم ، فأقام فيهم ، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى آتى رسول الله ﷺ ، فأخبره الخبر ، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ، فأخبره الخبر فقال عمر : كذب ابن أبى حــدرد . فقال ابن أبى حدرد : إن كذبتنى فربما كذبت بالحق يا عمر ، فقد كذبت من هو خير منى . فقال عمر : يا رسول الله ، ألا تسمع ما يقول ابن أبى حدرد ؟ فقال رسول الله ﷺ : قد كنت ضالا فهداك الله يا عمر (٢) .

• الرسول ﷺ يستعير أدرع صفوان :

فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هــوازن ليـلقاهم ذُكر له أن عند صفوان بن أمية أدرعًا (٣) وسلاحاً . فأرســل إليه وهو يومئذ مشرك فقال : يا أبا أمية ، أعرنا (٤) سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدًا ، فقال صــفوان : أغصبا يا

---

(١) وهم الملائكة أيد الله بهم المسلمين وأنزلهم لنصرة المسلمين ، ومن المعجزات أن المشركين رأوهم وهم فى صور فرسان على خيل جياد فألقى الله فى قلوبهم الرعب وفروا هاربين وسبق أن أنزل الله الملائكة تقاتل فى صفوف المسلمين يوم بدر مع رسول الله ﷺ وكان هذا هو العون الحق والنصر المبين ، ورأى المشركون أيضًا يومها الملائكة وهم يقاتلونهم فيضربون الواحد منهم ضربة يموت بها ، وهذا وعد الله رسوله الذى وعده حيث قال : ﴿ **وكان حقًا علينا نصر المؤمنين** ﴾ .

(٢) أى كان ضالا فى الجاهلية فهداه الله بالإسلام ، وفى هذا يقول عمر معتزًا بذلك : كنا أذلة فأعزنا الله بالإسلام . وقال عنه النبى ﷺ : « اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين أى عمر بن الخطاب ، أو عمرو بن هشام (أبو جهل) » رجا الرسول ﷺ إسلام أحدهما فهدى الله عمر بن الخطاب فأسلم وأضل عمرو بن هشام فغوى .

(٣) جمع درع : وكذلك دروع .

(٤) أى أقرضنا .

محمد ؟ قال : بل عارية (١) ومضمونة حتى نؤديها إليك ، قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم (٢) حملها ، ففعل .

• خُروج الرسول ﷺ إلى هَوازن :

قال : ثم خرج رسول الله ﷺ ومعه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثنى عشر ألفاً واستعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة ، أميرًا على من تخلف عنه من الناس ، ثم مضى رسول الله ﷺ على وجهه يريد لقاء (٣) هوازن .

قصيدة ابن مِرْدَاس : فقال عباس بن مرداس السلمى :

أَصَابتْ العام رِعْلاً غَولُ قَومهم ... وَسْطَ البيُوت ولَونُ الغول ألْوانُ (٤)
يَا لَهْفَ أُمٍّ كلاب إذْ تَبيتهم ... خَيْلُ ابنُ هَوْذَة لا تُنهى وإنسانُ (٥)
لاَ تَلْفظُوها وشدُّوا عَقْد ذمَّتكُم ... إنْ ابنَ عَمكُم سَعْد وَدُهمانُ (٦)
لَنْ تَرجعُوهَا وإنْ كَانت مُجللة ... مَا دَام فى النَّعم المأخوذ ألبانُ
شَنْعَاءُ جُلِّل من سَوآتها حضـن ... وَسال ذُو شَوغر منها وسلْوانُ (٧)
لَيْستْ بأطيب مما يَشْتَوى حَذَفٌ ... إذْ قَال : كل شَواءِ العِير جُوْفانُ (٨)

---

(١) أى نستعيرها .

(٢) أى ينقلها لهم .

(٣) أى حربهم .

(٤) رعل : قبيلة من سُليم . وفى الحديث : قنت رسول الله ﷺ شهرًا يدعو على رعل وذكوان وعُصية ، وهم الذين غدروا بأصحاب بئر معونة ، وقد مضى حديثهم فيما تقدم من السيرة . الغول : الداهية .

(٥) إنسان : قبيلة من قيس ثم من بنى نصر . وقيل هم من بنى جشم بن بكر .

(٦) سعد ودهمان : ابنا نصر بن معاوية بن بكر .

(٧) حضن : جبل فى نجد . ذو شوغر وسلوان : واديان .

(٨) حذف : اسم رجل . العير : حمار الوحش ، الجوفان : غرموله (ذكره) .

وفِى هَوازِنَ قَومٌ غَيْرَ أَنْ بهم   دَاءُ اليمانى فإن لم يَغْدِروا خانُوا
فَيهم أَخٌ لَو وفَـوا أَو بر عَهْدهم   ولَو نهكـناكم بالطعن قد لأنُوا
أَبْلِغْ هَوازِنَ أَعلاَها وَأسفَلَها   منى رِسَالة نصْـحٍ فَيِه تِبيانُ
أنِى أَظن رَسولَ الله صَابِحِكُم   جَيشاً له فى فَضاء الأَرض أركانُ
فِيهم أَخوكم سُليم غَير تَارِكِكُم   والمســلمون عِبَادُ الله غسَانُ
وَفى عضَادته اليمنَى بَنو أَسد   والأَجْرُبان بَنو عَبْس وذُبْيانُ (١)
تَكاد تَرجفُ منه الأرضُ رَهْبَتَهُ   وفَى مَقْدمِه أَوسٌ وعثمانُ

قال ابن إسحاق : أوس وعثمان : قبيلا مزينة :

● **قصة الشجرة ذات أنواط :**

قال ابن إسحاق : فحدثنى ابن شهاب الزهرى ، عن سنان بن أبى سنان الدُّولى عن أبى واقد الليثى ، أن الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية (٢) ، قال : فسرنا معه إلى حُنين قال : وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء ، يقال لها ذات أنواط ، يأتونها كل سنة ، فيعلقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها يومًا · قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدرة خضراء عظيمة ، قال فتنادينا من جنبات الطريق : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنـواط كما لهم ذات أنواط · قال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، قلتم ، والذى نفس محمد بيده ، كما قال قوم موسى لموسى : ﴿ **اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون** ﴾ (٣) إنها السنن ، لتركبن سَنَن مَن كان قبلكم ·

● **لقاء هوازن وثبات الرسول ﷺ :**

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : لما استقبلنا وادى حُنين انحدرنا فى واد من

---

(١) سماهما بالأجربين تشبيها بالأجرب الذى لا يقرب ·

(٢) أى أسلموا حديثًا ·

(٣) سورة الأعراف الآية : ١٣٨ ·

أودية تهامة أجوف خطوط ، إنما تنحدر فيه انحدارًا ، قال : وكان فى عماية الصبح ، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادى ، فكمنوا لنا فى شعابه وأحنائه ومضايقه ، وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا ، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد وانشمر [١] الناس راجعين لا يلوى أحد على أحد . وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال : أين أيها الناس ؟ هلموا إلىَّ ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ، قال : فلا شىء ، حملت الإبل بعضها على بعض ، فانطلق الناس ، إلا أنه قد بقى مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته .

• من ثبت مع الرسول ﷺ :

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته على بن أبى طالب، والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، وابنه، والفضل بن العباس ، وربيعة بن الحارث وأسامة بن زيد ، وأيمن ابن أم أيمن بن عبيد قُتل يومئذ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : ورجل من هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء فى رأس رمح له طويل ، أمام هوازن ، وهوازن خلفه ، إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه .

قال ابن إسحاق : فلما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما فى أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزلام لمعه فى كنانته . وصرخ جبلة بن الحَنبَل [٢] ، وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك فى المدة التى جعل له رسول الله ﷺ : ألا بطل السحر اليوم ! فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك فوالله لأن يربَّنى رجل من قريش أحب إلىَّ من أن يربنى رجل من هوازن .

شيبة بن طلحة يحاول قتل الرسول ﷺ : قال ابن إسحاق : وقال شيبة بن عثمان بن أبى طلحة ، أخو بنى عبد الدار : قلت : اليوم أدرك ثأرى ، وكان

---

(١) انشمروا : أى رجعوا سراعًا .

(٢) قال ابن هشام : كلدة بن الحنبل ، وذكر ابن هشام أبياتًا لحسان بن ثابت يهجو بها كلدة منها :

رأيت سوادًا من بعيد فراعنى   أبو حنبل ينزو على أم حنبل

أبوه قتل يوم أُحد ، اليوم أقتل محمداً . قال : فأدرت برسول الله لأقتله ، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادى ، فلم أطق ذاك ، وعلمت أنه ممنوع منى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل مكة أن رسول الله ﷺ قال حين فصل من مكه إلى حنين ورأى كثرة من معه من جنود الله :لن نغلب اليوم من قلة .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن رجلاً من بنى بكر قالها .

● النصر بعد الهزيمة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى ، عن كُثير بن العباس ، عن أبيه العباس ابن عبد المطلب ، قال : إنى لمع رسول الله ﷺ آخذ بحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها بها قال : وكنت امرءاً جسيمًا شديد الصوت ، قال : ورسول الله يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أرَ الناس يلوون على شيء . فقال : يا عباس اصرخ ، يا معشر الأنصار : يا معشر أصحاب السمرة ، قال : فأجابوا : لبيك ! لبيك ! قال : فيذهب الرجل ليثنى بعيره ، فلا يقدر على ذلك فيأخذ درعه ، فيقذفها فى عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ! ويخلى سبيله فيؤم الصوت ، حتى ينتهى إلى رسول الله ﷺ . حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة ، استقبلوا الناس ، فاقتتلوا وكانت الدعوى أول ما كانت يا للأنصار . ثم خلصت أخيراً :يا للخزرج . وكانوا صبراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله ﷺ فى ركائبه . فنظر إلى مجتلد القوم وهم يجتلدون . فقال : الآن حمى الوطيس .

● شَجاعة الإمام على :

قال ابن إسحاق : حدثنى عَاصم بن عمر بن قَتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينا ذلك الرجل من هَوازن صاحب الراية على جمله يصنع ما يصنع إذ هوى له على بن أبى طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتيه على بن أبى طالب من خلفه ، فضرب عرقوبى الجمل ، فوقع على عجزه ، ووثب الأنصارى على الرجل ، فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساق ، فانجعف عن رحله ، قال : واجتلد الناس ، فوالله ما رجعت راجعة النّاس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ .

قال : والتفت رسول الله ﷺ إلى أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله ﷺ ، وكان حسن الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بثفر بغلته ، فقال : من هذا ؟ قال : أنا ابن أمك يا رسول الله .

• **أُمُّ سُلَيْم في المعركة :**

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله ﷺ التفت فرأى أم سُليم بنت مَلْحان (١) وكانت مع زوجها أبى طلحة (٢) وهى حازمة وسطها ببُرد لها ، وإنها لحامل بعبد الله بن أبى طلحة ، ومعها جمل أبى طلحة وقد خشيت أن يعزها الجمل ، فأدنت رأسه منها ، فأدخلت يدها فى خزامته مع الخطام ، فقال لها رسول الله ﷺ : أم سليم ؟ قلت : نعم ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل ، فقال رسول الله ﷺ : أو يكفى الله يا أم سُليم ؟ قال : ومعهـا خنـجر ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت : خنجر أخذته ، إن دنا منى أحد من المشركين بعجته به قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرُّميصاء .

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ ، حين وجه إلى حُنين ، قد ضم بنى سليم الضحاك بن سفيان الكلابى ، فكانوا إليه ومعه ، ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يرتجز بفرسه :

أَقدم محاج إنه يـــومٌ نكُرْ ... مثلى على مِثلك يحمى ويَكُر
إذَا أُضِيعَ الصف يَوما والدُّبرْ ... ثُم احزألَّتْ زُمرٌ بَعْدَ زُمَرْ (٣)
كَتائبُ يكلُّ فيهـــن البَصَر ... قَدْ أطعن الطَّعْنة تَقْذى بالسبر (٤)
حَين يذم المستـــكين المنجحر ... وأطعن النَّجلاء تَعْوى وتَهرْ (٥)
لَها من الجـــوف رَشَاش منْهمر ... تفهق تارات وحينا تنفجرْ (٦)

---

(١) واسمها : مليكة ، ويقال : رميلة ، وقيل : سهيلة .

(٢) واسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام .

(٣) احزألت : ارتفعت .

(٤) السبر : جمع سبير وهو الفتيل يسبر به الجرح .

(٥) النجلاء : الطعنة الواسعة . تعوى وتهر : أى يسمع لخروج الدم منها أصوات كالعواء والهرير .

(٦) تفهق : تنفتح .

وثَعْلَبُ العَامِلِ فيـــها مُنْكَسِرُ   يا زيد يابنَ هَمْهَم أين تفرْ (١)
قَدْ نفَدَ الضَّرب وقـد طَال العمر   قد علم البيض الطويلات الخمرْ
إِنى فى أمثـــالها غير غَمِر   إذ تَخرج الحاصن مِن تحت السترْ

• قصة أبى قَتادة وسَلَبُه (٢) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أنه حدث عن أبى قَتادة الأنصارى قال : وحدثنى من لا أتهم من أصــحابنا ، عن نافع مــولى بنى غفار أبى محمد بن أبى قتادة ، قال : قال أبو قتادة : رأيتُ يومَ حُنين رجلين يقتتلان ، مسلمًا ومشركًا ، قال : وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم . قال : فأتيته ، فضربت يده فقطعتها ، وأعتنقنى بيده الأخرى ، فوالله ما أرسلنى حتى وجدت ريح الدم (٣) وكاد يقتلنى فلولا أن الدم نزفه لقتلنـى ، فسقط ، فضربته فقتلته ، وأجهضنى عنه القتال ، ومر به رجل من أهل مكة فسلبه (٤) ، فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم ، قال رســول الله ﷺ : من قتــل قتيلاً فله سلبه (٥) . فقلت : يا رسول الله ، والله لقد قتلت قتيلاً ذا سلب ، فأجهضنى عنه القتال ، فما أدرى من استلبه فقال رجل من أهل مكة : صدق يا رسول الله ، وسلبُ ذلك القتيل عندى ، فأرضه عنى من سَلَبه (٦) ، فقال أبو بكــر الصديق رضي الله عنه : لا والله ، لا يرضيه منه ، تعمد إلى أســد من أسد الله . يقاتل عن دين الله ، تقسامه سلبه ؟! اردد عليه سلب قتيله ، فقال رسول الله ﷺ : صدق فاردد عليه سلبه فقال أبو قتادة : فأخذته منه ، فبعته ، فاشتريت بثمنه مخرَفًا (٧) فإنه لأول مال اعتقدته .

(١) الثعلب : عصا الرمح الداخلة فى السنان . العامل : أعلى الرمح .
(٢) السلب : هو ما يكون مع المحارب من متاع وأموال وسلاح .
(٣) قال ابن هشام : يروى : ريح الموت .   (٤) أى أخذ متاعه وما معه .
(٥) وصار هذا فى عهد الرسول ﷺ وبعده أن من قتل قتيلاً فى المعركة فله أن يأخذ متاعه وأمواله وسلاحه .
(٦) يريد أن يقاسمه سلبه أو يأخذ منه شيئًا .
(٧) مخرَف بفتح الراء : نخلة واحدة أو نخلات أقل من العشرة ، والمخوف بكسر الميم الآلة التى تخترف بها الثمرة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن أبى سلمة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك ، قال : لقد استلب أبو طلحة يوم حنين وحده عشرين رجلا .

الملائكة تحضر القتال : قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، أنه حُدث عن جبير بن مطعم ، قال : رأيت – قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون – مثل البجاد (١) الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت ، فإذا نمل أسود مبثوث ، قد ملأ الوادى لم أشك أنها الملائكة ، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم .

قال ابن إسحاق : ولما هزم الله المشركين من أهل حُنين ، وأمكن رسوله ﷺ منهم ، قالت امرأة من المسلمين :

قد غلبتْ خيل الله خيل اللات والله أحق بالثبات

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هَوازن استحر القتل مَن ثقيف فى بنى مالك ، فقُتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث ابن حبيب ، وكانت رايتهم مع ذى الخمار (٢) ، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله ، فقاتل بها حتى قتل .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عامر بن وهب بن الأسود ، قال : لما بلغ رسول الله ﷺ قتله ، قال : أبعده الله ، فإنه كان يبغض قريشا .

• قصة الغلام الأغرل (٣) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أنه قتل مع عثمان بن عبد الله غلام له نصرانى أغرل ، قال : فبينا رجل من الأنصار يسلب قتلى ثقيف ، إذا كشف العبد يسلبه ، فوجده أغرل . قال : فصاح بأعلى صوته : يا معشر العرب : يعلم الله أن ثقيفا غرل . قال المغيرة بن شعبة : فأخذت بيده ، وخشيت أن تذهب عنا فى العرب ، فقلت : لا تقل ذاك ، فداك أبى وأمى ، إنما هو غلام لنا نصرانى . قال ثم جعلت أكشف له عن القتلى ، وأقول له : ألا تراهم مختتنين كما ترى .

---

(١) البجاد : يعنى الكساء من النمل مبثوثا . (٢) هو عوف بن الربيع .
(٣) الأغرل : غير المختتن .

• فرار قَارِب وقومه :

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة ، وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف ، فلم يُقتل من الأحلاف غير رجلين : رجل من غيرة ، يقال له : وهب ، وآخر من بنى كُبة ، يقال له : الجلاَّح ، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتل الجلاح : قتل اليوم سيد شباب ثقيف ، إلا ما كان من ابن هنيدة ، يعنى بابن هنيدة الحارث بن أويس ·

• شعر ابن مرداس :

فقال عباس بن مرداس السلمى يذكر قارب بن الأسود وفراره من بنى أبيه ، وذا الخمار وحبسه قومه للموت :

أَلا مـــن مُبلغ غَيلانَ عَنِّى ... وَسوف إخال يأتيهُ الخَبير (١)
وَعروةَ إنما أهـــدى جوابًا ... وقَولاً غير قولكـــما يَسيرُ
بأن محـــمدًا عبدٌ رسولٌ ... لِربٍّ لا يضِلُّ ولا يَجورُ
وجَدناه نبيًّا مِثلَ مُوســـى ... فَكُل فتًى يَخـــايرهُ مَخيرُ
وَبِئس الأمر أمر بَنِـــى قَسِىٍّ ... بوج إذ تقسمت الأمورُ (٢)
أَضاعوا أمرهـــم ولكلٍّ قومٍ ... أميرٌ والـــدوائر قد تدورُ
فجئنا أُســـد غابات إليهم ... جنود الله ضاحـــية تسيرُ
تؤم الجمع جمـــع بَنى قسى ... على حنـــق نكاد له نَطيرُ
وأقسم لو هم مكـــثوا لسرنا ... إليهم بالجنود ولم يغوروا
فكنا أســـد لية ثَم حتى ... أبحناها وأســـلمت النُّصُورُ
ويوم كان قـــبل لَدَى حُنين ... فَأَقلع والـــدماءُ بهَ تَمورُ
مَن الأيامِ لَم تسمـــع كيومٍ ... ولم يسمـــع به قوم ذكور

---

(١) الفعل المستقبل هو : يأتيه ، ولكن حرف « سوف » دخل على إخال وبرغم هذا فإن ما يدل عليه الاستقبال هو الفعل الثانى « يأتيه » ·

(٢) قسى : اسم ثقيف ، بوج : واد بالطائف قبل حنين ·

قَتَلْنَا فـــى الغُبَار بَنِى حَطِيط — عَلى رَاياتهـــا والخَيل زورُ (١)
وَلم يَكُ ذُو الخمار رئيس قَوم — لَهم عَقْل يُعاقِب أو مكيرُ
أَقام بهم على سُنَن المَنَايا — وَقد بانت لمبصـــرها الأمورُ
فَأفلت منَ نَجا منهم جَرِيضًا — وقتل منهـــم بشر كثيرُ (٢)
وَلا يغنى الأمور أخو التوانى — ولا الغلق الصُّرِيرة الحصورُ (٣)
أحانهـــم وحَان ومَلَّكُوه — أُمورهم وأفْلتت الصُّقُورُ
بَنو عَوْف تميح بهـــم جياد — أهين لَها الفَصافص والشعيرُ (٤)
فَلولا قَارب وبَنـــو أبيه — تَقَسَّمت المَزَارع والقُصُـــورُ
وَلكن الرِّيَاسة عَمـــموها — على يمن أشـــار به المشيرُ
أَطاعوا قَاربا ولهـــم جُدود — وأحلام إلـــى عز تصيرُ
فَإن يَهدوا إلى الإسلام يلفوا — أنوف الناس مَا ســـمر السميرُ
وَإن لم يَسلـــموا فهم أذان — بَحرب الله ليـــس لهم نَصير
كَما حكَّتْ بنى سعـــد وحرب — برَهط بنى غزية عنقفيرُ (٥)
كأن بنى معاوية بن بكـــر — إلى الإسلام ضـــائنة تخورُ
فَقلنا أسلـــموا إنا أخوكم — وقد برأت من الإحن الصدورُ
كأن القوم إذ جَاءوا إلينـــا — من البَغضاء بعد السلـــم عورُ

مقتل دُريد : قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون ، أتوا الطائف ومعهم

---

(١) زور : مائلة .

(٢) الجريض : من يغص بريقه . والجمع : جرضى .

(٣) الغلق : ضيق الخلق . الصريرة : مصغر الصرورة وهو الذى لم يتزوج ، والحصـــور : الذى لا يأتى النساء .

(٤) تميح : تمشى مشيا مستويا . الفصافص : جمع فصفصة : النبات الذى تأكله المواشى رطبا .

(٥) العنقفير : الداهية .

مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف ، وتبعت خيل رسول الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا .

فأدرك ربيعة بن رفيع بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سمال بن عوف بن امرئ القيس ، وكان يقال له ابن الدُّغنة وهى أمه ، فغلبت على اسمه أدرك دُرَيْد بن الصمة ، فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه في شجار له ، فإذا برَجُل فأناخ به فإذا شيخ كبير ، وإذا هو دُريد بن الصمة ولا يعرفه الغـلام ، فقال له دُريد : ماذا تريد بى ؟ قال : أقتلك ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن رفيع السلمى ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يغن فيه شيئًا ، فقال : بئس ما سلحتك أُمك ! خذ سيفى هذا من مؤخر الرحل ، وكان الرحل فى الشجار ، ثم اضرب به ، وارفع عن العظام . واخفض عن الدماغ ، فإنى كنت كذلك أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دُريد بن الصمة ، فُربَّ والله يوم قد منعت فيه نساءك ، فزعم بنو سليم أن ربيعة قال لما ضربه فوقع تكشف ، فإذا عجانه (١) وبطون فخذيه مثل القرطاس ، من ركوب الخيل أعراء ، فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً .

● **شعر عَمرة :**

فقالت عَمْرة بنت دريد فى قتل ربيعة دريداً :

لَعمرُك ما خشيت على دُريد ... بِبَطن سُميرة جيش العنَاق (٢)
جَزى عَنا الإله بَنى سُلَيم ... وعقـــتهم بما فَعلوا عقَاق
وأسقانا إذا قَدْنا إليهــم ... دمَاء خيَارهم عنــد التلاقى
فَرُب عظيمة دافعتْ عَنهــم ... وَقد بلغتْ نُفوسهم التراقى
وَرُب كَريمة أَعتقــت منهم ... وأخرى قد فككت من الوثَاق
ورُب منوه بـــك من سُلَيم ... أَجبت وقد دعاك بلا رماق (٣)

---

(١) عجانه : أى استه .
(٢) العناق : الأمر الشديد .
(٣) الرماق : بقية الحياة .

فكان جَزاؤنا منهـــم عقوقًا وهَمأ ماع مـــنه مخ ساقى
عفَّتْ آثار خَيلِك بعـــد أين بذِى بقر إلى فيف النهاق (١)

• استشهاد أبى عامر الأشعرى :

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله ﷺ فى آثار من توجه قبـل أوطاس أبا عامر الأشعرى ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ، فناوشـــوه القتال فرمى أبو عامر بسهم فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعرى ، وهو ابن عمه فقاتلهم ، ففتح الله على يديه وهزمهم ، فيزعمون أن سلمة بن دُريد هو الذى رمى أبا عامر الأشعرى بسهم ، فأصاب ركبته ، فقتله ، فقال :

إنْ تَسألُوا عنِّى فإنِّى سَلَمهْ ابنُ سَمادِير لِمن تَوسمهْ
أَضْرِب بِالسَّيفِ رءوس المُسْلِمه

وسمادير أمه ·

واستحر القتل من بنى نصر فى بنى رئاب ، فزعموا أن عبد الله بن قيس – وهو الذى يقال له ابن العوراء ، وهو أحد بنى وهب بن رئاب – قال : يا رسول الله هلكت بنو رئاب ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : اللهم اجبر مصيبتهم ·

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة ، فوقف فى فوارس من قومه ، على ثنية من الطريق ، وقال لأصحابه : قفوا حتى تمضى ضعفاؤكم ، وتلحق أخراكم · فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس ، فقال مالك بن عوف فى ذلك :

ولَولا كَرتان علـــى مُحاج لضَاق على العَضَارِيط الطَرِيق (٢)
وَلولاَ كَرُّ دَهمان بـــن نَصْر لَدى النَخلاتِ مُندفع الشديق (٣)
لآبَتْ جَعفر وبـــنو هلاَل خَزايا مُحقبين على شقوق (٤)

(١) ذو بقر : اسم مكان ، فيف : قفر ، النهاق : موضع ·
(٢) مُحاج : فرس مالك – العضاريط : الأجراء ·
(٣) الشديق : واد من وديان الطائف ·
(٤) محقبين : مردفين ، شقوق : أى على مشقة ·

شعر سَلَمَة :

قال ابن إسحاق : وقال سلمة بن دُرَيد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم :

نَسيتَنى ما كنتُ غير مُصـــابة وقد عرفتُ غداة نعـــف الأطرب [١]
أنى منعتك والركـــوبُ مُحببٌ وَمشيتُ خَلفك مثل مَشى الأنكب [٢]
إذ فَرَّ كُل مهـــــذَّب ذى لِمَّة عَن أُمّه وخليله لـــــم يعقـــب

المنهى عن قتلهم : قال ابن إسحاق : وحدثنى أصحابنا : أن رسول الله ﷺ مر يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليـــد ، والناس متقصـفون [٣] عليها فقال : ما هذا فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الـــوليد : فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه : أدرك خالدًا ، فقل له : إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليدًا أو امرأة أو عسيـــفا [٤] .

الشيماء أُخت الرسول : قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض بنى سعد بن بكر : أن رسول الله ﷺ قال يومئذ : إن قدرتـم على بـــجاد ، رجل من بنى سعد ابن بكر ، فلا يفلتنكم ، وكان قد أحـــدث حدثاً ،فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشيماء ، بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة ، فعنفُوا عليها فى السياق : فقالت للمسلمين : تعلموا والله أنى لأخت صاحبكم من الرضاعة ، فلم يصدقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن عبيد السعدى ، قال : فلما انتهى بها إلى رسول الله ﷺ ، قالت : يا رسول الله ، إنى أختـــك من الرضـــاعة ، قال : وما علامة ذلك؟ قالت عضة عضضتنيها فى ظهرى وأنا متوركتك قال : فعرف رسول الله ﷺ العلامة فبسط لها رداءه . فأجلسها عليه ، وخيَّرها ، وقال : إن أحببت فعندى محبَّة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتعك [٥] وترجعى إلى قومك فعلـــت ، فقالت بل تمتعنى وتردنى إلى قومى . فمتعها رسول الله ﷺ ، وردها إلى قومها .

---

(١) النعف : أسفل الجبل ، الأطرب : الجبل الصغير .
(٢) الأنكب : المائل إلى جهة .
(٣) متقصفون : مجتمعون فى ازدحام .
(٤) العسيف : الأجير ، وهذا من سماحة الإسلام أن لا يُقتل من لا ذنب له ولا الآمنون ومن ليسوا فى أرض المعركة .
(٥) أى أعطيك ما يمتعك وما يكون فيه انتفاعك .

فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية ، فزوجت أحدهما الأخرى ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية [(١)] .

• شُهداء يوم حُنَين :

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد يوم حُنين من المسلمين .

من قريش ثم من بنى هاشم ، أيمن بن عُبيد .

ومن بنى أسد بن عبد العزى : يَزيد بن زَمْعة بن الأسود بن المطلب بن أسد جمح به فرس له يقال له الجناح ، فقُتل .

ومن الأنصار : سُراقة بن الحارث بن عدى ، من بنى العجلان .

ومن الأشعريين : أبو عامر الأشعرى .

• سَبايا حُنَيْن وأموالها :

ثم جمعت إلى رسول الله سبايا حنين وأموالها ، وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغفارى ، وأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال إلى الجعرانة فحبست بها .

• شعر عباس بن مرداس :

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس فى يوم حُنين :

إِنى والسوابحُ يوم جَمْعٍ ... وما يتلو الرسول من الكتابِ
لَقد أحببتُ ما لقيتْ ثقيف ... بجنب الشِّعب أمس من العذابِ
هُمُ رأس العدو من اهل نجدٍ ... فقتلهم ألذُّ مـن الشرابِ
هَزمنا الجمع جمع بَنى قَسى ... وحكت بركها ببنى رئابِ [(٢)]
وَصِرْما من هِلال غَادَرتهم ... بأوطاس تعفـر بالترابِ [(٣)]
ولو لاقين جمع بَنى كلاب ... لقام نسـاؤهم والنقع كابى

---

(١) قال ابن هشام : وأنزل الله عز وجل فى يوم حنين : ﴿ **لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم** ﴾ ، إلى قوله : ﴿ **وذلك جزاء الكافرين** ﴾ (التوبة : الآية ٢٥ ، ٢٦) .

(٢) البرك : الصدر ، ويريد حكت بركها : شدة وطأة الحرب .

(٣) الصرم : الجماعة من الناس أو البيوت المنقطعة عن الحى .

رَكضنا الخيل فيـــهم بين بس إلى الأورال تنحط بالنهاب (١)
بذى لجب رَســـول الله فِيهم كَتيبته تعرض لِلضــــراب

• رَدُّ ابن العَفيف :

فأجابه عطية بن عفيف النصرى فقال :

أفَاخرةٌ رِفاعة فـــى حُنَين وعبَّاس بْن رَاضعة اللجاب (٢)
فَإنك والفخارُ كذاتِ مرط لربتها وترفل فى الإهـــــاب

قال ابن إسحاق : قال عطية بن عفيف هذين البيتين لما أكثر عباس على هوازن فى يوم حُنين . ورفاعة من جهينة .

• شعر عبَاس بن مرْداس :

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرْداس أيضًا :

يَا خاتَم النُّبَّاء إنكَ مُرسَلٌ بالحقّ كُل هُدَى السبيل هداكَا
إنَّ الإله بَنَى عَليك مَحبةً فى خَلْقه ومُحمدًا سمَّاكَا
ثَم الذين وفُّوا بما عاهدتهم جُنْدٌ بَعَثْتَ عليهم الضَحَّاكَا
رَجُلاً به ذرب السلاح كأنه لما تكنفه العدو يَراكَا (٣)
يَغشى به هام الكُماة ولو ترى منه الذى عاينتَ كان شَفاكا
وبنو سُليم معنقون أمامه ضربا وطعنا فى العدو دِرَاكا (٤)
يمشونَ تحت لِوائه وكأنهم أسدُ العَرين أردن ثم عَراكا (٥)
ما يرتجون من القَريب قَرابةً إلا لطاعة ربهم وهَواكاً
هَذى مَشاهدُنَا التى كانت لنا مَعروفَةً ولينـــــا مولاكَا

(١) البس والأورال : مكانان . تنحط تخرج أنفاسها عالية .
(٢) اللجاب : العنزة (الماعز) التى لبنها قليل .
(٣) الذرب : الحدة .
(٤) معنقون : مسرعون ، درك : متتابع .
(٥) العراك : المدافعة .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرْداس أيضًا :

نَصرْنَا رسولَ الله من غضب له ... بألف كَمِيٍّ لا تُعَد حَواسِرهْ (١)

حَمَلنا له فى عامل الرمح رايةً ... يذودُ بها فى حومة الموت نَاصِرهْ

ونحن خَضَبْناها دمًا فهو لونها ... غَداة حُنين يوم صَفوان شَاجرة(٢)

وكُنا على الإســلام مَيْمَنة لهُ ... وكان لنا عَقْدُ اللواءِ وشَاهِرهْ

وكُنا له دون الجنــود بِطَانَةً ... يُشَــاورُنَا فِى أمْرِه ونُشَاوره

دَعَانا فَســمَّانا الشِّعَار مقدمًا ... وكُنا له عونًا على من يُنَاكرهْ (٣)

جَزَى اللهُ خيرًا من نَبِيٍّ محمدًا ... وأيَّدهُ بالنـــصرِ واللهُ نَاصِرهْ

• شعر ضَمْضَم :

قال ابن إسحاق : وقال ضمضم بن الحارث بن جشم بن عبد بن حبيب بن مالك بن عوف بن يقظة بن عُصية السلمى فى يوم حنين : وكانت ثقيف أصابت كنانة ابن الحكم بن خالد بن الشريد ، فقتل به محجنا وابن عم له ، وهما من ثقيف :

نحنُ جلبنا الخيل من غير مجلب ... إلى جرش من أهل زيان والفم (٤)

نقتلُ أشــبال الأسودِ ونبتغى ... طواغى كانت قبلـــنا لم تُهدم

فَإن تفخروا بابن الشـــريدِ فإننى ... تركتُ بوج مأتمـــا بعد مأتَم

أبأتهما بابن الشـــــريد وغرَّهُ ... جواركم وكان غـــير مُذَمَّم

تُصيبُ رجالاً من ثقيـــف رِمَاحنَا ... وأسيافنا يُكَلِمنهم كـــل مُكْلَم

* شعر مالك بن عوف :

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فراره :

(١) الحواسر : من لا دروع عليهم .
(٢) شاجره : خالطه بالرمح .
(٣) الشعار : الثياب التى تلى الجسد ، كناية عن قرب الحاشية .
(٤) الحرش : من مخاليف اليمن من جهة مكة .

مَنع الرُّقادَ فما أغمـــض ساعةً — نعَم بأجزاع الطـريق مُخَضرم (١)
سَائِل هوازن هل أَضرَّ عدوها — وأعين غارمــــها إذا ما يَغرم
وكتيبةُ لبســتـــها بكتيبةٍ — فئتين منها حاســـر ومَلأمِ
ومُقدم تعيا النفـــوس لضيقه — قدمته وشهـــود قومى أعلم (٢)
فَوردته وتركت إخــــوانًا له — يردون غمـــرته وغمرته الدم
فإذا انجلت غَمــــراته أورثنى — مجد الحيـــاة ومجد غنم يقسمِ
كلفتمـــونى ذنب آل محمد — والله أعلـــم من أعق وأظلمَ
وخذلتمــــونى إذ أقاتل واحدًا — وخذلتمونـــى إذ تقاتل خثْعم
وإذا بَنيتُ المجـــدَ يهدمُ بعضكم — لا يستــــوى بانٍ وآخر يهدمُ
وأقب مخـــماص الشتاء مسارع — فى المجد ينمى للعلا متكرمُ (٣)
أكرهتُ فيـــــه ألة يزنية — سحماء يقدمها سنان سلجمُ (٤)
وتركتُ حنَّتَهُ تـــــرد وليه — وتقول ليس على فلانة مقدمُ (٥)
ونصبتُ نفـــسى للرماح مدججًا — مثل الدرية تستحل وتشرم (٦)

*** شعر رجل من هوازن :**

قال ابن إسحاق : وقال قائل فى هوازن أيضًا ، يذكر مسيرهم إلى رسول الله ﷺ مع مالك بن عوف بعد إسلامه :

أذكر مَسيرهُم للناس إذْ جَمعوا — ومَالك فَوقه الرايات تختَفقُ
ومَالك مَالك ما فَوقَهُ أحدا — يوم حُنين عليه التاج يأتلقُ

(١) النَّعَم : الإبل ، المخضرمة : مقطوعة أطراف الآذان ·
(٢) المقدم : الموضع الذى لا يتقدم فيه إلا الأبطال ·
(٣) الواقب : ضامر الخصر ، المخماص : ضامر البطن ·
(٤) ألة : الحربة يزنية، منسوبة إلى ذى يزن الحميرى أحد ملوك حمير، سحماء : سوداء ·
(٥) حنته : زوجته ؛ سميت بذلك لأنها تميل إليه وهو يميل إليها ·
(٦) الدرية : الدريئة ، وهى حلقة تنصب فيتعلم عليها الطعن ·

حتى لقوا اليأس حين البأس يَقدمهم ... عليهم البيـــض والأبدانُ والدرقُ
فَضاربوا الناس حتى لم يَروا أحدًا ... حول النبى وحتـــــى جَنه الغَسَقُ
ثَمَّت نزل جبـــــريل ينصرهم ... من السَّمـــاء فَمهزُومٌ ومعتنقُ (١)
منَّا ولو غَيْر جبْريل يُقـــاتلنَا ... لمنعتنا إذا أسيـــافنا العتقُ
وفاتنا عمر الفاروقُ إذ هزمـــوا ... بطعنة بل منها سَرجـــه العَلَقُ (٢)

● شعر ابن وهْب فى الرد على ابن ثواب :

قال ابن إسحاق : فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بنى تميم ، ثم من بنى أسيد ، فقال :

بشَرط الله نَضربُ مـــن لَقينا ... كأفضَلِ ما رأيتَ مـــن الشُروط
وكنَا يا هَوازن حـــينَ نَلقَى ... نيل الهَام من علـــق عَبيط
يَجمعكم وجَمع بنـــى قَسى ... نَحك البَرك كالـــورق الخبيط (٣)
أصبنا من سُراتـــكمُ وملنا ... نقتل فى المبـــاين والخليط
به الملتاث مفتـــرش يديه ... يمج الموت كالبـــكر النحيط (٤)
فإن تك قيس عيـــلان غضابا ... فلا ينفك يرغمهـــم سعوطى

* شعر خديج بن العوجاء النصرى :

وقال خُدَيج بن العَوْجاء النِصرى :

لَما دنَونا مـــن حُنَينٍ ومَائه ... رَأينا سوادًا منكر اللون أَخْصَفا (٥)
بِملومة شَهباءَ لو قَذفوا بِهـــا ... شَماريخ من عَزوى إذن عَاد صَفْصَفَا(٦)

---

(١) المعتنق : الأخير . (٢) العلق : الدم .
(٣) الورق الخبيط : الذى ضرب بالعصا ليسقط .
(٤) الملتاث : اسم رجل ، البكر : الفَتىُّ من الإبل ، النحيط : من يردد النفس فى صدره فتسمع له صوتًا .
(٥) سوادًا : أشخاصًا . الأخصف : الملون .
(٦) الململومة : الكتيبة المجتمعة . شهباء : كثيرة السلاح . الشماريخ : أعالى الجبال . صفصفا : مستويا بالأرض .

وَلو أَنْ قَومى طاوعتنـــى سُرَاتهم إذن مَا لقينـــا للعارِض المتكَشِّفَا (١)
إذَا ما لقينـــا جُنْد آل مُحمدٍ ثَمانين ألفا واستـــمدوا بخندفَا (٢)

ذكر غزْوة الطائف (٣) بعد حُنَين فى سنة ثمان

ولما قدم فَل (٤) ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، وصنعوا الصنائع للقتال .

ولم يشهد حُنينا ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ، ولا غيدن بن سلمة ، كانا بجرش ، يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور (٥) .

ما قيل من الشعر فى غزوة الطائف : ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حُنين ، فقال كعب بن مالك ، حين أجمع رسول الله ﷺ السير إلى الطائف :

*** شعر كعب بن مالك :**

قضيـــنا من تِهامَةَ كل رَيبٍ وخَيبر ثم أجمـــعنا السيُوفَا (٦)
نُخَيِّرُها ولـــو نَطَقَتْ لقَالت قواطِعهـــن : قو دَوْسا أو ثَقيفَا

---

(١) العارض : السحاب . المتكشف : الواضح . يشبه به جنود المسلمين .

(٢) خندف : اسم قبيلة .

(٣) وأصل تسميتها كما ذكر بعض أهل النسب أن الدمون بن الصدف ، واسم الصدف ملك بن مالك بن مرتع بن كندة من حضرموت أصاب دماً من قومه ، فلحق بثقيف ، فأقام فيهم ، وقال لهم : ألا أبنى لكم حائطاً يطيف ببلدكم ، فبناه فسمى به الطائف ، وذكره البكرى هكذا قال : وإنما هو الدمون بن عبد بن مالك بن دهقل ، وهو من الصدف ، وله ابنان أدركا النبى - ﷺ وبايعاه ، اسم أحدهما : الهميل ، والآخر : قبيـــصة ، ولم يذكرهما أبو عمر بن عبد البر فى الصحابة ، وذكرهما غيره .

(٤) الفل : بقية الجيش المنهزم .

(٥) الدبابة : آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها . والمنجنيق : آلة حربية من آلات الحصار ترمى الحجارة وغيرها من القذائف وجمعها مجانق ومجانيق ومنجنيقات . والضبور : مثل رءوس الأسقاط يتقى بها فى الحرب عند الانصراف ، وفى العين : الضبر جلود يغشى بها خشب يتقى بها فى الحرب .

(٦) أجمعنا : أرحنا .

فلست لحاضن إنْ لـم تَروها ... بَساحة دَاركـم منا الوفا
وننتزع العروش ببطـن وَجٍّ ... وتَصبح دُوركم منكـم خلوفا
ويَأتيكم لنَا سُـرعان خَيل ... يغَادر خلفَه جَمـعا كثيفا
إذا نَزلوا بسَاحتـكم سَمعتم ... لها مما أناخ بهـا رَجيفاً
بأيديهم قَواضـب مُرْهفات ... يزرن المصـطلين بهَا الحتوفَا
كأمثال العقَائق أخلـصتها ... قُيون الهنـد لم تضرب كتيفا (١)
تَخال جَدية الأبطـال فيهمْ ... غَداة الزَّحـف جَاديا مدوفَا (٢)
أَجِدهُم أليـس لهم نَصيح ... من الأقـوامِ كان بنا عَريفَا (٣)
يَخبرهـم بأنا قَد جَمعنا ... عتَاق الخَيـل والنجب الطروفَا (٤)
وَأنا قَدْ أتينـاهُم بزَحْف ... يُحيطُ بَسـور حَصنهم صُفوصَا
رَئيسـهم النَّبيُّ وكَان صَلبًا ... نَقيَّ القَلـب مُصطبراً عَزوفَا
رَشيدُ الأمـرِ ذُو حكم وَعلمٍ ... وَحلم لم يكـن نَزقا خَفيفَا
نُطيع نَبينا ونطـيع رَبًّا ... هو الرحمـنُ كان بنا رَءوفَا
فَإن تلقـوا إلينا السلم نقبل ... ونجعلكم لنا عـضدًا وريفًا (٥)
وإن تَأبـوا نُجاهدكُم ونَصبرْ ... ولا يك أمـرنا رعشًا ضعيفًا (٦)
نُجالد ما بقيـنا أو تَنيبوا ... إلى الإسـلام إذعانًا مُضيفًا (٧)
نُجاهد لا نُبالـى من لَقِينا ... أأهلكنـا التِّلادَ أم الطَّريفَا (٨)

(١) الكتيف : الصفائح الحديد .
(٢) الجدية : الدماء السائلة . الجادى : الزعفران . مدوف : مخلوط .
(٣) أجدهم : أجد منهم . عريفا : عارفا .
(٤) الطروف : نجيبة الأصل .
(٥) الريف فى الأصل : الأرض المخصبة المنزرعة خارج المدن والمراد أن يجعلهم مساعدين لهم مستمدين عيشهم من ريفهم .
(٦) الرعش : المتقلب غير الثابت .
(٧) مضيف : ملجئ .
(٨) التلاد : المال القديم ، الطريف : المال المستحدث .

وكم من مَعشـــر ألبوا علينا صَميمَ الجذم منهـــم والحليفَا
أتونا لا يـــرون لهم كَفاء فَجدَّعنا المســامع والأُنوفَا
بكل مُهَنَّدٍ ليــن صقيل نَسوقهـــم بها سوقًا عنيفَا
لأمر الله والإســلام حتَّى يَقومَ الدِّين معتــدلاً حنيفَا
وتُنســى اللات والعزى وود ونسلبها القــلائد والشنوفَا (١)
فأمســوا قد أقروا واطمأنوا ومن لا يمتنع يقبل خسوفَا (٢)

• كنانة يرد على كعب :

فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، فقال :

مَن كان يَبغينـــا يُريد قتالنَا فإنا بَدارٍ معــلَّم لا نريمها
وَجدنا بها الآباء من قبـــل ما ترى وكانت لنا أطــواؤها وكرومها (٣)
وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر (٤) فأخبرها ذو رأيهـــا وحليمها
وقَد علمـت انْ قالتْ الحق أنَّنا إذَا ما أبتْ صُعر الخدودِ نُقيمها (٥)
نُقَوِّمها حَتـــى يَلينَ شَرِيسُها ويَعرفَ للحـــقِّ المبين ظَلومها
عَلينا دِلاص مـــن تُراثِ مُحرقٍ كَلون الســماء زَينتها نُجومها (٦)
نَرفهها عَنا ببيـــض صَوارِمٍ إذا جَرتْ فـي غَمرة لا نشيمها (٧)

---

(١) شنوف : جمع شنف وهى حلية تعلق فى أعلى الأذن ·

(٢) الخسوف : الذود ·

(٣) الأطواء : جمع طوى وهى البئر جمعت على غير قياس توهموا سقوط ياء فعيل منها إذ كانت زائدة ·

(٤) قال هذا جوابًا للأنصار لأنهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عامر ولم يرد أن الأنصار قد جربتهم قبل ذلك وإنما أراد إخوتهم وهم خزاعة وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكة ، وقيـــل : إنما أراد عمرو بن عامر بن صعصعة ·

(٥) صعَّر خده : أماله إلى جهة تكبرا ·

(٦) دِلاص : الدروع اللينة · مـــحرق : عمـــرو بن عامر ، لأنه أول من حرق العرب بالنار ·

(٧) لا نشيمها : لا نغمدها ·

• شعر شداد بن عارض :

قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمى فى مسير رسول الله ﷺ إلى الطائف :

لا تَنْصروا اللاَّتَ إنَ اللهَ مُهلكهَا — وكيف يُنصر من هو ليس يَنتصرُ
إنَّ التى حُرِّقت بالسَّد فاشتعلت — ولم يقاتل لدى أحجـارها هَدرُ
إن الرسولَ متـى ينزل بلادكُمُ — يظعن وليس بها من أهلـا بَشرُ

الطريق إلى الطائف : قال ابن إسحاق : فسلك رسول الله ﷺ على نخلة السمانية ، ثم على قرن ، ثم على المليح ، ثم على بحرة الرغياء من لية [١] ، فابتنى بها مسجداً فصلى فيه ·

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شعيب : أنه أقاد يومئذ ببحرة الرغاء ، حين نزلها ، بدم وهو أول دم أقيد به فى الإسلام ، رجل ، من بنى ليث قتل رجلا من هذيل ، فقتله به ، وأمر رسول الله ﷺ ، وهو بلية ، بحصن مالك بن عوف فهدم ، ثم سلك فى طريق يقال له الضيقة ، فلما توجه فيها رسول الله ﷺ سأل عن اسمها ، فقال : ما اسم هذه الطريق ؟ فقيل له الضيقة ، فقال : بل هى اليسرى ، ثم خرج منها على نخب ، حتى نـزل تحت سـدرة ، يقال لها الصادرة ، قريبا : من مال رجل من ثقيف ، فأرسـل إليه رسول الله ﷺ : إما أن تخرج ، وإما أن نخرب عليك حائطك [٢] ، فأبى أن يخرج ، فأمر رسول الله ﷺ بإخرابه ·

ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريبا من الطائف ، فضرب به عسكره ، فقتل به ناس من أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، فكانت النبل تنالهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم ، فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذى بالطائف اليوم ، فحاصرهم بضعًا وعشرين ليلة ·

---

(١) أسماء أماكن بالطائف ·

(٢) الحائط : أى البستان أو الحديقة التى لها سور ·

قال ابن إسحاق : ومعه امرأتان [١] من نسائه ، إحداهما أم سلمة بنت أبى أمية ، فضرب لهما قبتين [٢] ، ثم صلى بين القبتين . ثم أقام ، فلما أسلمت ثقيف بنى على مصلى رسول الله ﷺ عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك مسجداً ، وكانت فى ذلك المسجد سارية [٣] ، فيما يزعمون ، لا تطلع الشمس عليها يومًا من الدهر إلا سمع لها نقيض [٤] فحاصرهم رسول الله ﷺ وقاتلهم قتالاً شديداً وتراموا بالنبل [٥] .

● يوم الشَّدْخة :

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان يوم الشَّدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دبابة ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، فقتلوا منهم رجالاً ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون .

● أبو سفيان بن حرب والمغيرة يتفاوضان مع ثقيف :

وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف ، فناديا ثقيفا [٦] : أن أمنونا حتى نكلمكم فأمنوهما ، فدعوا نساء من نساء قريش وبنى كنانة ليخرجن إليهما ، وهما يخافان عليهن السباء [٧] ، فأبين ، منهن آمنة بنت أبى سفيان كانت عند [٨] عروة بن مسعود ، له منها داود بن عروة [٩] .

---

(١) أى مع رسول الله ﷺ .　　(٢) أى خيمتين .

(٣) مثل العمود .

(٤) نقيض : صوت .

(٥) قال ابن هشام : ورماهم رسول الله ﷺ بالمنجنيق ، وقال أيضًا : حدثنى من أثق به أن رسول الله ﷺ أول من رمى فى الإسلام بالمنجنيق ، رمى أهل الطائف .

(٦) أى نادوا : يا بنى ثقيف .

(٧) أى الأسر .

(٨) أى كانت زوجة عروة بن مسعود .

(٩) قال ابن هشام : ويقال إن أم داود ميمونة بنت أبى سفيان ، وكانت عند أبى مرة ابن عروة بن مسعود ، فولدت له داود بن أبى مرة .

قال ابن إسحاق : الفراسية بنت سويد بن عمرو بن ثعلبة ، لها عبد الرحمن ابن قارب ، والفقيمية أميمة بنت الناسىء أمية بن قلع ، فلما أبين عليهما ، قال لهما ابن الأسود بن مسعود : يا أبا سفيان ويا مغيرة ، ألا أدلكما على خير مما جئتما له ؟ إن مال بنى الأسود بن مسعود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله ﷺ بينه وبين الطائف ، نازلا بواد يقال له العقيق ، إنه ليس بالطائف مال أبعد رشاء ، ولا أشد مؤونة ، ولا أبعد عمارة من مال بنى الأسود ، وأن محمداً إن قطعه لم يعمر أبداً فكلماه فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله والرَّحم ، فإن بيننا وبينه من القرابة ما لا يُجهل ، فزعموا أن رسول الله ﷺ تركه لهم [1] .

أبو بكر يُفسِّر رؤيا الرسول ﷺ : وقد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر الصديق وهو محاصر ثقيفا : يا أبا بكر ، إنى رأيت أنى أهديتْ لى قبعة مملوءة زبداً ، فنقرها ديك فهراق ما فيها . فقال أبو بكر : ما أظن أن ندرك منهم يومك هذا ما نريد . فقال رسول الله ﷺ : وأنا لا أرى ذلك .

ارتحال المسلمين عن الطائف : ثم إن خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة ابن الأوقص السلمية ، وهى امرأة عثمان ، قالت يا رسول الله ، أعطنى إن فتح الله عليك الطائف حُلى بادية بنت غيلان بن مظعون بن سلمة ، أوحُلى الفارعة بنت عُقيل ، وكانتا من أحلى نساء ثقيف .

فذكر لى أن رسول الله ﷺ قال لها : وإن كان لم يؤذن لى فى ثقيف يا خويلة ؟ فخرجت خويلة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : ما حديث حدثتنيه خويلة ، زعمت أنك قلته ؟ قال : قد قلته ، قال أوَما أُذن لك فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا ، قال : أفلا أوذن بالرحيل ؟ قال : بلى . قال : فأذن عمر بالرحيل .

فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبى عمرو بن علاج : ألا إن الحى مقيم . قال : يقول عيينة بن حصن : أجل ، والله مجدة كراما ، فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عيينة . أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ ، وقد جئت تنصر رسول الله ﷺ ! فقال : إنى والله ما جئت لأقاتل

---

(١) تأليفًا لقلوبهم .

ثقيفا معكم ، ولكنى أردت أن يفتح محمد الطائف، فأصيب من ثقيف جارية أطؤها ، لعلها تلد لى رجلا ، فإن ثقيفا قوم مناكير (١) .

عبيد الطائف ينزلون إلى المسلمين : قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مكدم ، عن رجال من ثقيف قالوا : لما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم فى أولئك العبيد ، فقال رسول الله ﷺ : لا ، أولئك عتقاء الله ، وكان ممن تكلم فيهم الحارث بن كلدة .

● شعر الضحاك فى إطلاق أُبَى بن مالك من يد مروان :

قال ابن إسحاق : وقد كانت ثقيف أصابت أهلاً لمروان بن قيس الدوسى وكان قد أسلم ، وظاهر رسول الله ﷺ على ثقيف ، فزعمت ثقيف ، وهو الذى تزعم به ثقيف أنها من قيس ، أن رسول الله ﷺ قال لمروان بن قيس : خذ يا مروان بأهلك أول رجل من قيس تلقاه ، فلقى أُبى بن مالك القشيرى فأخذه حتى يؤدوا إليه أهله فقام فى ذلك الضحاك بن سفيان الكلابى ، فكلم ثقيفًا حتى أرسلوا أهل مروان ، وأطلق لهم أبى بن مالك ، فقال الضحاك بن سفيان فى شىء كان بينه وبين أبى مالك :

أتنسى بَلائى يا أُبىَّ بن مَالك ... غَداة الرسول معرض عنك أشوسُ (٢)
يَقُودك مروان بن قَيْس بحبله ... ذليلاً كما قيد الذلول المخيسُ (٣)
فَعادتْ عَلَيْك من ثَقِيف عِصَابَةٌ ... متَى يأتهم مستقبس الشر يقبِسُوا
فَكانوا هُم المولى فعادت حُلومهم ... عَليك وقَدْ كَادتْ بِك النفسُ تَيأسُ

* * *

(١) المناكير : جمع منكر : هو الفطن الذكى .
(٢) الأشوس : من يعرض بنظره إلى جهة أخرى .
(٣) المخيس : المذلل .

الشهداء يوم الطائف

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ يوم الطائف :

من قريش ، ثم من بنى أمية بن عبد شمس : سـعيد بن سعيد بن العاص ابن أمية ، وعرفطة بن جناب ، حليف لهم ، من الأسد بن الغوث .

قال ابن إسحاق : ومن بنى تيم بن مرة . عبد الله بن أبى بكر الصديق ، رمى بسهم ، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ .

ومن بنى مخزوم : عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة ، من رمية رميها يومئذ .

ومن بنى عدى بن كعب : عبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليف لهم .

ومن بنى سهم بن عمرو : السائب بن الحارث بن قيس بن عدى ، وأخـوه عبد الله بن الحارث .

ومن بنى سعد بن ليث : جليحة بن عبد الله .

واستشهد من الأنصار : من بنى سلمة : ثابت بن الجذع .

ومن بنى مازن بن النجار : الحارث بن سهل بن أبى صعصعة .

ومن بنى ساعدة : المنذر بن عبد الله .

ومن الأوس : رُقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان بن معاوية .

فجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلا سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث .

قصيدة بجير بن زهير فى حنين والطائف : فلما انصرف رسول الله ﷺ عن الطائف بعد القتال والحصار ، قال بجير بن زهير بن أبى سـلمى يذكر حُنينا والطائف :

كانت عِلالة يَومَ بَطْنِ حُنَيْن ... وغداة أوطاس ويوم الأبرقِ [(١)]

---

(١) العلالة : جرى بعد جرى ، أو قتال بعد قتال ، يريد : أن هوازن جمعت جمعها علالة فى ذلك اليوم ، وحذف التنوين من علالة ضرورة ، وأضمر فى كانت اسمها ، وهو القصة وإن كانت الرواية بخفض يوم ، فهو أولى من التزام الضرورة القبيحة بالنصب ، ولكن=

جَمعتْ بإغواء هَوازن جَمعـــها   فتبددوا كالطائـــر المتمزق
لَم يمنعوا منَّا مقَـــامًا واحدًا   إلا جَدارهم وبطــنُ الخندق
ولَقد تَعرضنـــا لكيما يخرجوا   فَتحصنـــوا منا بباب مغلق
تَرتد حســرانا إلى رَجْراجة   شَهْباء تَلمع بالمنايـــا فيلقِ (١)
مَلمَومة خَضْراءَ لو قَذفوا بها   حضنًا لظَل كأنه لـــم يخلقِ (٢)
مَشى الضراء علَى الهِراسِ كأننا   قُدر تَفرَّق فى القيـــاد وتلتقى (٣)
فى كُلِّ ســابغة إذَا مَا استَحصنتْ   كَالنّهْى هبَّت رِيْحــهُ المترقْرقِ (٤)
جُدل تَمس فضـــولهن نِعالنا   من نســج داود وآل محرقِ (٥)



= ألفيته فى النسخة المقيدة ، وإذا كان اليوم مخفوضًا بالإضافة جاز فى علالة أن يكون منصوبا على خبر كان . فيكون اسمها عائدًا على شيء تقدم ذكره ، ويجوز الرفع فى علالة مع إضافتها إلى يوم ، على أن تكون كان تامة مكتفية باسم واحد ، ويجوز أن تجعلها اسما علمًا للمصدر مثل برة وفجار ، وينصب يوم على الظرف كما تقيد فى النسخة . انظر الروض الأنف جـ ٤ ص ١٦٥ .

(١) حسرانًا ، جمع : حســير وهو الكليل ، والرجراجة : الكتيبة الضخمة من الرجرجـــة ، وهى شدة الحركة والاضطراب . وفيلق : من الفلق ، وهى الداهية .

(٢) ملمومة : مجتمعة . خضراء : تظهر كذلك لكثرة ما عليها من الحديد - حضن : اسم جبل .

(٣) الضراء : الكلاب . والهراس : نوع من الشوك ، والكلاب إذ مشت فى الهراس ابــتغت لأيديها موضعا ثم تضع أرجلها موضع أيديها . شبه الخيل بها ، والقدر : الوعول المسنة .

(٤) النهى : الغدير سمى بذلك لأنه ماء نهاه ما ارتفع من الأرض من السيلان فوقف .

(٥) الجدل : المنسوجة نسجًا محكمًا . آل محرق : آل عمرو بن هند ملك الحيرة .

أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها وإنعام رسول الله ﷺ فيها

ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا [١] حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس ، ومعه من هوازن سبى كثير ، وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف : يا رسول الله ادع عليهم ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اهد ثقيفًا وائت بهم .

ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة ، وكان مع رسول الله ﷺ من سبى هوازن ستة آلاف من الذرارى والنساء ، ومن الإبل والشاة ما لا يدرى ما عدته .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو ، أن وفد هوازن أتوا رسول الله ﷺ وقد أسلموا فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامنن علينا ، منَّ الله عليك . قال : وقام رجل من هوازن ثم أحد بنى سعد بن بكر ، يقال له زهير ، يكنى أبا صرد . فقال : يا رسول الله ، إنما فى الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك ، ولو أنا ملحنا للحارث بن أبى شمر ، أو للنعمان ابن المنذر ، ثم نزل منا بمثل الذى نزلت به . رجونا عطفه وعائدته علينا ، وأنت خير المكفولين .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله ابن عمرو ، قال : فقال رسول الله ﷺ : أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا : يا رسول الله ، خيَّرتنا بين أموالنا وأحسابنا ، بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا ، فهو أحب إلينا ، فقال لهم : أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس ، فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك ، وأسأل لكم ، فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به ، فقال رسول الله ﷺ : أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم .

---

(١) دحنا : موضع بالطائف .

فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، فقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا وقال عيينة بن حصن : أما أنا وبنو فزارة فلا ، وقال عباس بن مرداس أما أنا وبنو سُليم فلا . فقالت بنو سليم : بلى ، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ .

قال : يقول عباس بن مرداس لبنى سليم : وهَّنتمونى .

فقال رسول الله ﷺ : أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبى فله بكل إنسان ست فرائض ، من أول سبى أُصيبه . فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدى : أن رسول الله ﷺ أعطى على بن أبى طالب رضي الله عنه جارية ، يقال لها ريطة بنت هلال بن حيان بن عميرة بن هلال بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر ، وأعطى عثمان بن عفان جارية . يقال لها زينب بنت حيان بن عمر بن حيان ، وأعطى عمر بن الخطاب جارية ، فوهبها لعبد الله بن عمر ابنه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله ابن عمر ، قال : بعثت بها إلى أخوالى من بنى جمح ، ليصلحوا لى منها ، ويهيئوها ، حتى أطوف بالبيت ، ثم آتيهم وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها . قال فخرجت من المسجد حين فرغت ، فإذا الناس يشتدون ، فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : رد علينا رسول الله ﷺ نساءنا وأبناءنا ، فقلت : تلكم صاحبتكم في بنى جمح ، فاذهبوا إليها فخذوها . فذهبوا إليها ، فأخذوها .

قال ابن إسحاق : وأما عيينة بن حصن ، فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن ، وقال حين أخذها : أرى عجوزا إنى لأحسب لها فى الحى نسبا ، وعسى أن يعظم فداؤها . فلما رد رسول الله ﷺ السبايا بست فرائض ، أبى أن يردها ، فقال له زهير أبو صرد : خذها عنك ، فوالله ما فوها ببارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد [١] ، ولا درها بماكد [٢] . فردها بست فرائض حين قال له زهير ما قال ، فزعموا أن عيينة لقى الأقرع بن حابس فشكا إليه ذلك ، فقال : إنك والله ما أخذتها بيضاء غريرة ، ولا نصفًا وثيرة [٣] .

---

(١) الواجد : الحزين . (٢) الماكد : الغزير .

(٣) غريرة : متوسطة السن ، نصفًا : متوسطة السن أيضًا ، وثيرة ، سمينة .

● إسلام مالك بن عوف :

وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ، فقال رسول الله ﷺ : أخبروا مالكًا أنه إن أتانى مسلمًا رددتُ عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل ، فأتى مالك بذلك ، فخرج إليه من الطائف . وقد كان مالك خاف ثقيفا على نفسه أن يعلموا أن رسول الله ﷺ قال له ما قال : فيحبسوه ، فأمر براحلته فهيئت له ، وأمر بفرس له ، فأتى به إلى الطائف ، فخرج ليلاً ، فجلس على فرسه ، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس ، فركبها ، فلحق برسول الله ﷺ ، فأدركه بالجعرانة أو بمكة ، فرد عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل [1] ، وأسلم فحسن إسلامه ، فقال مالك بن عوف حين أسلم :

ما إنْ رأيتُ ولا سمــــعتُ بِمثلهِ ... فى الناسِ كُلهم بمــثلِ مُحَمَّدِ
أوفَى وأعطى للجزيل إذا اجتدى ... ومتى تَشأ يُخبركَ عَمـا فى غَدِ
وإذا الكَتيبة عرَّدتْ أنيـــــابهَا ... بالسمهرى وضَرب كـل مُهنَّدِ
فكأنه لَيثٌ على أشــــــباله ... وَسط الهباءة خَادر فى مَرصَدِ

فاستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه ، وتلك القبائل : ثمالة وسلمة [2] وفهم فكان يقاتل بهم ثقيفًا ،لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه ، حتى ضيق عليهم فقال أبو محجن [3] بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى :

هَابتْ الأَعْداء جَانبَنا ... ثُمَّ تَغزُونا بَنُو سَلْـــمَهْ
وأتانا مَالكٌ بهــــم ... نَاقضًا للعهْد والحُرمَـهْ
أتونا فى مَنازلنـــــا ... ولَقد كُنَّا أولـــى نَقمَهْ

---

(١) وهكذا دائمًا كانت أخلاق رسول الله ﷺ الوفاء بالوعد .

(٢) قال السهيلى فى الروض الأنف : هكذا تقيد فى النسخة - بكسر اللام - والمعروف فى قبائل قيس سلمة بالفتح .

(٣) هو مالك بن حبيب ، وقيل : عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمــير بن عوف ابن عقدة بن غيرة بن عوف بن قيس الثقفى .

● **تقسيم الفيء :**

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله ﷺ من رد سبايا حُنين إلى أهلها ركب ، واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله ، اقسم علينا فيأنا من الإبل والغنم ، حتى ألجئوه إلى شجرة ، فاختطفت عنه رداءه ، فقال : أدوا عليَّ ردائى أيها الناس ، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعمًا لقسمته عليكم ثم ما ألفيتمونى بخيلا ولا جبانا ولا كذَّابا ، ثم قام إلى جنب بعير ، فأخذ وبرة من سنامه ، فجعلها بين أصبعيه ، ثم رفعها ، ثم قال : أيها الناس ، والله مالى من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم ، فأدوا الخياط والمخيط (١) ، فإن الغلول (٢) يكون على أهله عارًا ونارًا وشنارًا (٣) يوم القيامة قال : فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر ، فقال : يا رسول الله ، أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعير لى دبر . فقال : أما نصيبى منها فلك قال : أما إذا بلغت هذا فلا حاجة لى بها ، ثم طرحها من يده (٤) .

قال ابن إسحاق : وأعطى رسول الله ﷺ المؤلفة قلوبهم ، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس ، يتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير ، وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة ، أخا بنى عبد الدار مائة بعير .

قال ابن إسحاق : وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير ، وأعطى سهيل بن عمرو مائة بعير ، وأعطى حويطب بن عبد العزى بن أبى قيس مائة بعير ، وأعطى العلاء بن جارية الثقفى ، حليف بنى زهرة مائة بعير ، وأعطى عيينة بن حصن بن

---

(١) الخياط : الخيط : والمخيط : آلة الخياطة (الإبرة) .

(٢) الغلول : الخيانة . (٣) الشنار : الأمر القبيح الشنيع .

(٤) قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن أبيه : أن عقيل بن أبى طالب دخل يوم حُنين على امرأته فاطمة بنت شيبة بن ربيعة ، وسيفه متلطخ دما . فقالت : إنى قد عرفت أنك قد قاتلت ، فماذا أصبت من غنائم المشركين ؟ فقال : دونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك ، فدفعها إليها ، فسمع منادى رسول الله ﷺ يقول : من أخذ شيئًا فليرده ، حتى الخياط والمخيط . فرجع عقيل ، فقال : ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت ، فأخذها ، فألقاها فى الغنائم .

حذيفة بن بدر مائة بعير ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمى مائة بعير . وأعطى مالك ابن عوف النصرى مائة بعير ، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين .

وأعطى دون المائة رجالاً من قريش ، منهم مَخْرمة بن نَوفل الزُّهرى ، وعُمير ابن وهْب الجُمحى ، وهشام بن عمرو أخو بنى عَامر بن لُؤى ، لا أحفظ ما أعطاهم وقد عرفت أنها دون المائة ، وأعطى سعيد بن يربوع بن عنكشة بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل ، وأعطى السهمى خمسين من الإبل .

● **شعر ابن مرْداس :**

قال ابن إسحاق : وأعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها ، فعاتب فيها رسول الله ﷺ ، فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله ﷺ :

كَانتْ نِهـــــابًا تلافَيتهَا ... بكَرِّى على المـــهر فى الأجرَعِ

وإيقاظِى القـــومَ أن يَرقدوا ... إذا هَجـــع الناس لم أهجَعِ

فأصبح نَهبـــى ونَهَب العُبيـــد ... بـــين عيينَة والأقرعِ (١)

وقد كنتُ فى الحربِ ذَا تدرإ ... فلم أُعـــط شيئًا ولم أَمنعِ

إلا أفائـــلَ أُعطيتها ... عَديد قوائمهـــا الأربَعِ (٢)

وما كان حِصـــنٌ ولا حابِسٌ ... يفوقان شيخـــى فى المجمع (٣)

وما كنتُ دون امـــرئ منهما ... ومن تَضـــع اليومَ لا يُرفعِ

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله ﷺ : اذهبوا به ، فاقطعوا عنى لسانه ، فأعطوه حتى رضى ، فكان ذلك قطع لسانه الذى أمر به رسول الله ﷺ (٤) .

---

(١) العبيد : اسم فرس عباس بن مرداس .

(٢) الأفائل : أصاغر الإبل مفردها أفيل . (٣) شيخى : أى أبى وجدى .

(٤) قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العـــلم أن عباس بن مرداس أتى رســـول الله ﷺ ، فقال له الرسول ﷺ : أنت القائل .

« فأصبح نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة » فقال أبو بكر للرسول ﷺ : أشهد أنك كما قال الله : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغى له ﴾ وإنما قال أبو بكر ذلك ؛ لأن الرســول ﷺ لم ينطق البيت موزونًا لأنه لا يقول الشعر وإن كان يستمعه ويستجيده .

● لماذا لم يُعط النبى ﷺ جُعَيْلاً :

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى : أن قائلا قال لرسول الله ﷺ من أصحابه : يا رسول الله ، أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة ، وتركت جُعيل بن سراقة الضمرى ؟! فقال رسول الله ﷺ : أما والذى نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض ، كلهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ، ولكنى تألفتهما ، ووكلت جُعيل بن سراقة إلى إسلامه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن مقسم أبى القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثى ، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو يطوف بالبيت ، معلقا نعله بيده ، فقلنا له : هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلمه التميمى يوم حنين ؟ قال : نعم ، جاء رجل من بنى تميم ، يقال له ذو الخويصرة ، فوقف عليه وهو يعطى الناس ، فقال : يا محمد ، قد رأيتُ ما صنعت فى هذا اليوم : فقال رسول الله ﷺ : أجل . فكيف رأيت ؟ فقال : لم أرك عدلت ، قال فغضب النبى ﷺ ، ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون ؟! فقال عمر ابن الخطاب : يا رسول الله ، ألا أقتله ؟ فقال : لا ، دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر فى النصل[1] ، فلا يوجد شىء ، ثم فى القدح[2] ، فلا يوجد شىء ، ثم فى الفوق[3] ، فلا يوجد شىء ، سبق الفرث ، والدم[4] .

---

(١) النصل : حديد السهم .

(٢) القدح : السهم .

(٣) الفوق : طرف السهم .

(٤) وهذا الحديث النبوى الشريف من أعلام النبوة وهى التى أخبر بها النبى ﷺ قبل حدوثها وأنها ستحدث بعده ، وقد حدثت بالفعل كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ ، وهذا الحديث يتحدث عن ظهور أناس - هم الخوارج ومن وافقهم - يتعمقون فى الدين - لكن ليس تعمقا برفق - ولذلك سهل أن يخرجوا من الدين بسرعة كما يخرج السهم من الرمية فلا يأخذ معه شيئًا ، وصدق الرسول ﷺ حين حذر من مثل هذا قائلا : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » نسأل الله - الهداية والرشاد والتوفيق والسداد لجميع المسلمين .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن على بن الحسين أبو جعفر بمثل حديث أبى عبيدة ، وسماه ذا الخويصرة ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجيح ، عن أبيه بمثل ذلك ·

• مقالة رسول الله ﷺ فى الأنصار :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا فى قريش وفى قبائل العرب[1] ، ولم يكن فى الأنصار منها شىء ، وجد هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم لقد لقى والله رسول الله ﷺ قومه ، فدخل عليه سعد بن عبادة ، فقال : يا رسول الله ، إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم · لما صنعت فى هذا الفىء · الذى أصبت ، قسمت فى قومك · وأعطيت عطايا عظاماً فى قبائل العرب · ولم يك فى هذا الحى من الأنصار منها شىء · قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ، ما أنا إلا من قومى قال : فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة قال : فخرج سعد ، فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة · فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم ، فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار ، فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : يا معشر الأنصار : مقالة بلغتنى عنكم ، وجدة [2] وجدتموها على فى أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى ، الله ورسوله أمن وأفضل · ثم قال : ألا تجيبوننى يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ولرسوله المنُّ والفضل · قال ﷺ : أما والله لو شئتم لقلتم ، فلصدقتم ولصُدِّقتم : أتيتنا مكذبا فصدَّقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسيناك ، أوجدتم يا معشر الأنصار

---

(١) يقصد من أعطاهم الرسول ﷺ وهم : بنى عدى بن كعب ، بنى جمح بن عمرو، ومن بنى سهم ومن بنى عامر بن لؤى ومن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة،من بنى قيس ، ومن بنى عامر بن صعصعة ، ومن بنى عامر بن ربيعة ومن بنى نصر بن معاوية ، ومن بنى سليم بن منصور ، ومن بنى غطفان ، ومن بنى تميم ·

(٢) الجدة : مصدر وجد ، أى وجدتم فى أنفسكم شيئا ·

فى أنفسكم ، فى لعاعة (١) من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الأنصار ، أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبًا وسلكت الأنصار شعبًا ، لسلكت شعب الأنصار . اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار (٢) .

قال : فبكى القوم حتى أخضلوا (٣) لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قَسمًا وحظًّا ، ثم انصرف رسول الله ﷺ ، وتفرقوا .

* * *

عُمْرَةُ الرسول من الجعْرَانة

واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة ، وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمان (٤) .

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمرًا ، وأمر ببقايا الفىء فحبس بمجنة ، بناحية من الظهران ، فلما فرغ رسول الله ﷺ من عمرته انصرف راجعًا إلى المدينة ، واستخلف عتاب بن أُسيد على مكة ، وخلَّف معه معاذ ابن جبل يفقِّه الناس فى الدين ، ويعلمهم القرآن ، واتبع رسول الله ﷺ ببقايا الفىء .

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله ﷺ فى ذى القعدة ، فقدم رسول الله ﷺ المدينة فى بقية ذى القعدة أو ذى الحجة (٥) .

---

(١) اللعاعة : الخصب ، أو الشجرة الخضراء ، شبه بها نعيم الدنيا .

(٢) تكفهم هذه الدعوة فهى خير من ملء الأرض ذهبًا ، أن دعا لهم بالرحمة ، والمغفرة ، ولأبنائهم ولذريتهم ، وهذه هى السعادة الحقيقية .

(٣) أخضلوا : أى بلوا .

(٤) قال ابن هشام : وبلغنى عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل النبى ﷺ عتاب ابن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما ، فقام فخطب الناس ، فقال : أيها الناس ، أجاع الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقنى رسول الله ﷺ درهما كل يوم فليست بى حاجة إلى أحد .

(٥) قال ابن هشام : وقدم رسول الله ﷺ المدينة لست ليالٍ بقين من ذى القعدة فيما زعم أبو عمر المدنى .

قال ابن إسحاق : وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أُسيد ، وهى سنة ثمان ، وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم فى طائفهم ما بين ذى القعدة إذا انصرف رسول الله ﷺ إلى شهر رمضان من سنة تسع .

* * *

أَمْرُ كَعْب بْن زُهَيْر بعد الانْصراف عن الطائف

ولما قدم رسول الله ﷺ من منصرفه عن الطائف كتب بُجير بن زُهير بن أبى سُلمى إلى أخيه كعب بن زُهير يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وأن من بقى من شعراء قريش ، ابن الزبعرى ، وهبيرة بن أبى وهب قد هربوا فى كل وجه ، فإن كانت لك فى نفسك حاجة ، فطر [(١)] إلى رسول الله ﷺ ، فإنه لا يقتل أحدًا جاءه تائبًا ، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجاتك من الأرض ، وكان كعب بن زهير قد قال :

أَلاَ أبلغَا عنِّى بُجَيرا رِسَالةً ... فَهَلْ لكَ فيما قُلتَ ويحكَ هل لكَا ؟

فبين لنا إن كُنتَ لست بفاعلٍ ... على أى شيءٍ غير ذلك دَلكَا

عَلي خُلُقٍ لم أُلفِ يومًا أبًا لَهُ ... عَليه وما تُلْفى عليه أبًا لكَا

فَإنْ أنتَ لم تفعل فلستُ بآسف ... ولا قائلٍ أما عثرتَ لعالكا [(٢)]

سَقاك بها المأمونُ كاسًا رَوِيَّةً ... فأنهلك المأمون منها وعلكَا [(٣)]

قال : وبعث بها إلى بُجير ، فلما أتت بُجيرًا كَره أن يكتمها رسول الله ﷺ فأنشده إياها ، فقال رسول الله ﷺ لما سمع : « سقاك بها المأمون » صدق وإنه لكذوب ، أنا المأمون . ولما سمع : « على خلق لم تلف أمًّا ولا أبا عليه » قال : أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه .

---

(١) فعل أمر بمعنى : طر من الطيران ، أى ائت الرسول بسرعة .

(٢) لعالك كلمة تقال للعاثر دعاء له بالإقالة . أنشد أبو عبيد :

فلا لعا لبنى فلان إذا عثروا .

(٣) قال الزرقانى ويروى : المحمود فى غير رواية ابن إسحاق ، أراد بالمحمود محمدًا ﷺ وكذلك المأمون والأمين كانت قريش تسمى بها النبى ﷺ قبل النبوة . النهل : الشرب الأول . والعلل الشرب الثانى .

• **شعر بُجير لكعب :**

مَنْ مُبْلِغٌ كعبًا فهــل لكَ فى التى — تَلــومُ عليها باطلاً وهــى أَحزَمُ
إلى الله لا العُزَّى ولا اللات وحدهُ — فتنجو إذا كان النجاء وتَســـلَمُ
لَدى يوم لا يَنجو وليــس بمفلت — منَ الناسِ إلا طاهر القلب مُسلمُ
فَدينُ زهَيرٍ وهو لا شـــىء دِينهُ — وَدِينُ أبى سُلْمـــى علىَّ مُحَرَّمُ

قال ابن إسحاق : وإنما يقول كعب « المأمون » ، لقول قريش الذى كانت تقوله لرسول الله ﷺ .

كعب بن زُهير وقصيدته بانت سعاد : قال ابن إسحاق : « فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف به من كان في حاضره من عدوه ، فقالوا : هو مقتول . فلما لم يجد من شىء بُدًّا ، قال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله ﷺ ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة « فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة ، من جهينة ، كما ذكر لى ، فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلى الصبح ، فصلى مع رسول الله ﷺ ، ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ ، فقال : هذا رسول الله فقم إليه فأستأمنه فذكر لى أنه قام إلى رسول الله ﷺ ، حتى جلس إليه ، فوضع يده فى يده ، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلمًا ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم ، قال أنا يا رسول الله كعب بن زهير .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أنه وثب عليه رجل من الأنصار ، فقال يا رسول الله ، دعنى وعدو الله أضرب عنقه ، فقال رسول الله ﷺ : دعه عنك فإنه قد جاء تائبا ، نازعاً عما كان عليه . قال فغضب كعب على هذا الحى من الأنصار ، لما صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال فى قصيدته التى قال حين قدم على رسول الله ﷺ :

بَانتْ سُعادٌ فَقلبى اليـومَ مَتْبولُ — مُتَيَّمٌ إثرها لم يُفْدَ مكـــبولُ (١)

---

(١) بانت : فارقت فراقًا بعيداً . متيم : ذليل مستعبد . متبول : أسقمه الحب وأضـــناه . لم يفد : لم يخلص من الأسر . مكبول : لا يجد فكاكا من القيد .

ومَا سُعادُ غَداة البَينِ إذ رَحلوا إلا أغنٌّ غضيضُ الطرفِ مكحولُ (١)
هـيفَاء مُقبلةٌ عَجزاء مُدبــرةٌ لاَ يُشتكى قِصرٌ منـــها ولا طُولُ (٢)
تَجلو عَوارض ذِى ظَلم إذا ابتَسَمتْ كأنه مَنْهل بالرَّاح مَعْلولُ (٣)
شَجت بِذى شيـــم من مَاءِ محنية صَافٍ بِأبطح أضْحَى وهَو مَشمولُ (٤)
تَنْفى الرياحَ القَذى عــنه وأفرطَهُ مِنْ صَوبِ غَادية بيض يَعاليلُ (٥)
فَيالهَا خُلَّة لو أنهـــا صَدَقَتْ بوعْدها أو لو ان النصــح مقبولُ (٦)
لَكنها خُلَّةٌ قد سيطَ مــــن دمها فَجع ووَلع وإخــلاف وتَبديلُ (٧)
فَما تَدومُ على حـــال تكونُ بِها كَما تَلون فى أثوابهــــا الغولُ (٨)
ومَا تَمسك بالعَهْد الـــذى زَعمتْ إلا كَما يمسِك المـــاء الغرابيلُ (٩)

---

(١) غداة البين : صبيحة الفراق : أغن : أى ظبى أغن في صوته حسن ، غضيض الطرف : فاتره . مكحول : أسود الجفون .

(٢) هيفاء : ضامرة البطن والخِصر . العجزاء : ضخـمة العجز ، لا يشتكى : لا يعاب .

(٣) تجلو : تصقل وتظهر وتكشف ، العوارض : الأسنان التى تظهر عند الضحك . الظلم : ماء الأسنان وبريقها ورقتها وهو أيضًا الثلج شبهت به الأسنان ، النهل : المسقى وهو الشرب الأول ، الراح : الخمر ، معلول : اسـم مفعول من علـــه ، والعِلل : الشرب الثانى .

(٤) شجت : مزجت ، ذى شيم : ماء شديد البرد ، محنية : منعطف الوادى ، أبطـح . مسيل واسع فيه حصى دقيق . أضحى : أخذ فى وقت الضحى ، مشمول : ضربته ريح الشمال حتى برد .

(٥) تنفى : تبعد ، القذى : كل غريب يقع فى الماء من تبن ونحوه ، أفرطه : سبق إليه ، صوب : مطر سحابة ، غادية : مبكرة .

(٦) الخلة : الصديقة الخليلة .

(٧) سيط : خلط ، فجع : إصابة ، ولع : كــذب ، إخلاف : خلف الوعد ، والمعنى : هذه الصفات خلطت بدمها .

(٨) الغول : ساحرة الجن تظهر فى الفلاة بألوان شتى ، تضلل من يتبعها .

(٩) ما تمسك : أى لا تتمسك .

فَلا يَغُرَّنْكَ ما مَنَّتْ ومَا وَعَدَتْ   إنَّ الأَمانِى والأحـــلامِ تَضْلِيلُ (١)
كَانَتْ مَواعِيدُ عرقُوب لهَا مثلاً   وما مَواعيـــــدها إلا الأباطيل (٢)
أَرجـــــو وآملُ أن تَدنُو مودتها   وَما إخَالُ لَدينا منك تنَويلُ (٣)
أَمســــتْ سُعاد بأرضٍ لا يبلِّغُها   إلا العِتـــــاق الجيباتُ المراسيلُ (٤)
ولَن يُبلِّغهـــــــا إلا عذافرةٌ   لَها على الأين إرقـــــال وتَبغيلُ (٥)
مِنْ كُل نضاخة الذفرى إذا عَرِقتْ   عُرْضتها طامِسُ الأعـــلامِ مَجهولُ (٦)
تَرمى الغيوبَ بعـــــينى مفرد لهق   إذَا توقدت الحـــــزان والميلُ (٧)
ضَخمٌ مُقــــلدها فعم مقيدها   فى خلقها عن بنات الفحل تفْضيلُ (٨)

---

(١) فلا يغرنك : لا يخدعنك ، ما منـــت : ما منتك به من الوصل ، الأمانى : الآمال ، تضليل : سبب فى ضلال الإنسان ·

(٢) عرقوب : رجل اشتهر بخلف الوعد فضرب به المثل ، الأباطيل : جمع باطل ، وهو جمع على غير القياس ·

(٣) تدنو : تظهر ، إخال : بكسر الهمزة لغة تميم بمعنى أظن · تنويل : الوصل والعطاء ·

(٤) العتاق : جمع عتيق : الكريم · النجيبات: جمع نجيبة: الخفيفة السريعة المراسيل : جمع مرسال ، السريعة أيضًا ·

(٥) العذافرة : الناقة القوية العظيمة · الأين : التعب · إرقال وتبغيل : ضربان من العدو السريع ·

(٦) نضاخة : كثيرة رشح العرق · الذفرى : نقرة توجد خلف أذن الناقة · عرضتها : همَّها · طامس : دارس · الأعلام : العلامات التى تكون فى الطريق ليهتدى بها ·

يصف ناقته بالسرعة والنشاط حتى تعرق وهى متعودة على الأسفار تعرف الطرق بلا علامات ·

(٧) الغيوب : آثار الطريق التى غابت معالمها عن العيون · مفرد : ثور وحشى تفرد فى الصحراء · لهق : أبيض · الحزان : الأمكنة الغليظة الصلبة فيها حصباء كثيرة · الميل : الكثبان الضخمة من الرمال ·

(٨) مقلد : موضع القلادة من العنق · فعم : ممتلىء مقيد : موضع القـــيد ، أى قوائمها · وبنات الفحل : الإناث من الإبل المنسوبة إلى أبيها ·

غَلباءَ وَجنـــاء عَلكوم مُذَكرة ... في دَفها سـعة قدامها ميلُ (١)
وجلدها من أطـــوم ما يؤيسه ... طلْح بضاحية المتنين مَهزولُ (٢)
حَرفٌ ، أخوها أبوها من مهجنة ... وعَمها خالهـــا قوداء شَمليلُ (٣)
يَمشى القرادُ عـــليهَا ثم يُزلقهُ ... مَنها لبان وأقـــرابُ زَهاليلُ (٤)
عيرانة قذفتْ بالنحض عن عرض ... مرفقها عن بَنات الزور مفتولُ (٥)
كأنما فَاتَ عينـــيهَا ومذبحها ... من خطمها ومن اللحيين بَرطيلُ (٦)
تَمر مثل عَسيب النخل ذَا خصل ... فَى غارز لم تخونه الأحاليلُ (٧)
قرناء فـــى حُرتيها للبصير بها ... عتق مُبين وفى الخدين تَسهيلُ (٨)
تخدى على يسرات وهى لاحقةٌ ... ذوابل مسهن الأرض تَحليلُ (٩)

---

(١) غلباء : غليظة العنق · وجناء : عظيمة الوجنتين : علكوم : شديدة · مذكرة : تشبه الذكر فى عظم الخلقة ، الدف : الجنب · قدامها ميل : كناية إما عن سعة الخطو أو طول العنق ·

(٢) الأطوم : السلحفاة البحرية أو الزرافة غليظة الجلد · يؤيسه : يؤثر فيه · طلح : حشرة صغيرة تلزق بالجلد وهو ما يعرف بالقراد · الضاحية : الناحية الظاهرة للشمس · المتنين : ما اكتنف صلبها عن يمين وشمال · ومهزول : صفة لطلح · أى قراد مهزول ·

والمعنى : أن جلد هذه الناقة غاية فى الملاسة فلا يؤثر فيه القراد ولذلك هو مهزول ·

(٣) حرف : أى هى حرف ، أبوها أخوها ، وعمها خالها : مداخلة النسب كريمته لم يدخل نسبها غريب ·

(٤) يزلقه : يسقطه ، لبان : صدر ، أقراب : خواصر · زهاليل : جمع زهلول ، والمعنى : أن هذه الناقة لنعومتها لا يثبت القراد على جسدها ·

(٥) عيرانة : أى ناقة تشبه الوحش فى قوته وسرعته ونشاطه ·

(٦) فات : تقدم ، مذبحها : مكان الذبح من الرقبة ، الخطم : الأنف وما حوله ·

(٧) عسيب النخل : جريده ، ذا خصل : ذيل له لفائف من الشعر ·

(٨) القرناء : محدودبة الأنف ، الحرتان : الأذنان ، عتق : كرم ·

(٩) تخدى : تسرع ، يسرات : أى قوائم يسرات: واليسرات الخفاف، لاحقة : سابقة ، الذوابل : الرماح الصلبة ، تحليل : قليل والمعنى : أن هذه الناقة سريعة لا تمس الأرض إلا مسا سريعًا لشدة عدوها ·

سُمر العجايات يَتركن الحصى زيما   لم يقهن رءوس الأكم تنعيلُ (١)
كأن أوب ذِراعيهـــــا وقد عَرقتْ   وقد تَلفعَ بالقـــــور العساقيلُ (٢)
يَومًا يظَل به الحــــرباءُ مصطخدًا   كأن ضاحيةً بالشـــمسِ مَملولُ (٣)
وقَالَ للقوم حاديهم - وقد جعلتْ   ورَق الجنادب يركُضن الحصَا قيلوُا (٤)
شد النهار ذراعًا عيطــــل نصف   قَامتْ فجـــاوبها نكَد مَثاكيلُ (٥)
نَوَّاحةٌ رخـــوة الضبعينِ ليس لهَا   لما نَعى بكْرها الـــناعون مَعقولُ (٦)
تَفرِى اللبـــــان بِكفَّيها ومَدْرعُها   مشقَق عَنْ تَراقيهــــا رَعابيلُ (٧)
تسعى الغُوَاة جَنابيهَا وقولهــــم   إنك يابن أَبـــى سُلْمَى لمقتولُ (٨)

---

(١) العجايات : الأعصاب المتصلة بالحافر · زيما : متفرقة · الأكم : الأرض المرتفعة · التنعيل : هو شد النعل على ظفر الدابة ليقيها الحجارة ·

(٢) الأوب : سرعة تقلب ورجوع ذراعيها · تلفع : التحف · القور : جمع قارة : الجبل الصغير · العساقيل : السراب ·

(٣) الحرباء : نوع من الدواب الصغيرة · مصطخدا · محترقا بحرارة الشمس · ضاحية : ما برز للشمس منه ، مملول : محروق ·

(٤) الحادى : سائق الإبل · ورق : جمع أورق أو ورقاء · وهو الأخضر الذى يضرب إلى السواد · الجنادب : جمع جندب : نوع من الجراد · يركضن : يدفعن : قيلوا : خذوا راحتكم وقت القيلولة ·

(٥) شد النهار : وسطه · عيطل : طويلة : نصف : متوسطة السن وهو غاية قوتها · نكد : من لا يعيش لهن ولد · مثاكيل : جمع مثكال : كثيرة فقد الأولاد ·

والمعنى : يشبه سرعة حركة يدى هذه الناقة بيدى امرأة قوية تلطم خديها فيجاوبها نسوة ثكالى فيشتد لطمها ·

(٦) نواحة : كثيرة النوح · صيغة مبالغة من نائحة · رخوة : مسترخية · الضبعين · العضدين · بكر : الولد الأول · الناعون · المخبرون بالموت : معقول : عقل ·

والمعنى : شبه هذه الناقة بتلك المرأة فى تلك الأحوال فالناقة فى هذه الحالة ليس لها عقل تدرك به التعب والإعياء ·

(٧) تفرى : تقطع · اللبان : الصدر · المدرع : القميص · التراقى : جمع ترقوة : عظام الصدر · رعابيل : قطع ، أى أن هذه المرأة لذهاب عقلها تقطع قميصها بأناملها ·

(٨) الغواة : المفسدون ، جنابيها : حواليها ، مقتول : متوعد بالقتل ·

وَقال كـــــل صَديق كنت آمُلُهُ ... لا ألهينــــك إنى عَنك مَشغُولُ (١)
فقلت خلوا سبيلى لا أبَا لكم ... فَكُلُّ ما قدَّر الرحــــمن مَفْعُولُ (٢)
كل ابن أنثَى وإنْ طـــالتْ سَلامته ... يومًا على آلة حَدباءَ مَحمولُ (٣)
نُبِّئتُ أنَّ رسولَ الله أوعدَنى ... والعفو عند رســــولِ الله مَأمولُ (٤)
مهلاً هداك الذى أعطاك نافلةَ الـ ... ـقرآن فيها مَواعيظٌ وتفصيلُ (٥)
لاَ تأخذنى بأقوالِ الوُشَاة ولم ... أُذنب ولو كثُرَتْ فِيَّ الأقاويلُ (٦)
لَقد أَقومُ مَقامًا لو يَقُومُ به ... يَرى وَيسمعُ مَا قد أسمع الفِيلُ (٧)
لَظَلَّ يَرعَدُ إلا أن يكـــــونَ لَهُ ... مَن الرسولِ بإذن الله تَنويلُ (٨)
حتَّى وَضعتُ يمينــــــى مَا أُنازعهُ ... فَى كفٍّ ذِى نِقمات قِيلهُ القِيلُ (٩)
فَلَهو أخوف عندى إذ أُكلمه ... وَقيل إنك منسوب ومَسئولُ (١٠)
مِنْ ضيغم بضَراءِ الأرضِ مخدره ... فى بطن عثر غيل دونه غِيلُ (١١)

---

(١) آمله : أترجاه وأتمنى إعانته

(٢) خلوا سبيلى : اتركونى أقف بين يدى الرسول ﷺ فإنه سيعفو عنى .

(٣) آلة حدباء : نعش .

(٤) نبئت : أخبرت ، مأمول : مرجو .

(٥) هداك : زادك هدى ؛ فإنه لا يدعو له بالهدى لأنه الهادى المهدى ، نافلة : زيادة ؛ لأن القرآن هدية زائدة عن النبوة ومنحة الرسالة .

(٦) لم أذنب : لم أخطىء فى حقك .

(٧) مقام : أى مجلس الرسول ﷺ ، يقوم : يحضر .

(٨) يرعد : يرتعش بسبب الخوف ، تنويل : عطاء .

(٩) لا أنازعه : أى أطيعه . نقمات : جمع نقمة : السـطوة . قيله القيل : قوله النافذ .

(١٠) أخوف : أى هو صلى الله عليه وسلم أشد إخافة وإرهابا . منسوب ومسئول : أى منسوب إلى أشياء قلتها ومسئول عنها .

(١١) الضيغم : الأسد . ضراء الأرض : الأرض التى بها شجر . مخدره : غابة الأســد . عثر : مكان تكثر فيه السباع . والغيل : الأجمة ، وهى الشجر الكثير الملتف .

يَغدو فيلحم ضِرغَامَين عَيشهمَا ... لحم من الناس مَعفور خَراديلُ (١)
إذا يساور قرنا لا يحـــل له ... أن يترك القرنَ إلا وهو مَفلولُ (٢)
منه تَظل سِباع الجـــو نافرة ... ولا تمشَّى بـــواديه الأراجيلُ (٣)
ولا يزالُ بَواديه أخـــو ثِقة ... مضرج البز والدُّرسان مأكولُ (٤)
إنَّ الرسولَ لَنُورٌ يُستَضاءُ به ... مُهنَّدٌ مِنْ سُيوف الله مَســلُولُ (٥)
فِى عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيشٍ قَال قائلُهم ... ببِطْنِ مكَة لمَّا أسلــموا زُولوا (٦)
زَالوا فما زال أنكاسٌ ولا كَشف ... عند اللقاءِ ولا مـــيل مَعازيلُ (٧)
شُم العرانينَ أبطال لَبُوسُهمُ ... من نُسْج داود فى الهَيجا سَرابيلُ (٨)
بِيض سوابغُ قد شكت لها حلق ... كأنها حلق القفعاء مجدُولُ (٩)
لَيسوا مفَاريحَ إنْ نالتْ رمَاحهم ... قومًا وليسوا مجازيعًا إذا نِيلوُا (١٠)

(١) يغدو : يخرج أول النهار للصيد · يلحـم : يطعم لحما · ضرغامين : مثنى ضرغام : شبل الأسد · معفور : ملقى فى التراب · خراديل : مقطع قطعا صغيرة ·

(٢) يســاور : يواثب ويصارع · القرن : المماثل فى الشجاعة · مفلول : المكسور المهزوم ·

(٣) الجو : ما بين الســماء والأرض · نافرة : بعيدة · الأراجيل : جماعات من الرجال · جمع أرجال ، التى هى جماعة الرجال ·

(٤) أخو ثقة : الواثق بنفسه · مضــرج : مخضب بالدماء · البز : السلاح · الدرسان : مفرده دريس : الخلق من الثياب ·

(٥) يستضاء به : يهتدى به إلى نور الحق · مهند : سيف طبع فى الهند · مسلول : مخرج من غمده ·

(٦) العصبة : الجماعة ما بين العشرة إلى الأربعين زولوا : فعل أمر من زال التامة أى التى لها فاعل · أى تحولوا وانتقلوا ·

(٧) الأنكاس : المهانون ، ولا كــشف : أى لا ينكشفون فى الحرب بمعنى : لا ينهزمون ·

(٨) شم : جمع أشم ، وهى علامة العزة والســيادة وهو علو قصبة الأنف مع استواء أعلاه · اللبوس : ما يلبس من عده الحرب ، الهيجا : الحرب ، سرابيل : دروع ·

(٩) بيض : مجلوة ، مجدول : محكم صنعه ·

(١٠) مفاريح : كثيرو الفرح ، نيلوا : أصيبوا ·

يَمشونَ مشى الجِمالِ الزُّهرِ يعصمهُم ضَرب إذا عرَّدَ السودُ التنَابيلُ (١)
لاَ يقعُ الطعنُ إلا فــــى نُحورهِمُ ومَالهم عن حِياضِ الموتِ تهليلُ (٢)

• كعب يسترضى الأنصار بمدحهم :

قالَ ابن إسحاق : وقال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعب : إذا عرد السود التنابيل ، وإنما يريدنا معشر الأنصار ، لما كان صاحبنا صنع به ما صنع وخص المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله ﷺ بمدحته غضبت عليه الأنصار ، فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ، ويذكر بلاءهم مع رسول الله ﷺ ، وموضعهم من اليمن :

من سرَّه كَرمُ الحيــــاةِ فلا يَزل في مقنبٍ من صَالحى الأنْصَارِ (٣)
ورَثوا المَكارم كابرًا عــــن كَابرٍ إن الخيَار هــــم بَنو الأخيارِ
المُكرهين الســـــمهرى بأذرع كسوالف الهنـــدى غير قصارِ (٤)
والناظرينَ بأعينٍ محمـــــرة كالجمر غير كليـــلة الأبصارِ (٥)
والبائعينَ نفوســـهُم لنبيِّهم للمـــوتِ يَوم تَعانُق وكِرَارِ (٦)
والذائدينَ النـــاس عن أديانهم بالمشرفىِّ وبَالقنَا الخطـــارِ (٧)
يتَطهرون يَرونـــه نُسكا لهم بدماءِ من عَلقوا مـــن الكفارِ (٨)
دَربوا كمـــا دربتْ ببطنِ خَفية غُلب الرقاب من الأسودِ ضَوارى (٩)

---

(١) الزهر : البيض ، يعصمهم : يمنعهم ، التنابيل : القصار .

(٢) حياض الموت : موارد الهلاك ، ويريد بها أرض المعركة ، تهليل : تأخر . .

قال ابن هشام : يقال إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده : « بانت سعاد » : لو ذكرت الأنصار بخير فإنهم لذلك أهل ، فقال كعب هذه الأبيات .

(٣) المقنب : جماعة الخيل . والمراد به هنا الأنصار على ظهور خيلهم .

(٤) السمهرى : الرمح . سوالف : حواشى . الهندى : السيف المنسوب إلى الهند .

(٥) بأعين محمرة : يريد أن الشجاع إذا غضب احمرت عيناه .

(٦) تعانق : يريد به التحام الشجعان فى ميدان القتال .

(٧) المشرفى : السيف . القنا : الرماح . الخطار : المهتز .

(٨) يرونه : يعتقدونه . نسكا : عبادة .

(٩) دربوا : تعودوا . خفية : مكان تكثر فيه الأسود . غلب : غلاظ .

وإذا حَللت ليمنـــــعوك إليهم أصبحتَ عِندَ معَاقِلِ الأعفارِ (١)
ضَربُوا عَليًّا يَوم بَدرٍ ضـــــربةً دانت لوقعتـــــها جَميع نَزارِ (٢)
لَو يعلمُ الأقوام عِلمـــــى كله فيهم لصـــدقنى الذين أمارى (٣)
قَومٌ إذا خَوتِ النجـــوم فإنهم للطارقينَ الـــبازلين مَقارى (٤)
فِى الغُرِّ مِن غسَّانَ مـــن جرثومةٍ أعيتْ مَحافرها على المِنقارِ (٥)

* * *

غَزْوَةُ تَبُوك (٦) فى سَنَة تِسْعٍ

• أمر الرسول ﷺ بالاستعداد لتبوك :

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذى الحجة إلى رجب ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم . وقد ذكر لنا الزهـــرى ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة ، وغيرهم من علمائنا ، كل حدث فى غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدث ما لا يحدث بعض . أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك فى زمن من عُسرة الناس ، وشدة من الحر ، وجدب من البلاء وحين طابت الثمار . والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه ، وكان رســـول الله ﷺ قلما يخرج فى غزوة إلا كَنَى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه

(١) الأعفار : الوعول الصغيرة يضرب بها المثل لامتناعها فى قمم الجبال .
(٢) ضربوا عليًّا : يريد به عليا بن مسعود بن مازن الغسانى .
(٣) أمارى : أجادل .
(٤) خوت : سقط ولم تمطر . مقارى : المقارى : الجفان التى يصنع فيها الطعام .
(٥) وتروى : النقار .
(٦) تبوك : بفتح التاء موضع بين وادى القرى والشام ، وقيل بركة لأبناء سعد من بنى عذرة وقيل تبوك بين الحجر وأول الشام ، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبى ﷺ . ويقال إن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب عليه السلام كانوا فيها ولم يكن شعيب منهم وإنما كان من مدين ، قال يحيى بن جابر توجه النبى ﷺ فى سنة تسع للهجرة إلى غزوة تبوك من أرض الشام وهى آخر غزواته ﷺ .

الذى يصمد له (١) ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بيَّنها للناس ، لبعد الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذى يصمد له ، ليتأهب الناس لذلك أهبته ، فأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم (٢) .

• تخلف الجد بن قيس :

قال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجد بن قيس أحد بنى سلمة يا جد : هل لك العام فى جلاد بنى الأصفر (٣) ؟ فقال : يا رسول الله ، أو تأذن لى ولا تفتنى ؟ فوالله لقد عرفتْ قومى أنه ما من رجل بأشد عَجَبًا بالنساء منى ، وإنى أخشى إن رأيت نساء بنى بالأصفر أن لا أصبر ، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال : قد أذنت لك . ففى الجد بن قيس نزلت هذه الآية : ﴿ **ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين** ﴾ (٤) .

أى إن كان إنما خشى الفتنة من نساء بنى الأصفر ، وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله ﷺ ، والرغبة بنفسه عن نفسه يقول تعـالى : « وإن جهنم لمن ورائه » .

شأن المنافقين : وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تنفروا فى الحرِّ ، زهادة فى الجهاد وشكا فى الحق ، وإرجافا برسول الله ﷺ ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم : ﴿ **وقالوا لا تنفروا فى الحرِّ قل نارُ جهنـم أشد حرًّا لو كانوا يفقهون * فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون** ﴾ (٥) .

حض الأغنياء على النفقة : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ جد فى سفره ، وأمر الناس بالجهاز والانكماش ، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان

---

(١) يصمد له : يقصده .

(٢)وهذه استراتيجية عسكرية سبق بها الرسول ﷺ العالم منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام ، ليعلم القادة الدبلوماسية فى قيادة الجيوش .

(٣) بنو الأصفر : يريد الروم .

(٤) سورة التوبة : الآية ٤٩ .

(٥) سورة التوبة : ٨١ - ٨٢ .

فى سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا [١] ، وأنفق عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة ، لم ينفق أحد مثلها [٢] .

البكَّاءون والمعذَّرون والمتخلفون : قال ابن إسحاق : ثم إن رجالا من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ ، وهم البكاءون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بنى عمرو بن عوف : سالم بن عمير ، وعُلبة بن زيد ، أخو بنى حـارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب ، أخو بنى مازن بن النجار ، وعمرو بن حمام بن الجموح ، أخو بنى سلمة ، وعبد الله بن المغفل المزَنى - وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله ابن عَمرو المزنى - وهرمى بن عبد الله ، أخو بنى واقف ، وعـِرباضُ بن سارية الفزارى . فاستحملوا رسول الله ﷺ ، وكانوا أهل حاجة ، فقال : لا أجد ما أحملكم عليه ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألاَّ يجدوا ما ينفقون .

قال ابن إسحاق : فبلغنى أن ابن يامين بن عمير بن كعب النضرى لَقى أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل وهما يبكيان ، فقال لهما : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا . فلم نجد عنده ما يحملنا عليه وليس لنا ما نتقوى به على الخروج معه فأعطاهما ناضحًا [٣] له ، فارتحلاه ، وزودهما شيئًا من تمر فخرجا مع رسول الله ﷺ .

● شأن المعذَّرين :

قال ابن إسحاق : وجاءه المعذَّرون من الأعراب ، فاعتذروا إليه ، فلم يعذرهم الله تعالى . وقد ذكر لى أنهم نفرٌ من بنى غفار .

ثم استتب [٤] برسول الله ﷺ سفره ، وأجمع السير ، وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله ﷺ ، حتى تخلفوا عنه ، عن غير شك

---

(١) احتسبوا : أى احتسبوا الأجر عند الله ابتغاء مَرضاته .

(٢) قال ابن هشام : حدثنى من أثق به أن عثمان بن عفان أنفق فى جيش العُسرة فى غزوة تبوك ألف دينار - وكان فى ذلك الوقت مبلغًا كبيرًا - فقال رسول الله ﷺ « اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض » يا لها من منزلة عظيمة نالها سيدنا عثمان بفضل إنفاقه فى سبيل الله !! .

(٣) الناضح : الجمل الذى يُسقى عليه الماء .

(٤) استتب : انتظم وتتابع .

ولا ارتياب منهم : كعب بن مالك بن أبى كعب ، أخو بنى سلمة ، ومرارة بن الربيع ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن أمية ، أخو بنى واقف ، وأبو خيثمة ، أخو بنى سالم بن عوف وكانوا نفر صدق ، لا يتهمون فى إسلامهم .

فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع (١) .

قال ابن إسحاق : وضرب عبد الله بن أُبىٍّ معه على حدة عسكرة أسفل منه ، نحو ذباب (٢) وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين . فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أُبىٍّ ، فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب (٣) .

المنافقون يرجفون بعلىٍّ : وخلف رسول الله ﷺ على بن طالب ، رضوان الله عليه ، إلى أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ما خلفه إلا استثقالا له ، وتخففا منه . فلما قال ذلك المنافقون ، أخذ على بن أبى طالب ، رضوان الله عليه سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف (٤) ، فقال : يا نبى الله ، زعم المنافقون أنك إنما خلفتنى أنك استثقلتنى وتخففت منى ، فقال: كذبوا ، ولكنى خلفتك لما تركت ورائى ، فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك ، أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبى بعدى ، فرجع على إلى المدينة ومضى رسول الله ﷺ على سفره .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، عن إبراهيم ابن سعد بن أبى وقاص ، عن أبيه سعد : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لعلى هذه المقالة .

قال ابن إسحاق : ثم رجع على إلى المدينة ، ومضى رسول الله ﷺ على سفره .

أبو خيثمة وعمير بن وهب يلحقان بالرسول : ثم إن أبا خَيْثَمة رجع بعد أن

---

(١) قال ابن هشام : واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصارى .

وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردى عن أبيه : أن رسول الله ﷺ استعمل على المدينة ، مخرجه إلى تبوك ، سباع بن عرفطة .

(٢) ذباب : جبل بالمدينة .

(٣) أى أهل الشك .

(٤) الجرف : مكان بينه وبين المدينة ثلاثة أميال .

سار رسول الله ﷺ أياما إلى أهله فى يوم حار ، فوجد امرأتين له فى عريشين [١] لهما فى حائطه [٢] قد رشت كل واحدة منهما عريشها ، وبردت له فيه ماء وهيأت له فيه طعاما ، فلما دخل ، قام على باب العريش ، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسول الله ﷺ فى الضح [٣] والريح والحر ، وأبو خيثمة فى ظل بارد ، وطعام مهيأ ، وامرأة حسناء ، فى ماله مقيم ، ما هذا بالنصف ! ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ ، فهيئا لى زادا ، ففعلتا ، ثم قدم ناضحه فارتحله ، ثم خرج فى طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل بتبوك . وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحى فى الطريق ، يطلب رسول الله ﷺ ، فترافقا ، حتى إذا دنوا من تبوك . قال أبو خيثمة لعمير ابن وهب : إن لى ذنبا ، فلا عليك أن تخلف عنى حتى آتى رسول الله ﷺ ففعل حتى إذ دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مُقبل ، فقال رسول الله ﷺ : كن أبا خيثمة : فقالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة [٤] . فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير [٥] .

• ما قاله النبى وهو بالحجر [٦] :

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ حين مر بالحجر نزلها واستقى الناس من بئرها . فلما راحوا قال رسول الله ﷺ : لا تشربوا من مائها شيئًا ، ولا تتوضؤا منه للصلاة وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئًا ، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له [٧] . ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ ، إلا أن رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، وخرج

---

(١) العريش : ما يستظل به . (٢) الحائط : البستان (٣) الضح : الشمس .

(٤) هذا من الوحى على لسانه فسبحان من أجراه على لسانه .

(٥) اسمه مالك بن قيس ، وقال فى ذلك شعراً منه :

لما رأيتُ الناس فى الدين نافقوا ... أتيت التى كانت أعفَّ وأكرمَا
وبايعت باليمنى يدى لمحمد ... فلم أكتسب إثما ولم أغش محرمًا

(٦) الحجر : اسم ديار ثمود بوادى القرى بين المدينة والشام .

(٧) وهذا لحكمة يعلمها الله ورسوله حتى لا يحدث لأحد ضرر .

الآخر فى طلب بعير له ، فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خُنق على مذهبه ، وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح ، حتى طرحته بجبلى طيىء . فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه ، ثم دعا رسول الله ﷺ للذى أصيب على مذهبه فشُفى ، وأما الآخر الذى وقع بجبلى طيء ، فإن طيئًا أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة .

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عباس بن سهل بن سعد الساعدى ، وقد حدثنى عبد الله بن أبى بكر أن قد سمى له العباس الرجلين ، ولكنه استودعه إياهما (١) ، فأبى عبد الله أن يسميهما لى (٢) .

قال ابن إسحاق : فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ ، فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن مُحمود بن لبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قال : قلت لمحمود : هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم والله ، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفى عشيرته ، ثم يلبس بعضهم بعضا على ذلك . ثم قال محمود : لقد أخبرنى رجال من قومى عن رجل من المنافقين معروف نفاقه ، كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار ، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان ، ودعا رسول الله ﷺ حين دعا ، فأرسل الله السحابة ، فأمطرت حتى ارتوى الناس قالوا : أقبلنا عليه نقول : ويحك ، هل بعد هذا شئ ؟! قال : سحابة مارة (٣) .

تَقَوُّل ابن اللصيت : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا

---

(١) أى استكتمه السر .

(٢) قال ابن هشام : بلغنى عن الزهرى أنه لما مر رسول الله ﷺ بالحجر سجَّى ثوبه على وجهه ، واستحث راحلته ، ثم قال : لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلاَّ وأنتم باكون ، خوفًا أن يصيبكم مثل ما أصابهم .

(٣) فمن قال مطرنا بفضل الله فهو مؤمن بالله كافر بالكوكب أما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فهو كافر بالله مؤمن بالكوكب .

كان ببعض الطريق ضلت ناقته ، فخرج أصحابه فى طلبها ، وعند رسول الله ﷺ ، رجل من أصحابه ، يقال له عمارة بن حزم ، وكان عقبيًا بدريًّا ، وهو عم بنى عمرو ابن حزم ، وكان فى رحله زيد بن اللصيت القينقاعى ، وكان منافقا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لَبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قالوا : فقال زيد بن اللصيت ، وهو فى رحل عمارة وعمارة عند رسول الله ﷺ : أليس محمد يزعم أنه نبى ، ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لا يدرى أين ناقته ؟ فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده : إن رجلا قال : هذا محمد يخبركم أنه نبى ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ، وإنى والله ما أعلم إلا ما علمنى الله وقد دلنى الله عليها ، وهى فى هذا الوادى ، فى شعب كذا وكذا ، قد حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتونى بها (١) ، فذهبوا ، فجاءوا بها . فرجع عمارة بن حزم إلى رحله ، فقال : والله لعجب من شىء حدثناه رسول الله ﷺ آنفا ، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا ، كالذى قال زيد بن اللصيت ، فقال رجل ممن كان فى رحل عمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ : زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتى . - فأقبل عمارة على زيد يجأ (٢) فى عنقه ويقول إلىَّ عباد الله ، إن فى رحلى لداهية وما أشعر ! اخرج أى عدو الله من رحلى ، فلا تصحبنى .

● قصة أبى ذَرٍّ :

قال ابن إسحاق : فزعم بعض الناس أن زيدًا تاب بعد ذلك ، وقال بعض الناس لم يزل متهمًا بشر حتى هلك . ثم مضى رسول الله ﷺ سائرًا ، فجعل يتخلف عنه الرجل ، فيقولون : يا رسول الله ، تخلف فلان ، فيقول دعوه فإن يكُ فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل : يا رسول الله ، قد تخلف أبو ذر (٣) وأبطأ به بعيره ، فقال : دعوه فإن يك فيه

---

(١) أخبر الله نبيه بمكان الناقة ليرد كيد المنافق فى نحره ، وليؤكد الحقيقة أن الرسول ﷺ مؤيد من الله وأن الخبر يأتيه حقًّا من السماء ، ولذلك وجدوا الناقة كما وصفها لهم الرسول ﷺ ، وهذه من معجزاته .

(٢) يجأ : يطعن .

(٣) أبو ذر : اسمه جندب بن جنادة . وقيل : زيد بن عشرقة . وقيل : جندب بن عبد الله . وقيل : جندب بن السكن ، والأول أصح والله أعلم .

خير فسيلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، وتلوم [(١)] أبو ذر على بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشيًا ، ونزل رسول الله في بعض منازله فنظر ناظر من المسلمين فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده ، فقال رسول الله ﷺ : كن أبا ذر [(٢)] فلما تأمله القوم قالوا : : يا رسول الله ، هو والله أبو ذر ، فقال رسول الله ﷺ : رحم الله أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويُبعث وحده .

قال ابن إسحاق : فحدثني بُريدة بن سفيان الأسلمي ، عن محمد بن كَعب القُرظي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لما نفى عثمان أبا ذر إلى الربَذة وأصابه بها قدره [(٣)] ، لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه ، فأوصاهما أن أغسلاني وكفّناني ، ثم ضعاني على قارعة الطريق ، فأول ركب يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ ، فأعينونا على دفنه ، فلما مات فعلا ذلك به . ثم وضعاه على قارعة الطريق ، وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق عمار ، فلم يرعهم إلا بالجنازة على ظهر الطريق ، قد كادت الإبل تطؤها . وقام إليهم الغلام . فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه . قال : فاستهل عبد الله بن مسعود يبكي ويقول : صدق رسول الله ﷺ ، تمشي وحدك ، وتموت وحدك وتُبعث وحدك . ثم نزل هو وأصحابه فواروه [(٤)] ، ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه ، وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك .

• تخويف المنافقين المسلمين وما نزل فيهم :

قال ابن إسحاق : وقد كان رهط من المنافقين ، منهم وديعة بن ثابت ، أخو بني عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من أشجع ، حليف لبني سلمة ، يقال له : مخشّن بن حمير يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا ؟! والله لكأنا بكم غدا مقرنين في الحبال ، إرجافا وترهيبا للمؤمنين ، فقال مخشن بن حمير : والله

---

(١) تلوم : تمهل .

(٢) كن أبا ذر : لفظ الأمر ، ومعناه الدعاء : كما تقول أسلم سلمك الله .

(٣) أى وافته المنية وأتاه الموت . (٤) أى دفنوه .

لوددت أنى أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة ، وإنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه ·

وقال رسول الله ﷺ - فيما بلغنى - لعمار بن ياسر : أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ، فسلهم عما قالوا : فإن أنكروا فقل : بلى قلتم كذا وكذا ، فانطلق إليهم عمار ، فقال ذلك لهم : فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه ، فقال وديعة بن ثابت ، ورسول الله ﷺ واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحقبها [1] : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب** ﴾ · وقال مخشن بن حمير : يا رسول الله ، قعد بى اسمى واسم أبى ، وكأن الذى عفى عنه فى هذه الآية مخشن بن حمير ، فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيداً لا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة ، فلم يوجد له أثر [2] ·

الصلح مع صاحب أَيْلَة : ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك ، أتاه يحنة ابن رؤبة ، صاحب أيلة ، فصالح رسول الله ﷺ ، وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء وأذرح ، فأعطوه الجزية ، فكتب رسول الله ﷺ لهم كتابا ، فهو عندهم ·

فكتب ليحنة بن رؤبة :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذه أمنة من الله ومحمد النبى رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة ، سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر : لهم ذمة الله ، وذمة محمد النبى ، ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثا ، فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طيب لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ، ولا طريقا يريدونه ، من بر أو بحر ·

• خالد وأُكَيْدَر دَومة :

ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد فبعثه إلى أكيدر دومة ، وهو أُكيدر ابن عبد الملك ، رجل من كندة كان ملكًا عليها ، وكان نصرانيًّا ، فقال رسول الله ﷺ لخالد : إنك ستجده يصيد البقر · فخرج خالد ، حتى إذا كان من حصنه

---

(١) الحقب : حزام يشد به على حقو الجمل ·

(٢) أخلص فى الدعاء فاستجاب الله منه ·

بمنظر العين ، وفى ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله ! قالت : فمن يترك هذه ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه ، فأسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ له يقال له حسان . فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم . فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ ، فأخذته ، وقتلوا أخاه ، وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه به عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة . عن أنس بن مالك : رأيت قباء أكيدر حين قدم به على رسول الله ﷺ . فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسول الله ﷺ : أتعجبون من هذا ؟ فوالذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا [1] .

قال ابن إسحاق : ثم إن خالدًا قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ ، فحقن له دمه ، وصالحهُ على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته ، فقال رجل من طيء : يقال له بُجير بن بجرة ، يذكر قول رسول الله ﷺ لخالد : إنك ستجده يصيد البقر ، وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته ، لتصديق قول رسول الله ﷺ :

تباركَ سائقُ البقـــراتِ إنِّى ... رأيتُ اللهَ يهدى كَل هَادِ
فَمنْ يكُ حائدًا عن ذى تَبوك ... فإنا قد أُمرنا بالجهـــادِ

فأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة ، لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة .

• وادى المشقق وماؤه والمعجزة :

وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل ، وما يروى الراكب والراكبين والثلاثة ، بواد يقال له وادى المشقق ، فقال رسول الله ﷺ : من سبقنا إلى ذلك الوادى فلا يستقين منه شيئًا حتى نأتيه ، قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ،

---

(١) والمناديل مما يمتهن فما بالك بالملابس .

فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم ير فيه شيئًا فقال: من سبقنا إلى هذا الماء ؟! فقيل له يا رسول الله · فلان وفلان ، فقال : أولم أنههم أن يستقوا منه شيئًا حتى آتيه ثم لعنهم رسول الله ﷺ ، ودعا عليهم ثم نزل فوضع يده تحت الوشل ، فجعل يصب فى يده ما شاء الله أن يصب ، ثم نضحه به ، ومسحه بيده ، ودعا رسول الله ﷺ بما شاء الله أن يدعو به ، فانخرق من الماء - كما يقول من سمعه - ما إن له حسا كحس الصواعق ، فشرب الناس ، واستقوا حاجتهم منه · فقال رسول الله ﷺ : لئن بقيتم أو من بقى منكم لتسمعن بهذا الوادى ، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه ·

ذُو البجادين ودفنه وتسميته : قال : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى ، أن عبد الله بن مسعود كان يحدث ، قال : قمت من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله ﷺ ، فى غزوة تبوك ، قال : فرأيت شعلة من نار فى ناحية العسكر ، قال : فاتبعتها أنظر إليها ، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين المزنى قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله ﷺ فى حفرته ، وأبو بكر وعمر يدنيانه إليه ، وهو يقول : أدنيا إلىَّ أخاكما ، فدلياه إليه ، فلما هيأه لشقه قال : اللهم إنى أمسيت راضيا عنه ، فارض عنه · قال : يقول عبد الله بن مسعود : ياليتنى كنت صاحب الحفرة ·

حديث أبى رهم فى تَبوك : قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى ، عن ابن أكيمة الليثي ، عن ابن أخى أبى رهم الغفارى ، أنه سمع أبا رهم كلثوم بن الحصين ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول : غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك ، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريبا من رسول الله ﷺ وألقى الله علينا النعاس فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتى من راحلة رسول الله ﷺ ، فيفزعنى دنوها منه ، مخافة أن أصيب رجله فى الغرز ، فطفقت أحوز (١) راحلتى عنه ، حتى غلبتنى عينى فى بعض الطريق ، ونحن فى بعض الليل ، فزاحمت راحلتى راحلة رسول الله ﷺ ورجله فى الغرز ، فما استيقظت إلا بقوله حِسْ (٢) ، فقلت : يا رسول الله ، استغفر لى · فقال : سر

(١) أحوز : أبعد · (٢) حس : كلمة تقال عند وجود الألم ·

فجعل رسول الله ﷺ يسألنى عمن تخلف من بنى غِفار ، فأخبره به فقال وهو يسألنى : ما فعل النفر الحمر الطوال الثطاط (١) فحدثته بتخلفهم . قال : فما فعل النفر السود الجعاد القصار ؟ قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاء منا . قال بلى ، الذين لهم نَعَمٌ بشبكة شدخ (٢) فتذكرتهم فى بنى غفار ، ولم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يا رسول الله ، أولئك رهط من أسلم ، حلفاء فينا ، فقال رسول الله ﷺ : ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرءًا نشيطًا فى سبيل الله ؟ إن أعز أهلى علىَّ أن يتخلف عنى المهاجرون من قريش والأنصار وغفار وأسلم .

* * *

أَمْرُ مسْجد الضِّرار عند القُفُولِ من غزوة تبوك

• دعوة أهله الرسول للصلاة فيه :

قال ابن إسحاق : ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى نزل بذى أوان بلد ، بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحاب مسجد الضِّرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك . فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا . فتصلى لنا فيه ، فقال : إنى على جناح سفر ، وحال شغل أو كما قال ﷺ : ولو قد قدمنا إن شاء الله تعالى لأتيناكم ، فصلينا لكم فيه .

• أمر الرسول ﷺ بهدمه :

فلما نزل بذى أوان ، أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدُّخْشُم ، أخا بنى سالم بن عوف ، ومَعْن بن عَدِى ، أو أخاه عاصم بن عدى ، أخا بنى العجلان . فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدماه وحرقاه فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى . فدخل إلى أهله ، فأخذ سعفاً

---

(١) الثطاط : مفرد ثط ، صغير نبات شعر اللحية .

(٢) شبكة شدخ : موضع ببلاد غفار .

من النخل ، فاشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرقاه وهدماه ، وتفرقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : ﴿ **والذين اتخذوا مسجداً ضِراراً وكفراً وتفريقًا بين المؤمنين** ﴾ (١) . إلى آخر القصة .

وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا : خذام بن خالد ، من بنى عبيد بن زيد . أحد بنى عمرو بن عوف ،ومن داره أخرج مسجد الشقاق ، وثعلبة بن حاطب من بنى أمية بن زيد ، ومعتَّب بن قشير ، من بنى ضبيعة بن زيد ، وأبو حبيبة بن الأزهر ، من بنى ضبيعة بن زيد ، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف ، من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابناه مجمع بن جارية . وزيد بن جارية ، ونبتل بن الحارث ، من بنى ضبيعة ، وبحزج ، من بنى ضبيعة ، وبجاد بن عثمان من بنى ضبيعة ، ووديعة بن ثابت ،وهو من بنى أمية بن زيد رهط أبى لبابة بن عبد المنذر .

مساجد الرسول : وكانت مساجد رسول الله ﷺ فيما بين المدينة إلى تبوك . معلومة مسماة : مسجد بتبوك ، ومسجد بثنية مدران ، ومسجد بذات الزِّراب ، ومسجد بالأخضر ، ومسجد بذات الخطمى ، ومسجد بألاء ، ومسجد بطرف البتراء ، من ذنب كواكب ، ومسجد بالشق ، شق تارا ، ومسجد بذى الجيفة ، ومسجد بصدر حوضى ، ومسجد بالحجر ، ومسجد بالصعيد ، ومسجد بالوادى ، اليوم ، وادى القرى ، ومسجد بالرِّقعة من الشُّقة ، شقة بنى عذرة ، ومسجد بذى المروة ، ومسجد بالفيفاء ، ومسجد بذى خشب .

* * *

أمْرُ الثلاثة الذين خُلِّفوا وأَمْر المعذَّرين فى غزوة تبوك

وقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين ، وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : لا تكلمن أحدًا من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، فصفح عنهم رسول الله ﷺ ، ولم يعذرهم الله ورسوله ، واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة .

(١) سورة التوبة : الآية ١٠٧ .

• حديث كعب عن تخلفه :

قال ابن إسحاق : فذكر الزهرى محمد بن مسلم بن شهاب ، عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك أن أباه عبد الله ، وكان قائد أبيه حين أصيب بصره قال : سمعت أبى كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه ، قال : ما تخلفت عن رسول الله ﷺ فى غزوة غزاها قط ، غير أنى كنت قد تخلفت عنه فى غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحدًا تخلف عنها ، وذلك أن رسول الله ﷺ إنما خرج يريد عِير قريش ، حتى جمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ العقبة ، حين تواثقنا على الإسلام ، وما أحب أن لى بها مشهد بدر وإن كانت غزوة بدر هى أذكر عند الناس منها . قال : كان من خبرى حين تخلَّفت عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة ، ووالله ما اجتمعت لى راحلتان قط حتى اجتمعتا فى تلك الغزوة ، وكان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله فى حر شديد ، واستقبل سفرًا بعيدًا ، واستقبل غزو عدو كثير ، فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبته وأخبرهم خبره بوجهه الذى يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله ﷺ كثير . لا يجمعهم كتاب حافظ ، يعنى بذلك الديوان ، يقول لا يجمعهم ديوان مكتوب .

قال كعب : فقلَّ رجل يريد أن يتغيب ألا ظن أنه سيخفى له ذلك ، ما لم ينزل فيه وحى من الله وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار وأحبت الظلال ، فالناس إليها صعَر [1] فتجهز رسول الله ﷺ ، وتجهز المسلمون معه . وجعلت أغدو لأتجهز معهم فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول فى نفسى أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى شمر الناس بالجد ، فأصبح رسول الله ﷺ غاديًا ، والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازى شيئا ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحق بهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئا ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى

(١) صعر : مفرده أصعر : وهو المائل ، ومنها قول الله تعالى : ﴿ **ولا تصعر خدك للناس** ﴾ .

أسرعوا ، وتفرط [١] الغزو ، فهممت أن أرتحل فأدركهم وليتنى فعلت ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم يحزننى أنى لا أرى إلا رجلاً مغموصًا [٢] عليه فى النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرنى رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بنى سلمة : يا رسول الله ، حبسه برداه ، والنظر فى عطفيه ، فقال له معاذ بن جبل : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا منه إلا خيرًا ، فسكت رسول الله ﷺ .

فلما بلغنى أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلا من تبوك ، حضرنى بثّى [٣] فجعلت أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطة رسول الله ﷺ غدًا وأستعين على ذلك كل ذى رأى من أهلى ، فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظل [٤] قادما زاح [٥] عنى الباطل ، وعرفت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجمعت أن أصدقه ، وصبح رسول الله ﷺ المدينة ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ،فلما فعل ذلك ، جاءه المخلّفون ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فيقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وأيمانهم ، ويستغفر لهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى جئت فسلمت عليه ، فتبسم تبسم المغضب ، ثم قال لى : تعاله فجئت أمشى ، حتى جلست بين يديه ، فقال لى : ما خلفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك ؟ قال : قلت : إنى يا رسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلا ، لكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثًا كذبا لترضين عنى وليوشكن الله أن يسخطك علىّ ، لئن حدثتك حديثا صدقا تجد علىّ فيه ، إنى لأرجو لله عقباى من الله فيه ، ولا والله ما كان لى عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك . فقال رسول الله ﷺ : أما هذا فقد صدقت فيه فقم حتى يقضى الله فيك فقمت ، وثار معى رجال من بنى سلمة ، فاتبعونى فقالوا لى : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى

---

(١) تفرط : فات . (٢) مغموصًا : مطعونًا .
(٣) بثى : حزنى . (٤) أظل : أشرف .
(٥) يقال : زاح وانزاح : إذا ذهب ، والمصدر زيوحا وزيحانا .

رسول الله ﷺ بما اعتذر به إليه المخلفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك ، فوالله ما زالوا بى حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ ، فأكذب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقى هذا أحد غيرى ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل مقالتك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ، قلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العمرى ، من بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن أبى أمية الواقفى ، فذكروا لى رجلين صالحين ، فيهما أسوة فصمتٌ حين ذكروهما لى ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة ، من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا حتى تنكرتْ لى نفسى والأرض ، فما هى بالأرض التى كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا ، وقعدا فى بيوتهما ، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلَدَهم فكنت أخرج ، وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ، ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله ﷺ ، فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى ، هل حرك شفتيه برد السلامِ علىَّ أم لا ؟ ثم أصلى قريبًا منه ، فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتى نظر إلىَّ ، وإذا التفت نحوه أعرض عنى حتى إذ طال ذلك علىَّ من جفوة المسلمين ، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى ، وأحب الناس إلىَّ ، فسلمت عليه فوالله ما رد علىَّ السلام ، فقلت يا أبا قتادة ، أنشدك الله ، هل تعلم أنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت فعدت فناشدته ، فسكت عنى ، فعدت فناشدته ، فسكت عنى ، فعدت فناشدته فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، ووثبت فتسورت الحائط . ثم غدوت إلى السوق فبينا أنا أمشى بالسوق وإذا نبْطى [(١)] يسأل عنى من نِبط الشام ، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل علَى كعب بن مالك ؟ قال : فجعل الناس يشيرون له إلىَّ ، حتى جاءنى ، فدفع إلىَّ كتابًا من ملك غسان ، وكتب كتابا فى سرقة [(٢)] من حرير ، فإذا فيه : أما بعد ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة . فالحق بنا نواسك . قال : قلت حين قرأتها : وهذا من البلاء أيضًا ، قد بلغ بى ما وقعت فيه أن أطمع فى رجل من أهل الشرك . قال : فعمدت بها إلى

---

(١) النبطى : مفرد من النبط ، وهم قوم من العجم كانوا يسكنون بين العراق والأردن .

(٢) السرقة : الشقة (القطعة) من الحرير .

تنور [١] ، فسجرته [٢] بها . فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسول الله يأتينى ، فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك ، قال : قلت أطلقها أم ماذا ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبىَّ بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض . قال : وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ ، فقالت له : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له ، أفتكره أن أخدمه ؟ قال : لا ، ولكن لا يقربنك ، قالت : والله يا رسول الله ، ما به من حركة إلىَّ ، والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، ولقد تخوَّفت على بصره . قال : فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله لامرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه ، قال : فقلت : والله لا أستأذنه فيها ما أدرى ما يقول رسول الله ﷺ لى فى ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب . قال فلبثنا بعد ذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة ، من حين نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا ، ثم صليت الصبح ، صبح خمسين ليلة ، على ظهر بيت من بيوتنا ، على الحال التى ذكر الله منا ، قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وضاقت علىَّ نفسى ، وقد كنت ابتنيت خيمة فى ظهر سلع [٣] ، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفى على ظهر سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب ابن مالك ، أبشر ، قال فخررت ساجدًا ، وعرفت أن قد جاء الفرج .

قال : وآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلى الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب نحو صاحبىَّ مبشِّرون ، وركض رجل إلىَّ فرسًا ، وسعى ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى ، نزعت ثوبىَّ ، فكسوتهما إياه بشارة ، والله ما أملك يومئذ غيرهما ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيمم رسول الله ﷺ وتلقانى الناس يبشرونى بالتوبة ، يقولون : ليهنك توبة الله عليك ، حتى

---

(١) التنور : الفرن .

(٢) سجرته : أحرقته بلهب النار .

(٣) سلع : جبل بالمدينة .

دخلت المسجد ، ورسول الله ﷺ جالس حوله الناس ، فقام إلىّ طلحة بن عبيد الله ، فحياني وهنأني ، ووالله ما قام إلىّ رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة .

قال كَعْب : فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال لى ، ووجهه يبرق من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ، قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله . قال : وكان رسول الله ﷺ إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر . قال : وكنا نعرف ذلك منه . قال : فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبتى إلى الله عز وجل أن أنخلع من مالى ، صدقة إلى الله ورسوله ، قال رسول الله ﷺ : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك . قال قلت : إنى ممسك سهمى الذى بخيبر ، وقلت : يا رسول الله ، إن الله قد نجانى بالصدق ، وإن من توبتى إلى الله أن لا أحدِّث إلا صدقا ما حييت ، والله ما أعلم أحدًا من الناس أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ ذلك أفضل مما أبلانى الله ، والله ما تعمْدت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومى هذا ، وإنى لارجو أن يحفظنى الله فيما بقى (١) .

وأنزل الله تعالى : ﴿ **لَقَد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم * وعلى الثلاثة الذين خلِّفوا** ﴾ ... إلى قوله : ﴿ **وكونوا مع الصادقين** ﴾ (٢) .

قال كعب : فوالله ما أنعم الله علىّ نعمة قط بعد أن هدانى للإسلام كانت أعظم فى نفسى من صدق رسول الله ﷺ يومئذ ، أن لا أكون كذبته ، فأهلك كما هلك الذين كذبوه ، فإن الله تبارك وتعالى قال فى الذين كذبوه حين أنزل الوحى شر ما قال لأحد ، قال : ﴿ **سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا**

---

(١) أى فيما بقى من عمره .

(٢) سورة التوبة : الآيات ١١٧ - ١١٩ .

عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاءً بما كانوا يكسبون * يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾ (١) .

قال : وكنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فعذرهم ، واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا ، حتى قضى الله فيه ما قضى ، فبذلك قال الله : ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ (٢) .

وليس الذى ذكر الله من تخليفنا لتخلفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيانا وأرجائه أمرنا عمن حلف له ، واعتذر إليه ، فقبل منه (٣) .

* * *

(١) سورة التوبة : الآيات ٩٥ - ٩٦ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١١٨ .

(٣) وإنما اشتد غضبه على من تخلف عنه ، ونزل فيهم من الوعيد ما نزل حتى تاب الله على الثلاثة منهم ، وإن كان الجهاد من فروض الكفاية لكنه فى حق الأنصار خاصة كان فرض عين - أى واجب حتما لا يسقط إذا قام به البعض - وعليه بايع الأنصار النبى ﷺ ، ألا تراهم يقولون يوم الخندق ، وهم يرتجزون :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً .

ومن تخلف منهم يوم بدر إنما تخلف ، لأنهم خرجوا لأخذ عير ولم يظنون أن سيكون قتال ، فلذلك؛ كان التخلف عن رسول الله ﷺ فى هذه الغزوة كبيرة لأنها كالنكث لبيعتهم .

أَمْرُ وفْد ثَقيف وإسلامها في شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم ، اتبع أثره عروة بن مسعود الثقفي ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله ﷺ - كما يتحدث قومه - إنهم قاتلوك ، وعرف رسول الله ﷺ أن فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم ، فقال عروة : يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم (١) .

قال ابن إسحاق : وكان فيهم كذلك محببًا مطاعا : فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه ، لمنزلته فيهم ، فلما أشرف لهم على علية له ، وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله . فتزعم بنو مالك أنه قتله رجل منهم يقال له أوس بن عوف ، أخو بني سالم ابن مالك . وتزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم ، من بني عتاب بن مالك ، يقال له وهب بن جابر ، فقيل لعروة : ما ترى في دمك ؟ قال : كرامة أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إليَّ ، فليس فيَّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرحل عنكم ، فادفنوني معهم ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه : إن مثله في قومه لكمثل صاحب ياسين في قومه (٢) .

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهرًا ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

---

(١) قال ابن هشام : ويقال : من أبصارهم .

(٢) يحتمل قوله ﷺ ، كمثل صاحب ياسين أن يريد به المذكور في سورة ياسين ، الذي قال لقومه : ﴿ اتبعوا المرسلين ﴾ فقتله قومه ، واسمه حبيب بن مرمى ، ويحتمل أن يريد صاحب إلياس ، وهو اليسع ، فإن إلياس يقال في اسمه : ياسين أيضا ، وقال الطبري : وهو إلياس بن ياسين ، وفيه قال تبارك وتعالى : ﴿ سلام على إل ياسين ﴾ .

حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أن عمرو بن أمية ، أخا بنى علاج كان مهاجرًا لعبد ياليل بن عمرو ، الذى بينهما شيء ، وكان عمرو بن أمية من أدهى العرب ، فمشى إلى عبد ياليل بن عمرو حتى دخل داره ·

ثم أرسل إليه إن عمرو بن أمية يقول لك : أخرج إلىّ قال : فقال عبد ياليل للرسول ويلك ! أعمرو أرسلك إلىّ ؟ قال : نعم ، وها هو ذا واقفا فى دارك ، فقال : إن هذا لشيء ما كنت أظنه لعمرو كان أمنع فى نفسه من ذلك ، فخرج إليه ، فلما رآه رحب به فقال له عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، فقد أسلمت العرب كلها وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا فى أمركم فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها ، وقال بعضهم لبعض : أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب [١] ، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع فأتمروا بينهم وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً كما أرسلوا عروة ، فكلموا عبد ياليل بن عمرو ابن عمير ، وكان سن [٢] عروة بن مسعود ، وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يصنع به إذا رجع كما صنع بعروة · فقال : لست فاعلاً حتى ترسلوا معى رجالاً ، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف ، وثلاثة من بنى مالك فيكونوا ستة ، فبعثوا مع عبد يا ليل · الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب ، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب ، ومن بنى مالك عثمان بن أبى العاص بن بشر بن عبد دهمان ، أخا بنى يسار ، وأوس بنى عوف ، أخا بنى سالم ونمير بن خرشة بن ربيعة ، أخا بنى الحارث فخرج بهم عبد ياليل ، وهو ناب القوم [٣] وصاحب أمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ما صنع بعروة بن مسعود ، لكى يشغل كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رهطه ·

فلما دنوا من المدينة ، نزلوا قناة · فألفوا بها المغيرة بن شعبة ، يرعى فى نوبته

(١) السرب : القطيع من الحيوان أو الفريق من الإنسان أو جماعة النخل وهو أيضًا الطريق · والقلب والصدر ·

(٢) أى فى سنه أو مثله فى السن ·

(٣) ناب القوم : سيدهم والمدافع عنهم ·

ركاب أصحاب رسول الله ﷺ وكانت رعيتها عند الثقفيين ، وضبر [1] يشتد . ليبشر رسول الله ﷺ ، بقدومهم عليه فلقيه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله ﷺ فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والإسلام بأن يشرط لهم رسول الله ﷺ شروطا ، ويكتتبوا من رسول الله ﷺ كتابًا فى قومهم وبلادهم وأموالهم فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بالله لا تسبقنى إلى رسول الله ﷺ ، حتى أكون أنا أحدثه ، ففعل المغيرة ، فدخل أبو بكر على رسول الله ﷺ . فأخبره بقدومهم عليه ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه ، فروح الظهر معهم ، وعلمهم كيف يحيون رسول الله ﷺ ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية ، ولما قدموا على رسول الله ﷺ ضرب عليهم قبة فى ناحية مسجده ، كما يزعمون ، فكان خالد بن سعيد بن العاص ، هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله ﷺ ، حتى اكتتبوا كتابهم ، وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم ، وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية ، وهى اللات ، لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله ﷺ ذلك عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة ، ويأبى عليهم حتى سألوا شهرًا واحدًا بعد مقدمهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى ، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يتسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام ، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها ، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال رسول الله ﷺ : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه ، وأما الصلاة ، فإنه لا خير فى دين لا صلاة فيه ، فقالوا : يا محمد ، فسنؤتيكها ، وإن كانت دناءة .

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم ، أمَّر عليهم عثمان بن أبى العاص ، وكان من أحدثهم سنا ، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه فى الإسلام ، وتعلم القرآن . فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ يا رسول الله ، إنى قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه فى الإسلام ، وتعلم القرآن .

(١) ضبر : وثب .

• قصة بلال مع ثقيف :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفى ، عن بعض وفدهم . قال : كان بلال يأتينا - حين أسلمنا وصمنا مع رســـول الله ﷺ ما بقى من رمضان - بفطرنا وسحورنا من عند رسول الله ﷺ ، فيأتينا بالسحور ،وإنا لنقول إنا لنرى الفــجر قد طلع ، فيقول : قد تركت رسول الله ﷺ ، يتسحر لتأخير السحور ، ويأتينا بفطرنا [1] ، وإنا لنقول : ما نرى الشمس كلها ذهبت بعد ، فيقول : ما جئتكم حتى أكل رسول الله ﷺ ، ثم يضع يده فى الجفنة ، فيلتقم منها .

قال ابن إسحاق: وحدثنى سعيد بن أبى هند، عن مُطرف بن عبد الله الشِّخِّير ، عن عثمان بن أبى العاص ، قال : كان من آخر ما عهد إلىَّ رسول الله ﷺ حين بعثنى على ثقيف أن قال : يا عثمان ، تجاوز فى الصلاة ، وأقدر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبير ، والصغير ، والضعيف وذا الحاجة [2] .

• هَدْمُ اللاَّت :

قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من أمرهم ، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ، فى هدم الطاغية [3] ، فخرجنا مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة بن شعبة أن يقدم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومك ، وأقام أبو سفيان بما له

---

(١) قال ابن هشام : بفطورنا وسحوَرنا .

(٢) وهذا من رحمة الرسول ﷺ أن يوصى فى آخر حياته بأمر مهم حتى لا تحدث فتنة بعده ، وهو عدم ، الإطالة فى الصلاة حتى لا يثقل على المسلمين فإن فيهم الضعيف والكبير والمريض وذلك للإمام فى صلاة الجماعة ، ولكن بشرط عدم الإخلال بشروط الصلاة ، مع حسن الترتيل وإعطاء كل ركن فى الصلاة حقه .

(٣) وكان صنمًا لثقيف ، وهى صخرة مربعة ، وكانت سدنتها من ثقيف ، وكانوا قد بنوا عليها بناء ، فكانت قريش ، وجميع العرب تعظمها ، وكانت فى موضع « منارة » مسجد الطائف اليسرى ، انظر تفسير القرطبى ٩ / ٦٥٠٠ ط . دار الغد العربى .

بذى الهدم ، فلما دخل المغيرة بن شعبة عَلاها (١) يضربها بالمعول (٢) ، وقام قومه دونه بنو معتب ، خشية أن يُرمَى أو يصاب كما أصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف حسراً (٣) يبكين عليها ويقلن :

لتبكيَن دفاع أسلمها الرضاع (٤) لم يُحسنوا المصَاع (٥)

قال ابن إسحاق : يقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس ، واهًا لك : أهًا لك ، فلما هدمها المغيرة ، وأخذ مالها وحُلِيَّها (٦) أرسل إلى أبى سفيان وحُليها مجموع ، ومالها من الذهب والجزع .

• إسلام أبى مُليح وقارب :

وقد كان أبو مليح بن عروة وقارب بن الأسود قدما على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف ، حين قُتل عروة يريدان فراق ثقيف (٧) ، وأن لا يجامعاهم على شىء أبدًا فأسلما فقال لهما رسول الله ﷺ : توليا من شئتما ، فقالا : نتولى الله ورسوله فقال رسول الله ﷺ : وخالكما أبا سفيان بن حرب ، فقالا : وخالنا أبا سفيان بن حرب .

فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله ﷺ أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية (٨) سأل رسول الله ﷺ أبو مليح بن عروة أن يقضى عن أبيه عروة دينًا كان

---

(١) علاها : صعد فوقها . (٢) المعول : الفأس العظيمة .

(٣) حسرًا : أى عرايا الرءوس .

(٤) الرضاع : اللئام .

(٥) المصاع : القتال بالسيوف .

(٦) أى ما فيها من ذهب وفضة .

(٧) أى يريدان أن يدخلا فى الإسلام ويفارقا قومهما المشركين .

(٨) أى الصنم الذى كانت تعبده الطائف وهى اللات وكان صنم ثقيف بالطائف ، وقال عنه الكلبى : كان رجلاً من ثقيف يقال له صِرمة بن غنم . وقال ابن عباس ، وابن الزبير ومجاهد وحميد وأبو صالح : كان رجلاً يلت السويق للحاج - ذكره البخارى عن ابن عباس - فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه . وقال ابن عباس : كان يبيع السويق - والسمن عند صخرة ويصبه عليها ، فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة إعظامًا لصاحب السويق ، وقال مجاهد : كان رجلاً فى رأس جبل له غنيمة يسلى منها السمن ويأخذ منها =

عليه من مال الطاغية ، فقال له رســول الله ﷺ : نعم ، فقال له قارب بن الأسود ، وعن الأسود يا رسول الله فاقضه ، وعروة والأسود أخوان لأب وأم (١) ، فقال رسول الله ﷺ : إن الأسود مات مشركًا فقال قارب لرســـــول الله ﷺ يا رسول الله ،لكن تصل مسلمًا ذا قرابة ، يعنى نفسه إنما الدين على ، وإنما أنا الذى أطلب به ، فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يقضى دين عروة والأسود من مال الطاغية ، فلما جمع المغيرة مالها قال لأبى سفيان : إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقضى عن عروة والأسود دينهما ، فقضى عنهما .

كتَابهُ عليه السلام لثقيف : وكان كتاب رسول الله ﷺ الذى كتب لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبى ، رسول الله ، إلى المؤمنين : إن عضاه (٢) وج وصيده لا يعضد (٣) ، من وجد يفعل شيئا من ذلك ، فإنه يُجلد وتنزع ثيابه ، فإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به إلى النبى محمد ، وإن هذا أمر النبى محمد رسول الله .

وكتب خالد بن سعيد : بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعده أحد ، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله ﷺ .

* * *

= الأقط - لبن محمَّض يجمد ويطبخ به - ويجمع رسلها ثم يتخذ منها حيسًا فيطعم الحاج ، وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات .

انظر تفسير القرطبى ٩ / ٦٥٠١ ط . دار الغد العربى ، المعـــجم الوجيز مادة الأقط ص ٢١ .

(١) أى إنهما أخوان شقيقان .

(٢) العضاه : شجر له شوك .

(٣) لا يعضد : لا يقطع أى أنه حرام على غير أهله كتحريم مكة والمدينة ، وقيل وج . هى الطائف ، وقيل إنها واد بها .

حَجُّ أبى بكْر بالناس سَنَةَ تسعٍ واختصاصُ النبى ﷺ على بن أبى طالب رضوان الله عليه بتأدية أول براءة عنه

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوالًا وذا القعدة ثم بعث أبا بكر أميرًا على الحج من سنة تسع ، ليقيم للمسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم . فخرج أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين .

ونزلت براءة فى نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد ، الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لا يُصَدَّ عن البيت أحد جاءه ، ولا يخاف أحد فى الشهر الحرام ، وكان ذلك عهدا عاماً بينه وبين الناس من أهل الشرك ، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله ﷺ وبين قبائل العرب خصائص ، إلى آجال مسماة ، فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه فى تبوك ، وفى قول من قال منهم ، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون منهم من سمى لنا ومنهم من لم يُسَمَّ لنا ، فقال عز وجل : ﴿ **براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين** ﴾ [1] أى لأهل العهد العام من أهل الشرك : ﴿ **فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين * وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برئ من المشركين ورسوله** ﴾ أى بعد هذه الحجة : ﴿ **فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم إلا الذين عاهدتم من المشركين** ﴾ أى العهد الخاص إلى الأجل المسمى : ﴿ **ثم لم ينقصوكم شيئًا ولم يظاهروا عليكم أحدًا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين * فإذا انسلخ الأشهر الحرم** ﴾ : يعنى الأربعة التى ضرب لهم أجلا ، : ﴿ **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم**

(١) الآيات من سورة التوبة : ١ -٥ .

واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم * وإن أحد من المشركين ﴾ : أى من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم : ﴿ **استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون** ﴾ (١) .

ثم قال تعالى : ﴿ **كيف يكون للمشركين** ﴾ الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام أن لا يخيفوكم ولا تخيفوهم في الحرمة ، ولا فى الشهر الحرام ﴿ **عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام** ﴾ وهى قبائل من بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية إلى المدة التى كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش ، فلم يكن نقضها إلا هذا الحى من قريش ، وهم بنو الديل من بني بكر بن وائل الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم ، فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بنى بكر إلى مدته ﴿ **فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين** ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ **كيف وإن يظهروا عليكم** ﴾ أى المشركين الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام : ﴿ **لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة** ﴾ .

والذمة : العهد . قال الأجدع بن مالك الهمدانى ، وهو أبو مسروق الأجدع الفقيه :

وَكَان عَلينا ذمة أنْ تَجاوزُوا ... منَ الأرضِ مَعْروفا إلينا ومُنْكرا

وهذا البيت فى ثلاثة أبيات له ، وجمعها : ذِمم .

﴿ **يرضونكم بأفواههم وتأبى قُلوبهم وأكثرهم فاسقون * اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساءَ ما كانوا يعملـون لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون** ﴾ أى قد اعتدوا عليكم ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين ونفصِّلُ الآيات لقوم يعلمون** ﴾ (٢) .

اختصاص على بتأدية براءة : قال ابن إسحاق : وحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حُنيف عن أبى جعفر محمد بن على رضوان الله عليه ، أنه قال : لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ ، وقد كان بعث أبا بكر الصدِّيق ليقيم للناس الحج ،

---

(١) سورة التوبة : ٥ ، ٦ وهذه عدالة ورحمة الإسلام حتى مع المشرك .

(٢) سورة التوبة : ٧ - ١٠ .

قيل له : يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبى بكر ، فقال : لا يؤدى عنى إلا رجل من أهل بيتى ، ثم دعا على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءة [1] . وأذِّن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى ، أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان ، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته ، فخرج على بن أبى طالب رضوان الله عليه على ناقة رسول الله ﷺ العضباء ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أأمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ، ثم مضيا . فأقام أبو بكر للناس الحج والعرب إذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحج ، التى كانوا عليها فى الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام على بن أبى طالب رضي الله عنه ، فأذن فى الناس بالذى أمره به رسول الله ﷺ ، فقال : أيها الناس ، إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته : وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ، ليرجع كل قوم إلى مأمنهم أو بلادهم ، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد إلى مدة ، فهو له إلى مدته . فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان .

ثم قدما على رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة إلى الأجل المسمى .

● الأمرُ بجِهَادِ المشركينَ :

قال ابن إسحاق : ثم أمر الله رسوله ﷺ بجهاد أهل الشرك ، ممن نقض من أهل العهد الخاص ، ومن كان من أهل العهد العام ، بعد الأربعة الأشهر التى ضرب لهم أجلا إلا أن يعدو فيها عاد منهم فيقتل بعدائه ، فقال تعالى : **﴿ ألا تقاتلون قومًا نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين * قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين * ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله﴾**[2] : أى من بعد ذلك

---

(١) أى من أول سورة براءة وهى سورة التوبة .

(٢) سورة التوبة : ١٣ - ١٥ .

: ﴿ **على من يشاء والله عليم حكيم * أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجةً والله خبير بما تعملون** ﴾ (١) .

● **القرآن يرد على قريش ادعاءهم عمارة البيت :**

قال ابن إسحاق : ثم ذكر قول قريش : إنَّا أهل الحرم ، وسقاة الحاج ، وعُمَّار هذا البيت فلا أحد أفضل منا ، فقال : ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾(٢) : أى أن عمارتكم ليست على ذلك ، وإنما يعمر مساجد الله أى من يعمرها بحقها : ﴿ **من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله** ﴾ : أى فأولئك عمَّارها : ﴿ **فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين** ﴾ وعسى من الله : حق .

ثم قال تعالى : ﴿ **أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله** ﴾ (٣) ثم القصة حتى انتهى إلى ذكر حنين وما كان فيه وتوليهم عن عدوهم وما أنزل الله تعالى من نصره بعد تخاذلهم ، ثم قال تعالى : ﴿ **إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة** ﴾(٤) وذلك أن الناس قالوا : لتنقطعن عنا الأسواق ، فتهلكن التجارة ، وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق ، فقال الله عز وجل : ﴿ **وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله** ﴾ أى من وجه غير ذلك ﴿ **إن شاء إن الله عليم حكيم * قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾ (٥) .

أى ففى هذا عوض مما تخوفتم من قطع الأسواق ، فعوضهم الله بما قطع عنهم بأمر الشرك ، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب ، من الجزية .

---

(١) الآيات السابقة من سورة التوبة : الآيات ١٥ - ١٦ .

(٢) سورة التوبة : ١٨ .

(٣) سورة التوبة : ١٩ .

(٤) سورة التوبة : ٢٨ .

(٥) سورة التوبة : الآيات ٢٨ - ٢٩ .

ما نزل فى أهل الكتابين : ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشر والفرية عليه ، حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ **إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ (١) .

ما نزل فى النسىء : ثم ذكر النسىء ، وما كانت العرب أحدثت فيه . والنسىء ما كان يُحل مما حرم الله تعالى من الشهور ، ويحرم مما أحل الله منها : فقال : ﴿ **إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم** ﴾ (٢) : أى لا تجعلوا حرامها حلالا ، ولا حلالها حراما : أى كما فعل أهل الشرك ﴿ **إنما النسىء** ﴾ الذى كانوا يصنعون ﴿ **زيادة فى الكفر يُضَل به الذين كفروا يحلّونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زُين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين** ﴾ .

ما نزل فى تَبُوك : ثم ذكر تبوك وما كان فيها من تثاقل المسلمين عنها ، وما أعظموا من غزوه الروم ، حين دعاهم رسول الله ﷺ إلى جهادهم ، نفاق من نافق من المنافقين ، حين دُعوا إلى ما دعوا إليه من الجهاد ، ثم ما نعى عليهم من إحداثهم فى الإسلام ، فقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض** ﴾ . ثم القصة إلى قوله تعالى : ﴿ **يعذّبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار** ﴾ .

ما نزل فى أهل النفاق : ثم قال تعالى لنبيه ﷺ ، يذكر أهل النفاق : ﴿ **لو كان عَرَضًا قريبا وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقّة وسيحلفون بالله لواستطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون** ﴾ : أى إنهم يستطيعون : ﴿ **عفا الله عنك لمَ أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين** ﴾ .. إلى قوله : ﴿ **لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سمّاعون لهم** ﴾ .

(١) سورة التوبة : الآية ٣٤ .

(٢) الآيات إلى نهاية الصفحة من سورة التوبة : ٣٦ : ٤٧ .

قال ابن إسحاق : وكان الذين استأذنوه من ذوى الشرف ، فيما بلغنى ، منهم عبد الله بن أُبى بن سلول ، والجد بن قيس ، وكانوا أشرافًا فى قومهم ، فثبَّطهم الله لعلمه أنهم إن يخرجوا معه ، فيفسدوا عليه جنده وكان فى جنده قوم أهل محبة لهم ، وطاعة فيما يدعونهم إليه ، لشرفهم فيهم . فقال تعالى : ﴿ **وفيكم سمَّاعون لهم والله عليم بالظالمين * لقد ابتغوا الفتنة من قبل** ﴾ : أى من قبل أن يستأذنوك : ﴿ **وقلَّبوا لك الأمور** ﴾ : أى ليخذلوا عنك أصحابك ويردوا عليك أمرك ﴿ **حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون * ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا** ﴾ (١) ، وكان الذى قال ذلك فيما سمى لنا الجد بن القيس أخو بنى سلمة حين دعاه رسول الله ﷺ إلى جهاد الروم ثم كانت القصة إلى قوله تعالى : ﴿ **لو يجدون ملجأً أو مغارات أو مدخلاً لولوا إليه وهم يجمحون * ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون**﴾(٢) : أى إنما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنياهم .

• ما نزل فى أصحاب الصدقات :

ثم بين الصدقات لمن هى ، وسمى أهلها ، فقال : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** ﴾ (٣) .

• ما نزل فيمن آذوا الرسول ﷺ :

ثم ذكر غشهم وأذاهم للنبى ﷺ ، فقال : ﴿ **ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أُذُنٌ قل أُذُن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم** ﴾ (٤) وكان الذى يقول تلك المقالة فيما بلغنى، نبتل بن الحارث أخو بنى عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية ، وذلك أنه كان يقول : إنما محمد أذن ، من حدثه شيئًا صدقه . يقول الله تعالى : ﴿ **قل أُذن خير لكم** ﴾ (٥) : أى يسمع الخير ويصدق به .

---

(١) وما بعدها من سورة التوبة : الآيات ٤٧ - ٥٩ . (٢) سورة التوبة : ٥٧ - ٥٨ .
(٣) سورة التوبة : ٦٠ . (٤) سورة التوبة : ٦١ . (٥) سورة التوبة : ٦٢ .

ثم قال تـعالى : ﴿ **يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين** ﴾ ثم قال : ﴿ **ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون** ﴾ [١] ... إلى قوله تعالى : ﴿ **إنْ نَعفُ عن طائفة منكم نعذِّب طائفة** ﴾ [٢] ، وكان الذى قال هذه المقالة وديعة بن ثابت ، أخو بنى أمية بنَ زيد ، من بنى عمرو بن عوف ، وكان الذى عفى عنه ، فيما بلغنى : مخشن ابن حُمير الأشجعى ، حليف بنى سلمة ، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع .

ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ **يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير * يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله** ﴾ ... إلى قوله : ﴿ **من ولىٍّ ولا نصير** ﴾ [٣] وكان الذى قال تلك المقالة الجلاس بن سويد بن صامــت ، فرفعها عليه رجل كان فى حجره ، يقال له عمير بن سعد ، فأنكرها وحلف بالله ما قالها ، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع ، وحسنت حاله وتوبته : فيما بلغنى .

ثم قال تعالى : ﴿ **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدَّقن ولنكونن من الصالحين** ﴾ [٤] وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما من بنى عمرو بن عوف .

ثم قال : ﴿ **الذين يلمزون المطَّوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم** ﴾ [٥] وكان المطوعون من المؤمنين فى الصدقات : عبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدى أخا بنى العجلان ، وذلك أن رسول الله ﷺ رغَّب فى الصدقة ، وحض عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف ، فتصدق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم بن عدى ، فتصدق بمائة وسق من تمر ، فلمزوهما وقالوا ما هذا إلا رياء ، وكان الذى تصــدق بجــهده أبو عقيل أخو بنى أنيف ، أتى بصاع من تمر ، فأفرغها فى الصدقة ، فتضاحكوا به ، وقالوا : إن الله لغنى عن صاع أبى عقيل .

---

(١) سورة التوبة : الآية ٦٥ .
(٢) سورة التوبة : الآية ٦٦ .
(٣) سورة التوبة : الآية ٧٣ - ٧٤ .
(٤) سورة التوبة : الآية ٧٥ .
(٥) سورة التوبة : الآية ٧٩ .

ثم ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسول الله ﷺ بالجهاد ، وأمر بالسير إلى تبوك ، علي شدة الحر وجدب البلاد . فقال تعالى : ﴿ **وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حراً لوكانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ولا تعجبك أموالهم وأولادهم** ﴾ [1] .

ما نزل بسببَ الصلاة على ابن أُبىّ : قال ابن إسحاق : حدثنى الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : لما توفى عبد اللهبن أُبى ، دعى رسول الله ﷺ للصلاة عليه ، فقام إليه ، فلما وقف عليه يريد الصلاة ، تحولت حتى قمت فى صدره فقلت : يا رسول الله أتصلى على عدو الله عبد الله بن أُبى ابن سلول ؟ القائل كذا يوم كذا . والقائل كذا يوم كذا أعدد أيامه له ، ورسول الله ﷺ يتبسم حتي إذا أكثرتُ قال : يا عمر ، أخِّر عنى ، إنى قد خُيرت فاخترت ، قد قيل لى : ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهُم** ﴾[2] فلو أعلم أنى إن زدت على السبعين غُفر له ، لزدت . قال : ثم صلى عليه رسول الله ﷺ ، ومشى معه حتى قام على قبره ، حتى فرِغ منه . قال : فَعجبت لى ولجراءتى على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم . فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان : ﴿ **ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفــروا بالله ورســـوله وماتوا وهم فاسقون** ﴾ [3]. فما صلى رسول الله ﷺ بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى .

● **ما نزل فى المستأذنين والمعذِّرين والبكَّائين ومنافقى الأعراب :**

قال ابن إسحاق : ثم قال : ﴿ **وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم** ﴾ [4] وكان ابن أُبى من أولئك ، فنعى الله ذلك عليه ، وذكره منه ، ثم قال تعالى : ﴿ **لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون * أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم * وجاء المعذرون من الأعراب**

---

(١) سورة التوبة : ٨١ – ٨٥ . (٢) سورة التوبة : ٨٠

(٣) سورة التوبة : ٨٤ . (٤) سورة التوبة : ٨٦ .

ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ﴾ [١] . آخر القصة . وكان المعذرون ، فيما بلغني نفرًا من بني غِفار ، منهم خفاف بن إيماء بن رحضة ، ثم كانت القصة لأهل العذر ، حتى انتهى إلى قوله : **﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون ﴾** وهم البكاءون .

ثم قال تعالى : **﴿ إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ﴾** [٢] والخوالف : النساء . ثم ذكر خلفهم للمسلمين واعتذارهم ، فقال : **﴿ فأعرضوا عنهم ﴾** .. إلى قوله تعالى : **﴿ فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾** [٣] .

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربصهم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين ، فقال تعالى : **﴿ ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق ﴾** أي من صدقة أو نفقة في سبيل الله **﴿ مغرمًا ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السَّوء والله سميع عليم ﴾** [٤].

• ما نزل في المخلصين من الأعراب :

ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم ، فقال : **﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم ﴾** [٥] .

ما نزل في السابقين من المهاجرين والأنصار : ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وفضلهم ، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إياهم ، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان فقال : **﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾** [٦] ثم قال تعالى : **﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ﴾** [٧] : أي لجوا فيه ، وأبوا غيره **﴿ سنعذبهم مرتين ﴾** ، والعذاب الذي أوعده الله تعالى مرتين ، فيما بلغني غمهم بما هم فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ، ثم عذابهم في القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذي يردون إليه ، عذاب النار ، والخلد فيه . ثم قال تعالى : **﴿ وآخرون اعترفوا**

---

(١) سورة التوبة : ٨٨ - ٩٠ . (٢) سورة التوبة : ٩٢ - ٩٣ .
(٣) سورة التوبة : ٩٦ . (٤) سورة التوبة : ٩٩ .
(٥) سورة التوبة : ٩٩ . (٦) سورة التوبة : ١٠٠ . (٧) سورة التوبة : ١٠١ .

بذنوبهم خلطوا عملاً صالحا وآخر سيئًا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ﴾ (١) .

ثم قال : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ (٢) إلى آخر القصة ، ثم قال تعالى : ﴿ **وآخرون مرجون لأمر الله إمّا يعذبهم وإما يتوب عليهم** ﴾ (٣) ، وهم الثلاثة الذين خلفوا ، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرهم حتى أتت من الله توبتهم ، ثم قال تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا مسجداً ضرارا** ﴾ (٤) إلى آخر القصة ثم قال تعالى : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة** ﴾(٥) ثم كان قصة الخبر عن تبوك ، وما كان فيها إلى آخر السورة .

وكانت براءة تُسمى فى زمان النبى ﷺ وبعده المبعثرة ، لما كشفت من سرائر الناس ، وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ .

* * *

---

(١) سورة التوبة : ١٠٢ .
(٢) سورة التوبة : ١٠٣ .
(٣) سورة التوبة : ١٠٦ .
(٤) سورة التوبة : ١٠٧ .
(٥) سورة التوبة : ١١١ .

حَسَّان يُعَدِّد مَغَازيه ﷺ شعراً

وقال حسان بن ثابت يذكر أيام الأنصار مع النبى ﷺ ، ويذكر مواطنهم معه أيام غزوه :

أَلستَ خير مَعْد كُلهـــا نَفرَا ... ومعشراً إن هُم عَموا وإن حَصلوا (١)
قَومٌ شَهــــدوا بدراً بأجمعهم ... معَ الرسول فما آلوا وما خذَلُوا (٢)
وبَايعوه فلم يَنكث بـــه أَحدٌ ... منهم ولم يَك فى إيمانهم دَخلُ (٣)
ويَوم صبحهم فى الشِّعب من أُحــد ... ضَرب رصين كحر النار مُشتعلُ (٤)
ويَوم ذى قِرد يَوم استثـــار بهم ... على الجيادِ فما خَاموا وما نَكُلوا (٥)
وذَا العشيرة جَاســوها بخيلهم ... مع الرسول عليها البِيضُ والأسلُ (٦)
ويوم ودانِ أجلـــوا أهله رقصًا ... بِالخيلِ حتى نهَانا الحزن والجبلُ (٧)
وَليلةً طَلبوا فيهــا عَدوهم ... لله واللهُ يجزيهــم بِما عَملُوا
وَغزوةً يوم نجد ثم كان لهـــم ... مع الرسول بهـــا الأسلابُ والنَّفَلُ
وليلةً بحُنين جَالدوا معــــه ... فيها يعلهم بالحـــرب إذ نَهلوا (٨)
وَغزوةَ القاعِ فرقنا العــــدو به ... كما تفرق دون المشرب الرسلُ (٩)
ويَوم بُويع كانوا أهـــل بيعته ... على الجِلاد فآســـوه وما عدلُوا

(١) حصلوا : أصلها بتشــديد الصاد وخففها لضرورة الشعر . ومعنى حصلوا : جمعوا .

(٢) فما آلوا : ما قصروا . (٣) دخل : فساد .

(٤) رصين : ثابت الحكم . (٥) خام : جبن وتراجع .

(٦) جاسوها : وطئوها . البيض : السيوف . الأسل : الرماح .

(٧) الرقص : نوع من المشى . الحزن : الأرض الغليظة المرتفعة .

(٨) يعلهم : يكرر عليهم ، من العلل وهو الشرب الثانى ، نهلوا : شربوا الشــرب الأول . (٩) الرسل : الإبل .

وَغزوة الفتح كانـــوا فى سريته ... مرابطين فـــما طاشوا وما عجلُوا
وَيوم خيبـــر كانوا فى كتيبته ... يمشون كلهم مستبـــسل بطلُ
بالبيضِ ترعشُ فى الأيمان عاريةً ... تعوج فى الضـــرب أحيانا وتَعتدلُ
ويومَ سار رســـولُ الله محتسبًا ... إلى تبـــوك وَهم راياته الأُولُ
وَساسة الحرب إن حرب بدتْ لهم ... حَتى بدا لهم الإقبال والقفلُ (١)
أولئك القوم أنصارُ النبىِّ وهم ... قومى أَصيرُ إليهـــم حِين أتصلُ
مَاتوا كِرامًا ،ولم تَنكثْ عهودهُمُ ... وقتلهم فى سبيـــل الله إذْ قُتلوا

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا :

كُنا ملوكَ النـــاس قَبل مُحمد ... فلما أتى الإسلام كان لنا الفَضلُ
وَأكرمنَا اللهُ الـــذى ليس غَيرهُ ... إله بأيامٍ مضتْ ما لهـــا شكلُ
بِنصر الإلهِ والرســـولِ وَدِينه ... وألبسناه اسمًا مضَى مَا لـــه مثَلُ
أَولئكَ قومـــى خَير قومٍ بأسرهم ... فما عد من خير فقـــومى له أهلُ
يربُون بالمعروف معروف من مضى ... وليس عليهم دون معروفهم قفلُ (٢)
إذا اختَبطوا لم يفحشوا فى نديهم ... وليس علـى سؤالهم عندهم بخل (٣)
وإن حَاربوا أو سَالموا لم يشبهوا ... فحربهم حتف وسلـــمهم سَهلُ
وجَارهم موف بعليـــاء بيته ... له - ما ثوى فِينا - الكرامةُ والبذلُ
وَحاملهم مُوف بكـــل حُماته ... تحمل لا غـــرم عليها ولا خَذلُ
وقائلهم بالحـــق إن قال قائلٌ ... وحِلمهم عـــود وحُكمهم عدلُ (٤)
ومنَّا أمير المسلـــمين حياته ... ومن غسلـــته من جنابته الرُّسلُ (٥)

---

(١) القفل : الرجوع · (٢) يربون : يصلحون ·

(٣) اختبطوا : قصدوا · (٤) عود : متكرر ·

(٥) أمير المسلمين : هو سعد بن معاذ فإن الأنصار تزعم أن الرسول قال للمسلمين جميعا مهاجرين وأنصار قوموا إلى سيدكم · أما من غسلتهِ الملائكة ، هو حنظلة المدعو غسيل الملائكة وهو أنصارى ·

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا :

قَومى أولئـــك إنْ تسألِى ... كِرام إذا الضيفُ يوماً أَلَمْ
عِظامُ القُدورِ لأيســـارهم ... يكبوُن فيها المسن السنمْ (١)
يواسون جَارهـــم فى الغِنى ... ويحمون مَولاهـــم إن ظُلِمْ
فكانوا ملوكًا بأرضيـــهم ... ينادون عضبًا بأمـــر غَشِمْ
مُلوكًا على الناس ، لم يملكوا ... من الدهر يومًا كحل القَسَم (٢)
فأنبوا بِعاد وأشياعهـــا ... ثَمود وبعض بقَايا إرمْ (٣)
بيثرب قد شيَّدوا فى النخيل ... حصونًا ودجن فيها النَّعمْ (٤)
نَواضح قد علمتهـــا اليهو ... دُعلل إليك وقولاً هَلُمْ (٥)
وفيما اشتهوا من عَصير القطا ... ف والعيش رخوا على غيرهم
فَسرنَا إليهم بأثقـــالنا ... على كل فحل هِجان قَطِمْ (٦)
جَنبنا بهن جِياد الخيـــو ... لِ قد جللوها جلال الأدمْ (٧)
فَلما أناخُوا بجنبى صِرار ... وشدوا السروجَ بلى الحزمْ
فَما راعهم غير معج الخيول ... والزحف من خلفهم قد دهِمْ (٨)
فَطاروا سراعا وقد أفزعوا ... وجئنا إليهم كأسد الأجمْ
عَلى كل سلهبة فى الصيا ... نِ لا يشتكين نحول السأمْ (٩)
وكَل كَميتِ مطار الفؤادِ ... أمين الفصوص كمثل الزلم (١٠)

---

(١) الأيسار : من يدخلون فى الميسر · المسن : الكبير · السنم : عظيم السنام ·
(٢) حل القسم : يراد بها المدة القصيرة · (٣) أنبوا : أنبئوا ·
(٤) دجن : اختفت فى البيوت ·
(٥) النواضح : الإبل التى يسقى عليها الماء · عل : كلمة نزجر بها الإبل ·
(٦) الهجان: الأبيض · قطم : المشتهى الضراب ·
(٧) جنبنا : قدنا إلى جنبنا · جللوها : غطوها · الأدم : الجلد ·
(٨) معج : مسرعة · (٩) السلهبة : الفرس السريعة ·
(١٠) مطار : ذكى · أمين الفصوص : ما قوي من العظام · الزلم : القدح ·

عَلَيها فوارسُ قـــد عودوا ... قراع الكمان وضرب البهمْ (١)
مُلُوكٌ إذَا غَشموا فى البلاد ... لا يَنكلون ولكـــن قَدَمْ (٢)
فأبنا بساداتِهم والنســاء ... وأولادهم فيهم تقتســـم
وَرِثنا مساكِنهم بعــــدهم ... وكُنَّا ملوكا بــــها لم نرم
فَلمَا أتانا الرسول الرشيــ ... ــد بالحق والنور بعد الظُّلمْ
قلنا صدقتَ رسولَ المليــك ... هلم إلينا وفيــــنا أقمْ
فَنشهد أنَكَ عبـــد الإلــ ... ــهِ أرسلت نورًا بدين قِيمْ
فإنَا وأولادنـــــا جُنَّةٌ ... نَقيك وفى مالنا فاحتـــكمْ
فَنحنُ أولئـــك إنَ كُذبوكَ ... فنادِ نداءً ولا تحتشـــم
وناد بمـــا كُنت أخفيتهُ ... نداءً جهارًا ولا تكتـــتمْ
فصارَ الغــــواة بأسيافهم ... إليه يظنون أن يختــــرم (٣)
فقمنا إليــــهم بأسيافنا ... نُجالد عـــــنه بغاة الأممْ
بكل صقيــــل له ميعة ... رقيق الذباب عضوض خذمْ (٤)
إذا ما يصادف صـــم العظا ... مِ لم ينب عنها ولم ينثلمْ
فذلك ما ورثتنــــا القرو ... م مجدًا تليدًا وعزا أشمْ (٥)
إذا مر نســــل كَفى نَسله ... وغادر نسلا إذا ما انفصم (٦)
فما إنْ من النـــاس إلا لنا ... عليه وإن خَاس فضل النعمْ (٧)

(١) البهم : الأبطال الشجعان .

(٢) غَشموا : اشتد ظلمهم ، لا ينكلون : لا يرجعون هائبين .

(٣) يخترم : يهلك .

(٤) له ميعة أى مصقول يشبه المائعات فى بريقه وصفائه . الذباب : حد السيف ، خذم : قاطع .

(٥) القروم : السادة . التليد : القديم . الأشم : العالى .

(٦) انفصم : انقرض . (٧) خاس : غدر .

ذِكرُ سَنة تسع وتَسميتها سنة الوفود ونزول سورة الفتح [١]

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه [٢] .

• انقياد العرب وإسلامهم :

قال ابن إسحاق : إنما كانت العرب تربص بالإسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر رسول الله ﷺ ، وذلك أن قريشًا كانوا إمام [٣] الناس وهاديهم ، وأهل البيت الحرام ، وصَريح ولد إسـماعيل بن إبراهيم عليهما السـلام ، وقادة العرب لا ينكرون ذلك ، وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه ، فلما افتتحت مكة ، ودانت [٤] له قريش ، ودخلها الإسلام وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته ، فدخلوا فى دين الله ، كما قال عز وجل : أفواجًا يضربون [٥] إليه من كل وجه ، ويقول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجًا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا** ﴾ [٦] .

* * *

---

(١) يقصد هنا سورة النصر .

(٢) قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيد أن ذلك كان فى سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

(٣) أى القدوة .

(٤) أى خضعت له واعترفت به .

(٥) أى يأتون إليه ، يضربون إليه أكباد الإبل : أى يأتون إليه من كل مكان محمولون على الإبل .

(٦) سورة النصر بأكملها وهى مدنية ، وتسمى سورة « التوديع » وهى ثلاث آيات ، وهى آخر سورة نزلت جميعًا - أى كاملة - انظر تفسير القرطبى ١٠ / ٧٥٧٤ ط . دار الغد العربى .

قُدُوم وفَدِ بَنى تَميم ونزول سورة الحجرات

● رجال الوفد

فقدمت على رسول الله ﷺ وفود العرب ، فقدم عليه عطارد بن حاجب (١) ابن زرارة بن عدس التميمى ، فى أشراف بنى تميم ، منهم الأقرع بن حابس التميمى والزبرقان بن بدر التميمى ، أحد بنى سعد ، وعمرو بن الأهتم والحبحاب بن يزيد .

قال ابن إسحاق : وفى وفد بنى تميم نُعيم بن يزيد ، وقيس بن الحارث ، وقيس بن عاصم : أخو بنى سعد ، فى وفد عظيم من بنى تميم .

قال ابن إسحاق : ومعهم عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، وقد كان الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحُنينا والطائف .

أصحاب الحجرات : فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم ، فلما دخل وفد بنى تميم المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حجراته : أن اخرج إلينا يا محمد ، فآذى ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك نفاخرك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا . قال : قد أذنت لخطيبكم فليقل .

كلمة عُطَارِد : فقام عطارد بن حاجب ، فقال :

الحمد لله الذى له علينا الفضل والمنّ ، وهو أهله ، الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا ، وأيسره عدة ، فمن مثلنا فى الناس وأولى فضلهم؟! فمن فاخر فليعدد مثل ما عددنا ، ولو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نُعرف بذلك .

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ، ثم جلس .

ثابت بن قيس يرد على عطارد :

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشماس ، أخى بنى الحارث ابن الخزرج : قم ، فأجب الرجل فى خطبته : فقام ثابت ، فقال :

---

(١) هو أحد بنى دارم بن مالك وكذلك الأقرع بن حابس .

الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شىء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا ، واصطفى من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسبا ، وأصدقه حديثا ، وأفضله حسبا ، وأنزل عليه كتابه وأئتمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العاملين ، ثم دَعا الناس إلى الإيمان به ، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرم الناس حسباً ، وأحسن الناس وجوهاً وخير الناس فعالاً ، ثم كان أول الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله . فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه . ومن كفر جاهدناه فى الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيرا . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

● شعر الزبرقان فى الفخر بقومه :

فقام الزبرقان بن بدر فقال :

نحنُ الكرامُ فَلا حَـــى يُعادِلنا ... منَّا الملوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ (١)

وكم قَسرنا من الأحيـــاء كُلهم ... عند النِّهاب وفضـــل العز يتبعُ

ونحن نُطعِم عند القحطِ مَطعمنا ... من الشواء إذا لم يؤنَس القزعُ (٢)

بِما ترى النَّاس تَأتينا سُراتهم ... مِن كل أرض هويًّا ثم نصطنعُ (٣)

فَننحر الكُومَ عِبطًا فــى أَرُومَتنا ... لِلنازلينَ إذا ما أُنزلوا شَبِعُوا (٤)

فَلا تَرانا إلى حـــىٌّ نُفاخرهُمْ ... إلا استفادوا فكانوا الرأس يقتطعُ

فَمن يُفاخرنَا فى ذاك نعـــرِفهُ ... فَيرجعُ القوم والأخبار تُستَمعُ

إِنا أَبينا ولاَ يأبَى لَنا أَحــدٌ ... إِنَّا كذلك عِنْد الفخرِ نَرتفعُ

---

(١) البيع : أماكن العبادة والصلاة .

(٢) القزع : السحاب الرقيق ليس فيه مطر

(٣) هويا : سراعًا .

(٤) الكوم : النوق عظام الأسنمة ، عبطا : بلا سبب ، الأرومة : الكرم ، وتأتى أيضًا بمعنى الأصل .

● **حسان يرد على الزبرقان :**

قال ابن إسحاق : وكان حسان غائبًا ، فبعث إليه رسول الله ﷺ ، قال حسان : جاءنى رسوله ، فأخبرنى أنه إنما دعانى لأجيب شاعر بنى تميم ، فخرجت إلى رسول الله ﷺ وأنا أقول :

مَنعنا رسولَ الله إذ حَلَّ وسـطنا ... على أنْف راض من معـد وراغم
مَنعناه لَمَّا حَـلَ بين بيـوتنا ... بأسيافنـا من كل بَاغٍ وَظَالم
ببيت حـريد عزه وثـراؤه ... بجابية الجولان وسَـط الأعاجم (١)
هل المجد إلا السوددُ العود والنـدى ... وجاه الملوك واحتمـال العظائم (٢)

قال : فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ ، وقام شاعر القوم ، فقال ما قال ، عَرضت فى قوله ، وقلت على نحو ما قال . قال : فلما فرغ الزبرقان ، قال رسـول الله ، لحسان بن ثابت : قم يا حسان ، فأجب الرجل فيما قال : فقام حسان ، فقال :

إنَّ الذوائبَ منْ فهـر وإخوتهم ... قَد بيَّنوا سُنَّة للناس تُتَّبَعُ (٣)
يَرضَى بهم كُلُّ من كَانت سَريرتهُ ... تَقوى الإله وكل الخير يصطَنعُ
قَومٌ إذَا حاربوا ضَرُّوا عَدوهم ... أوَ حاولوا النفعَ فى أشياعهم نَفعُوا
سَجيةٌ تلك منهـم غَير مُحدثة ... إنَّ الخلائق فاعلم شَرها البدَعُ (٤)
إنْ كَانَ فى النَاسِ سبَّاقون بعدهم ... فكُل سَبَق لأدنـى سَبْقهم تَبعُ
لاَ يرقع الناسُ ما أوهـت أكفهم ... عِنْدَ الدفاع ولا يوهون ما رقعُوا (٥)
إن سابقوا الناس يوما فاز سبقهم ... أو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا (٦)
أعفة ذُكرت فى الوحـى عفتهم ... لا يَطبعون ولا يـرد بهم طَمعُ (٧)
لا يبخلونَ علـى جارٍ بفَضْلهم ... ولا يمسهم مـن مَطمع طَبعُ (٨)

---

(١) الحريد : الفريد فى العز . الجولان : بلد بسوريا ، والمراد أن عزهم قديم متصل بحضارة الغساسنة فى الشام .

(٢) السودد : المجد ، والعود : المتكرر .

(٣) الذوائب : السادة الأشراف .

(٤) السجية : الطبيعة .

(٥) أوهت : هدمت .

(٦) متعوا : زادوا وارتفعوا .

(٧) لا يطبعون : لا يتدنسون .

(٨) طبع : دنس .

إذا نَصبنا لحىٍّ لم نَدب لهـــم كما يدب إلى الوحشية الذَّرعُ (١)
نَسمُو، إذا الحـــرب نالتنا مَخالبها إذا الزعانف مـن أظفارها خَشعُوا (٢)
لاَ يفْخرونَ إذا نَالــــوا عَدوَّهم وإن أُصيبــوا فَلاَ خَور ولا هَلعُ (٣)
كَأنهم فى الوَغى والمــوت مُكْتَنعٌ أسد بحلية فى أرســاغها فَدعُ (٤)
خُذ منهم ما أتى عفوًا إذَا غَضبــوا ولاَ يكن همــك الأمر الذى منَعُوا
فَإنَّ فى حــربهم - فاترك عَداوتهم شرا يخاض عــليه السُّمُّ والسلعُ (٥)
أكْرم بقومٍ رَسولُ اللهِ شيعتهـــم إذا تفاوتـــت الأهواءُ والشِّيعُ
أُهدى لهم مدحـــتى قلب يؤازره فيما أحب لســان حائك صَنَعُ
فَإنهم أفضلُ الأحـــياء كلهم إن جد بالناس جَد القول أو شَمعُوا (٦)

شعر آخر لحسان فى الرد على الزبرقان : وقال حسان بن ثابت أيضا :

هَلِ المجدُ إلا السوددُ العود والندى وجاه الملوك واحتمـــال العظائمِ
نَصَرنا وآوينا النبى محـــمدًا على أنف راض من معـــد وراَغمِ
بحى حَريد أصـــله وثراؤه بجابية الجولان وســط الأعاجمِ
نَصرناه لما حل وســـط ديارنا بأسيافنا من كـــل باغٍ وظالمِ
جَعلنا بَنينا دونهُ وبنـــاتنا وطبنا لــه نفسًا بفَىء المغانمِ
ونحنُ ضَربنا الناس حتـــى تتَابعوا على دِينه بالمرهَفَاتِ الصـــوارمِ

(١) نصبنا : أظهرنا العداوة ، الذرع : ولد بقرة الوحش .
(٢) نسمو : ننهض ، الزعانف : يريد بها أطراف الناس ، خشعوا : تذللوا .
(٣) الخور : الضعف .
(٤) مكتنع : قريب ، حلية : مكان باليمن تكثر فيه الأسود ، الأرساغ : جمع رسغ وهو ما بين الساق والقدم ، فدع : اعوجاج .
(٥) السلع : نبات سام .
(٦) شمعوا : هزلوا .

ونحنُ وَلَدنا مـن قريش عَظيمها ... ولدنا نبى الخير من آل هاشمِ [(١)]
بنى دارم لا تفخروا إنَّ فخركم ... يعودُ وبالا عـند ذكر المكارمِ
هبلتم علينا تفخـرون وأنتم ... لنا خَوَل ما بـين ظئر وخادمِ [(٢)]
فإن كنتم جئـتم لحقنِ دمائكم ... وأموالكم أن تقسموا فى المقاسمِ
فَلا تجعلـوا لله ندًّا وأسلموا ... ولا تلبسـوا زيًّا كَزِىِّ الأعاجمِ

إسلام الوفد : قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبى ، إن هذا الرجـل لمُؤتى له [(٣)] ، ولخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا ، فلما فرغ القوم أسلموا · وجوزهم [(٤)] رسول الله ﷺ ، فأحسن جوائزهم ·

شعر ابن الأهتم فى هجاء قيس : وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم فى ظهرهم [(٥)] ، وكان أصغرهم سنا · فقال قيس بن عاصم ، وكان يبغض عمرو بن الأهتم : يا رسول الله ، إنه قد كان رجل منا فى رحالنا ، وهو غلام حدث ، وأزرى به فأعطاه رسول الله ﷺ مثلما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيسًا قال ذلك يهجوه :

ظَلَلْتُ مفترشَ الهَلباء تشتـمُنِى ... عندَ الرسولِ فلم تصدق ولم تصبِ [(٦)]
سدناكم سؤددا رَهوًا وسـؤددكم ... باد نواجذه مقـع علىَ الذَّنَبِ [(٧)]

قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون** ﴾ [(٨)] .

* * *

(١) ذلك أن أم عبد المطلب من أهل يثرب ·
(٢) هبلتم : ثكلتم · الخول : العبيد والخدم ، الظئر : المرضعة غير ولدها ·
(٣) مؤتى له : أى موفق · (٤) أى أعطاهم جائزة ومكافئة ·
(٥) ظهرهم : إبلهم ·
(٦) الهلباء : ما غلظ من الشعر وصلب ·
(٧) رهوًا : متسعًا ،النواجذ : الأسنان ، مقع : جالس ·
(٨) الحجرات : الآية ٤ ·

قصّةُ عَامرِ بن الطُّفيل وأَرْبَد بن قَيْسٍ في الوفادة عن بني عَامر

• رؤساء الوفد :

وقدم على رسول الله ﷺ وفد بنى عامر ، فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر ، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم .

• عامر يدبِّر الغدر بالرسول ﷺ :

فقدم عامر بن الطفيل عدو الله ، على رسول الله ﷺ ، وهو يريد الغدر به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم ، قال : والله لقد كنت آليت أن لا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى ، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش ، ثم قال لأربد : إذا قدمنا على الرجل ، فأنى سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعله [١] بالسيف ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ ، قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالنى [٢] ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده . قال : يا محمد خالنى - وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به - فجعل أربد لا يحير شيئًا ، قال : فلما رأى عامر ما يصنع أربد ، قال : يا محمد خالنى ، قال : لا ، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له ، فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال : أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا ، فلما ولى قال رسول الله ﷺ ، اللهم اكفنى عامر ابن الطفيل . فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ ، قال عامر لأربد : ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك . وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبدًا . قال : لا أبالك ، لا تعجل علىَّ ، والله ما هممت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخلت بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف [٣] ؟

---

(١) أى اقتله به . (٢) أى اتخذنى خليلاً وصاحبًا .

(٣) وهذه من معجزات الله إذ أخفى نبيه عن وجه هذا الكافر ليرد كيده فى نحره .

موت عامر بدعاء الرسول عليه : وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه ، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سلول ، فجعل يقول: يا بنى عامر ، أغدة كغدة البكر (١) فى بيت امرأة من بنى سلول ؟!

موت أربَدَ بصاعقة : قال ابن إسحاق : ثم خرج أصحابه حين واروه ، حين قدموا أرض بنى عامر شاتين ، فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لا شىء . والله ، لقد دعانا إلى عبادة شىء لوددت أنه عندى الآن ، فأرميه بالنبل حتى أقتله ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة ، فأحرقتهما ، وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه (٢) .

شعر لبيد فى بكاء أربد : قال ابن إسحاق : فقال لبيد يبكى أربد :

مَا إنْ تعدّى المنــونَ من أحد ... لاَ وَالد مشفــق وَلا وَلد
أَخشى على أَربَد الحتـوفَ وَلا ... أَرْهَب نوْء السـماك والأسد
فَعين هلاَّ بكيـــت أربدَ إذْ ... قمنا وقامَ النســاءُ فى كبدِ (٣)
إن يَشْغَبوا لا يُبال شغبهــم ... أو يقصدوا فى الحكوم يقتصد
حُلو أريب (٤) وفــى حَلاوته ... مر لطيف الأحشــاء والكبد
وعَينِ هلاَّ بكيــتِ أربد إذ ... ألوت رياح الشتــاء بالعضد
وأصبحتْ لاقــحا مصرمة ... حين تجــلت غوابر المدد (٥)

(١) الغدة مرض يصيب الإبل تموت منه ، البكر : الفتى من الإبل .

(٢) قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس ! قال : وأنزل الله عز جل فى عامر وأربد : ﴿ **الله يعلم ما تحمــل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد** ﴾ . إلى قوله : ﴿ **وما لهم من دونه من وال** ﴾ .

قال : المعقبات : هى من أمر الله يحفظون محمــداً ، ثم ذكر أربد وما قتله الله به ، فقال : ﴿ **ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء** ﴾ إلى قوله : ﴿ **شديد المحال** ﴾ .

(٣) الكبد : المشقة والحزن . (٤) الأريب : الداهى الفطن .

(٥) مصرمة : لا لبن فيها . الغوابر : البقايا .

أشجع من ليث غـــابة لحم ... ذو نهمة فى العلا ومنتقد (١)
لاَ تبلُغُ العينُ كـــل نهمتهَا ... ليلة تمسى الجـــياد كالقدد (٢)
البَاعثُ النـــوح فى مآتمه ... مثل الظباء الأبكار بالجرد (٣)
فَجَعَنى البَرق والصَّواعق بالـ ... فارسِ يَـــوم الكَريهة النجد
والحَارِبُ الجَابِرُ الحَـــريب إذا ... جاء نكيبا وإن يعـــد يعد (٤)
يَعفُو على الجَهْدِ والسؤال كما ... ينبت غيث الربيع ذو الرصد (٥)
كُل بنى حرة مصيـــــرهم ... قل وإن أكثـــرت من العدد
إن يُغبطوا يَهبطوا وإن أمروا ... يومًا فهم للهـــلاك والنفد

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضًا يبكى أربد :

ألا ذهبَ المُحَافِظُ والمُحَامى ... ومَانِع ضَيْمِها يوم الخصـــامِ
وأيقنتُ التفرقَ يَوم قَالوا ... تقسم مَال أربَد بالســـهامِ
تطيرُ عَدائد الأشـــراك شفعًا ... ووترًا والزعامة للغلام (٦)
فَودع بالسَّـــلام أبَا حُريز ... وقُل وَدَاعُ أَرْبَـــد بالسَّلام
وكُنتَ إمامنـــا ولنا نظَامًا ... وكَان الجزع يحفظ بالنظام (٧)
وأَرْبدُ فَارِس الهَيْجَا إذَا مَا ... تَقَعَّرت المشـــاجر بالفئام (٨)
إذَا بكَر النِّســـاء مُرْدِفات ... حَواسِر لايُجئـــن على الخدام (٩)

(١) لحم : كثيرًا من أكل اللحم . منتقد : بصير بالأمور .
(٢) القدد : السيور تصنع من الجلد .
(٣) النوح : جماعة النساء النائحة . الجرد : الأراضى القاحلة .
(٤) الحريب : السالب . والنكيب : المصاب .
(٥) يعفو : يعطى . الرصد : الكلأ القليل .
(٦) العدائد : الأنصباء . الأشراك : الشركاء . (٧) الجزع : الخرز اليمانى .
(٨) المشاجر : نوع من الهوادج . الفئام : ما يفرش فى الهودج .
(٩) يجئن : يعطين . الخدام مفردها خدمة : الساق .

فَواءَلَ يَوم ذَلك مـــن أتاهُ كَما وأل المحل إلى الحرامِ (١)
وَيحمد قَدر أَرْبَد مــن عراها إذا ما ذُم أرباب اللحـــامِ
وَجارته إذا حَلَّتْ لَديــــه لَها نَفل وحظ من سنـــامِ
فإن تَقْعُدَ فمكرمة حصـــان وإن تظعن فمحسنة الكلامِ
وَهَلْ حُدِّثْتَ عن أخـوين دامَا على الأيام إلا ابنى شمامِ (٢)
وإلا الفَرقـــدين وآل نعش خوالد ما تحدث بانهدامِ (٣)

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضًا يبكى أربد :

انْعَ الكَريم للكـــريم أَرْبدَا انْعَ الرئيـــس واللَّطيفَ كَبدَا
يَحذى ويُعْطِى مَاله لِيحمَدا أدْما يشبـــهن صُوارا أبَّدا (٤)
السَّابل الفَضـــل إذَا ما عُددا وَيملأ الجِفْنَة ملـــئا مَددَا (٥)
رِفها إذا يأتى ضَريك ورَدا مثَل الذى فى الغيل يقرو جمدا (٦)
يَزداد قربا منـــهم أن يُوعدا أورثتنا تراث غـــير أنكدا
غبا ومالا طـــارفا وولدا شرخًا صقورًا يافعًا وأمردا (٧)

وقال لبيد أيضًا :

لَنْ تُفْنِيَا خَيـــرات أَرْبَد فَأبْكِيَا حَتـــــــى يَعودَا

---

(١) وأل : ألجأ . (٢) ابنا شمام : جبلان .

(٣) الفرقدان : نجمان نيران . وآل نعش يقصد بنات نعش الكبرى والصغرى : مجموعات من النجوم .

(٤) يحذى : يعطى . الأدم : الإبل البيض . الصور : القطيع من بقر الوحش . أبدا : نافرة .

(٥) الجفنة : وعاء يصنع من خشب الأبنوس .

(٦) رفها : متكررا الضريك : الفقير . الغيل : أكمة الأسد . يقرو : يتتبع . جمد : اسم جبل .

(٧) الشرخ : أول الشباب ونضارته ، اليافع الغلام البالغ .

قُولاَ هَو البَطَلُ المُحَـــــامِى حينَ يَكْســـونَ الحديدَا
وَيصُدُ عنَا الظالمِيــــــــنَ إذَا لَقِينَا القـــومَ صَيدا (١)
فَاعتَاقه رَبُّ البَريَّـــــــــةِ إذَا رَأى أن لا خُلودَا (٢)
فَثَــــوى ولَمْ يُوجَع ولَم يُوصَب وكان هـــــو الفقيدَا

وقال لبيد أيضا :

يَذكرنى بأربـــــدَ كلَ خِصْمٍ أَلد تختالُ خطتـــه ضرارًا (٣)
إذا اقتصدوا فمقتـــصد كريم وإن جاروا ســـواء الحق جَارا
ويهدى القوم مطلـــعا إذا ما دليل القـــوم بالموماة حَارا (٤)

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضًا :

أَصْبَحتُ أَمشى بَعد سَلْمى بن مَالكٍ وَبعد أَبى قَيْسٍ وعُرْوة كالأجَبُ (٥)
إذَا مَا رأى ظِل الغُرَاب أضَجـــه حذارًا على باقى السناسن والعصب (٦)

* * *

---

(١) الصيد : المتكبرون .
(٢) اعتاقه : أعاقه عن أن يبلغ غايته .
(٣) ألد : قوى الخصومة .
(٤) الموماة : الصحراء .
(٥) الأجب : مقطوع السنام من البعير .
(٦) أضجه : صاح عليه . السناسن فقار الظهر .

قدوم ضمام بن ثعلبة وافدًا عن بنى سعد بن بكر

قال ابن إسحاق : وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم ، يقال له ضمام بن ثعلبة ·

إسلامه : قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن الوليد بن نويفع عن كريب ، مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس ، قال : بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدًا إلى رسول الله ﷺ ، فقدم عليه ، وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فى أصحابه ، وكان ضمام رجلا جلداً أشعر ذا غديرتين (١) ، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ فى أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : أنا ابن عبد المطلب · قال : أمحمد ؟ قال : نعم ، قال : يا بن عبد المطلب ، إنى سائلك ومغلظ عليك فى المسئلة ، فلا تجدن فى نفسك، قال : لا أجد فى نفسى ، فسل عما بدا لك ، قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللهم نعم ، قال فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نشرك به شيئا · وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن نصلى هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم ، قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة : الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها ، ينشده عند كل فريضة منها ، كما ينشده فى التى قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ، وسأؤدى هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتنى عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص · ثم انصرف إلى بعيره راجعا · قال : فقال رسول الله ﷺ : إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة ·

دعوة قومه للإسلام : قال : فأتى بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه · فكان أول ما تكلم به أن قال : بئست اللات والعــزى !

(١) غديرتين : ذؤابتين من شعر ·

قالوا : مه يا ضمام اتق البرص ، اتق الجنون ! قال : ويلكم ! إنهما والله لا يضران ، ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده . لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسولِه ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ، وما نهاكم عنه . قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم فى حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلما .

قال : يقول عبد الله بن عباس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة .

• ما حدث بين الرسول وبين مسيلمة الكذاب :

قال ابن إسحاق : فكان منزلهم فى دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ، ثم من بنى النجار فحدثنى بعض علمائنا من المدينة : أن بنى حنيفة أتت به رسول الله ﷺ تستره بالثياب ، ورسول الله ﷺ جالس فى أصحابه ، معه عسيب من سعف النخل ، فى رأسه خوصات ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، وهم يسترونه بالثياب ، كلمه وسأله ، فقال له رسول الله ﷺ : لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى شيخ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا ، زعم أن وفد بنى حنيفة أتوا رسول الله ﷺ ، وخلفوا مسيلمة فى رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحبًا لنا فى رحالنا وفى ركابنا يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم ، وقال : أما إنه ليس بشركم مكانا ، أى لحفظه ضيعة أصحابه ، وذلك الذى يريد رسول الله ﷺ .

تنبؤ مُسيلمة : قال : ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ ، وجاءوه بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم ، وقال : إنى قد أُشركت فى الأمر معه . وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتمونى : أما إنه ليس بشركم مكانا ، ماذاك إلا لما كان يعلم أنى قد أشركت فى الأمر معه ، ثم جعل يسجع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة [1] للقرآن : « لقد أنعم الله على

(١) مضاهاة : مشابهة .

الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق (١) وحشى » . وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبى ، فأصفقت (٢) معه حنيفة على ذلك ، فالله أعلم أى ذلك كان .

* * *

قُدوم (٣) زيد الخيل فى وفد طَيىء

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيىء ، فيهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلموه ، وعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام فأسلموا ، فحسن إسلامهم ،وقال رسول الله ﷺ ، كما حدثنى من لا أتهم من رجال طيىء ما ذكر لى رجل من العرب بفضل ، ثم جاءنى ، إلا رأيته دون ما يقال فيه ، إلا زيد الخيل ، فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه ، ثم سمَّاه رسول الله ﷺ زيد الخير وقطع له فيدًا وأرضين معه ، وكتب له بذلك ، فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعًا إلى قومه فقال رسول الله ﷺ : إن ينج زيد من حـمى المدينة فإنه قال : قد سماها رسول الله ﷺ باسم غير الحمى ، وغير أم ملدم (٤) فلم يثبته . فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه ، يقال له فردة ، أصابته الحمى بها فمات ، ولما أحس زيد بالموت قال :

أمُرْ تَحل قَوْمِـى المشَارقَ غدوةً ... وأتركُ فى بَيْـــتِ بفَردةَ منجَد

ألا رُبَّ يَوم لو مَرِضـتُ لعَادنى ... عَوائد من لم يَبر منْهن بجهد (٥)

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه ، التى قطع له رسول الله ﷺ فحرقتها بالنار .

* * *

---

(١) الصفاق ما رقَّ من البطن .

(٢) أصفقت : اجتمعت .

(٣) قدوم : أى قدومه يعلن إسلامه .

(٤) والاسم الذى ذهب عنه الراوى من أسماء الحمى ، هو أم كلبة .

(٥) يبرى : يجهد .

قُدُومُ عَدِى بن حَاتم

• هروبه إلى الشام فرارًا من الرسول ﷺ :

وأما عدى بن حاتم فكان يقول ، فيما بلغنى : ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به منى ، أما أنا فكنت امرءًا شريفًا وكنت نصرانيًّا ، وكنت أسير فى قومى بالمرباع [١] فكنت فى نفسى على دين وكنت ملكًا فى قومى ، لما كان يصنع بى فلما سمعت رسول الله ﷺ كرهته ، فقلت لغلام كان لى عربى ، راعيًا لإبلى : لا أبالك ، أعدد لى من إبلى أجمالاً ذللاً [٢] سمانًا ، فاحتبسها قريبًا منى ، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذنى ، ففعل ، ثم إنه أتانى ذات غداة ، فقال : يا عدى ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد ، فاصنعه الآن، فإنى قد رأيت رايات، فسألت عنها ، فقالوا هذه جيوش محمد . قال : فقلت : فقرب إلىَّ أجمالى ، فقربها ، فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت : ألحق بأهل دينى من النصارى بالشام ، فسلكت الجوشية ، وخلفت بنتا [٣] لحاتم فى الحاضر . فلما قدمت الشام أقمت بها .

أسر الرسول ابنة حاتم : وتخالفنى خيل لرسـول الله ﷺ ، فتصيب ابنة حاتم ، فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله ﷺ فى سبايا من طيىء وقد بلغ رسول الله ﷺ هربى إلى الشام . قال : فجعلت بنت حاتم فى حظيرة بباب المسجد ، كانت السبايا يحبسن فيها ، فمر بها رسول الله ﷺ ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جزلة ، فقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد فامنن علىَّ منَّ الله عليك . قال : ومن وافدك ؟ قالت : عدى بن حاتم . قال الفارُّ من الله

---

(١) أى آخذ ربع الغنيمة ، وكانت هذه عادة الرؤساء فى الجاهلية لمكانتهم فى قومهم .

(٢) الذلل : السهلة .

(٣) يقول السهيلى : اسمها سفانة ، لأنى وجدت فى خبر عن امرأة حاتم تذكر فيه من سخائه قالت : فأخذ حاتم عديا يعلله من الجوع ، وأخذت أنا سفانة ، ولا يعرف لعدي ولد ، انقرض عقبه ، ولحاتم عقب من قبل عبد الله بن حاتم ، ذكره القتبى ، ولا يعرف له بنت إلا سفانة ، فهى إذا هذه المذكورة فى السيرة . والله أعلم .

ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني، حتى إذا كان من الغد مر بى . فقلت له مثل ذلك ، وقال لى مثل ما قال بالأمس . قالت : حتى إذا كان بعد الغد مر بى وقد يئست منه ، فأشار إلىَّ رجل من خلفه أن قومى فكلميه ، قالت : فقمت إليه فقلت : يا رسول الله هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن علىَّ منَّ الله عليك ، فقال ﷺ : قد فعلت ، فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة ، حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنينى [١] . فسألت عن الرجل الذى أشار إلىَّ أن أكلمه ، فقيل : على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأقمت حتى قدم ركب من بلى أو قُضاعة ، قالت : وإنما أريد أن آتى أخى بالشام . قالت : فجئت رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، قد قدم رهط من قومى ، لى فيهم ثقة وبلاغ . قالت : فكسانى رسول الله ﷺ ، وحملنى ، وأعطانى نفقة [٢] ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام .

قال عدى : فوالله إن لقاعد فى أهلى ، إذ نظرت إلى ظعينة [٣] تصوب إلىَّ تؤمنا ، قال : فقلت ابنة حاتم ، قال : فإذا هى هى ، فلما وقفت علىَّ انسحلتْ [٤] تقول : القاطع الظالم ، احتملت بأهلك وولدك ، وتركت بقية والدك عورتك ، قال : قلت أى أُخية لا تقولى إلا خيراً ، فوالله ما لى من عذر ، لقد صنعت ما ذكرت ، قال : ثم نزلت فأقامت عندى ، فقلت لها . وكانت امرأة حازمة - ماذا ترين فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعًا ، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكًا فلن تُذل فى عز اليمن ، وأنت أنت [٥] قال : قلت : والله إن هذا الرأى .

---

(١) يا لها من أخلاق فاضلة وشهامة ومروءة من النبى ﷺ حتى مع غير المسلمين ، امرأة غير مسلمة بعد ما أطلق سراحها يخاف عليها أن تسافر لأخيها ، إلا بعد أن يطمئن عليها أنها فى مأمن وذلك أنه طلب منها أن تنتظر رفقة من قومها ثقة لتسافر معهم ويطمئن الرسول بنفسه على ذلك !! .

(٢) وهذا من عظيم كرم النبى ﷺ أن أحسن إليها وأعطاها كساء ، ونفقة تكفيها حتى تصل لأخيها ، فيا ليتنا نتأسى بأخلاق الرسول ﷺ .

(٣) الظعينة : المرأة فى الهودج .   (٤) انسحلت : أخذت تلوم .

(٥) انظر إلى تفكير المرأة ومدى إعمال العقل وحسن نظرها ، على عكس نساء كثيرات اليوم يستخدمن عقولهن فى أمور تافهة لا تنفع .

• إسلام عدى :

قال : فخرجت حتى أَقدمُ على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلت عليه ، وهو فى مسجده ، فسلمتُ عليه ، فقال : من الرجل فقلت : عدى بن حاتم ، فقام رسول لله ﷺ ، فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامد بى إليه [١] ، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً تكلمه فى حاجتها ، قال : قلت فى نفسى والله ما هذا بملك [٢] ، قال : ثم مضـــى رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بى بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفًا ، فقذفها إلىَّ ، فقال : اجلس على هذه ، قال قلت : بل أنت فاجلس عليها · فقال : بل أنت ، فجلست عليها ، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض ، قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه يا عدى بن حاتم ! ألم تك ركوسيا ؟ قال : قلت : بلى ، قال : أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع قال: قلت:بلى ، قال : فإن ذلك لم يكن يحل لك فى دينك ، قال : قلت : أجل والله ، وقال [٣] : وعرفت أنه نبى مرسل ، يعلم ما يُجهل ، ثم قال : لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم [٤] ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت [٥] ، لا تخاف ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم [٦] ، قال : فأسلمت ·

---

(١) أى إلى بيته ·

(٢) لما رآه من تواضع الرسول ﷺ الشديد للمرأة وسماعه لها وحل مشكلتها ·

(٣) أى عدى بن حاتم ·

(٤) أى فقر المسلمين وقلة عددهم ·

(٥) أى الكعبة المشرفة ·

(٦) وكل ما قاله الرسول ﷺ وتنبأ به هو من أعلام النبوة وقد حدث بالفعل أثناء الفتوحات الإسلامية ·

وكان عدى يقول : قد مضت اثنتان [١] وبقيت الثالثة ، ووالله لتكونن[٢] ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت وايم الله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه [٣] .

* * *

قُدُوم فَروةَ بن مُسَيْك المُرادى

قال ابن إسحاق : وقدم فروة بن مسيك المرادى على رسول الله ﷺ مفارقًا لملوك كِندة ، ومباعدًا لهم إلى رسول الله ﷺ .

● يوم الردم :

وقد كان قُبيل الإسلام بين مراد وهمدان وقعة ، أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا ، حتى أثخنوهم فى يوم كان يقال له : يوم الردم ، فكان الذى قاد همدان إلى مراد : الأجدع بن مالك فى ذلك اليوم .

قال ابن إسحاق : وفى ذلك اليوم يقول فروة بن مُسيك :

مَرَرْنا على لُفَاة وهنَّ خُوص ... يُنَازِعنْ الأعِنَّة ينتحينَا [٤]
فَإن نَغلب فغلاَّبون قدما ... وإن نُغلب فغير مغلبينا [٥]
وَما إن طبنا جبن ولَكن ... مَنايانا وطُعمة آخرينَا [٦]
كَذاك الدهرُ دولته سِجال ... تكر صُروفه حينا فَحينا
فَبينا ما نسر به ونرضى ... ولو لبست غضارته سنينا

---

(١) أى مما أخبر وتنبأ به الرسول ﷺ .
(٢) وهذا دليل يقينه وتأكده من وعد الرسول بما سيحدث لأنه وحى ووعد من الله .
(٣) حدث هذا فى عهد الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز .
(٤) لفاة : موضع . خوص : غائرات العيون .
(٥) معنى البيت : إن نغلب الناس فهذا من طبيعتنا وما تعودنا عليه منذ القدم . أما وقد انهزمنا مرة فلن تتكرر .
(٦) طبنا : شأننا وعادتنا .

إذْ انقلبتْ بِه كَرَّاتُ دَهْرٍ   فَألفيت الأُلى غبطوا طَحينا
فَمن يَغْبط بِريب الدهْرِ منهم   يَجد رَيْب الزمـــان له خَئونَا
فَلو خَلد الملوكُ إذنَ خَلَدنا   ولو بَقِى الكِرَام إذن بقينا
فَأفنى ذَلكم سَروات قَومى   كما أفنَى القرون الأَولينَا

قال ابن إسحاق : ولما توجه فروة بن مُسيك إلى رسول الله ﷺ مفارقا لملوك كندة ، قال :

لما رأيتُ ملوك كندة أعرضتْ   كالرجل خَان الرجل عِرق نَسائها (١)
قَربتُ راحلتى أَؤم محـــمدًا   أَرجو فواضلها وحُســــــن ثرائها

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسـول الله ﷺ ، قال له رسول الله ﷺ ، فيما بلغنى : يا فروة ، هل ساءك ما أصـــاب قومـــك يوم الردم ؟ قال : يا رسول الله ، من ذا يصيب قومه ما أصاب قومى يوم الردم لا يسوءه ذلك ! فقال رسول الله ﷺ له : أما إن ذلك لم يزد قومك فى الإسلام إلا خيرًا .

واستعمله النبى ﷺ على مُراد وزبيد ومذحج كلها ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله ﷺ .

* * *

قُدوم عَمْرو بْنِ مَعْد يكرِب فى أُناس من بَنى زُبيْد

وقدم على رسول الله ﷺ عمرو بن معد يكرب فى أناس من بنى زبيد فأسلم وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادى ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ يا قيس ، إنك سيد قومك ، وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ، يقول إنه نبى ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فإن كان نبيا كما يقول : فإنه لن يخفى عليك . وإذا لقيناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه ، فركب عمرو بن معد يكرب حـــتى قدم على

---

(١) النسا : عرق يمتد من الورك إلى الكعب ، مده لضرورة الشعر والأصح أنه لا يقال عرق النسا لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه على مذهب البصريين وإن جوزه الكوفيون .

رسول الله ﷺ ، فأسلم ، وصدقه وآمن به فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمرًا ، وتحطم عليه (١) ، وقال : خالفني وترك رأيي فقال عمرو بن معد يكرب في ذلك :

أمَرتُكَ يوم ذى صنـعا ... ءَ أمرًا بـادِيًا رَشَدُهْ
أمرتُكَ باتقـاءِ الله ... والمعـروف تَتَّعِده
خَرجتَ مـن المنى مثل ... الحميـرِ غَرَّه وَتَده
تَمنَّانـى على فَرسٍ ... علـيه جالسًا أَسَدُهُ
عَلى مُفاضـة كالنهـ ... ى أَخلص مَاءه جُدُدُهْ (٢)
تَرد الرمح مُنْثَنى السـ ... ـنان عَوائرا قَصَده (٣)
فَلو لاَقيتَنى للَقيـ ... ـتُ ليثًا فوقه لِبُدهْ (٤)
تَلاقى شَنَبثا شثن الـ ... ـبراثن ناشزًا كتدهْ (٥)
يُسَامى القِرن إن قرن ... تَيمَّمـه فَيعتضدهْ (٦)
فَيأخـذه فيرفعـه ... فَيخفضـه فَيقتَصدهْ (٧)
فَيـدمغه فَيَحْطمهُ ... فَيخضـمه فَيزدرده (٨)
ظَلوم الشرك فيما أحـ ... رزت أنيـابه وَيده

---

(١) تحطم عليه : اشتد عليه .

(٢) مفاضة : أى درع مفاضة وهى الواسعة ، النهى : غدير الماء ، الجدد : الأرض الصلبة .

(٣) عوائر : متطايرة ، القصد : القطع المتطاير من الرمح .

(٤) اللبد : الشعر الذى على أكتاف ورءوس الأسود ، المفرد لبدة .

(٥) الشنبث : الذى لا يزايل خصمه . الشثن : غليظ الأصابع . البرائن : مخالب الأسد . ناشز : مرتفع . الكتد : ما بين الكتفين .

(٦) يعتضده . يضعه تحت عضده فيصرعه .

(٧) يقتصده : يصرعه .

(٨) يدمغه : يشج رأسه حتى يصل الجرح إلى أم دماغه ، يحطمه : يكسره . يخضمه : يأكله . يزدرده : يبتلعه .

ارتداد عمرو بعد موت الرسـول : قال ابن إسـحاق : فأقام عمرو بن معد يكرب فى قومه من بنى زبيد وعليهم فروة بن مسيك ، فلما توفى رسول الله ﷺ ارتد عمرو بن معديكرب وقال حين ارتد :

وجَدنا مُلك فروةَ شرَّ ملك ... حمارًا ساف منـخره بثفرِ (١)

وكنتَ إذا رأيتَ با عمـير ... ترى الحُوَلاء من خبث وغدرِ (٢)

* * *

قُدُومُ الأَشْعَث بن قَيْس فى وَفْد كِندة

• إسْلاَم وَفْد كندة :

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ الأشعثُ بن قيس ، فى وفد كندة فحدثنى الزهرى بن شهاب أنه قدم على رسول الله ﷺ فى ثمانين راكبًا من كندة فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده ، وقد رجلوا (٣) جممهم (٤) وتكحَّلوا وعليهم جيب الحبرة ، وقد كففوها (٥) بالحرير ، فلما دخلوا علي رسول الله ﷺ قال : ألم تسلموا ؟ قالوا : بلى ، قال : فما بال هذا الحرير فى أعناقكم ، قال : فشقوه منها ، فألقوه (٦) .

ثم قال له الأشعث بن قيس : يا رسول الله ، نحن بنو آكل المرار ، وأنت ابن آكل المرار ، قال فتبسم رسول الله ﷺ وقال : ناسبوا بهذا النسب العـباس بن عبد المطلب ، وربيعة بن الحارث ، وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين وكانا إذا شاعا فى بعض العرب ، فسئلا ممن هما ، قالا : نحن بنو آكل المرار ، يتعززان بذلك ،

---

(١) ساف : شم . الثفر للبهائم كالرحم للنساء .

(٢) الحولاء : ما يخرج من الأخلاط مع الولد ساعة الولادة ،يشبه من يهجوه أنه فى الخبث والقذارة مثل الحولاء .

(٣) رجلوا : مشطوا .

(٤) جممهم : الجمم جمع جمة وهى مجتمع شعر مقدم الرأس .

(٥) كففوا : طرزوا حروفها .

(٦) وهذا منتهى الطاعة للرسول ﷺ لأنه نهى عن لبس الحرير والذهب للرجال فقال ﷺ عنهما « حرام على رجال أمتى حل لنسائهم » .

وذلك أن كندة كانوا ملوكا . ثم قال لهم : لا ، بل نحن بنو النضر بن كنانة ، لا نقفوا (١) أُمنا ، ولا ننتفى من أبينا ، فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتم يا معشر كندة ؟ والله لا أسمع رجلا يقولها (٢) إلا ضربته ثمانين .

* * *

قُدوم صُرَدُ بن عبد الله الأَزْدى مُسْلمًا

وقدم على رسول الله ﷺ صرد بن عبد الله الأزدى ، فأسلم ، وحسن إسلامه فى وفد من الأزد ، فأمَّره (٣) رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه . وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك ، من قِبل (٤) اليمن .

قتاله أهل جَرش : فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله ﷺ ، حتى نزل بجرش ، وهى يومئذ مدينة معلقة (٥) ، وبها قبائل من قبائـل اليمن ، وقد ضوت (٦) إليهم خثعم ، فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريبا من شهر ، وامتنعوا فيها منه ثم رجع عنهم قافلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شكر ، ظن أهل جرش أنه إنما ولى عنهم منهزما ، فخرجوا فى طلبه ، حتى إذا أدركوه عطف (٧) عليهم ، فقتلهم قتلا شديدا .

إخبار الرسول بما حدث : وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران ، فبينا هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد صلاة العصر ، إذ قال رسول الله ﷺ : بأى بلاد الله شكر ؟ فقام إليه الجرشيان فقالا : يا رسول الله ، ببلادنا جبل يقال له كشر ؛ وكذلك يسميه أهل جرش ، فقال : إنه ليس بكشر ، ولكنه شكر ؛ قالا : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال (٨) : إن بدن الله

---

(١) لا نقفوا أمنا : الاقتفاء والقفو : هو اتباع الشىء ، ومنه يقتفى أثره : أى يتبع طريقه ، ونهجه ، وهنا يريد : لا نتبع نسب أمنا .

(٢) أى يفتخر بقول : نحن بنو آكل المرار .

(٣) أى جعله قائدًا لهم . (٤) أى ناحية اليمن .

(٥) أى أنهم معزولون فى مكان بعيد عن الناس ، ولا أحد بجوارهم .

(٦) ضوت : لجأت . (٧) أى ضغط وهجم عليهم .

(٨) وهذا من إخبار الله نبيه بما حدث هناك على حدود اليمن والنبى بالمدينة فسبحان من أعلمه بذلك .

لنحر عنده الآن ، قال : فجلس الرجلان إلى أبى بكر أو إلى عثمان ، فقال لهما : ويحكما ! إن رسول الله ﷺ لينعى لكما قومكما فقوما إلى رسول الله ﷺ فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما ، فقاما إليه فسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ، فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله ، فى اليوم الذى قال فيه رسول الله ﷺ ما قال ، وفى الساعة التى ذكر فيها ما ذكر .

• إسلام أهْل جرش :

وخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا ، وحمى لهم حمى حول قريتهم ، على أعلام معلومة ، للفرس والراحلة وللمثيرة ، وبقرة الحرث فمن رعاه من الناس فمالهم سحت ، فقال فى تلك الغزوة رجل من الأزد ، وكانت خثعم تصيب من الأزد فى الجاهلية ، وكانوا يعدون فى الشهر الحرام :

يَا غزوةً ما غزَونا غير خائبــةٍ ... فيها البغَالُ وفيها الخيــــلُ والحُمرُ

حَتى أتينا حُميراً فى مصَانعــها ... وجَمع خثعم قد شاعتْ لهَا النُّذرُ [1]

إذا وضعتْ غَليـلاً كُنتُ أحْمله ... فَما أُبالى أدانوا بعـــدُ أَم كفَروا [2]

* * *

قُدوم رَسول مُلوك حِميَر بكتابهم

وقدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حِمير ، مقدمه من تبوك ، ورسولهم إليه بإسلامهم ، الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل [3] ذى رعين ومعافر وهمدان ، وبعث إليه زرعة ذو يزن مالك بن مرة الرهاوى بإسلامهم ، ومفارقتهم الشرك وأهله .

• كتَابُ الرسول إليهم :

فكتَب إليهم رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحــيم : من محـــمد رسول الله ، إلى الحارث بن

---

(١) المصانع : القرى .

(٢) الغليل : حرارة الجوف من عطش ونحوه .

(٣) قيل : هم الملوك الصغار بعد الملك الأكبر - أى نواب الملك الأكبر ومساعدوه .

عـــبد كلال ، وإلى نعيم بن عبد كلال ، وإلى النعـــمان ، قيل ذى رعين ومعافر وهمدان . أما بعد ذلكم ، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم به ، وخبرنا ما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهداه ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم خُمس الله ، وسهم الرسول وصفيه [١] ، وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار [٢] ، عُشر ما سقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغرب [٣] نصف العشر ، وأن فى الإبل الأربعين ابنة لَبون ، وفى ثلاثين من الإبل شاتان ، وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تبيع ، جذع أو جذعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة . وأنها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له ، ومن أدى ذلك وأشهد على إسلامه ، وظاهر المؤمنين على المشركين ، فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذمة الله وذمة رسوله ، وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى ، فإنه من المؤمنين ، له مالهم ، وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها ، وعليه الجزية ، على كل حال ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينار واف ، من قيمة المعافر [٤] أو عوضه ثيابا ، أدى ذلك إلى رسول الله ﷺ فإنه له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله .

أما بعد ، فإن رسول الله محمداً النبى أرسل إلى زُرعة ذى يزن أن إذا أتاكم رسلى فأوصيكم بهم خيراً : معاذ بن جبل ، وعبد الله بن زيد ، ومالك بن عبادة ، وعقبة بن نمر ، ومالك بن مرة وأصحابهم ، وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفيكم ، وأبلغوها رسلى ، وأن أميرهم معاذ بن جبل ، فلا ينقلبن إلا راضيا .

---

(١) أصل الصفى : ما يصطفيه القائد من الغنيمة قبل القسمة .

(٢) العقار : الأرض .

(٣) الغرب : الدلو .

(٤) المعافر : نوع من ثياب اليمن .

أما بعد . فإن محمدًا يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك ابن مرة الرهاوى قد حدثنى أنك أسلمت من أول حمير ، وقتلت المشركين فأبشر بخير وآمرك بحمير خيرا ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا ، فإن رسول الله هو ولى غنيكم وفقيركم ، وأن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته ، إنما هى زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل . وأن مالكا قد بلغ الخبر ، وحفظ الغيب ، وآمركم به خيرًا ، وإنى قد أرسلت إليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم ، وآمرك بهم خيرًا ، فإنهم منظور إليهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وصية الرسول مُعَاذا حين بعثه إلى اليمن : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله ابن أبى بكر أنه حدث : أن رسول الله ﷺ حين بعث معاذًا ، أوصاه وعهد إليه ، ثم قال له : يسِّر ولا تعسر وبشِّر ولا تنفر ، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب ، يسئلونك ما مفتاح الجنة ، فقل شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قال : فخرج معاذ ، حتى إذا قدم اليمن قام بما أمره به رسول الله ﷺ ، فأتته امرأة من أهل اليمن ، فقالت : يا صاحب رسول الله : ما حق زوج المرأة عليها ؟ قال : ويحك ! إن المرأة لا تقدر على أن تؤدى حق زوجها ، فأجهدى نفسك فى أداء حقه ما استطعت ، قالت : والله لئن كنت صاحب رسول الله ﷺ إنك لتعلم ما حق الزوج على المرأة قال : ويحك ؟ ولو رجعت فوجدته تنثعب [1] منخراه قيحًا ودمًا ، فمصصت ذلك حتى تذهبيه ما أديت حقه .

* * *

إسْلاَم فرْوَةَ بن عَمْرو الجُذَامى

قال ابن إسحاق : وبعث فروة بن عمرو بن النافرة الجذامى ، ثم النفائى ، إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء ، وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام .

---

(١) تنثعب : تسيل .

• حبس الروم له وشعره ومقتله :

فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه ، طلبوه حتى أخذوه ، فحبسوه عندهم ، فقال في محبسه ذلك :

طَرقتْ سُلَيْمَى مُوهنًا أَصْحـــابى ... والرومُ بيَن البابِ والقروانِ (١)
صَدَ الخَيال وسَاءه مَا قــــد رأى ... وهممتُ أن أغفــــى وقد أبكانى
لاَ تَكْحَلنَّ العَيْنَ بَعْدى إثمدًا ... سَلْمَى ولا تَديـــــــنَ للإتيان
ولقْد عَلمتَ أبـــــا كُبَيشة أَننى ... وَسَطَ الأعزة ولا يحص لسانى (٢)
فَلَئن هَلَكْتُ لتفقـــــدن أخاكم ... ولَئن بقيتُ لتعـــــرفن مكانى
ولقد جَمعتُ أَجل ما جَمع الفَتى ... من جودة وشجــــاعة وبيانِ

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم ، يقال له عفراء بفلسطين ، قال :

ألا هل أتى سلـــمى بأَن حَلِيلها ... على ماءِ عَفراءَ فوق إحدى الرواحلِ
على ناقة لم يُضـرب الفَحل أُمها ... مشذبة أطــــرافها بالمنــــاجلِ

* * *

إسْلاَم بَنى الحارث بن كَعْب على يَدى خَالد بن الوليد لما سار إليهم

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ، فى شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بَنى الحارث بن كعب بنجران وأمره أن

---

(١) الموهن : نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه . قروان مثل صفوان : حويض من خشب تسقى فيه الدواب وتلغ فيه الكلاب وفى المثل ما فيها لاعى . قرو : أى لاعق قرو .
(٢) لا يحص: لا يقطع .

يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثًا ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم ، فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ، ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون أيها الناس ، أسلموا . فأسلم الناس ، ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وبذلك كان أمره رسول الله ﷺ إن هم أسلموا ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالد بن الوليد : إلى رسول الله ﷺ ، من خالد بن الوليد ، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : يا رسول الله ﷺ ، فإنك بعثتنى إلى بنى الحارث بن كعب ، وأمرتنى إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقمت فيهم ، وقبلت منهم ، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإنى قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام ، كما أمرنى رسول الله ﷺ ، وبعثت فيهم ركبانا قالوا : يا بنى الحارث ، أسلموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيم بين أظهرهم ، آمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبى ﷺ حتى يكتب إلىَّ رسول الله ﷺ ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

فكتب إليه رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبى رسول الله ، إلى خالد بن الوليد سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد :

فإن كتابك جاءنى مع رسولك تخبر أن بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبدُ الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل وليقبل معك وفدهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

• قُدوم خَالد مع وفدهم على الرسول :

فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ ، وأقبل معه وفد بنى الحارث بن كعب ،

منهم قَيس بن الحصين ذِى الغُصة [١] ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن المحجل وعبد الله بن قراد الزيادى ، وشداد بن عبد الله القنانى ، وعمرو بن عبد الله الضبابى فلما قدموا على رسول الله ﷺ فرآهم . قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ، قيل : يا رسول الله ، هؤلاء رجال بنى الحارث بن كعب ، فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلموا عليه،وقالوا : نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله ، قال رسول الله ﷺ : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، ثم قال رسول الله ﷺ : أنتم الذين إذا زجروا استقدموا : فسكتوا ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثالثة ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المدان : نعم يا رسول الله ، نحن الذين إذا زجروا استقدموا ، قالها أربع مِرار [٢] ، فقال رسول الله ﷺ : لو أن خالدًا لم يكتب إلىَّ أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا ، لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم ، فقال يزيد ابن عبد المدان : أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدًا ، قال : فمن حمدتم ؟ قالوا : حمدنا الله عز وجل الذى هدانا بك يا رسول الله ، قال : صدقتم . ثم قال رسول الله ﷺ : بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحدًا ، قال: بل ، قد كنتم تغلبون من قاتلكم ، قالوا : كنا نغلب من قاتلنا ، يا رسول الله إنا كنا نجتمع ولا نفترق ، ولا نبدأ أحدًا بظلم ، قال : صدقتم ، وأمَّر رسول الله ﷺ على بنى الحارث بن كعب قيس بن الحصين فرجع وفد بنى الحارث إلى قومهم فى بقية من شوال ، أو فى صدر ذى القعدة ، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر ، حتى توفى رسول الله ﷺ ، ورحم ، وبارك ، ورضى وأنعم .

الرسول يَبْعَث عَمْرو بن حزم بِعهدِه إليهم : وقد كان رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حزم ، ليفقههم فى الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده ، وأمره فيه بأمره:

---

(١) ذو الغصة : سمى بذلك لغصة فى حلقه لا يكاد يبين منها ، واسمه الحسين بن يزيد بن شداد الحارثى . ذكره عمر بن الخطاب يوما فقال : لا تزاد امرأة فى صداقها عن كذا وكذا ولو كانت بنت ذى الغصة .

(٢) جمع مرة أى مرات .

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا بيان من الله ورسوله ، يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبى رسول الله لعمرو بن حزم ، حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله فى أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله ، وأن يبشر الناس بالخير ، ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم فيه ، وينهى الناس . فلا يمس القرآنَ إنسانٌ إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم ، والذى عليهم ، ويلين للناس فى الحق ، ويشتد عليهم فى الظلم ، فإن الله كره الظلم ، ونهى عنه ، فقال : ﴿ **ألا لعنةُ الله على الظالمين** ﴾ ويبشر الناس بالجنة وبعملها ، وينذر الناس النار وعملها ، ويستألف الناس حتى يفقهوا فى الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، والحج الأكبر : الحج الأكبر ، والحج الأصغر : هو العمرة ، وينهى الناس أن يصلى أحد فى ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوبا يثنى طرفيه على عاتقيه وينهى الناس أن يحتبى أحد فى ثوب واحد يفضى بفرجه إلى السماء ، وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه فى قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لا شريك له ، فمن لم يدع إلى الله ، ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطفوا بالسيف ، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة ، لوقتها ، وإتمام الركوع والسجود والخشوع ويغلّس بالصبح ، ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس فى الأرض مدبرة ، والمغرب حين يقبل الليل ، لا يؤخر حتى تبدو النجوم فى السماء ، والعشاء أول الليل ، وأمر بالسعى إلى الجمعة إذا نودى لها ، والغسل عند الرواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغانم خمس الله : وما كتب على المؤمنين فى الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر ، وفى كل عشر من الإبل شاتان ، وفى كل عشرين أربع شياه وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تبيع ، جذع أو جذعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة فإنها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة . فمن زاد خيرًا فهو خير له ، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاما خالصًا من نفسه ودان بدين الإسلام . فإنه من المؤمنين ، له مثل مالهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها ، وعلى كل حالم :

ذكر أو أنثى ، حرٌّ أو عبد ، دينار واف أو عوضه ثيابًا فمن أدى ذلك ، فإن له ذمة الله ورسوله ، ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعًا ، صلوات الله على محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته ·

* * *

قُدُوم رِفَاعَة بن زَيْد الجُذَامِى

• إسْلاَمه وكتَابُ الرسول إلى قَوْمه :

وقدم على رسول الله ﷺ فى هدنَةَ الحديبية ، قبل خَيبر ، رفاعة بن زيد الجُذَامى ثم الضبيبى ، فأهدى لرسول الله ﷺ غُلامًا ، وأسلم ، فحسن إسلامه وكتب له رسول الله ﷺ كتابًا إلى قومه · وفى كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد رسول الله ، لرفاعة بن زيد ، إنى بعثته إلى قومه عامة · ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله · فمن أقبل منهم ففى حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين · فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرة : حَرة الرجلاء ، ونزلوها [1] ·

* * *

ذكْر الكذَّابَين ؛ مُسَيْلَمة الحَنفى والأسود العَنَسى :

قَال ابن إسحاق : وقد كان تكلم فى عهد رسول الله ﷺ الكذابان مسيلمة ابن حبيب باليمامة [2] فى بَنى حنيفة ، والأسود بن كعب العنسى بصنعاء ·

---

(١) قال ابن هشام : وقدم بعد ذلك وفد همدان منهم : مالك بن نمط ، وأبو ثور ، وهو ذو المشعار ، ومالك بن أيفع وضمام بن مالك السلمانى ، وعميرة بن مالك الخارفى ، فلقوا رسول الله ﷺ مرجعه – أى عند رجوعه – من تبوك فكتب لهم رسول الله ﷺ كتابًا على أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويأكلون علافها ويرعون عافيها ، ولهم بذلك عهد الله وذمة رسوله ، وشهد المهاجرون والأنصار ·

(٢) أخبر عنه النبى ﷺ وأشار إلى المشرق قائلا : « من هنا يخرج قرن الشيطان » ونصر الله المسلمين فى غزوة اليمامة فى عهد الصديق أبى بكر رضي الله عنه – وقتلوا مسيلمة الذى ادَّعى النبوة وقتله وحشى الذى قتل قبل إسلامه سيدنا حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ ، وقال وحشى عن حربته · قتلتُ بها خير الناس (يقصد حمزة) وقتلت بها شر الناس (يقصد مسيلمة) ·

● رؤْيَا الرسول ﷺ فيهما :

قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد عن عبد الله بن قسيط . عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على منبره ، وهو يقول : أيها الناس ، إنى قد رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها ورأيت فى ذراعى سوارين من ذهب ، فكرهتهما ، فنفختهما فطارا : فأولتهما هذين الكذابين . صاحب اليمن ، وصاحب اليمامة .

● حديث الرسول عن الدجالين :

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً ، كلهم يدعى النبوة .

* * *

خُروج الأُمَراء والعُمَّال على الصدَقَات

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات . إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان ، فبعث المهاجر بن أبى أمية ابن المغيرة إلى صنعاء .

فخرج عليه العنسى وهو بها . وبعث زياد بن لبيد أخا بنى بياضة الأنصارى إلى حضرموت وعلى صدقاتها وبعث عدى بن حاتم على طىء وصدقاتها . وعلى بنى أسد ، وبعث مالك بن نويرة على صدقات بنى حنظلة وفرق صدقة بنى سعد على رجلين منهم . فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية منها . وقيس بن عاصم على ناحية وكان قد بعث العلاء بن الحضرمى على البحرين ، وبعث على بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى أهل نجران . ليجمع صدقتهم ويقدم عليه بجزيتهم .

* * *

كتَاب مُسَيْلَمة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كان مُسليمة بن حبيب ، قد كتب إلى رسول الله ﷺ : من مسيلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله : سلام عليك ، أما بعد ، فإنى قد أُشركت فى الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشا قوم يعتدون .

فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : فحدثنى شيخ من أشجع ، عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعى ، عن أبيه نعيم ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتابه « فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول : كما قال ، فقال : أما والله لولا أن الرسل لا تُقتل لضربت أعناقكما » (١) .

ثم كتب إلى مسيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى ؛ أما بعد : فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

وذلك فى آخر سنة عشر .

* * *

حَجَّةُ الوَدَاع

تَجَهُّز الرسول : قال ابن إسحاق : فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبى ﷺ ، قالت: خرج رسول الله ﷺ إلى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة (٢) .

حكم الحائض فى الحج : قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة . قالت : لا يذكر الناس إلا الحج ، حتى إذا كان بسرف وقد ساق رسول الله ﷺ معه الهدى ، وأشراف من أشراف الناس ، أمر الناس أن يحلوا بعمرة إلا من ساق الهدى ، قالت : وحضت ذلك اليوم . فدخل على وأنا أبكى ، فقال : مالك يا عائشة ؟ لعلك نفست ؟ قالت . قلت : نعم . والله لوددت أنى لم أخرج معكم عامى فى هذا

---

(١) وهنا يتبين احترام الرسول ﷺ للعهود والمواثيق الدولية حتى مع الكفار الذين يختلفون معه فى العقيدة ، ويبلغونه رسالة من كافر لكنه أحسن إليهم ولم يقتلهم .

(٢) واستعمل النبى ﷺ على المدينة أبا دجانة الساعدى .

السفر ، فقال : لا تقولن ذلك . فإنك تقضين كل ما يقضى الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت . قالت : ودخل رسول الله ﷺ بمكة ، فحل كل من كان لا هدى معه وحل نساؤه بعمرة ، فلما كان يوم النحر أُتيت بلحم بقر كثير فطرح فى بيتى ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله ﷺ عن نسائه البقر حتى إذا كانت ليلة الحصبة بعث بى رسول الله ﷺ مع أخى عبد الرحمن بن أبى بكر فأعمرنى من التنعيم ، مكان عمرتى التى فاتتنى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر عن حفصة بنت عمر ، قالت : لما أمر رسول الله ﷺ نساءه أن يحللن بعمرة .

قلنا : فما يمنعك يا رسول الله إن تحل معنا ؟ فقال : إنى أهديتُ ولبدتُ [1] فلا أحل حتى أنحر هديى .

* * *

مُوَافَاةُ عَلى رضي الله عنه فى قفُوله من اليمن

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح : أن رسول الله ﷺ كان بعث عليا رضي الله عنه إلى نجران ، فلقيه بمكة وقد أحرم ، فدخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضى الله عنها ، فوجدها قد حلت وتهيأت ، فقال : مالك يا بنت رسول الله ؟ قالت : أمرنا رسول الله ﷺ أن نحل بعمرة فحللنا ، ثم أتى رسول الله ﷺ فلما فرغ من الخبر عن سفره ، قال له رسول الله ، : انطلق فطف بالبيت ، وحل كما حل أصحابك ، قال : يا رسول الله ، إنى أهللتُ كما أهللتَ ، فقال : ارجع فاحلل كما حل أصحابك ، قال : يا رسول الله ، إنى قلت حين أحرمت : اللهم إنى أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد ﷺ قال : فهل معك من هدى ؟ قال : لا . فأشركه رسول الله ﷺ فى هديه ، وثبت على إحرامه مع رسول الله ﷺ حتى فرغا من الحج ونحر رسول الله ﷺ الهدى عنهما .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمرة عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، قال : لما أقبل على رضي الله عنه من اليمن ليلقى

---

(١) لبد شعره ألزقه بشىء لزج كصمغ ونحوه حتى لا يتساقط شىء فيكون عليه قلبة .

رسول الله ﷺ بمكة ، تعجَّل إلى رسول الله ﷺ واستخلف على جنده الذين معه رجل من أصحابه ، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذى كان مع على ﷺ ، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم ، فإذا عليهم الحُلَل ، قال : ويلك ما هذا ؟!

قال : كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا فى الناس ، قال : ويلك ! انزع قبل أن تنتهى به إلى رسول الله ﷺ قال : فانتزع الحلل من الناس ، فردها فى البز ، قال : وأظهر الجيش شكواه لما صُنع بهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن حزم بن معمر بن حزم عن سليمان بن محمد بن كعب بن عُجرة عن عمته زينب بنت كعب ، وكانت عند أبى سعيد الخدرىّ ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : اشتكى الناس عليًّا رضوان الله عليه ، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيبا ، فسمعته يقول : أيها الناس ، لا تشكوا عليا ، فوالله إنه لأخشن فى ذات الله ، أو فى سبيل الله ، من أن يُشكى .

خُطْبة الوداع : قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله ﷺ على حجه ، فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التى بيَّن فيها ما بين ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اسمعوا قولى ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدًا ، أيها الناس ، إنَّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل ربًا موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم ، لا تَظلمون ولا تُظلمون قضى الله أنه لا ربا ، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعا فى بنى ليث ، فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس : إن النسيء زيادة فى الكفر ، يُضَل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرَّم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم

خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر (١) ، الذى بين جمادى وشعبان ·

أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربًا غير مبرح (٢) فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرًا · فإنهن عندكم عوان (٣) لا يملكن لأنفسهن شيئًا وأنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله · واستحللتم فروجهن بكلمات الله · فاعقلوا أيها الناس قولى · فإنى قد بلَّغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا · أمرا بينا · كتاب الله وسنة نبيه · أيها الناس : اسمعوا قولى واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم · وأن المسلمين إخوة · فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمنَّ أنفسكم · اللهم هل بلغت ؟

فذكر لى الناس قالوا : اللهم نعم · فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشهد ·

• اسم الصَّارخ بتبليغ ما يقوله رسول الله ﷺ :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير · عن أبيه عباد قال كان الرجل الذى يصرخ فى الناس بقول رسول الله ﷺ وهو بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف قال : يقول له رسول الله ﷺ : قل يا أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ يقول : هل تدرون أى شهر هذا ؟ فيقول لهم · فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول له قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا · ثم يقول : قل يا أيها الناس ، إن رسول الله ، يقول : هل

(١) رجب مضر ، إنما قال ذلك لأن ربيعة كانت تحرم شهر رمضان ، وتسميه : رجبا من رجبت الرجل ورجبته إذا عظمته ، ورجبت النخلة إذا دعمتها ، فبين عليه السلام أنه رجب مضر لا رجب ربيعة ، وأنه الذى بين جمادى وشعبان ·

(٢) غير مبرح : غير شديد ·

(٣) عوان : أسيرات ، المفرد : عانية ·

تدرون أى بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به · قال : فيقولون البلد الحرام ، قال : فيقول قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا ·

قال : ثم يقول : قل : يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ يقول : هل تدرون أى يوم هذا ؟ قال : فيقوله لهم · فيقولون يوم الحج الأكبر ، قال فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ·

قال ابن إسحاق : حدثنى ليث بن أبى سليم عن شهر بن حوشب الأشعرى ، عن عمرو بن خارجة قال : بعثنى عتاب بن أسيد إلى رسول الله ﷺ فى حاجة ، ورسول الله ﷺ واقف بعرفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله ﷺ وإن لغُامها ليقع على رأسى ، فسمعته وهو يقول : أيها الناس إن الله قد أدى إلى كل ذى حق حقه وإنه لا تجوز وصية لوارث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر ، ومن ادّعى إلى غير أبيه · أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ·

تعاليم الرسول عليه السلام للحاج : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح : أن رسول الله ﷺ حين وقف بعرفة ، قال : هذا الموقف ، للجبل (١) الذى هو عليه ، وكل عرفة موقف · وقال حين وقف على قزح (٢) صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكل المزدلفة موقف · ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال هذا المنحر ، وكل منى منحر ، فقضى رسول الله ﷺ وقد أراهم مناسكهم ، وأعلمهم ما فرض الله

---

(١) وهو جبل عرفة وقال ﷺ : « الحج عرفة » لأن يوم عرفة خير يوم طلعت فيه الشمس ، وفيه ينهزم الشيطان وأكبر خسارة فادحة لإبليس اللعين لما يرى من مغفرة الله للمؤمنين الحاجين وغير الحاجين ، وذلك أن الحاج إذا قبل الله حجه وكان مبروراً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ورجع من حجه كيوم ولدته أمه هذا للحاج ، أما غير الحاج ومن لم يستطع فقد شرع له النبى ﷺ صوم يوم عرفة وذلك لعظم فضل هذا اليوم ، وتعويضًا من الله لعباده غير القادرين على الحج لتقارب مرتبتهم مرتبة الحاج فقال ﷺ عن صوم يوم عرفة : « يكفِّر - يغفر - سنة ماضية » ، وفى رواية « يكفر سنة ماضية وسنة باقية » وذلك بشرط عدم فعل الكبائر ·

(٢) قزح : جبل بالمزدلفة ·

عليهم من حجهم : من الموقف ، ورمى الجمار ، وطواف بالبيت ، وما أحل لهم من حجهم ، وما حرم عليهم ، فكانت حجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله ﷺ لم يحج بعدها ٠

* * *

بَعْثُ أُسَامَةَ بن زَيْد إلى أَرض فَلَسْطين

قال ابن إسحاق : ثم قفل رسول الله ﷺ ، فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وصفر ، وضرب على الناس بعثا إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه وأمره أن يوطىء الخيل تخوم (١) البلقاء ٠ والداروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب (٢) مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون ٠

● أسماء الرُّسل ومَن أُرْسِل إليهم :

فبعث رسول الله ﷺ رُسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتبا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام ٠ فبعث دحية بن خليفة الكلبى (٣) إلى قيصر ملك الروم ، وبعث عبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى ملك فارس ، وبعث عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ملك الحبشة ، وبعث حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية ، وبعث عمرو بن العاص السهمى إلى جيفر وعياد ابنى الجلندى الأزديين ملكى عمان ، وبعث سليط بن عمرو أحد بنى عامر بن لؤى إلى ثمامة بن أثال ، وهوذة بن على الحنفيين ملكى اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمى إلى المنذر ابن ساوى العبدى ملك البحرين ، وبعث شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك تخوم بالشام ٠

قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى : أنه وجد كتابًا فيه ذكر من بعث رسول الله ﷺ إلى البلدان وملوك العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهرى فعرفه ٠ وفيه : أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال لهم : إن الله بعثنى رحمة وكافة ٠

---

(١) تخوم : أى حدود ٠

(٢) أوعب : اجتمع ٠

(٣) وهو الذى كان سيدنا جبريل عليه السلام ينزل فى صورته ٠

فأدوا عنى يرحمكم الله ولا تختلفوا علىَّ كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم قالوا : وكيف يا رسول الله كان اختلافهم ؟ قال : دعاهم لمثل ما دعوتكم له ، فأما من قرب به فأحب وسلم وأما من بعد به فكره وأبى . فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله . فأصبحوا وكلِ رجلِ منهم يتكلم بلغة القوم الذى وجه إليهم .

● أسْمَاء رُسُل عيسى :

قال ابن إسحاق : وكان من بعث عيسى ابن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع الذين كانوا بعدهم فى الأرض ، بطرس الحوارى . ومعه بولس ، وكان بولس من الأتباع [1] . ولم يكن من الحواريين إلى روميه واندرائس ومتّى إلى الأرض التى يأكل أهلها الناس ، وتوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق ، وفيلبس إلى أرض قرطاجنة ، وهى إفريقــية ، ويحنس إلى أفسوس قرية الفتية أصحاب الكهف ، ويعقوبس إلى أورشليم وهى إيلياء قرية ببيت المقدس ، وابن ثلماء إلى الأعرابية وهى أرض الحجاز ، وسيمن إلى أرض البربر ، ويهوذا ولم يكن من الحواريين جعل مكان يودس .

* * *

ذِكْرُ جُملة الغَزَوات
بسمَ الله الرحمن الرحَيم

قال ابن إسحاق : وكان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه سبعًا وعشرين غزوة منها ، غزوة ودان ، وهـــى غزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط ، من ناحية رَضوى [2] ، ثم غزوة العشيرة ، من بطن ينبع ، ثم غزوة بدر الأولى ، يطلب كرز ابن جابر ، ثم غزوة بدر الكبري ، التى قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بنى سليم ، حتى بلغ الكدر ، ثم غزوة السويق ، بطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غطفان ، وهى غزوة ذى أمر ، ثم غزوة بحران ، معدن بالحجاز ، ثم غروة أُحد ، ثم غزوة حمراء الأسد ، ثم غزوة بنى النضير ، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخرة ، ثم غزوة دومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بنى قريظة،

(١) الحواريين أكثر صحبة من الأتباع .

(٢) رضوى : اسم جبل بالمدينة .

ثم غزوة بنى لحيان ، من هذيل ، ثم غزوة ذى قرد ، ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية ، لا يريد قتالا ، فصده المشركون ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة القضاء ، ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك . قاتل منها فى تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف .

* * *

ذِكْرُ جُمْلَةَ السَّرَايا والبُعوث

وكانت بعوثه صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانيًا وثلاثين ، من بين بعث وسرية : غزوة عبيدة بن الحارث أسفل من ثنية ذى المروة ، ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب ساحل البحر ، من ناحية العيص ، وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة ، وغزوة سعد بن أبى وقاص الخرار ، وغزوة عبد الله بن جحش نخلة ، وغزوة زيد بن حارثة القردة ، وغزوة محمد بن مسلمة : كعب بن الأشرف ، وغزوة مرثد بن أبى مرثد الغنوى الرجيع ، وغزوة المنذر بن عمرو بئر معونة ، وغزوة أبى عبيدة بن الجراح ذا الغصّة ، من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بنى عامر ، وغزو على بن أبى طالب اليمن ، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبى ، كلب ليث ، الكديد ، فأصاب بنى الملوّح .

* * *

غَزْوة غَالب بن عبد الله اللّيثى بنى الملوّح

• شأن ابن البَرْصَاء :

وكان من حديثها أن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، حدثنى عن مسلم بن عبد الله بن حبيب الجهنى ، عن جندب بن مكيث الجهنى ، قال : بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبى ، كلب بن عوف بن ليث ، فى سرية كنت فيها ، وأمره أن يشن الغارة على بنى الملوّح ، وهم بالكديد ، فخرجنا ، حتى إذا كنا بقديد لقينا الحارث بن مالك ، وهو ابن البرصاء الليثى ، فأخذناه ، فقال : إنى جئت أريد الإسلام ، ما خرجت إلا إلى رسول الله ﷺ فقلنا له : إن تك مسلمًا فلن يضيرك رباط ليلة ، وإن تَكُ على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك ،

فشددناه رباطًا ، ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا أسـود ، وقلنا له : إن عازك [١] فاحتز رأسه .

• بَلاءُ ابن مُكَيْث فى هذه الغَزْوة :

قال : ثم سرنا حتى أتينا الكَديد عند غروب الشمس ، فكنا فى ناحية الوادى ، وبعثنى أصحابى ربيئة [٢] لهم ، فخرجت حتى آتى تلا مشرفًا على الحاضر [٣] ، فأسندت فيه [٤] ، فعلوت على رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فوالله إنى لمنبطح على التل إذ خرج رجل منهم من خبائه ، فقال لامرأته : إنى لأرى على التل سوادا ما رأيته فى أول يومى ، فانظرى إلى أوعيتك هل تفقدين منها شيئًا ، لا تكون الكلاب جرَّت بعضها ، قال : فنظرت ، فقالت : لا ، والله ما أفقد شيئًا ، فقال : فناولينى قوسى وسهمين ، فناولته ، قال : فأرسل سهمًا ، فوالله ما أخطأ جنبى ، فأنزعه ، فأضعه ، وثبت مكانى قال ثم أرسل الآخر فوضعه فى منكبى فأنزعه فأضعه وثبت مكانى فقال لامرأته : لو كان ربيئة لقد خالطه سهماى لا أبالك ، إذا أصبحت فابتغيهما ، فخذيهما ، لا يمضغهما على الكلاب قال : ثم دخل .

• نجاة المسلمين بالنَّعَم :

قال : وأمهلناهم حتى إذا اطمأنوا وناموا ، وكان فى وجه السَّحر ، شننا عليهم الغارة ، قال فقتلنا ، واستقنا النَّعم ، وخرج صريخ القوم [٥] فجاءنا دهم [٦] لا قبل لنا به ، ومضينا بالنعم ، ومررنا بابن البرصاء وصاحبه ، فاحتملناهما معنا ، قال : وأدركنا القوم حتى قربوا منا ، قال : فما بيننا وبينهم إلا وادى قديد ، فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر ، فجاء بشىء ليس لأحد به قوة ، ولا يقدر على أن يجاوزه ، فوقفوا ينظرون إلينا ، وإنا لنسوق نعمهم ، ما يستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا ، ونحن نحدوها سراعا ، حتى فتناهم ، فلم يقدروا على طلبنا .

قال : فقدمنا بها على رسول الله ﷺ .

---

(١) عازك : غالبك . (٢) الربيئة : الطليعة التى تتجسس الأخبار .
(٣) الحاضر : الجماعة الذين ينزلون على الماء .
(٤) أسندت : ارتفعت . (٥) أى مستغيثهم .
(٦) الدهم : الجماعة الكثيرة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى رجل من أسلم ، عن رجل منهم : أن شعار أصحاب رسول الله ﷺ كان تلك الليلة : أمت أمت . فقال راجز من المسلمين وهو يحدوها :

أَبَى أَبُو القاسمِ أَنْ تَعَزَّبى ... فى خضْل نَباته مُغْلَولَبِ (١)
صَفْرٍ أعاليه كَلون المذْهبِ

ثم خبر الغزاة ، وعدت إلى ذكر تفاصيل السرايا والبعوث .

تعريف ببعض الغزوات : قال ابن إسحاق : وغزوة على بن أبى طالب رضي الله عنه بنى عبد الله بن سعد من أهل فَدك ، وغزوة أبى العوجاء السلمى أرض بنى سليم ، أصيب بها هو وأصحابه جميعًا ، وغزوة عكاشة بن محصن الغمرة ، وغزوة أبى سلمة بن عبد الأسد قطنا ، ماء من مياه بنى أسد ، من ناحية نجد ، قتل بها مسعود ابن عروة ، وغزوة محمد بن مسلمة ، أخى بنى حارثة ، القرطاء من هوازن ، وغزوة بشير بن سعد بن مرة بفدك ، وغزوة بشير بن سعد ناحية خيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الجموم من أرض بنى سليم ، وغزوة زيد بن حارثة جذام ، من أرض خُشين .

غزوة زيد بن حارثة إلى جذام : قال ابن إسحاق : وكان من حديثها كما حدثنى من لا أتهم عن رجال من جذام كانوا علماء بها ، أن رفاعة بن زيد الجذامى ، لما قدم على قومه من عند رسول الله ﷺ بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبث أن قدم دحية بن خليفة الكلبى من عند قيصر صاحب الروم ، حين بعثه رسول الله ﷺ إليه ومعه تجارة له ، حتى إذا كانوا بواد من أوديتهم يقال له شتار ، أغار على دحية بن خليفة الهنيد بن عوص ، وابنه عوص بن الهنيد الضلعيان . والضليع : بطن من جذام ، فأصابا كل شيء كان معه ، فبلغ ذلك قوما من الضبيب ، رهط رفاعة بن زيد ، ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهنيد وابنه ، فيهم من بنى الضبيب النعمان بن أبى جعال ، حتى لقوهم ، فاقتتلوا ، وانتمى يومئذ قرة بن أشقر الضفاوى ثم الضلعى ، فقال : أنا ابن لُبنى ، ورمى النعمان بن أبى جعال بسهم ، فأصاب ركبته ، فقال حين أصابه : خذها وأنا ابن لُبنى ،

(١) تعزبى : تغيبى فى المرعى . الخضل : الأخضر المبتل . المغلولب : الكثير .

وكانت له أم تدعى لُبنى ، وقد كان حسان بن ملة الضبيني قد صحب دحية بن خليفة قبل ذلك ، فعلمه أم الكتاب ·

قال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم ، عن رجال من جُذام ، قال : فاستنقذوا ما كان فى يد الهنيد وابنه ، فردوه على دحية ، فخرج دحية ، حتى قدم على رسول الله ﷺ ، فأخبره خبره ، واستسقاه دم الهنيد وابنه ، فبعث رسول الله ﷺ إليهم زيد بن حارثة ، وذلك الذى هاج غزوة زيد جذام ، وبعث معه جيشا ، وقد وجهت غطفان من جذام ووائل ومن كان من سلامان وسعد بن هذيم ، حين جاءهم رفاعة بن زيد ، بكتاب رسول الله ﷺ ، حتى نزلوا الحرة ، حرة الرجلاء ، ورفاعة بن زيد بكراع ربة لم يعلم ومعه ناس من بنى الضبيب ، وسائر بنى الضبيب بوادى مدان ، من ناحية الحرة ، مما يسيل مشرقا ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج ، فأغار بالماقص من قبل الحرة ، فجمعوا ما وجدوا من مال أو ناس ، وقتلوا الهنيد وابنه ورجلين من بنى الأحنف ·

قال ابن إسحاق فى حديثه : ورجلا من بنى الخصيب ، فلما سمعت بذلك بنو الضبيب والجيش بفيفاء مدان ركب نفر منهم ، وكان فيمن ركب معهم حسان ابن ملة ، على فرس لسويد بن زيد ، يقال لها العجاجة ، وأنيف بن ملة على فرس لملة يقال لها : رغال · وأبو زيد بن عمرو على فرس يقال لها شمر ، فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش ، قال أبو زيد وحسان لأنيف بن ملة : كف عنا وانصرف ، فإنا نخشى لسانك ، فوقف عنهما ، فلم يبعدا منه حتى جعلت فرسه تبحث بيديها وتوثب ، فقال : لأنا أضن بالرجلين منك بالفرسين ، فأرخى لها ، حتى أدركهما ، فقالا له : أما إذ فعلت ما فعلت فكف عنا لسانك ، ولا تشأمنا اليوم ، فتواصوا أن لا يتكلم منهم إلا حسان بن ملة ، وكانت بينهم كلمة فى الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض ، إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال : بورى أو ثورى ، فلما برزوا على الجيش ، أقبل القوم يبتدرونهم فقال لهم حسان : إنا قوم مسلمون ، وكان أول من لقيهم رجل على فرس أدهم، فأقبل يسوقهم فقال أنيف : بورى ، فقال حسان : مهلا · فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسان : إنا قوم مسلمون ، فقال له زيد فاقرءوا أم الكتاب ، فقرأها حسان ، فقال زيد بن حارثة :

نادوا فى الجيش إن الله قد حـــرم علينا ثغرة [١] القوم التى جـــاءوا منها إلا من ختر [٢] .

قال ابن إسحاق : وإذا أخت حسان بن ملة ، وهى امرأة أبى وبر بن عدى بن أمية بنَ الضبيب فى الأسارى ، فقال له زيد : خذها ، وأخذت بحقويه [٣] فقالت أم الفزر الضلعية · أتنطلقون ببناتكم وتذرون أمهاتكم ؟ فقال أحد بنى الخصيب : إنها بنو الضبيب وسحر ألسنتهم سائر اليوم ، فسمعها بعض الجيش ، فأخبر بها زيد بن حارثة ، فأمر بأخت حسان ، ففكت يداها من حقويه ، وقال لها : اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن حكمه ، فرجعوا ، ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذى جاءوا منه ، فأمسوا فى أهليهم واستعتموا ذودا [٤] لسويد بن زيد ، فلما شربوا عتمتهم [٥] ركبوا إلى رفاعة بن زيد ، وكان ممن ركب إلى رفاعة بن زيد تلك الليلة : أبو زيد بن عمرو ، وأبو شماس بن عمرو ، وسويد بن زيد ، وبعجة بن زيد ، وبرذع بن زيد ، وثعلبة بن زيد ، ومخرِّبة بن عدى ، وأنيف بن ملة ، وحسان بن ملة ، حتى صبحوا سحرا رفاعة بن زيد بكراع ربة ، بظهر الحرة ، على بئر هنالك من حرة ليلى فقال له حسان بن ملة : إنك لجالس تحلب المعزى ونساء جذام أسارى قد غرها كتابك الذى جئت به ، فدعا رفاعة بن زيد يحمل له ، فجعل يشد عليه رحله وهو يقول :

هَلْ أَنْتَ حَىَ أو تُنَادى حيًّا

ثم غدا وهم معه بأمية بن صفارة أخى الخصيبى المقتول ، مبكرين من ظهر الحرة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ، فلما دخلوا المدينـة ، وانتهوا إلى المسجد ، نظر إليهم رجل من الناس ، فقال : لا تنيخوا إبلكم ، فتقطع أيديهن ، فنزلوا عنهن وهن قيام ، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ ورآهـم ألاح [٦] إليهم بيده : أن تعالوا من وراء الناس ، فلما استفتح رفاعة بن زيد المنطق ، قام رجل من

---

(١) الثغرة : ما يحمونه من جانبهم ·

(٢) ختر : نقض العهد ·

(٣) حقويه : خصريه ·

(٤) استعتموا : انتظروا إلى العتـــمة · الذود : جمـــاعة الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة ·

(٥) عتمتهم : لبنهم الذى يشربونه فى العتمة ·

(٦) ألاح : أشار ·

الناس فقال : يا رسول الله ، إن هؤلاء قوم سحرة فرددها مرتين ، فقال رفاعة بن زيد : رحم الله من لم يحذنا [١] فى يومه هذا إلا خيراً . ثم دفع رفاعة بن زيد كتابه إلى رسول الله ﷺ الذى كان كتبه له . فقال : دونك يا رسول الله قديما كتابه ، حديثا غدره ، فقال رسول الله ﷺ : اقرأه يا غلام ، وأعلن ، فلما قرأ كتابه استخبره ، فأخبروهم الخبر ، فقال رسول الله ﷺ : كيف أصنع بالقتلى ؟ - ثلاث مرات - فقال رفاعة : أنت يا رسول الله أعلم، لا نحرم عليك حلالا، ولا نحلل لك حراما . فقال أبو زيد بن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله من كان حيا ، ومن قتل فهو تحت قدمى هذه ، فقال له رسول الله ﷺ : صدق أبو زيد اركب معهم يا على ، فقال له على رضي الله عنه : إن زيدا لن يطيعنى يا رسول الله ، قال : فخذ سيفى هذا ، فأعطاه سيفه ، فقال على : ليس لى يا رسول الله راحلة أركبها ، فحملوه على بعير لثعلبة بن عمرو يقال له مكحال ، فخرجوا ، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبى وبر يقال لها : الشَّعر ، فأنزلوه عنها . فقال : يا على ، ما شأنى ؟ فقال : مالهم عرفوه فأخذوه ، ثم ساروا فلقوا الجيش بفيفاء الفحلتين ، فأخذوا ما فى أيديهم ، حتى كان ينزعون لبيد المرأة من تحت الرَّحل ، فقال أبو جعال حين فرغوا من شأنهم :

وعَاذلة ولم تَعذُل بِطب ... ولولا نَحن حُش بها السعيرُ [٢]

تُدافع فى الأسَارى بابنتيها ... ولا يُرجى لها عتق يسيرُ

ولو وكلتْ إلى عُوص وأوْس ... لحار بها عن العتق الأمورُ [٣]

ولو شهدتْ ركائبنا بمضر ... تحاذر أن يعل بها المسيرُ [٤]

وَردنَا ماءَ يثرب عن حفاظ ... لربع إنه قرب ضَرِيرُ [٥]

بِكُل مُجرَّب كَالسيد نَهد ... على أقتاد ناجية صَبورُ [٦]

---

(١) لم يحذنا : لم يعطنا . (٢) بطب : برفق .

(٣) حار : رجع . (٤) يعل : يكرر .

(٥) الربع : ورود الإبل إلى الماء لأربعة أيام . القرب : السير فى طلب الماء ، ضرير: مضر .

(٦) السيد : الذئب . النهد : الغليظ . أقتاد : أدوات الرحل . الناجية : أى ناقة صبور .

فدى لأبى سُلَيمى كُل جَيش ... بَيثربَ إذ تَناطحت النُّحورُ
غَداة تَرى المجرَّبَ مُستكينا ... خَلاف القَوم هَامته تَدورُ

تمتِ الغزوة، وعدنا إلى تفصيل ذكر السرايا والبعوث .

غزوة زيد الطرف : قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة أيضًا الطرف من ناحية نخل من طريق العراق .

غَزوة زيد بن حارثة بنى فَزارة : وغزوة زيد بن حارثة أيضا وادى القرى ، لقى به بنى فزارة ، فأصيب بها ناس من أصحابه ، وارتث [(١)] زيد من بين القتلى ، وفيها أصيب ورد بن عمرو بن مُداش ، وكان أحد بنى سعد بن هذيل [(٢)] ، أصابه أحد بنى بدر .

قال ابن إسحاق : فلما قدم زيد بن حارثة آلى [(٣)] أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بنى فزارة ، فلما استبل من جراحته بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى فزارة فى جيش فقتلهم بوادى القرى ، وأصاب فيهم ، وقتل قيس بن المسحار اليعمري مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة بن بدر ، وأسرت أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، كانت عجوزا كبيرة عند مالك بن حذيفة بن بدر ، وبنت لها ، وعبد الله بن مسعدة ، فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحر أن يقتل أم قرفة ، فقتلها قتلا عنيفًا ، ثم قدموا على رسول الله ﷺ بابنة أم قرفة وبابن مسعدة .

وكانت بنت أم قرفة لسلمة بن عمرو بن الأكوع ، كان هو الذى أصابها ، وكانت فى بيت شرف من قومها ، كانت العرب تقول : « لو كنت أعز من أم قرفة ماردت ، فسألها رسول الله ﷺ سلمة ، فوهبها له ، فأهداها لخاله حزن بن أبى وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن .

فقال قيس بن المسحر فى قتل مسعدة :

سَعيتُ بَوردٍ مثل سَعى ابن أُمِّهِ ... وَإِنى بورَدٍ في الحياة لثائرُ [(٤)]

---

(١) ارتث : حمل جريحا من المعركة وبه رمق .
(٢) قال ابن هشام : سعد بن هذيم .
(٣) آلى : أى أقسم .
(٤) الثائر : الآخذ بثأره .

كَرِرتُ عَليــــــه المهرَ لَمَّا رأَيْتُه   عَلى بَطَـــــلٍ مَن آل بَدْرٍ مُغَاوِرُ
فَركبــــــت فِيه قعضبيــا كأنه   شهــاب بِمعراة يذكــى لناظـر [1]

غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزَام : وغزوة عبد الله بن رَوَاحة خيبر مرتين : إحداهما التى أصاب فيها اليسير بن رزام .

وكان من حديث اليسير بن رزام أنه كان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله ﷺ ، فبعث إليه رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة فى نفر من أصحابه ، منهم عبد الله بن أنيس ، حليف بنى سلمة ، فلما قدموا عليه كلموه ، وقربوا له ، وقالوا له : إنك إن قدمت على رسول الله ﷺ استعملك وأكرمك ، فلم يزالوا به ، حتى خرج معهم فى نفر من يهود ، فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره ، حتى إذا كان بالقرقرة من خيبر على ستة أميال ، ندم اليسير بن رزام على مسيره إلى رسول الله ﷺ ، ففطن به عبد الله بن أنيس ، وهو يريد السيف ، فاقتحم به ، ثم ضربه بالسيف ، فقطع رجله ، وضربه اليسير بمخرش [2] فى يده من شوحط [3] ، فأَمَّه [4] ومال كل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على صاحبه من يهود فقتله ، إلا رجلا واحداً أفلت على رجليه ، فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله ﷺ تفل على شجته ، فلم تقح ولم تؤذه .

غزوة ابن عُتيك خيبر : وغزوة عبد الله بن عتيك خيبر ، فأصاب بها أبا رافع ابن أبى الحقيق .

غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى : وغزوة عبد الله ابن أنيس خالد بن سفيان بن نبيح ، بعثه رسول الله ﷺ إليه وهو بنخلة أو بعرنة يجمع لرسول الله ﷺ الناس ليغزوه ، فقتله .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : قال عبد الله بن أنيس : دعانى رسول الله ﷺ ، فقال : إنه قد بلغنى أن ابن سفيان بن نبيح

(١) قعضبيا : سنانا منسوب إلى قعضب ، رجل كان يصنعها . معراة : مكان لا يستره شيء . يذكى : يشعل .
(٢) المخرش : عصا معقوفة .
(٣) الشوحط : نوع من الشجر .
(٤) أمه : أصاب أم رأسه .

الهذلى يجمع لى الناس ليغزونى ، وهو بنخلة ، أو بعرنة ، فأته فاقتله · قلت : يا رسول الله ، انعته[١] لى حتى أعرفه · قال إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان ، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة · قال : فخرجت متوشحاً سيفى ، حتى دفعت إليه وهو فى ظعن [٢] يرتاد لهن منزلا ، وحيث كان وقت العصر · فلما رأيته وجدت ما قال لى رسول الله ﷺ من القشعريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكون بينى وبينه مجاولة تشغلنى عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشى نحوه ، أومىء برأسى ، فلما انتهيت إليه ، قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل ، فجاءك لذلك · قال : أجل ، إنى لفى ذلك · قال : فمشيت معه شيئًا ، حتى إذا أمكننى حملت عليه بالسيف ، فقتلته ، ثم خرجت ، وتركت ظعائنه منكبات عليه ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآنى ، قال : أفلح الوجه ، قلت : قد قتلته يا رسول الله · قال : صدقت ·

● هدية الرسول ﷺ لأنيس :

ثم قام بى ، فأدخلنى بيته ، فأعطانى عصًا ، فقال : أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أُنيس · قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله ﷺ ، وأمرنى أن أمسكها عندى · قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله لم ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، لم أعطيتنى هذه العصا ؟ قال : آية بينى وبينك يوم القيامة ، إن أقل الناس المتخصرون [٣] يومئذ ، قال فقرنها عبد الله بن أنيس بسيفه ، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فضمت فى كفنه ، ثم دفنا جميعًا ·

بَعض غزوات أُخَر : قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة مؤتة من أرض الشام ، فأصيبوا بها جميعًا ، وغزوة كعب ابن عمير الغفارى ذات أطلاح ، إلى أرض الشام ، أصيب بها هو وأصحابه جميعاً ، وغزوة عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بنى العنبر من بنى تميم ·

---

(١) أى صفه لى ، النعت : الصفة ·

(٢) الظعن : النساء فى الهوادج ·

(٣) المتخصرون : المتكئون على المخاصر ، والمخاصر ، مفردها مخصرة : العصا ·

غزوة عيينة بن حصن بنى تميم : وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ بعثه إليهم ، فأغار عليهم ، فأصاب منهم أناساً ، وسبى منهم أناساً .

فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن عائشة قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، إن علىَّ رقبة من ولد إسماعيل (١) . قال : هذا سبى بنى العنبر يقدم الآن فنعطيك منهم إنسانا فتعتقينه .

قال ابن إسحاق : فلما قُدم بسببهم على رسول الله ﷺ ، ركب فيهم وفد من بنى تميم ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، منهم ربيعة بن رفيع وسبرة بن عمرو والقعقاع بن معبد ، ووردان بن محرز ، وقيس بن عاصم ، ومالك بن عمرو والأقرع بن حابس ، وفراس بن حابس ، فكلموا رسول الله ﷺ فيهم ، فأعتق بعضاً ، وأفدى بعضا ، وكان ممن قتل يومئذ من بنى العنبر : عبد الله وأخوان له ، بنو وهب ، وشداد بن فراس ، وحنظلة بن دارم ، وكان ممن سبى من نسائهم يومئذ : أسماء بنت مالك ، وكاس بنت أرى ، ونجوة بنت نهد ، وجميعة بنت قيس ، وعمرة بنت مطر . فقالت فى ذلك اليوم سلمى بنت عتَّاب :

لَعمرِى لقد لاَقتْ عَدى بن جَندب ... من الشر مَهْواة شديداً كَئودهَا (٢)

تكنفها الأعداء من كل جَانبٍ ... وغيب عَنْه عزها وَجدودها (٣)

غزوة غالب بن عبد الله أرض بنى مرة : قال ابن إسحاق : وغزوة غالب بن عبد الله الكلبى - كلب ليث - أرض بنى مرة ، فأصاب بها مرداس بن نهيك ، حليفا لهم من الحرقة من جهينة ، قتله أسامة بن زيد ، ورجل من الأنصار .

قال ابن إسحاق : وكان من حديثه عن أسامة بن زيد ، قال : أدركته أنا ورجل من الأنصار فلما شهرنا عليه السلاح (٤) ، قال أشهد أن لا إله إلا الله . قال فلم ننزع عنه حتى قتلناه . فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبره ، فقال : يا أسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، إنه إنما

---

(١) أى عليها نذر عتق رقبة .

(٢) المهواة : المكان المنخفض بين جبلين . الكئود : الصعبة ، وعدى بن جندب من بنى العنبر ، والعنبر بن عمرو بن تميم .

(٣) الجدود : الحظوظ .

(٤) أى وجَّهناه ناحيته .

قالها تعوذا بها من القتل [١] . قال : فمن لك بها يا أسامة ؟ قال : فوالذى بعثه بالحق مازال يرددها علىّ حتى لوددت أن مامضى من إسلامى لم يكن ، وأنى كنت أسلمت يومئذ ، وأنى لم أقتله ، قال : قلت : أنظرنى يا رسول الله ، إنى أعاهد الله أن لا أقتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبدا ، قال : تقول بعدى يا أسامة ، قال : قلتَ بعدك [٢] .

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل : وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بنى عذرة . وكان من حديثه أن رسول الله ﷺ بعثه يستنفر العرب إلى الشام. وذلك أن أم العاص بن وائل كانت امرأة من بلى، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يستألفهم لذلك، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلسل ، وبذلك سميت تلك الغزوة غزوة ذات السلاسل ، فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فبعث إليه رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح فى المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر ، وقال لأبى عبيدة حين وجهه : لا تختلفا ، فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو إنما جئت مدداً لى ، قال أبو عبيدة : لا ، ولكنى على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه ، وكان أبو عبيدة رجلا لينا سهلا ، هينا عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : بل أنت مدد لى ، فقال أبو عبيدة يا عمرو، إن رسول الله ﷺ قال لى لا تختلفا، وإنك إن عصيتنى أطعتك ، قال : فإنى الأمير عليك ، وأنت مدد لى ، قال : فدونك . فصلى عمرو بالناس .

قال : وكان من الحديث فى هذه الغزاة ، أن رفاعة بن أبى رافع الطائى ، وهو رافع بن عميرة ، كان يحدث فيما بلغنى عن نفسه ، قال : كنت امرءاً نصرانيا ، وسميت سرجس ، فكنت أدل الناس وأهداهم بهذا الرمل ، كنت أدفن الماء فى بيض النعام بنواحى الرمل فى الجاهلية ، ثم أغير على إبل الناس ، فإذا أدخلتها الرمل غلبت عليها ، فلم يستطع أحد أن يطلبنى فيه ، حتى أمر بذلك الماء الذى خبأت فى بيض النعام فأستخرجه ، فأشرب منه ، فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى

---

(١) أى خوفًا من القتل وهربًا ونجاة .

(٢) وهذا خير دليل على حرمانية قتل المسلم مهما يكن ، ويتضح لنا من هذا الحديث حزن الرسول ﷺ على قتل هذا الرجل وغضبه من أسامة ، وأن الإسلام ليس دين إراقة دماء ولا قتل ولا إرهاب .

بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال : فقلت : والله لأختارن لنفسى صاحبًا ، قال فصحبت أبا بكر ، قال : فسكنت معه فى رحله ، قال : وكانت عليه عباءة له فدكية ، فكان إذا نزلنا بسطها وإذا ركبنا لبسها ، ثم شكها عليه بخلال له ، قال : وذلك الذى له يقول أهل نجد حين ارتدوا كفارا : نحن نبايع ذا العباءة ؟! قال : فلما دنونا من المدينة قافلين ، قال قلت : يا أبا بكر إنما صحبتك لينفعنى الله بك ، فانصحنى وعلمنى ، قال : لو لم تسألنى ذلك لفعلت ، قال آمرك أن توحد الله ولا تشرك به شيئا ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج هذا البيت ، وتغتسل من الجنابة ، ولا تتأمر على رجل من المسلمين أبدًا . قال : قلت : يا أبا بكر ، أما أنا والله فإنى أرجو أن لا أشرك بالله أحدا أبدا ، وأما الصلاة فلن أتركها أبدًا إن شاء الله ، وأما الزكاة فإن يك لى مال أؤدها إن شاء الله ، وأما رمضان فلن أتركه إن شاء الله ، وأما الحج فإن أستطع أحج إن شاء الله تعالى وأما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله ، وأما الإمارة فإنى رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله ﷺ وعند الناس إلا بها ، فلم تنهانى عنها ؟ قال : إنك إنما استجهدتنى لأجهد لك ، وسأخبرك عن ذلك : إن الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها ، فلما دخلوا فيه كانوا عوّاذ الله وجيرانه ، وفى ذمته فإياك لا تخفر الله (١) فى جيرانه فيتبعك الله فى خفرته ، فإن أحدكم يخفر فى جاره ، فيظل ناتئا عضله غضبًا لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير ، فالله أشد غضباً لجاره . قال : ففارقته على ذلك .

قال : فلما قُبِضَ (٢) رسول الله ﷺ ، وأُمِّرَ أبو بكر على الناس ، قال : قدمت عليه ، فقلت له : يا أبا بكر ، ألم تك نهيتنى عن أن أتأمر على رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى ، وأنا الآن أنهاك عن ذلك ، قال : فقلت له : فما حملك على أن تلى أمر الناس ؟ قال : لا أجد من ذلك بُدا ، خشيت على أمة محمد ﷺ الفرقة .

قال ابن إسحاق : أخبرنى يزيد بن أبى حبيب أنه حدث عن عوف بن مالك الأشجعى قال : كنت فى الغزاة التى بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى

(١) لاتخفر الله : لا تنقض عهده .

(٢) أى انتقل إلى الرفيق الأعلى .

ذات السلاسل ، قال : فصحبت أبا بكر وعمر ، فمررت بقوم على جَزور لهم قد نحروها ، وهم لا يقدرون على أن يعضوها [(١)] ، وقال : وكنت أمرءًا لبقًا جازرًا ، قال : فقلت : أتعطونى منها عشيرًا [(٢)] على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فأخذت الشفرتين ، فجزأتها مكانى ، وأخذت منها جزءًا ، فحملته إلى أصحابى : فاطبخناه ، فأكلناه . فقال لى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما : أنى لك هذا اللحم يا عوف ؟ قال : فأخبرتهما خبره ، فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيآن ما فى بطونهما من ذلك . قال : فلما قفل الناس من ذلك السفر ، كنت أول قادم على رسول الله ﷺ ، قال : فجئته وهو يصلى فى بيته ، قال فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، قال : أعوف بن مالك ؟ قال : قلت نعم ، بأبى أنت وأمى . قال : أصاحب الجزور ؟! ولم يزدنى رسول الله ﷺ على ذلك شيئًا .

غَزوة ابن أبى حدرد بطن إضم وقتل عامر بن الأضبط الأشجعى : قال : ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن عبد الله بن قُسيط ، عن القَعْقَاع بن عبد الله بن أبى حدرد ، عن أبيه عبد الله بن أبى حدرد ، قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم فى نفر من المسلمين ، فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعى ، ومحلم بن جثامة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم ، مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعى ، على قعود له ومعه متيع [(٣)] له ، ووطب من لبن [(٤)] . قال : فلما مر بنا سلم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلم بن جثامة ، فقتله لشىء كان بينه وبينه ، وأخذ بعيره ، وأخذ متيعه . قال : فلما قدمنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر نزل فينا : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا** ﴾ [(٥)] إلى آخر الآية [النساء : ٩٤] .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : سمعت زياد بن

(١) أن يعضوها : أن يقتسموها أجزاء . (٢) العشير : جزء من عشرة أجزاء .
(٣) المتيع : تصغير متاع . (٤) الوطب : وعاء اللبن .
(٥) قال ابن هشام : قرأ أبو عمرو بن العلاء : « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنًا » لهذا الحديث .

ضميرة بن سعد السلمى يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه ، عن جده ، وكانا شهدا حُنينا مع رسول الله ﷺ ، قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر ، ثم عمد إلى ظل شجرة فجلس تحتها وهو بحنين ، فقام إليه الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ابن حذيفة بن بدر ، يختصمان فى عامر بن أضبط الأشـجعى : عيينة يطلب بدم عامر ، وهو يومئذ رئيس غطفان ، والأقرع بن حابس يدفع عن محلم بن جثامة ، لمكانه من خندف ، فتداولا الخصومة عند رسول الله ﷺ ، ونحن نسمع ، فسمعنا عيينة بن حصن وهو يقول : والله يا رسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحرقة مثل ما أذاق نسائى ، ورسوله الله ﷺ يقول : بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا،وهو يأبى عليه ، إذ قام رجل من بنى ليث، يقال له : مُكيثر ، قصير مجموع ، فقال : والله يا رسول الله ما وجدت لهذا القتيل شبها فى غرة الإسلام [1] إلا كغنم وردت فرميت أولاها ، فنفرت أخراها ، اسنن اليوم ، وغير غدًا . قال : فرفع رسول الله ﷺ يده . فقال : بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا . قال : فقبلوا الدية . قال : ثم قالوا : أين صاحبكم هذا ، يستغفر له رسول الله ﷺ ؟ قال : فقام رجل آدم [2] ضرب [3] طويل ، عليه حلة له ، قد كان تهيأ للقتل فيها ، حتى جلس بين يدى رسول الله ﷺ ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا محلم بن جثامة ، قال : فرفع رسول الله ﷺ يده ، ثم قال : اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة ثلاثًا . فقام وهو يتلقى دمعه بفضل ردائه . قال : فأما نحن فنقول فيما بيننا : إنا لنرجو أن يكون رسول الله ﷺ قد استغفر له ، وأما ما ظهر من رسول الله ﷺ فهذا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم عن الحسن البصرى ، قال : قال رسول الله ﷺ حين جلس بين يديه : أمنته بالله ثم قتلته ؟! ثم قال له المقالة التى قال : قال فوالله ما مكث محلم بن جثامة إلا سبعًا حتى مات ، فلفظته الأرض [4] والذى نفس الحسن بيده - ثم عادوا فلفظته الأرض ، ثم عادوا فلفظته فلما غلب قومه عمدو إلى صدين [5] فسطحوه بينهما ، ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه . قال : فبلغ رسول الله ﷺ شأنه ، فقال : والله إن الأرض لتطابق على من هو شر منه ، ولكن الله أراد أن يعظكم فى حرم ما بينكم بما أراكم منه .

---

(١) غرة الإسلام : أوله . (٢) الآدم : الأسمر . (٣) ضرب : خفيف اللحم .
(٣) أى ألقته على سطحها . (٤) صدين : جبلين .

قال ابن إسحاق : وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حدث : أن عيينة بن حصن وقيسًا حين قال الأقرع بن حابس وخلا بهم ، يا معشر قيس ، منعتم رسول الله ﷺ قتيلا يستصلح به الناس ، أفأمنتم أن يلعنكم رسول الله ﷺ ، فيلعنكم الله بلعنته ، أو أن يغضب عليكم فيغضب الله ﷺ عليكم بغضبه ؟ والله الذى نفس الأقرع بيده لتسلمنه إلى رسول الله ﷺ فليصنعن فيه ما أراد ، أو لآتين بخمسين رجلا من بنى تميم يشهدون بالله كلهم ، لقُتل صاحبكم كافرًا ؟ ما صلى قط ، فلأطلن دمه (١) فلما سمعوا ذلك قبلوا الدية .

وقال ابن إسحاق : ملجَّم ، فيما حدثناه زياد عنه .

غزوة ابن أبى حَدْرد لقتل رفاعة بن قيس الجشمى : قال ابن إسحاق : وغزوة ابن أبى حدرد الأسلمى الغابة .

وكان من حديثها فيما بلغنى ، عمن لا أتهم وعن ابن أبى حدرد ، قال : تزوجت امرأة من قومى ، وأصدقتها مائتىْ درهم ، قال : فجئت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحى فقال : وكم أصدقت ؟ فقلت : مائتى درهم يا رسول الله ، قال سبحان الله ، لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد مازدتم (٢) . والله ما عندى ما أعينك به . قال : فلبثت أيامًا ، وأقبل رجل من بنى جشم ، يقال له : رفاعة بن قيس ، أو قيس بن رفاعة ، فى بطن عظيم من بنى جشم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيسًا على حرب رسول الله ﷺ وكان ذا اسم فى جشم وشرف . قال : فدعانى رسول الله ﷺ ورجلين معى من المسلمين ، فقال : أخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم . قال : وقدم لنا شارفا (٣) عجفاء فحمل عليها أحدنا ، فوالله ما قامت به ضعفًا حتى دعمـــها الرجال من خلفها بأيديهم ، حتى استقلت وما كادت ثم قال : تبلغوا عليها واعتقبوها .

قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر عشيشية (٤) مع غروب الشمس . قال : كنت فى ناحية ، وأمرت صاحبى ، فكمنا فى ناحية أخرى من حاضر القوم ، وقلت لهما : إذا سمعتمانى قد كبرت

(١) أطلن دمه : أجعل دمه باطلا .

(٢) دليلا على أن الرسول ﷺ استكثر المهر ، وقد حذر ﷺ من المغالاة فى المهور .

(٣) الشارف : الناقة المسنة .

(٤) عشيشية : تصغير عشية على غير القياس .

وشددت فى ناحية العسكر فكبرا وشدا معى · قال : فوالله إنا لكذلك ننتظر غرة [(١)] القوم ، أو أن نصيب منهم شيئًا · قال : وقد غشـينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرح فى هذا البلد ، فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه · قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعة بن قيس ، فأخذ سيـفه ، فجعله فى عنقه ، ثم قال : والله لأتبعن أثر راعينا هذا ، ولقد أصابه شر ، فقال له نفر ممـن معه : والله لا تذهب ، نحن نكفيك ، قال : والله لا يذهـب إلا أنا ، قالوا : فنحن معك ، قال : والله لا يتبعنى أحد منكم قال : وخرج حتى يمر بى · قال : فلما أمكننى نفحته بسهمى ، فوضعته فى فؤاده · قال : فوالله ما تكلم ، ووثبت إليه ، فاحتززت رأسه · قال : وشددت فى ناحية العســكر ، وكبـرت ، وشد صاحباى وكبرا · قال : فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه ، عندك ، عندك ، بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم ، وما خف معهم من أمـــوالهم قال : واستقنا إبلا عظيمة وغنما كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ · قال : وجئت برأسه أحمله معى · قال : فأعاننى رسول الله ﷺ من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرًا فى صداقى ، فجمعت إلىَّ أهلى ·

غَزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دَومة الجَنْدَل : قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن عطاء بن أبى رباح ، قال : سمعت رجلا من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اعتم ، قال : فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم : كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب رسول الله ﷺ فى مسجده : أبو بكر ، وعثمان ، وعلى ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وحذيـفة بن اليـمان ، وأبو سعيد الخدرى ، وأنا مع رسول الله ﷺ ، إذا أقبل فتى من الأنصار · فسلم على رسول الله ﷺ ، ثم جلس ، فقال : يا رسول الله ، صلى الله عليك ، أى المؤمنين أفضل ؟ فقال : أحسنهم خلقا ، قال : فأى المؤمنين أكيس ؟ قال ، أكثرهم ذكرًا للموت ، وأحسنهم اسـتعدادًا له قبل أن ينزل به ، أولئك الأكياس ، ثم سكت الفتى ، وأقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : يا معشر المهاجرين ، خمس خصال إذا نزلن بكم · وأعوذ بالله أن تدركوهن - إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى علنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا ،

(١) الغرة : الغفلة ·

ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين [١] وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم ما مطروا ، وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدوًّا من غيرهم ، فأخذ بعض ما كان فى أيديهم ، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم ·

ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها ، فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس [٢] سوداء ، فأدناه رسول الله ﷺ منه ، ثم نقضها ، ثم عممه بها ، وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحوًا من ذلك ، ثم قال : هكذا يا بن عوف فاعتم ، فإنه أحسن وأعرف ، ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء ، فدفعه إليه ، فحمد الله تعالى وصلى على نفسه ، ثم قال : خذه يا بن عوف ، اغزوا جميعا فى سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، لا تغلُّوا [٣] ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا ، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم ، فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء ·

غَزوة أَبى عبيدة بن الجرَّاح إلى سيف البحر [٤] : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، عن أبيه ، عن جده عبادة بن الصامت ، قال : بعث رسول الله ﷺ سرية إلى سيف البحر ، عليهم أبو عبيدة بن الجراح ، وزودهم جرابا من تمر فجعل يقوتهم إياه ، حتى صار إلى أن يعده عليهم عدًّا قال : ثم نفد التمر حتى كان يعطى كل رجل منهم كل يوم تمرة · قال فقسمها يوما بيننا · قال : فنقصت تمرة عن رجل ، فوجدنا فقدها ذلك اليوم · قال : فلما جهدنا الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر ، فأصبنا من لحمها وودكها [٥] ، وأقمنا عليها عشرين ليلة ، حتى سمنا وابتللنا [٦] ، وأخذ أميرنا ضلعا من أضلاعها ، فوضعها على طريقه ، ثم أمر بأجسم بعير معنا ، فحمل عليه أجسم رجل منا ، قال : فجلس عليه قال : فخرج من تحتها وما مست رأسه · قال : فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبرها ، وسألناه عما صنعنا فى ذلك من أكلنا إياه ، فقال : رزق رزقكموه الله ·

---

(١) السنين : الجدب والقحط ·

(٢) الكرابيس : الأقطان · واحده كربوس ·

(٣) لا تغلوا : لا تخونوا فى المغنم ·

(٤) سيف البحر : جانبه وساحله ·

(٤) الودك : الشحم ·

(٥) ابتللنا : أخذنا الراحة ·

بَعْثُ عَمرو بن أُمَيّة الضمرى لقتال أبى سفيان بن حرب وما صنع فى طريقه :

بعثه رسول الله ﷺ [١] ، فيما حدثنى من أثق به من أهل العلم بعد مقتل خبيب ابن عدى وأصحابه إلى مكة ، وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب ، وبعث معه جبار ابن صخر الأنصارى ، فخرجا حتى قدما مكة ، وحبسا جمليهما بشعب [٢] من شعاب يأجج [٣] ، ثم دخلا مكة ليلا ، فقال جبار لعمرو : لو أنا طفنا بالبيت وصلّينا ركعتين ؟ فقال عمرو : إن القوم إذا تعشوا جلسوا بأفنيتهم ، فقال : كلا ، إن شاء الله ، فقال عمرو : فطفنا بالبيت ، وصلينا ، ثم خرجنا نريد أبا سفيان ، فوالله إنا لنمشى بمكة إذ نظر إلىَّ رجل من أهل مكة فعرفنى ، فقال عمرو ابن أمية : والله إن قدمها إلا لشر . فقلت لصاحبى : النجاء ، فخرجنا نشتد ، حتى أصعدنا فى جبل ، وخرجوا فى طلبنا حتى إذا علونا الجبل يئسوا منا ، فرجعوا .

فدخلنا كهفاً فى الجبل ، فبتنا فيه ، وقد أخذنا حجارة فرضمناها دوننا . فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسا له ، ويخلى عليها [٤] ، فغشينا ونحن فى الغار . فقلت : إن رآنا صاح بنا ، فأخذنا فقتلنا .

قال : ومعى خنجر قد أعددته لأبى سفيان ، فأخرج إليه ، فأضربه على ثديه ضربة ، وصاح صيحة أسمع أهل مكة ، وأرجع فأدخل مكانى ، وجاءه الناس يشتدون وهو بآخر رمق فقالوا : من ضربك ؟ فقال : عمرو بن أمية ، وغلبه الموت فمات مكانه ، ولم يدل على مكاننا ، فاحتملوه . فقلت لصاحبى ، لما أمسينا : النجاء ، فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة ، فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة

---

(١) قال ابن هشام : ومما لم يذكره ابن إسحاق بعوث رسول الله ﷺ بعث عمرو بن أمية الضمرى ، فرد عليه السهيلى فى الروض الأنف ٤ / ٢٥٣ قائلاً : وذكر الشيخ الحافظ أبو بحر سفيان بن العاصى رحمه الله فى هذا الموضع قال نقلت من حاشية نسخة من كتاب السير منسوبة سماع أبى سعيد عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم وأخويه محمد وأحمد ابنى عبد الله بن عبد الرحيم ما هذا نصه . وجدت بخط أخى قول ابن هشام : هذا مما لم يذكره ابن إسحاق (هو غلط منه) قد ذكره ابن إسحاق عن جعفر بن عمر بن أمية فيما حدث أسد عن يحيى بن زكريا عن ابن إسحاق ، والقائل فى الحاشية : وجدت بخط أخى هو : أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحيم وفى الكتاب المذكور قول أبى بكر المذكور فى غزوة الطائف بعد قوله : نولدت له داود بن أبى مرة ، إلى هنا ، انتهى سماعى من أخى ، وما بقى من هذا الكتاب سمعته من ابن هشام نفسه .

(٢) الشعب : الطريق بين جبلين . (٣) يأجج : جبل بمكة .

(٤) يخلى : يجمع الخلى ، وهو ما ينبته الربيع .

خُبيب بن عدى ، فقال أحدهم : والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية ، قال : فلما حاذى الخشبة شد عليها فأخذها فاحتملها ، وخرجا شدا ، وخرجوا وراءه ، حتى أتى جرفا بمهبط مسيل يأجج ، فرمى بالخشبة فى الجرف ، فغيبه الله عنهم ، فلم يقدروا عليه ، قال : وقلت لصاحبى : النجاء النجاء حتى تأتى بعيرك فتقعد عليه ، فإنى سأشغل عنك القوم ، وكان الأنصارى لا رجلة له [(١)] .

قال : ومضيت حتى أخرج على ضجنان ، ثم أويت إلى جبل ، فأدخل كهفاً ، فبينا أنا فيه ، إذ دخل علىَّ شيخ من بنى الديل أعور ، فى غنيمة له . فقال : من الرجل ؟ فقلت من بنى بكر ، فمن أنت ؟ قال من بنى بكر . فقلت : مرحبا ، فاضطجع ، ثم رفع عقيرته ، فقال :

وَلستُ بمسلم مادمتُ حيًّا ... ولا دَان لدينِ المسلمينَا

فقلت فى نفسى : ستعلم ، فأمهلته ، حتى إذا نام أخذت قوسى ، فجعلت سيتها [(٢)] فى عينه الصحيحة ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ، ثم خرجت النجاء ، حتى جئت العرج[(٣)] ، ثم سلكت ركوبة [(٤)] ، حتى إذا هبطت النقيع [(٥)] ، إذا رجلان من قريش من المشركين ، كانت قريش بعثتهما عينا إلى المدينة ينظران ويتجسسان ، فقلت استأسرا ، فأبيا ، فأرمى أحدهما بسهم فأقتله ، وأستأسر الآخر ، فأوثقه رباطا ، وقدمت به المدينة .

سرية زيد بن حارثة إلى مَدين : قال ابن هشام : وسرية زيد بن حارثة إلى مدين ذكر ذلك عبد الله بن حسن بن حسن ، عن أمه فاطمة بنت الحسين بن على عليهم رضوان الله ، أن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة نحو مدين ، ومعه ضميرة مولى على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأخ له . قالت : فأصاب سبيا من أهل ميناء ، وهى السواحل ، وفيها جماع من الناس ، فبيعوا ، ففرق بينهم ، فخرج رسول الله ﷺ وهم يبكون فقال : ما لهم ؟ فقيل : يا رسول الله ، فرق بينهم ، فقال رسول الله ﷺ : لا تبيعوهم إلا جميعا .

قال ابن هشام : أراد الأمهات والأولاد .

سرية سالم بن عمير لقتل أبى عفَك : قال ابن إسحاق : وغزوة سالم بن عمير

---

(١) لا رجلة له : ضعيف المشى على رجليه . (٢)سيتها : طرفها
(٣) العرج : واد بالحجاز . (٤) ركوبة : ثنية بين الحرمين .
(٥) النقيع : موضع ببلاد مزينة .

لقتل أبى عفَك · أحد بنى عمرو بن عوف ثم من بنى عبيدة ، وكان قد نجم (١) نفاقه ، حين قتل رسول الله ﷺ الحارث بن سويد بن صامت ، فقال :

لقد عشـــتُ دهراً وما إن أرَى ... من النّاس دَاراً ولا مَجمَعـــا
أبرَّ عُهوداً وأوفَى لمـــن ... يُعاقدُ فيهم إذا مادعـــا
منْ أولاد قيلة (٢)في جَمْعهم ... يَهدُّ الجِبَالَ ولم يخضَعـا
فَصَدَّعَهــم راكب جَاءهم ... حـلالٌ حرامٌ لشىء معـا (٣)
فَلو أن بالعزِّ صَدَّقْتـهم ... أو المُلْك تَابعتـهم تُبَّعا

فقال رسول الله ﷺ : من لى بهذا الخبيث ؟ فخرج سالم بن عمير ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهو أحد البكائين ، فقتله ، فقالت أمامة الزبرية فى ذلك :

تكذِّبُ دينَ الله والمرءُ أحـمداَ ... لَعمر الذى أمناك أن بئس ما يُمنى (٤)
حَباكَ حَنيفٌ آخر الليـل طَعنةً ... أبا عفك خذها على كبـر السنِّ

غزوة عُمير بن عدى الخطمي لقتل عصماء بنت مروان : وغزوة عمير بن عدى الخطمى عصماء بنت مروان ، وهـى من بنى أمية بن زيد ، فلما قتل أبو عفك نافقت ، فذكر عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه ، قال : وكانت تحت رجل من بنى خطمة ، ويقال له يزيد بن زيد فقالت : تعيب الإسلام وأهله :

باست بَنى مَالك والنَّبيت ... وعَوف وباسـت بنى الخَزْرج
أطعتم أتاوىَّ منْ غَيركـم ... فَلا من مُراد ولاَ مَذْحـج (٥)
تُرجُّونَهُ بَعدَ قَتْلِ الرءوس ... كَما يُرتَجى مَرق المنـضَج
ألا أنفٌ يَبتغـى غِرَّةً ... فَيقطع من أمـل المرتجى (٦)

قال : فأجابها حسان بن ثابت ، فقال :

بَنُو وَائل وَبَنـو وَاقف ... وخَطْمَة دُونَ بَنى الخَزرجِ
مَتى مَا دَعَت سَفـها ويحَهاَ ... بِعَولتها والمَنَايا تجـى
فَهزَّتْ فَتى ماجـداً عرقُهُ ... كَريم المداخل والمخـرج

---

(١) نجم : وضح · (٢) قيلة : أم الأوس والخزرج ·
(٣) صدعهم : فرقهم · (٤) أمناك : أنساك ·
(٥) الأتاوى : الغريب · (٦) الأنف : المرتفع · الغرة : الغفلة ·

فَضَرَّجَها من نَجيـع الدِّما ء بعدَ الهدوِّ فلم يحرجِ (١)

فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك ، ألا آخذ لى من ابنة مروان ؟ فسمع ذلك من قول رسول الله ﷺ عمير بن عدى الخطمى ، وهو عنده ، فلما أمسى من تلك الليلة سِرى عليها فى بيتها فقتلها ، ثم أصبح مع رسول الله ﷺ ، فقال يا رسول الله ، إنى قد قتلتها ، فقال نصرت الله ورسوله يا عمير ، فقال : هل على شىء من شأنها يا رسول الله ؟ فقال : لا ينتطح فيها عنزان .

فرجع عمير إلى قومه ، وبنو خطمة يومئذ كثير موجهم (٢) فى شأن بنت مروان ، ولها يومئذ بنون خمسة رجال ، فلما جاءهم عمير بن عدى من عند رسول الله ﷺ ، قال : يا بنى خطمة ، أنا قتلت ابنة مروان ، فكيدونى جميعا ثم لا تُنظرون . فذلك اليوم أول ما عز الإسلام فى دار بنى خطمة ، وكان يستخفى بإسلامهم فيهم من أسلم ، وكان أول من أسلم من بنى خطمة عمير بن عدى ، وهو الذى يدعى القارئ ، وعبد الله بن أوس ، وخزيمة بن ثابت ، وأسلم يوم قتلت ابنة مروان ، رجال من بنى خطمة ، لما رأوا من عز الإسلام .

أمر ثُمَامة بن أُثَال الحنفى وإسلامه : بلغنى عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة أنه قال : خرجت خيل لرسول الله ﷺ ، فأخذت رجلا من بنى حنيفة ، لا يشعرون من هو ، حتى أتوا به رسول الله ﷺ ، فقال : أتدرون من أخذتم ، هذا ثمامة بن أثال الحنفى ، أحسنوا إساره - ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله ، فقال : اجمعوا ما كان عندكم من طعام ، فابعثوا به إليه ، وأمر بلقحته (٣) أن يغدى عليه بها ويراح . فجعل لا يقع من ثمامة موقعا ويأتيه رسول الله ﷺ فيقول أسلم يا ثمامة ، فيقول : إيها (٤) يا محمد ، إن تقتل تقتل ذا دم وإن ترد الفداء فسل ما شئت ، فمكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم قال النبى ﷺ يوما : أطلقوا ثمامة ، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع ،فتطهر فأحسن طهوره ، ثم أقبل فبايع النبى ﷺ على الإسلام،فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتونه من الطعام،فلم ينل منه إلا قليلا،وبلقحته فلم يصب من حلابها إلا يسيرا فعجب المسلمون من ذلك فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك.مم تعجبون؟أمن رجل أكل أول النهار فى معىً كافر ،

(١) الهدو : منتصف الليل ، أو بعد ساعة منه . يحرج : يأثم .

(٢) موجهم : اختلافهم . (٣) اللقحة : الناقة التى لها لبن .(٤) إيها : حسبك .

وأكل آخر النهار فى معى مسلم ! إن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، وإن المسلم يأكل فى معى واحد (١) .

سرية عَلْقمة بن مُجزِّز : وبعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجزز .

لما قتل وقاص بن مجزز المدلجى يوم ذى قرد ، سأل علقمة بن مجزز رسول الله ﷺ أن يبعثه فى آثار القوم ، ليدرك ثأره فيهم .

فذكر عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن عمرو بن الحكم بن ثوبان عن أبى سعيد الخدرى ، قال : بعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجزز - قال أبو سعيد الخدرى : وأنا فيهم - حتى إذا بلغنا رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق ، أذن لطائفة من الجيش ، واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة السهمى ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ، وكانت فيه دعابة ، فلما كان ببعض الطريق أوقد ناراً ، ثم قال للقوم : أليس لى عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى ، قال : أفما أنا آمركم بشىء إلا فعلتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنى أعزم عليكم بحقى وطاعتى إلا تواثبتم فى هذه النار ، قال : فقام بعض القوم يحتجز (٢) ، حتى ظن أنهم واثبون فيها ، فقال لهم : اجلسوا ، فإنما كنت أضحك معكم ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ بعد أن قدموا عليه ، فقال رسول الله ﷺ : من أمركم بمعصية منهم فلا تطيعوه .

وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن مجزز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيدا (٣) .

سَرية كرْز بن جابر لقتل البَجليين الذين قتلوا يساراً : حدثنى بعض أهل العلم ، عمن حدثه ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان بن عبد الرحمن ، قال : أصاب رسول الله ﷺ فى غزوة محارب وبنى ثعلبة عبداً يقال له يسار ، فجعله رسول الله ﷺ فى لقاح له كانت ترعى فى ناحية الجماء ، فقدم على

---

(١) انظر ما فى هذا الحديث من البلاغة فى كتاب المجازات النبوية تحقيق طه عبد الرءوف سعد . ط الحلبى .

(٢) يحتجز : يشد ثوبه على خصره .

(٣) أى قتالاً .

رسول الله ﷺ نفر من قيس كبة من بجيلة ، فاستوبئوا ، وطحلوا (١) ، فقال لهم رسول الله ﷺ : لو خرجتم إلى اللقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها ، فخرجوا إليها .

فلما صحوا وانطوت بطونهم ، عَدَوا على راعى رسول الله ﷺ يسار ، فذبحوه وغرزوا الشوك فى عينيه ، واستاقوا اللقاح . فبعث رسول الله ﷺ فى آثارهم كرز بن جابر ، فلحقهم ، فأتى بهم رسول الله ﷺ مرجعه من غزوة ذى قرد ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمل أعينهم .

غزوة على بن أبى طالب إلى اليمن : وغزوة على بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى اليمن غزاها مرتين .

وقد ذكر ابن إسحاق بعث خالد بن الوليد فى حديثه ، ولم يذكر فى عدة البعوث والسرايا فينبغى أن تكون العدة فى قوله تسعة وثلاثين .

بَعثُ أُسامة بن زيد إلى أرض فلسطين : قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم ، ومن أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون (٢) .

* * *

ابتداءُ شكْوَى رَسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق : فبينا الناس على ذلك ابتدئ رسول الله ﷺ بشكواه الذى قبضه الله فيه ، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته ، فى ليال بقين من صفر ، أو فى أول شهر ربيع الأول ، فكان أول ما ابتدئ به من ذلك ، فيما ذكر لى ، أنه خرج إلى بقيع الغرقد ، من جوف الليل ، فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن عمر ، عن عبيد بن جبير ، مولى الحكم بن أبى العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبى مويهبة ، مولى رسول الله ﷺ ، قال : بعثنى رسول الله ﷺ من جوف الليل ، فقال : يا

---

(١) استوبئوا : أصيبوا بالأوبئة . طحلوا : أصيبوا بداء الطحال .

(٢) قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ .

أبا مويهبة ، إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلق معى ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم ، قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهنىء لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى ، ثم أقبل علىَّ ، فقال : يا أبا مويهبة ، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة قال : فقلت : بأبى أنت وأمى ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا ،والخلد فيها ، ثم الجنة ، قال لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذى قبضه الله فيه ٠

تمريضه فى بيت عائشة : قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عائشة زوج النبى ﷺ قالت : رجع رسول الله ﷺ من البقيع ، فوجدنى وأنا أجد صداعًا فى رأسى ، وأنا أقول : واراساه ، فقال : بل أنا والله يا عائشة واراساه قالت : ثم قال : وما ضرك لو مت قبلى ، فقمت عليك وكفنتك ، وصليت عليك ودفنتك ؟ قالت : قلت : والله لكأنى بك ، لو قد فعلت ذلك ، لقد رجعت إلى بيتى ، فأعرست فيه ببعض نسائك ٠ قالت : فتبسم رسول الله ﷺ ، وتتام به وجعه ، وهو يدور على نسائه ، حتى استعز به [١] ، وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه ، فاستأذنهن فى أن يمرض فى بيتى ، فأذن له ٠

* * *

ذكر أزواجه ﷺ [٢]

عن زياد بن عبد الله البَكَّائى قال : قال ابن إسحاق : وكن تسعًا : عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ، وأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة ، وسودة بنت زمعة بن قيس ، وزينب بنت جحش بن رئاب ، وميمونة بنت الحارث بن حزن ، وجويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، وصفية بنت حُيَى بن أخطب ، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم ٠

---

(١) استعز به : غلبه ٠

(٢) سبق ذكر هذا الموضع فى الجزء الأول من سيرة ابن إسحاق ولكن مختصرًا وجاء مقدمًا حسب ترتيب ابن إسحاق ونذكره هنا من رواية ابن هشام لفائدة زائدة ٠

خديجة : وكان جميع من تزوج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة : خديجة بنت خويلد ، وهى أول من تزوج ، زوّجه إياها أبوها خويلد بن أسد أو أخوها عمرو بن خويلد ، وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكرة ، فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلهم إلا إبراهيم ، وكانت قبله عند أبى هالة بن مالك ، أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم ، حَليف بنى عبد الدار ، فولدت له هند بن أبى هالة ، وزينب بنت أبى هالة وكانت قبل أبى هالة عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فولدت له عبد الله . وجارية .

عائشة : وتزوج رسول الله ﷺ عائشة بنت أبى بكر الصديق بمكة ، وهى بنت سبع سنين ، وبنى (١) بها بالمدينة ، وهى بنت تسع سنين أو عشر ، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكرا غيرها ، زوّجه إياها أبوها أبو بكر ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم .

سَوْدَة : وتزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم .

وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل .

زينب بنت جحش : وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية . زوّجه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة ، مولى رسول الله ﷺ ففيها أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ **فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها** ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

أُمّ سَلَمَة : وتزوج رسول الله ﷺ أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية واسمها هند ، زوّجه إياها سلمة بن أبى سلمة ابنها ، وأصدقها رسول الله ﷺ فراشا حشوه ليف ، وقدحا ، وصحفة ، ومجشة (٢) ، وكانت قبله عند أبى سلمة ابن عبد الأسد ، واسمه عبد الله ، فولدت له سلمة وعمر وزينب ورقية .

حَفْصَة : تزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب ، زوجه إياها

---

(١) أى دخل بها .

(٢) المجشة : الرحى .

أبوها عمر بن الخطاب ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائه درهم . وكانت قبله عند خنيس بن حذافة السهمى .

أُم حبيبة : وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة . واسمها رملة بنت أبى سفيان ابن حرب ، زوجه إياها خالد بن سعيد بن العاص ، وهما بأرض الحبشة ، وأصدقها النجاشى عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار ، وهو الذى كان خطبها على رسول الله ﷺ ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدى .

جُوَيْرِيَةُ بنتُ الحَارِث : وتزوج رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار الخزاعية ،كانت فى سبايا بنى المصطلق من خزاعة ، فوقعت فى السهم لثابت ابن قيس بن الشماس الأنصارى ، فكاتبها على نفسها ، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابتها . فقال لها : هل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك ؟ فقالت : نعم ، فتزوجها [(١)] .

صَفيةُ بنْت حُيَى : وتزوج رسول الله ﷺ صفية بنت حيى بن أخطب سباها من خيبر ، فاصطفاها لنفسه ، وأولم رسول الله ﷺ وليمة ، ما فيها شحم ولا لحم ، كان سويقا وتمرا ، وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق .

مَيْمُونَة بِنْتُ الحَارث : وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث بن حزن ابن بحير بن هزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، زوّجه إياها العباس بن عبد المطلب ، وأصدقها العباس عن رسول الله ﷺ أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند أبى عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لُؤى ، ويقال : إنها التى وهبت نفسها للنبى ﷺ ، وذلك أن خطبة النبى ﷺ انتهت إليها وهى على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله : فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ **وامرأة مؤمنة إنْ وهبت نفسها للنبى** ﴾ [(٢)] .

ويقال : إن التى وهبت نفسها للنبى ﷺ زينب بنت جحش ، ويقال أم شُريك ، غزية بنت جابر بن وهب من بنى منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر ابن لؤى ، ويقال: بل هى امرأة من بنى سلمة بن لؤى ، فأرجأها رسول الله ﷺ .

---

(١) قال ابن هشام : ويقال اشتراها رسول الله ﷺ من ثابت بن قيس ، فأعتقها وتزوجها ، وأصدقها أربعمائة درهم . (٢) الأحزاب : ٥٠ .

زينب بنْت خُزَيمة : وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث ابن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت تُسمى أم المساكين لرحمتها إياهم ، ورقتها عليهم ، زوجه إياها قبيصة بن عمرو الهلالى ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم وكانت قبله عند[1]عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو بن الحارث وهو ابن عمها .

فهؤلاء اللاتى بنَى بهنَّ رسول الله ﷺ إحدى عشرة ، فمات قبله منهن ثنتان خديجة بنت خويلد ، وزينب بنت خزيمة ، وتوفى عن تسع قد ذكرتهن فى أول هذا الحديث وثنتان لم يدخل بهما . أسماء بنت النعمان الكندية تزوجها فوجد بها بياضا فمتعها[2] وردها إلى أهلها ، وعمرة بنت يزيد الكلابية وكانت حديثة عهد بكفر ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ ، استعاذت من رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : منيعٌ عائذ الله فردها إلى أهلها ، ويقال : إن التى استعاذت من رسول الله ﷺ كندية بنت عم لأسماء بنت النعمان ، ويقال إن رسول الله ﷺ دعاها ، فقالت : إنا قوم نُؤتَى ولا نأتى ، فردها رسول الله ﷺ إلى أهلها .

القُرشيات منهن : القرشيات من أزواج النبى ﷺ ست : خديجة بنت خويلد بن أَسد بن عَبد العزى بن قُصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤى ، وعائشة بنت أبى بكر بن أبى قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعيد بن تيم بن مرة بن كعب بن لُؤى بن غالب ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لُؤى ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤى ، وأم سلمة بنت أبى المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤى ، وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى .

العَربيات وغيرهن : والعربيات وغيرهن سبع : زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، وميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن هزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ،

---

(١) عند عبيدة : أى زوجة عبيدة .　　(٢) أى دخل بهن .

(٣) متعها : أعطاها ما تتمتع به .

وزينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر ابن صعصعة بن معاوية ، وجويرية بنت الحارث بن أبى ضرار الخزاعية ، ثم المصطلقية ، وأسماء بنت النُّعمان الكِنْدية ، وعَمرة بنت يزيد الكلابية .

ومن غير العربيات : صفية بنت حُيى بن أَخْطَب ، من بنى النضير (١) .

* * *

تَمْرِيضُ رَسول الله فى بيت عَائشة

قال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبيد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبى ﷺ ، قالت : فخرج رسول الله ﷺ يمشى بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس ، ورجل آخر ، عاصبًا رأسه ، تخط قدماه حتى دخلى بيتى .

قال عبيد ، فحدث هذا الحديث عبدِ الله بن العباس ، فقال : هل تدرى من الرجل الآخر ؟ قال : قلت : لا . قال : على بن أبى طالب .

اشتداد المرض : ثم غمر رسول الله ﷺ ، واشتد به وجعه ، فقال : هريقوا علىَّ سبع قرب من آبار شتى ، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم ، قالت : فأقعدناه فى مخضب (٢) لحفصة بنت عمر ، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول : حسبكم حسبكم .

خُطْبَةٌ للنبى وتفضيله أبا بكر : قال ابن إسحاق : وقال الزهرى : حدثنى أيوب ابن بشير : أن رسول الله ﷺ خرج عاصبًا رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أُحد . واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم ،

---

(١) لم يذكر ابن إسحاق فى أزواج رسول الله ﷺ شراف بنت خليفة أخت دحية بن خليفة الكلبى ، وذكرها غيره ، ولم تقم عنده إلا يسيرًا حتى ماتت ، وكذلك العالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف ؛ ذكرها غيره فى أزواج رسول الله ﷺ . وكذلك وسنى بنت الصلت تزوجها ثم خلى سبيلها ، ويقال فيها : سنا بنت أسماء بنت الصلت ، ومنهن أسماء بنت النعمان بن الجون الكندية ، اتفقوا على تزويج النبى ﷺ إياها ، واختلفوا فى سبب فراق النبى ﷺ لها . وكذلك قيل فى شراف بنت خليفة إنها هلكت قبل أن يدخل بها ، والله أعلم .

(٢) المخضب : إناء يغتسل فيه .

ثم قال : إن عبدا من عباد الله خيَّره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله : قال : ففهمها أبو بكر وعرف أن نفسه يريد ، فبكى وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على رسلك يا أبا بكر ، ثم قال : انظروا هذه الأبواب اللافظة (١) فى المسجد ، فسدوها إلا بيت(٢) أبى بكر فإنى لا أعلم أحدًا كان أفضل فى الصحبة عندى يداً منه ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبى سعيد ابن المعلى أن رسول الله ﷺ ، قال يومئذ فى كلامه هذا : فإنى لو كنت متخذًا من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده ·

أمره بإنفاذ بعث أُسَامة : وقال ابن إسحاق · وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ، أن رسول الله ﷺ استبطأ الناس فى بعث أسامة بن زيد ، وهو فى وجعه ، فخرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر ، وقد كان الناس قالوا فى إمرة أسامة : أمَّر غلاما حدثا على جُلَّة (٣) المهاجرين والأنصار ·

فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : أيها الناس ، أنفذوا بعث أسامة ، فلعمرى لئن قلتم فى إمارته لقد قلتم فى إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق للإمارة ، وإن كان أبوه لخليقا لها ·

قال : ثم نزل رسول الله ﷺ ، وانكمش (٤) الناس فى جهازهم واستعز برسول الله ﷺ وجعه ، فخرج أسامة ، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجرف ، من المدينة على فرسخ ، فضرب به عسكره ، وتتام إليه الناس ، وثقل رسول الله ﷺ ، فأقام أسامة والناس ، لينظروا ما الله قاض فى رسول الله ﷺ ·

وصايته بالأنصار : وقال ابن إسحاق : قال الزهرى : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال يوم صلى واستغفر لأصحاب أُحد ، وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذ : يا معشر المهاجرين ، استوصوا بالأنصار خيرًا ،

(١) اللافظة : النافذة ·
(٢) قال ابن هشام : ويروى إلا باب أبى بكر ·
(٣) جلة : معظمهم ·
(٤) انكمش الناس فى جهازهم : أسرعوا فيه ·

فإن الناس يزيدون ، وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد ، وإنهم كانوا عيبتى [١] التى أويت إليها فأحسنوا إلى محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم ٠

قال عبد الله : ثم نزل رسول الله ﷺ ، فدخل بيته ، وتتام به وجعه ، حتى غمر ٠

اللَّدُودُ [٢] : قال عبد الله : فاجتمع إليه نساء من نسائه : أم سلمة ، وميمونة ونساء من نساء المسلمين ، منهن أسماء بنت عُميس ، وعنده العباس عمه ٠ فأجمعوا أن يلدوه ٠ وقال العباس لألدَّنه ٠ قال : فلدوه ، فلما أفاق رسول الله ﷺ ، قال : من صنع هذا بى ؟ قالوا : يا رسول الله ، عمك ، قال : هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض ، وأشار نحو أرض الحبشة ، قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال عمه العباس : خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب ، فقال : إن ذلك لداء ما كان عز وجل ليقذفنى به ، لايبق فى البيت أحد إلا لد إلا عمى ، فلقد لدت ميمونة وإنها لصائمة ، لقسم رسول الله ﷺ عقوبة لهم بما صنعوا به ٠

دُعَاؤه لأسامة بالإشارة : قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عبيد بن السباق ، عن محمد بن أسامة ، عن أبيه أسامة بن زيد ، قال : لما ثقل رسول الله ﷺ هبطت وهبط الناس معى إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله ﷺ ، وقد أصمت فلا يتكلم فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها علىَّ ، فأعرف أنه يدعو لى ٠

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب الزهرى : حدثنى عبيد بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ كثيراً ما أسمعه يقول : إن الله لم يقبض نبيًّا حتى يخيره ، قالت : فلما حضر رسول الله ﷺ كان آخر كلمة سمعتها وهو يقول : بل الرفيق الأعلى [٣] من الجنة ، قالت : فقلت : إذاً والله لا يختارنا ، وعرفت أنه الذى كان يقول لنا : إن نبيا لم يقبض حتى يخير ٠

---

(١) عيبة الرجل : مكمن سره ٠

(٢) اللدود مجموعة من سبعة أدوية مخلوطة يجعل فى جانب الفم فى داخله ويحك بالأصبع قليلا ٠

(٣) اللهم الرفيق الأعلى: وهذا منتزع من قوله تبارك وتعالى: ﴿ **فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين** ﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿ **وحسن أولئك رفيقًا** ﴾ فهذا هو الرفيق الأعلى ، ولم يقل الرفقاء لأن أهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد ،وهى تتضمن=

أبو بكر يُصلى بالناس : قال الزهرى : وحدثنى حمزة بن عبد الله بن عمر أن عائشة قالت : لما استعز برسول الله ﷺ قال مُروا أبا بكر فليصل بالناس · قالت : قلت : يا نبى الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير البكاء إذا قرأ القرآن · قال : مروه فليصل بالناس · قالت : فعدت بمثل قولى ، فقال : إنكن صواحب يوسف ، فمروه فليصل بالناس ، قالت : فوالله ما أقول ذلك إلا أنى كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر وعرفت أن الناس لا يحبون رجلا قام مقامه أبداً ، وأن الناس سيتشاءمون به فى كل حدث كان ، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر ·

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب : حدثنى عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، قال : لما استُعز برسول الله ﷺ وأنا عنده فى نفر من المسلمين ، قال : دعاه بلال إلى الصلاة ، فقال : مروا من يصلى بالناس قال : فخرجت فإذا عمر فى الناس وكان أبو بكر غائبا ، فقلت : قم يا عمر فصل بالناس قال : فقام : فلما كبر ، سمع رسول الله ﷺ صوته ، وكان عمر رجلا مجهراً ، قال : فقال

= معنى التوحيد الذى يجب أن يكون آخر كلام المؤمن ، فإنه قال ﴿ **مع الذين أنعم الله عليهم** ﴾ ،هم أصحاب الصراط المستقيم، وهم أهل لا إله إلا الله ، قال الله تعالى : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾ ، ثم بين فى الآية المتقدمة من الذين أنعم الله عليهم فذكرهم ، وهم الرفيق الأعلى الذين ذكرهم رسول الله ﷺ – حين خير فاختار ، وبعض الرواة يقول عن عائشة فى هذا الحديث · فأشار بإصبعه ، وقال : فى الرفيق ، وفى رواية أخرى أنه قال اللهم الرفيق ، وأشار بالسبابة ، يريد التوحيد ، فقد دخل بهذه الإشارة فى عموم قوله عليه السلام « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » ولا شك أنه عليه السلام فى أعلى درجات الجنة ولو لم يشر ، ولكن ذكرنا هذا لئلا يقول القائل · لِم لم يكن آخر كلامه : لا إله إلا الله · وأول كلمة تكلم بها رسول الله وهو مسترضع عند حليمة أن قال : الله أكبر قاله الواقدى ·

وأما آخر ما أوصى به عليه السلام بأن قال : الصلاة وما ملكت أيمانكم ، حرك بها لسانه وما يكاد يبين وفى قوله : ملكت أيمانكم قولان · قيل : أراد الرفق بالمملوك ، وقيل أراد الزكاة ، لأنها فى القرآن مقرونة بالصلاة ، وهى من ملك اليمين ، قاله الخطابى والله أعلم ·

رسول الله ﷺ : فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون . قال : فبعث إلى أبى بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصلى بالناس قال : قال عبد الله بن زمعة قال لى عمر : ويحك ، ماذا صنعت بى يابن زمعة ، والله ما ظننت حين أمرتنى إلا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك ، ولولا ذلك ما صليت بالناس . قال : قلت والله ما أمرنى رسول الله ﷺ بذلك ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس .

* * *

اليومُ الذى قَبضَ اللهُ فِيه رَسُولَهُ ﷺ

قال ابن إسحاق : وقال الزهرى : حدثنى أنس بن مالك ، أنه لما كان يوم الإثنين الذى قَبض الله فيه رسول الله ﷺ . خرج إلى الناس ، وهم يصلون الصبح ، فرفع الستر ، وفتح الباب ، فخرج رسول الله ﷺ . فقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه فرحا به ، وتفرجوا ، فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم ، قال : فتبسم رسول الله ﷺ سروراً لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم ، وما رأيت رسول الله ﷺ أحسن هيئة منه تلك الساعة قال : ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله ﷺ قد أفرق من وجعه فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن القاسم بن محمد أن رسول الله ﷺ قال حين سمع تكبير عمر فى الصلاة : أين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون فلولا مقالة قالها عمر عند وفاته لم يشك المسلمون أن رسول الله ﷺ قد استخلف أبا بكر ، ولكنه قال عند وفاته : إن استخلف فقد استخلف من هو خير منى ، وإن أتركهم فقد تركهم من هو خير منى ، فعرف الناس أن رسول الله ﷺ لم يستخلف أحداً وكان عمر غير متهم على أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى مليكة ، قال : لما كان يوم الإثنين خرج رسول الله ﷺ عاصبًا رأسه إلى الصبح وأبو بكر يصلى بالناس ، فلما خرج رسول الله ﷺ تفرج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك

إلا لرسول الله ﷺ ، فنكص عن مصلاه ، فدفع [(١)] رسول الله ﷺ في ظهره ، وقال : صل بالناس ، وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه ، فصلى قاعداً عن يمين أبي بكر ، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس ، فكلمهم رافعًا صوته ، حتى خرج صوته من بأب المسجد ، يقول : أيها الناس : سعرت النار ، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، وإني والله ما تمسكون عليَّ بشيء ، إني لم أحل إلا ما أحل القرآن ، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن .

قال : فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه ، قال له أبو بكر : يا نبي الله إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما تحب ، واليوم يوم بنت خارجة ، أفآتيها ؟ قال : نعم ، ثم دخل رسول الله ﷺ ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسنح .

شأن علي والعباس قبل وفاته : قال ابن إسحاق : قال الزهري : وحدثني عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : خرج يومئذ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله ﷺ . فقال له الناس : يا أبا حسن ، كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ قال أصبح بحمد الله بارئا ، قال : فأخذ العباس بيده ، ثم قال يا علي ، أنت والله عبد العصا بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله ، كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه ، وإن كان في غيرنا ، أمرناه فأوصى بنا الناس . قال فقال له علي إني والله لا أفعل ، والله لئن مُنعناه لا يؤتيناه أحد بعده .

فتوفي رسول الله ﷺ حين اشتد الضحاء من ذلك اليوم .

سواكُ الرسول قَبل وفَاته : قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة ، عن الزهري عَن عروة ، عن عائشة ، قال : قالت : رجع إلى رسول الله ﷺ في ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطجع في حجري ، فدخل عليَّ رجل من آل أبي بكر ، وفي يده سواك أخضر ، قالت : فنظر رسول الله ﷺ إليه في يده نظراً عرفت أنه يريده قالت : فقلت : يا رسول الله ، أتحب أن أعطيك هذا السواك ؟

(١) أي دفعه الرسول الله ﷺ وقدمه للصلاة .

قال : نعم ، قالت : فأخذته فمضغته له حتى لينته ، ثم أعطيته إياه : قالت : فاستن به كأشد ما رأيته يستن بسواك قط ، ثم وضعه [١] ، ووجدت رسول الله ﷺ يثقل فى حجرى ، فذهبت أنظر فى وجهه ، فإذا بصره قد شخص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى مَن الجنة : قالت : فقلت : خُيِّرتَ فاخترت والذى بعثك بالحق . قالت : وقُبض رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : سمعت عائشة تقول : مات رسول الله ﷺ بين سَحْرِى ونحرى وفى دولتى ، لم أظلم فيه أحدا فمن سفهى وحداثة سنى أن رسول الله ﷺ قُبض وهو فى حجرى ، ، ثم وضعت رأسه على وسادة ، وقمت ألتدم [٢] مع النساء ، وأضرب وجهى .

مقالة عمر بعد وفاته : قال ابن إسحاق : قال الزهرى ، وحدثنى سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة ، قال : لما توفى رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب ، فقال : إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفى ، وإن رسول الله ﷺ ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل مات ، ووالله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى ، فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات .

شأن أبى بكر بعد وفاته : قال : وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شىء حتى دخل على رسول الله ﷺ فى بيت عائشة ، ورسول الله ﷺ مُسَجى فى ناحية البيت ، عليه برد حبرة ، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ ، قال : ثم أقبل عليه فقبّله ،

---

(١) فيه من الفقه : التنظف والتطهر للموت ، ولذلك يستحب الاستحداد لمن استشعر القتل أو الموت كما فعل خبيب أحد أصحابه ﷺ حينما أراد المشركون قتله وقصته موجودة فيما سبق من السيرة - لأن الميت قادم على ربه كما أن المصلى مناج لربه ، فالنظافة من شأنهما وكان السواك المذكور فى هذا الحديث من عسيب نخل فيما روى بعضهم . والعرب تستاك بالعسيب ، وكان أحب السواك إلى رسول الله ﷺ فرع الأراك .

(٢) ألتدم : أضرب صدرى .

ثم قال : بأبى أنت وأمى ، أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدًا . قال : ثم رد البُرد على رسول الله ﷺ ، ثم خرج وعمر يكلم الناس فقال على رسلك يا عمر : أنصت ، فأبى إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت . قال : ثم تلا هذه الآية : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا وسيجزى الله الشاكرين** ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

قال : فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ، قال : وأخذها الناس عن أبى بكر ، فإنما هى فى أفواههم ، وقال أبو هريرة : قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعقرت (١) حتى وقعت إلى الأرض ما تحملنى رجلاى ، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات .

* * *

أمرُ سَقيفة بنى ساعدة

قال ابن إسحاق : ولما قُبض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحى من الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، واعتزل على بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فى بيت فاطمة ، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبى بكر ، وانحاز معهم أسيد بن حضير ، فى بنى عبد الأشهل ، فأتى آت إلى أبى بكر وعمر ، فقال : إن هذا الحى من الأنصار مع سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، قد انحازوا إليه ، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرهم ، ورسول الله ﷺ فى بيته لم يُفرَغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهله . قال عمر : فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، حتى ننظر ما هم عليه .

قال ابن إسحاق : وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار ، أن

(١) عقرت : دهشت فلم أستطع التقدم أو التأخر .

عبد الله بن أبى بكر ، حدثنى عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : أخبرنى عبد الرحمن بن عوف ، قال : وكنت فى منزله بمنى أنتظره ، وهو عند عمر فى آخر حجة حجها عمر ، قال : فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر ، فوجدنى فى منزله بمنى أنتظره وكنت أقرئه القرآن ، قال ابن عباس ، فقال لى عبد الرحمن بن عوف : لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك فى فلان يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، والله ما كانت بيـــعة أبى بكر إلا فلتة فتمت ، قال : فغضب عمر ، فقال : إنى إن شاء الله لقائم العشية فى الناس ، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمرهم ، قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمـــنين لا تفعل ،فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم ، وإنهم هم الذين يغلبون على قربك ، حين تقوم فى الناس ، وإنى أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها أولئك عنك كل مطير ، ولا يعوها ولا يضعوها على موضعها ، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار السنة ، وتخلص بأهل الثقة ،وأشراف الناس فتـــقول ما قلت بالمدينة متمكنا ، فيعى أهل الفقه مقالتك ، ويضعوها على مواضعها ،قال : فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة .

عُمر يذكر البيعة لأبى بكر : قال ابن عباس : فقدمنا المدينة فى عقب ذى الحجة ، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زالت الشمس ، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسًا إلى ركن المنبر فجلست حذوه تمس ركبتى ركبته ، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب ، فلما رأيته مقبلا ، قلت لسعيد بن زيد : ليقولن العشية على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف ، قال : فأنكر على سعيد بن زيد ذلك ، وقال :ما عسى أن يقول مما لم يقل قبله ، فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذنون ، قام فأثنى على الله بما هو أهل له ، ثم قال :

أما بعد .

فإنى قائل لكم اليوم مقالة قد قدر لى أن أقولها ، ولا أدرى لعلها بين يدى أجلى ، فمن عقلها ، ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشى أن لا

يعيها فلا يحل لأحد أن يكذب عليّ إن الله بعث محمدًا، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها ، وعلمناها ووعيناها ، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان يقول قائل : والله ما نجد الرجم فى كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم فى كتاب الله حق على من زنا إذا أحصن من الرجال والنساء . وإذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف ، ثم إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله . « لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم » ألا إن رسول الله ﷺ قال : لا تطـــرونى كما أطرى عيسى ابن مريم . وقولوا : عبد الله ورسوله ، ثم إنه قد بلغنى أن فلانا قال : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، فلا يغرن امرءا أن يقول : إن بيعة أبى بكر كانت فلتة فتمت ، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وقى شرها ، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر ، فمن بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين ، فإنه لا بيعة له هو ولا الذى بايعه تغرة أن يقتلا ، إنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ ، إن الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم فى سقيفة بنى ساعدة ، وتخلف عنا على بن أبى طالب والزبير بن العوام ومن تبعـــهما ، واجتمـــع المهاجرون إلى أبى بكر ، فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلان صالحان ، فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم ، وقال : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، قالا : فلا عليكم ألا تقربوهم يا معشر المهاجرين ، اقضوا أمركم . قال : قلت : والله لنأتينـــهم . فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة ، فإذا بين ظهرانيهم رجل مزمَّل فقلت : من هذا ؟ فقالوا : سعد بن عبادة ، فقلت : ماله ؟ فقالوا : وجع . فلما جلسنا تشهد خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو له أهل ، ثم قال :

أما بعد .

فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفت دافة [١] من قومكم . قال : وإذا هم يريدون أن يجتازونا من أصلنا ، ويغصبونا الأمر ، فلما سكت أردت أن أتكلم ، وقد زورت[٢] فى نفسى مقالة قد أعجبتنى ، أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر ، وكنت أدارى منه بعض الحد [٣] ،

(١) الدافة : الجماعة من الناس تأتى من بلد إلى بلد . (٢) زورت : أعددت وهيأت .
(٣) الحد : الحدة التى كان يتصف بها عمر .

فقال أبو بكر : على رسلك يا عمر ، فكرهت أن أغضبه فتكلم ، وهو كان أعلم منى وأوقر ، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتنى من تزويرى إلا قالها فى بديهته ، أو مثلها أو أفضل ، حتى سكت ، قال : أما ما ذكرتم فيكم من خير ، فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسباً ودارا ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة ابن الجراح وهو جالس بيننا ، ولم أكره شيئًا مما قاله غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقى ، لا يقربنى ذلك إلى إثـــم ، أحب إلىَّ من أن أتأمَّر على قوم فيهم أبو بكر .

قال قائل من الأنصار ، أنا جذيلها [(١)] المحكك وعذيقها المرجَّب [(٢)] ، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش . قال : فكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات ، حتى تخوفت الاختلاف فقلت : أبسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، ونزونا [(٣)] على سعد بن عبادة ، فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عبادة . قال فقلت : قتل الله سعد بن عبادة .

قال ابن إسحاق : قال الزهرى أخبرنى عروة بن الزبير أن أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عويم بن ساعدة ، والآخر معن بن عدى ، أخو بنى العجلان فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذى بلغنا أنه قيل لرسول الله ﷺ من الذين قال الله عز وجل لهم : ﴿ **فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين** ﴾ فقال رسول الله ﷺ : نعم المرء منهم عويم بن ساعدة ، وأما معن بن عدى فبلغنا أن الناس بكوا على رسول الله ﷺ حين توفاه الله عز وجل ، وقالوا : والله لوددنا أنا متنا قبله إنا نخشى أن نفتتن بعده . قال معن بن عـــدى : لكنى والله ما أحب أنى مت قبله حتى أصدقه ميتًا كما صدقته حيا ، فقتل معن يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر ، يوم مسيلمة الكذاب .

خُطْبة عمر بعد البيعة لأبى بكر : **قال ابن إسحاق** : وحدثنى الزهرى ، قال :

---

(١) الجذيل : تصغير جذل : عود من الحطب فى مبرك الإبل تحتك به فتستريح .

(٢) العزيق : تصغير عذق النخلة : والمرجب من الترجيب وهو بناء يساعده لكثرة حمله .

(٣) نزونا : وثبنا .

حدثنى أنس بن مالك ، قال : لما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر ، فتكلم قبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال . أيها الناس ، إنى كنت قلت لكم أمس مقالة ما كانت مما وجدتها فى كتاب الله ، ولا كانت عهداً عهد إلىَّ رسول الله ﷺ ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا ، يقول : يكون آخرنا وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هدى رسول الله ﷺ ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله ﷺ ، وثانى اثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة ، بعد بيعة السقيفة .

خُطبة أبى بكر بعد البيعة : فتكلم أبو بكر ، فحمد الله ، وأثنى عليه بالذى هو أهله ثم قال :

أما بعد أيها الناس ، فإنى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنتُ فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : والله إنى لأمشى مع عمر فى خلافته وهو عامد إلى حاجة له ، وفى يده الدرة ، وما معه غيرى ، قال وهو يحدث نفسه ، ويضرب وحشى[1] قدمه بدرته ، قال : إذ التفت إلى ، فقال : يا بن عباس هل تدرى ما كان حملنى على مقالتى التى قلت حين توفى رسول الله ﷺ ؟ قال : قلت لا أدرى يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم ، قال فإنه والله ، إن كان الذى حملنى على ذلك إلا أنى كنت أقرأ هذه الآية : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾[2] فوالله ، إن كنت لأظن أن رسول الله ﷺ سيبقى فى أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ، فإنه للذى حملنى على أن قلتُ ما قلت .

* * *

(١) وحشى : خارج .   (٢) البقرة : ١٤٣ .

جهاز (١) رسول الله ﷺ ودفنه

من تَولَّى غُسْله: **قال ابن إسحاق** : فلما بويع أبو بكر رضي الله عنه ، أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء ، فحدثنى عبد الله بن أبى بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا : أن على بن أبى طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، وقُثم بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وشقران مولى رسول الله ﷺ ، هم الذين ولوا (٢) غسله ، وأن أوس بن خولى ، أحد بنى عوف بن الخزرج ، قال لعلى بن أبى طالب : أنشدك الله يا على وحظنا من رسول الله ﷺ ، وكان أوس من أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بدر ، قال : ادخل ، فدخل فجلس ، وحضر غسل رسول الله ﷺ ، فأسنده على بن أبى طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقثم يقلِّبونه معه ، وكان أسامة بن زيد وشقران مولاه ، هما اللذان يصبان الماء عليه ، وعلى يغسِّله ، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصه يدلكه به من ورائه ، لا يفضى بيده إلى رسول الله ﷺ وعلى يقول : بأبى أنت وأمى ، ما أطيبك حيا وميتا . ولم ير من رسول الله ﷺ شيء مما يُرى من الميت (٣) .

كَيْفية غُسْله : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عائشة قالت : لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه . فقالوا : والله ما ندرى أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا أو نغسله وعليه ثيابه ؟ قالت: فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم ، حتى ما منهم رجل إلا ذقنه فى صدره ، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو : أن اغسلوا النبى وعليه ثيابه ، قالت : فقاموا إلى رسول الله ﷺ ، فغسلوه وعليه قميصه ، يصبون الماء فوق القميص ، ويدلكونه والقميص دون أيديهم .

تَكْفينُه : قال ابن إسحاق : فلما فرغ من غَسل رسول الله ﷺ كُفِّن فى ثلاثة أثواب ، ثوبين صحاريين (٤) وبُرد حَبرة ، أُدرج فيها إدراجا ، كما حدثنى جعفر بن

---

(١) أى غسله وتكفينه والصلاة عليه ﷺ . (٢) أي تولوا .

(٣) أى لم يروا جسده الشريف ﷺ لأنهم غسلوه بثيابه ودلكوه بها .

(٤) نسبة إلى صحار ، وهى مدينة باليمن .

محمد بن على بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده على بن الحسين ، والزهرى ، عن على بن الحسين .

القَبر : قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ ، وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح [١] كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد بن سهيل هو الذى يحفر لأهل المدينة ، يلحد ، فدعا العباس رجلين ، فقال لأحدهما : اذهب إلى أبى عبيدة بن الجراح ، وللآخر اذهب إلى أبى طلحة ، اللهم خِرْ لرسول الله ﷺ ، فوجد صاحب أبى طلحة أبا طلحة ، فجاء به فلحد لرسول الله ﷺ .

الصلاة عليه ودفنه : فلما فرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء ، وضع فى سريره [٢] فى بيته ، وقد كان المسلمون اختلفوا فى دفنه . فقال قائل : ندفنه فى مسجده وقال قائل بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما قبض نبى إلا دفن حيث يقبض : فرفع فراش رسول الله ﷺ الذى توفى عليه ، فحفر له تحته ، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ يصلون عليه أرسالا ، دخل الرجال ، حتى إذا فرغوا أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان ، ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد [٣] .

ثم دفن رسول الله ﷺ من وسط الليل ليلة الأربعاء .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن امرأته فاطمة بنت عمارة ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن عائشة رضي الله عنها : جوف الليل من ليلة الأربعاء .

من تولى دَفنه : وكان الذين نزلوا فى قبر رسول الله ﷺ : على بن أبى طالب ، والفضل بن عباس ، وقثم بن عباس ، وشقران مولى رسول الله ﷺ .

وقد قال أوس بن خولى لعلى بن أبى طالب : يا على ، أنشدك الله ، وحظنا من رسول الله ﷺ ، فقال له : انزل ، فنزل مع القوم ، وقد كان مولاه شقران

---

(١) يضرح : يشق وسط القبر يجعله ضريحا أما اللحد فهو شق في جانب القبر .
(٢) السرير : النعش الذى يوضع عليه الميت . (٣) وهذه خاصة بالرسول ﷺ .

حين وضع رسول الله ﷺ ، فى حفرته وبنى عليه قد أخذ قطيفة ، وقد كان رسول الله ﷺ يلبسها ويفترشها ، فدفنها فى القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك أبدا ٠

قال : فدفنت مع رسول الله ﷺ ٠

أحدث الناس عهداً به : وقد كان المغيرة بن شعبة يدَّعى أنه أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ يقول : أخذت خاتمى ، فألقيته فى القَبر ، وقلت : إن خاتمى سقط منى ، وإنما طرحته عمدًا لأمس رسول الله ﷺ ، فأكون أحدثَ الناس عهدًا به ﷺ ٠

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، عن مقسم أبى القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مولاه عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرتُ مع على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أم هانىء بنت أبى طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع فسكب له غسل ، فاغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا الحسن ، جئنا نسألك عن أمر نحب أن تخبرنا عنه ؟ قال : أظن المغيرة بن شعبة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهدًا برسول الله ﷺ ٠ قالوا: أجل : عن ذلك جئنا نسألك ، قال : كذب ، قال : أحدث الناس عهدًا برسول الله ﷺ قثم بن عباس ٠

خميصة الرسول السوداء : **قال ابن إسحاق** : وحدثنى صالح بن كيسان ، عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدثته ، قالت : كان على رسول الله ﷺ خميصة سوداء حين اشتد به وجعه ، قالت : فهو يضعها مرة على وجهه ، ومرة يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر من ذلك على أمته ٠

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كيسان ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت ٠ كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال : « لا يُترك بجزيرة العرب دينان » ٠

افتتان المسلمين بعد موته : **قال ابن إسحاق** : ولما توفى رسول الله ﷺ عظمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة ، فيما بلغنى ، تقول لما توفى رسول الله ﷺ ارتد العرب ، واشرأبت اليهودية والنصرانية ، ونجم النفاق ، وصار

المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية ، لفقد نبيهم ﷺ ، حتى جمعهم الله على أبى بكر (١) .

فهذا المقام الذى أراد رسول الله ﷺ فى قوله لعمر بن الخطاب : إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه .

حسان بن ثابت يرثى الرسول : وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله ﷺ .

بِطيبة رَسم للرسولِ ومَعْهَد ... مُنير وقَد تعفو الرسومُ وتُهمدُ (٢)

ولا تمتحى الآياتُ من دَار حُرمة ... بَها مُنير الهادى الذى كان يصعدُ

وَواضحُ آثار وباقى معالمٍ ... وربع له فيه مُصلى ومَسجدُ

بِها حُجرات كان ينزل وسطها ... من الله نُور يستضاء وَيُوقَدُ

معارف لم تُطمس على العهد آيها ... أتاها البلى فالآى منها تَجددُ

عَرفتُ بها رَسم الرسولِ وعَهده ... وقبراً بِها واراه فى التُّربِ ملحدُ

ظَللتُ بها أبكى الرسولَ فأسعدت ... عُيون ومثلاها من الجفن تُسعدُ (٣)

يذكرن آلاءَ الرسولِ وما أرى ... لها محصيا نفسى فنفسى تُبلدُ

مُفجَّعة قد شفها فقد أحمد ... فظلت لآلاءِ الرسولِ تُعددُ (٤)

وما بلغتْ من كل أمر عشيرهُ ... ولكن لِنفسى بعدُ ما قد توجُّدُ (٥)

أطالت وقوفا تذرفُ العينُ جهدها ... على طلل القبر الذى فيه أحمدُ

فَبوركتَ يا قبرَ الرسولِ وبوركتْ ... بِلاد ثَوى فيها الرشيدُ المسددُ

---

(١) قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله ﷺ هموا بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عتاب بن أسيد - والى مكة - فتوارى فقام سهيل بن عمرو ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ ، وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة فمن رابنا ضربنا عنقه ، فتراجع الناس وكفُّوا عما هموُّا به ، وظهر عتاب بن أسيد .

(٢) الرسم : ما بقى من آثار الديار . تعفو : تدرس : تهمد : تبلى .

(٣) أسعدت : أعانت . (٤) شفها : أضعفها .

(٥) عشيره : عشره . توجد : من الوجد وهو الحزن .

وبوركَ لحد منـــك ضمن طيبا ... عليه بناءٌ مــن صَفيح مُنَضَّدُ (١)
تَهيل علـــيه التُّربَ أيدٌ وأعينٌ ... عليه وقد غارت بذلك أســعدُ
لَقد غيَّبوا حِلــما وعلما ورَحمةً ... عَشيةَ علوهُ الثــرى لا يوسَّدُ
وراحوا بحزنٍ ليس فيهم نبيُّهم ... وقد وَهَنَتْ منهم ظُهور وأعْضُدُ
يَبكونَ مَنْ تبكى السَموات يَومَهُ ... ومَنْ قد بكَتهُ الأرضُ فالناس أَكْمدُ
وَهل عَدلتْ يَومًا رزية هالك ... رَزية يوم مات فيه محــمدُ ؟!
تَقطَّع فيه منــزلُ الوَحْى عَنْهُم ... وقد كان ذا نور يغــور وينجدُ (٢)
يَدل على الرحمنِ من يقتدى به ... وينقذ من هــول الخزايا ويرشَدُ
إمام لهم يهديهم الحق جاهدا ... مُعَلِّم صِــدق إن يطيعوه يُسعدُوا
عفوٌ عن الزلات يقبل عذرهم ... وإنْ يحسنوا فالله بالخير أجودُ
وإن نابَ أمر لم يقوموا بحمله ... فمن عنــده تيسير مَا يتشددُ
فبينَا همُ فى نعمــةِ الله بينهم ... دَليلٌ به نَهج الطــريقة يَقْصدُ
عزيزٌ عليه أن يجوروا عن الهدى ... حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
عطوفٌ عليهم لا يثنــى جناحه ... إلى كَنَف يحنــو عليهم ويمهدُ (٣)
فَبينا هم فى ذلك النور إذ غَدا ... إلى نورهم سهم من الموت مُقصد (٤)
فأصبَح محمــودًا إلى اللهِ راجعًا ... يبكيه حتى المرســلات ويحمدُ (٥)
وأمستْ بلاد الحرم وحشًا بقاعها ... لِغيبة ما كانت من الوحــى تَعهدُ
قفارًا سوى معمورة اللحد ضافها ... فقيد يبكينــه بلاطٌ وغَرقَدُ (٦)
ومسجدُهُ فالموحــشاتُ لفَقْده ... خَلاءٌ لَه فيــه مَقام ومقعدُ

---

(١) الصفيح : الحجارة · منضد : بعضه فوق بعض ·

(٢) يغور : من الغور وهو ما انخفض من الأرض ، وينجد : من النجد ، وهو ما ارتفع من الأرض ·

(٣) الكنف : الجانب ·

(٤) مقصد : مصيب : اسم فاعل من أقصد ·

(٥) المرسلات : الملائكة ·

(٦) ضافها : نزل بها · البلاط : ما استوى من الأرض : الغرقد : شجر ·

وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشتْ ... ديار وعَرصـات وربع مولدُ
فبكّى رسولَ الله يَا عينُ عَبرةً ... ولا أعرفنك الدهـر دَمعك يجمدُ
ومالك لا تبكينَ ذا النعمة التى ... على الناس منها سَابغ يتَغمدُ
فَجودى عَليه بالدموع وأعولى ... لفقد الذى لامثـله الدهرَ يوجَدُ
وَما فقدَ الماضونَ مثلَ محمد ... ولا مثله حتـى القيامة يُفْقدُ
أعَف وأوفى ذمـة بعد ذمة ... وأقربُ منْـه نائلاً لا يُنكد (١)
وأبذل منه للطـريف وتالد ... إذا ضَن عـطاء بما كان يتلَدُ (٢)
وأكرمُ صيتا فى البيوت إذا انتمى ... وأكرَم جدا أبطحـيا يَسودُ (٣)
وأمنع ذروات وأثبتُ فـى العلا ... دَعائم عن شاهـقات تَشيدُ (٤)
وأنبتُ فَرعا فى الفـروع ومنبتا ... وعودا غذاه المزن فالعود أغيدُ (٥)
رباه وَليدًا فَاستـتم تمامهُ ... على أكرم الخيرات رَبٌّ مَمجدُ
تَناهتْ وصَاةُ المسلـمين بكفه ... فلا العلم محبوسٌ ولا الرأى يفندُ (٦)
أقولُ ولا يلقـى لقولى عائب ... من الناس إلا عازبُ العقل مُبعَدُ (٧)
وَليس هواى نازعا من ثنـائه ... لَعلّى به فى جـنة الخلد أخلدُ
مَع المصطفى أرجو بذاكَ جـوارهُ ... وَفى نيل ذاك اليومَ أسعى وأجهدُ

وقال حسان بن ثابت أيضًا ، يبكى رسول الله ﷺ :

مَا بالُ عَينُكَ لا تـنامُ كأنما ... كُحلَتْ مآقيهَا بكُحـل الأرمَد
جَزعًا على المهدىِّ أصبحَ ثَاويًا ... يا خيرَ من وطىء الحصَى لا تَبعُد
وَجهى يقيكَ التُّربَ لهفى ليتنى ... غُيِّبتُ قَبلك فى بقيع الغَرقد (٨)

---

(١) لا ينكد : لا يكدر .
(٢) الطريف : ما استحدث من المال . التالد : المال الموروث . يتلد : يكتسب قديما .
(٣) الصيت : الذكر الحسن . الأبطحى : المنسوب إلى أبطح مكة .
(٤) الذروات : الأعالى . (٥) المزن : السحاب . أغيد : ناعم .
(٦) يفند : يخطأ . (٧) عازب العقل : بعيد العقل غائبه .
(٨) بقيع الغرقد : مدافن أهل المدينة .

بأبى وأُمى مَنْ شَهِدتُ وفَاته ... فى يوم الاثنين النبى المهتدى

فَظللت بَعد وفَاته مَتبلِّدًا ... مَتلددا ياليتنى لم أُولَد

أأقيمُ بَعدكَ بالمدينة بَينهم ... يَا ليتنى صُبِّحت سُمَّ الأسود (١)

أو حَلَّ أمر الله فينا عَاجلاً ... فى رَوحة من يومنا أو من غد

فتقوم ساعتنا فنلقى طيبًا ... محضا ضرائبه كريم المحتد (٢)

يا بِكْرَ آمنةَ المبارك بِكْرُهَا ... وَلدته محصنة بسعد الأسعد

نورًا أضاءَ على البَرية كلِّها ... من يهد للنور المبارك يَهتدى

يا ربِّ فاجمعنا معًا ونبينا ... فى جنة تثْنِى عُيون الحسَّد (٣)

فى جنة الفِردوسِ فاكتُبها لنَا ... يا ذا الجلالِ وذا العُلا والسُّؤدُد

والله أسمع ما بقيت بهالك ... إلا بكيت على النبى مُحمد (٤)

يَا ويح أنصار النبى ورَهطه ... بعد المغيب فى سَواء الملحد

ضَاقت بالانصار البلادِ فأصبحوا ... سودًا وجوههم كلون الإثمد

وَلقد ولدناه وفينا قَبره ... وفضولُ نعمته بنا لم نجحد (٥)

واللهُ أكرمنَا به وهدَى به ... أنصارهُ فى كل ساعة مشهد

صلى الإلهُ ومن يَحُفُّ بِعَرشه ... والطيبون على المبارك أحمد

قال ابن إسحاق وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله ﷺ :

نَبِّ المَسَاكينَ أنَّ الخيرَ فَارقهُمْ ... مع النبى تَولَّى عنهم سحرا (٦)

منْ ذَا الذى عِنْده رَحلى وراحلتى ... ورزق أهلى إذا لم يؤنسوا المطرَ ؟!

---

(١) صبحت سم الأسود : أى سقيت صباحا سم الأسود ، والأسود نوع من الحيات .

(٢) الضرائب : الطبائع . المحتد : الأصل .

(٣) تثنى : تبعد .

(٤) والله أسمع : أى والله لا أسمع .

(٥) يريد : بولدنا : أن أخوال والد الرسول ﷺ من بنى النجار .

(٦) نب : نبىء : سهل فعل الأمر بحذف الهمزة ثم بناه على حذف حرف العلة كما يبنى المعتل .

أَمْ من نُعَاتِبُ لاَ نخشـــى جَنَادعَهُ ... إذَا اللسان عتا فى القول أو عثرا (١)؟!
كانَ الضِّياءَ وكان النـــورَ نتبعهُ ... بعد الإله وكان السمـــع والبصَرا
فَليتنَا يومَ واروه بَملحـــده ... وغَيَّبوه وألقـــوا فوقه المدَرا
لَمْ يترك الله منا بعـــده أحدا ... ولم يعش بعـــده أنثى ولا ذكَرا
ذَلَّتْ رِقاب بَنى النجَّـــار كُلِّهم ... وكان أمرًا من امـــر الله قد قَدَرا
واقتَسم الفئ دُون النَـــاس كُلُّهُم ... وبددوه جهارًا بينهـــم هَدَرا

وقال حسان بن ثابت أيضًا ، يبكى رسول الله ﷺ :

آليتُ مَا فِى جَميع الناس مُجتهدًا ... منّى ألِيَّةَ بَـــرٌ غَيْر إفْنَادِ (٢)
تالله ما حَملتْ أُنثَى ولاَ وضعت ... مِثْلَ الرســول نَبى الأُمة الهادى
وَلا بَرا الله خَلْقًا مـــن بَريته ... أَوْفَى بِذمَّة جـــارٍ أو بِميعادِ
مَنْ الذى كان فينـــا يُستضاءُ به ... مُبارك الأمـــر ذا عدل وإرشادِ
أَمسى نِساؤه عَطَّلن البيـــوت فَما ... يَضربن فَـــوق قفا سِتر بأوتادِ
مِثل الرواهبِ يَلْبســـنَ المباذل قَدْ ... أيقن بالبؤس بعد النعمة البادى (٣)
يَا أفضلَ الناس إنى كنتُ فى نَهرِ ... أصبحتُ منه كَمثل المفْرَد الصادِى (٤)

* * *

(١) الجنادع : أوائل الشر . (٢) الألية : اليمين . الإفناد : الخطأ والعيب .
(٣) المباذل : الأثواب التى تستعمل يوميا أو الأثواب الخلقة .
(٤) الصادى : الشديد العطش .
وقد رثاه غير حسان الكثير من الشعراء . ولكن كان المرثىُّ أعظم من أن يُرثَى وكانت المصيبة أكبر من شعر ورثاء الراثين وحزن المحزونين .

وهذا آخر الكتاب والحمد لله وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين الأخيار الراشدين وبذلك تم بعون الله وتوفيقه وحسن إرشاده كتاب « السير والمغازى » « سيرة ابن إسحاق » : من روايتى يونس وابن هشام فإن كنت وجدت تكرارا فى عناوين المواضيع فلأننا جئنا بالروايتين لفائدة زائدة ﴿ **ربنا وتقبل دعاء * ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب** ﴾ والحمد لله رب العالمين .

تمت السيرة بحمد الله وتوفيقه

* * *

وكان الفراغ من تحقيقها وتصحيحها ومراجعتها

فى غرة محرم ١٤١٩هـ

أبريل ١٩٩٨ م

المحققان

الخـــــاتمة

نرجو من الله حسنها

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على المصلح الأعظم الآتى بالبينات ، اللهم ربنا لك الحمد فى الأولى ، ولك الحمد فى الآخرة ، ولك الحمد حتى ترضى ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم ·

هذا رسولُ اللهِ هَذا المصطفى   هذا لِكُلِّ العَالمين رَسُـــول

أما بعد ·

فإن أعظم درس مستفاد من دراسة السيرة النبوية العطرة هو أن نعيش مع صاحبها ﷺ وكأنه بين أظهرنا وكأننا نسمع منه ونراه ؛ لأن كلامه وسنته وهديه باقية ببقاء الإسلام مدى الأيام والأزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ·

وأحمد الله تعالى أن وفقنا لتحقيق وشرح هذه السيرة العطرة ؛ فهى أعظم سيرة لأعظم شخصية فى الوجود ، رواها أعظم المؤرخين وضمها أعظم كتاب من كتب السِّير ·

وأخيرًا :

فلتسقط كل الأقلام ولتخرس كل الألسنة ولتسمع كل الأذان إذا قال النبى العدنان عليه أفضل الصلاة وأتم السلام · وصدق الإمام مالك حين أشار إلى الروضة الشريفة وقال : كلٌّ منا يؤخذ منه ويُرَدُّ عليه إلاَّ صاحب هذه الروضة ﷺ ·

المحققان

طه عبد الرءوف سعد

بدوى طه بدوى

* * *

فهرست الموضوعات

الجزء الثانى

من السيرة النبوية لابن إسحاق السِّيَر والمغازى

* * *

NOTE:
THESE BOOKS ARE SCANNED FOR OUR CHILDREN KNOWLEDGE.
THANK TO BROTHER NASIR UDDIN ARIF
TALIB DUA
NAZAR + AHMAD ALI